

الباب الأول

موقف أهل السنة من التقية

وفيه ستة فصول :

- الفصل الأول : الأصول العامة لحكم الإسلام في لتقية
- الفصل الثاني : تعريف التقية والأدلة على جوازها
- الفصل الثالث : التقية والإكراه
- الفصل الرابع : أحكام التقية
- الفصل الخامس : التفريق بين التقية وغيرها
- الفصل السادس : أثر التقية في المجتمع الإسلامي



توطئة

أهل السنة لقب يطلق على جمهور المسلمين من عصه الله من الفتن ، ولم يشذ عن جسم الامة الاسلامية كما شذ الخوارج والشيعة وغيرهم من الفرق المبتدعة ، وانما تمسكوا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم .

وقد قال الامام ابن حزم فى وصفهم :

(هم الصحابة رضى الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً الى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها)^(١)

وقال شارح الطحاوية :

(هم الصحابة رضى الله عنهم والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين)^(٢)

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين روى الترمذى عن العرياض بن سارية قال : (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الفداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ،

فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟

قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ)^(٣)

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل ١١٣/٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص / ٤٣٠

(٣) رواه الترمذى فى سننه ٤٤/٥ رقم ٢٦٢٦ باب : ما جاء فى الاخذ بالسنة واجتناب

البدع وقال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أبوداود ١٣/٥ - ١٥ رقم

ولذلك كان التمسك بسنة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم مما أمر به الاسلام وحضر عليه ولكن بعض الفرق الاسلامية طعنوا فيهم وشذت عن هديهم وابتدعت في الدين ما ليس فيه وبقى أهل السنة ملتزمين بما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينظرون الى جيل الصحابة الكرام رضى الله عنهم نظرة إجلال وتكريم .

والفرق المبتدعة التي انحرفت عن طريق الحق ، اتخذت لنفسها عقائد باطلة وكانت تقابل البدعة بالبدعة ، والافراط بالتفريط .

وهذا ما سنراه في حديثنا عن التقية وبيان موقف أهل السنة الذي يمثل الموقف الحق بين غلو الشيعة من جهة وتشديد بعض الخوارج من جهة اخرى .

وسنلقى في هذا الباب الضوء على موقف أهل السنة من التقية وأحكامها وضوابطها الشرعية ، أما المواقف التفصيلية لأهل السنة من الانحرافات التي وقع بها الشيعة في مفهوم التقية ومجالاتها وأحكامها فهذا ما سنراه باذن الله في الباب الثاني .

الفصل الأول

الأصول العامة لحكم الإسلام في التقية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الولاة والبراء في الاسلام

- ١ - المفاصلة في أمر الألوهية
- ٢ - الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين
- ٣ - الحب في الله والبغض في الله
- ٤ - التحاكم الى شرع الله ورفض التحاكم الى الطاغوت
- ٥ - عدم الركون الى الكافرين أو مداھنتهم على حساب الدين
- ١ - البر والعدل
- ٢ - البيع والشراء
- ٣ - الانتفاع بعلومهم وما عندهم

المبحث الثاني : حقيقة الابتلاء

- ١ - تطهير الصف المؤمنين من أدياء الايمان
- ٢ - تربية المؤمنين وتمحيص ما في قلوبهم
- ٣ - زيادة هممهم ومقامهم عند الله

المبحث الثالث : الصراع بين الحق والباطل :

- موقف المسلم من هذا الصراع : أولاً - الجهاد
- ثانياً - الهجرة
- ثالثاً - الصبر وتحمل الأذى

المبحث الأول

الولاء والبراء في الإسلام

إن من لوازم عقيدة التوحيد : الولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، والبراء من الكفر بكافة صوره وأشكاله ، وهي مفصلة حاسمة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)^(١) والولاية (بفتح الواو) ضد العداوة^(٢) .

وهي : (النصرة والمحبة والاكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً)^(٣) والبراء : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإغذار والإندار^(٤) .

ولقد حذرنا ربنا سبحانه من الولاء للكافرين واتخاذهم أعواناً وأنصاراً قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير)^(٥) وتتضمن هذه الآية الكريمة الوحيد الشديد لمن اتخذ الكفار أولياء يحبهم ويركن إليهم ويناصرهم ، مع أن الواجب على المسلم أن يتبرأ منهم ويعداهم .

قال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا ممن الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور)^(٦)

فلا يجوز للمؤمن أن يوالي من حادَّ الله ورسوله ويظهر الوجه لكافر " لان نفسه الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر ، فاذا وجد الايمان انتفى ضده ، وهو مولاة أعداء الله ، فاذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على

(١) سورة المائدة / آية ٥٥ - ٥٦

(٢) أما (الولاية) بكسر الواو فهي الإمارة . انظر : المعجم الوسيط ١٠٥٨/٢

(٣) (٤) الولاء والبراء في الاسلام - محمد سعيد القحطاني - ص/ ٩٢ الطبعة

الثانية ١٤٠٤ هـ - دار طيبة بالرياض

(٥) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٦) سورة المتحنه / آية ١٣

أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب . (١)

قال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم برون منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٢)

وهذا إخبار من الله سبحانه أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين ، لأن من أحب أحداً لا يحب عدوه ومن مال بقلبه إلى عقائد الكفار لا يمكن أن يتصف بالايمان والمحبة لله ورسوله .

وهناك صور ومظاهر كثيرة للولاء والبراء أهمها : (٣)

١ - المفاصلة في أمر الألوهية :

وذلك بالولاء الكامل لعقيدة التوحيد والبراءة الكاملة من الشرك وأهله فالتوحيد منهج ، والشرك منهج آخر . . لا يلتقيان ، والفارق بينهما بعيد . . فلا ترقيع ، ولا أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق . وقد قال تعالى في بيان هذه الحقيقة الهمة : (قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين) (٤)

فالمسلم لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم ، وإنما وظيفته أن يرشدهم

(١) كتاب (الايمان) لشيخ الاسلام ابن تيمية - ص / ٣ - الطبعة الثالثة - المكتب الاسلامي .

(٢) سورة المجادلة / آية ٢٢

(٣) استغدت في هذا الموضوع من رسالة : (أوثق عرى الايمان) للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، ضمن كتاب (مجموعة التوحيد) ص / ٣٧٢ وما بعدها . وكتاب (الولاء والبراء في الاسلام) للقحطاني ص / ٢٣٣ وما بعدها . ولكنني عرضت صور الولاء هنا بطريقة أخرى رأيتها أقرب للاختصار .

(٤) سورة الكافرون / الايات ١ - ٦

الى طريقه هو، بلا مدهانة ، ولا نزولٍ عن قليلٍ من دينه أو كثير. (١)
وليس من شأن المسلم أن يميل إلى العقائد الباطلة أو يرغب فيها وإنما عليه أن
ينبذها ويكرهها .

قال تعالى :

(ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وجد بهن خلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله
أحب إليه ما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر
بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار) (٣)

ومن مقتضيات هذه المفاصلة أن يعتز المسلم بدينه ولا يرضى الدنية والهوآن . كما
قال عمر رضي الله عنه (إنا كنا أذل قوم فأعزَّنَا الله بالاسلام فمهما نطلب العزَّ بغير
ما أعزَّنَا الله به أذلنا الله) (٤)

٢ - الذلَّة للمؤمنين والعزة على الكافرين :

الواجب على المؤمن أن يقيم مشاعره وعواطفه على أساس عقيدته فيلين لآخوانه في
العقيدة ، ويشد على أعداءه ويستعلي عليهم بإياديه .
"إنها ليست العزة للذات ، ولا الاستعلاء للنفس ، وإنما هي العزة للعقيدة ، والاستعلاء
للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين ، إنها الثقة بأن مآلهم هو الخير . . .
والثقة بغلبة دين الله على دين الهوى " (٥)

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٦ / ٣٩٩٢ - الطبعة السابعة - ١٣٩٨ هـ دار الشروق

(٢) سورة الحجرات / آية ٢

(٣) صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - ج ١ / ١٢
كتاب الإيمان - باب خلاصة الإيمان .

(٤) رواه الامام الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري - ت ٤٠٥ هـ) في
كتابه (المستدرک على الصحيحين) - ١ / ٦٢ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ،
ووافقه الذهبي

(٥) في ظلال القرآن ٢ / ٩١٩

قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاطمن إن كنتم مؤمنين)^(١) .

وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)^(٢)

وقال سبحانه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)^(٣)

فالعزة من أبرز صفات المؤمنين " العزة المستمدة من عزته تعالى . العزة التي لاتهنون ولا تهين ، ولا تنحني ولا تلين ، ولا تزال القلب المؤمن في أخرج اللحظات إلا أن يتضعض فيه الايمان ، فاذا استقر الايمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة^(٤) قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون)^(٥)

فالمؤمن يخفض جناحه لإخوانه المؤمنين ويتواضع لهم ، ويستعلي على الكافرين ولا يرضى أن يذلّ لهم .

وهذا مظهر سلوكي من مظاهر الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين .

٣ - الحب في الله والبغض في الله :

ومن أوثق عرى الايمان أن يحب المؤمن إخوانه في الله ، ويكره الكافرين ويغضهم لكفرهم. روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (أوثق عرى الايمان المولاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله)^(٦)

(١) سورة آل عمران / آية ١٣٩

(٢) سورة المائدة / آية ٥٤

(٣) سورة الفتح / آية ٢٩

(٤) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٨٠

(٥) سورة المنافقين / آية ٨

(٦) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) - ٩٤/١ وقد ذكره الامام السيوطي في كتابه الجامع الصغير (انظر : فيض القدير شرح الجامع

الصغير للإمام : (عبد الرؤوف المناوي) ٦٩/٣ =

فينبغي للمؤمن أن يظهر العداوة للكافرين وأن لا يكون في قلبه أى مودة أو حب لهم .
قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدكم أولياء تلحقون اليهم بالمودة ،
وقد كفروا بما جاءكم من الحق) (١)

وقال سبحانه : (قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا
برءا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ودا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده) (٢)

فالهدى الاسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل
فلا يمكن أن تكون هناك رابطة محبة ود بين مؤمن وكافر مهما تعددت روابط النسب
والوطن واللغة والجنس لأن رابطة العقيدة تعلو كل الروابط وهي الشجرة الفريدة التي
يجتمع عليها الناس في هذا الدين

٤ - التحاكم الى شرع الله ورفض التحاكم الى الطاغوت :

قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٣)

فلا يمكن أن يتحقق الولاء لله ورسوله حتى يرضى المؤمن بحكم الله ويطمئن به ،
ويرفض حكم الطاغوت ، ويرأ منه .

قال تعالى : (أفحكم الجاهلية يغنون من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (٤)

وأي ميل لحكم الجاهلية وقوانينها يعتبر ولائاً لها ، ولا يمكن لمؤمن أن يحب قوانين
الكفر أو يفضل بعضها على حكم الله سبحانه ، أو يعتقد صلاحها أكثر من شرع الله ، أو مساوئله
أو يؤمن ببعض مذهبها الباطلة كالشيوعية والاشتراكية والديمقراطية والعلمانية وغيرها

= وقال الألباني : حديث حسن (انظر : صحيح الجامع الصغير ٢ / ٣٤٣)

(١) سورة المتحنة / آية ١

(٢) سورة المتحنة / آية ٤

(٣) سورة النساء / آية ٦٥

(٤) سورة المائدة / آية ٥٠

وهذه الصور من صور مولا الكفار وقع فيها كثير من المنتسبين إلى الاسلام اليوم ممن يريد تطبيق هذه المبادئ الكافرة في بلاد المسلمين لتحل محل شرع الله .^(١)

(ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً)^(٢)

هـ - عدم الركون إلى الكافرين أو مجاملتهم ومداهنتهم على حساب الدين :

قال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار والكم من دين الله من أولياء)
ثم لا تنصرون^(٣)

والركون إليهم^(٤) : هو الاستناد والاعتماد عليهم والاستعانة بهم والرضا بأعمالهم —
ومداهنتهم^(٥)

قال تعالى : (وداوُد هـن غيد هـنون)^(٦)

ويدخل في هذا المجال عدم طاعتهم فيما يأمر به

قال تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتبع هواه وكان أمره فُرطاً)^(٧)

وعدم استئذانهم وتوليتهم أمراً من أمور المسلمين لئلا يكون ذلك إغزازاً لهم وفرضاً
للتحكم في رقاب المسلمين ، وكيف تأمنهم وهم أهل الغدر والخيانة ؟ (لا يرقبون في مؤمن

(١) راجع الولاء والبراء في الاسلام للقحطاني - ص / ٢٣٩

(٢) سورة النساء / آية ٥١

(٣) سورة هود / آية ١١٣

(٤) الركون مشتق من ركن الشيء وهو جانبه الأقوى ، وكل ما يقوى به الشيء فهو ركن ،

فالركن إلى الشيء هو الميل القوي الذي تسكن به النفس وتطمئن وتعزز ، وهو

يأوى إلى ركن شديد : أي عز ومنعه (الصحاح للجوهري ٢١٢٦ / ٥)

(٥) راجع تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦١

(٦) سورة القلم / آية ٩

(٧) سورة الكهف / آية ٢٨

إلاّ ولازمة^(١) . وكيف نوليهم ونسلطهم علينا فنخالف حكم الله فيهم (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً^(٢) . وكيف نتخذهم بطانة^(٣) ونجعلهم من خواصتنا ونطلعهم على أمورنا وقد نهانا الله عن ذلك ؟

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونهم لا يآلئونكم خيالاً^(٤) و ما ماعنتم قد بسدت بغضا^(٥) من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون^(٦)) قال الامام الجصاص :^(٥) (نهى الله المؤمنين أن يتخذوا أهل الكفر بطانة من دونه المؤمنين ، وأن يستعينوا بهم في خواص أمورهم ، وأخبر عن ضائرتهم فقال : " لا يآلئونكم خيالاً " يعنى : لا يُقَصِّرون فيما يجدون السبيل إليه من إفساد أموركم ، لأن الخيال هو الفساد ، ثم قال : " و ما ماعنتم " قال السدي : و ما ضلالكم عن دينكم^(٦) . فلا يجوز أن نفتح لهم صدورنا وقلوبنا ونثق بهم وقد امتلأت قلوبهم غيظاً وحقدآ علينا، مهما تظاهروا لنا بالود والحب ..

(وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ^(٧)) وإذا كان هذا حالهم وتلك حقيقتهم فكيف نوليهم ونتخذهم أعواناً وأنصاراً أو نرضى بأعمالهم ونتشبه بهم ؟ (ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين^(٨))

(١) سورة التمه / آية ١٠

(٢) سورة النساء / آية ١٤١

(٣) بطانة الرجل : وليجته ، وأبطنت الرجل : إذا جعلته من خواصك

(الصحيح ٢٠٧٩/٥)

(٤) سورة آل عمران / آية ١١٨

(٥) هو أحمد بن علي الرازي الجصاص، من أئمة الحنفية في بغداد ، ولد سنة ٣٠٥ هـ

وتوفي سنة ٣٧٠ هـ من أبرز كتبه (أحكام القرآن) . راجع : الأعلام ١/ ١٧١

(٦) أحكام القرآن للامام الجصاص - ٢ / ٣٦ دار الكتاب العربي - بيروت

(٧) سورة آل عمران / آية ١١٩

(٨) سورة المائدة / آية ٥١

الحكم في صور مولاة الكفار :

الصور السابقة التي تتحدث عن مولاة الكفار تتفاوت في كون فاعلها خارجاً عن الملة كافرأً بفعلها أو ليس كافرأً وإنما مرتكبأً لكبيرة من الكبائر

لأن (مسمى المولاة يقع على شعب متفاوت منها ما يوجب الردة . . ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات)^(١)

والحكم في ذلك يعود إلى النية والقصد من الفعل فمن أظهر البشاشة لكافر ولا احترام له معتقداً أن عقيدته أفضل من عقيدة المسلمين فقد كفر وأما إذا لم يعتقد ذلك فلا يكفر فالعبرة للنية : قال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٢)

(١) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ / ص ٤٣ - نقلاً عن الولاء

ص / ٢٣٣

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٦ / ١ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب بدر الوصي

ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمامة ٦ / ٤٨

صور لا تدخل في معنى المولاة :

هناك بعض الحالات التي لم ^{ترد} حرمتها الاسلام ولم تعتبر من المولاة للكفار، أهمها :
١ - البر والعدل :

قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
أن تبوههم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (٢)

قال الامام الطبري (٣) رحمه الله في تفسير هذه الآية :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن
تبوههم وتصلوهم وتقسطوا إليهم . . فالآية عامة في جميع من كان ذلك صفته) (٤)

روى البخاري بسنده عن أسامة رضي الله عنها قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركية
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغثت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت :
إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : (نعم صلي أمك) (٥)

قال الامام ابن حجر : (البر والصلة والاحسان لا يستلزم التعاقب والتوارد المنهي عنه) (٦)

(١) راجع : الولاء والبراء في الاسلام ص / ٣٥٢ وما بعدها

(٢) سورة المتحنة / آية ٨

(٣) هو الامام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، المؤرخ المفسر ، ولد في
أمل طبرستان عام ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد وتوفي فيها عام ٣١٠ هـ له كتب
كثيرة أبرزها : أخبار الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) ، جامع البيان
(تفسير الطبري) ، واختلاف الفقهاء وغير ذلك . (راجع : الاعلام ٦٩/٦)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للامام ابن جرير الطبري - ٦٦/٤

(٥) صحيح البخاري ٩٦/٢ كتاب الهبة ، باب الهبة للمكرين

(٦) هو الامام أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر
من أئمة العلم ، أصله من عسقلان (بفلسطين) وولده ووفاته بالقاهرة ، ولد سنة
٧٧٣ هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، وقد أقبل على علم الحديث وطلت شهرته ، وله كتب
كثيرة أبرزها : لسان الميزان ، فتح الباري ، والدرر الكامنة ، والاصابة . . وغيرها .

(الاعلام ١٧٨/١)

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري للامام ابن حجر العسقلاني - ٢٣٣/٥ طبع
دار الفكر .

وذلك لأن الأفعال الأولى المسموح بها من أفعال الجوارح وأما الأفعال الثانية

المنهي عنها فهي من أفعال القلوب .

وقد قال الله تعالى في شأن الوالدَيْن الكافرَيْن :

(١) (وإن جاهدك على أن تشرك بهي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معرّفاً)
 وما يدخل في بر الكافر عيادته إذا كان مريضاً ، فهذا لا يدخل في الولاء المحرم مادام
 لا يؤدي إلى ذلة المسلم أمامه .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله
 عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم
 فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم . فأسلم .

(٢) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الحمد لله الذي أنقذه من النار)

(٣) فعيادة المريض الكافر مشروعة وخاصة إذا طمع في دخوله في الإسلام

٢ - البيع والشراء :

روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : (كنا مع النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم جاء رجل مشرك مشعاناً ^(٤) طويل بغنم يسوقها ، فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم : بيعاً أم عطية ، أو قال : أم هبه ؟ فقال : لا ، بيع فاشتري منه شاة ^(٥)

فالبيع والشراء والهدية وغير ذلك من صور التعامل مع الكفار المشابهة لا يدخل في
 معنى المولاة لكن بشرط أن لا يبيعهم ما يعينهم به على المحرمات أو على قتال المسلمين .
 والله سبحانه حرم مولاة الكافرين والمشاركة في أعمالهم التي فيها محادة الله ورسوله
 وسعادتهما .

(١) سورة لقمان / آية ١٥

(٢) صحيح البخاري ٢٣٥/١ كتاب الجنائز

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - للإمام ابن حجر العسقلاني ١١٩/١٠

(٤) أي : قاتر الرأس أشعث (الصحاح للجوهري ٥/١٤٥)

(٥) صحيح البخاري - كتاب البيوع ٢٦/٢

أما ما عدا ذلك من التجارة والمعاملات الدنيوية فلا تدخل في الولاء المحرم الذي نهى الله عنه .

٣ - الانتفاع بعلومهم وما عندهم :

لم يحرم الاسلام الانتفاع بعلوم الكفار وما عندهم من وسائل وأسباب الحياة مما لا يخالف شرع الله سبحانه ، ولقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم خير لليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطرو ما خرج منها .^(١)

لكن الشيء الذي يحرمه الاسلام وبأباه هو أن يتلقى المسلم من عدو شيئاً مما يتعلق بعقيدته أو مقومات تصوره أو منهج تاريخه أو نظام حكمه^(٢)

فالعقيدة الاسلامية هي قاعدة البناء الاسلامي ، وكل علم يأخذه المسلمون من أعدائهم ينبغي أن يُعرض على العقيدة ، وصاغ صياغة علمية سليمة تضمن خلواً من أفكار الالحاد والمذاهب الهدامة.

(١) راجع: صحيح البخاري ٤٧/٢ باب : المزارعة مع اليهود .

(٢) راجع : معالم في الطريق لسيد قطب ص/ ١٣١

المبحث الثاني

حقيقة الابتلاء

حقيقة الابتلاء حقيقة مهمة من حقائق العقيدة الإسلامية ، إغفالها يؤدي الى ظهور مشكلات وشبهات كثيرة في نفس المسلم ، وذلك لانها الحكمة التي خلق الله من أجلها الانسان في هذه الحياة الدنيا . قال تعالى : (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملاً)^(١)

وقال سبحانه (إنا خلقنا الانسان من نطفه أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)^(٢)

وكذلك فان الحكمة من جعل الانسان خليفة في هذه الارض هي الابتلاء والاختبار قال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم)^(٣) وقال عز وجل (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)^(٤)

ولذلك زوّد الله الناس بالحرية والاختيار ليكون الابتلاء عادلاً فيزاول الانسان اختياره فيما كلف به ويسلك طريق الايمان أو طريق الكفر . قال تعالى : (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)^(٥)

والنتيجة البدئية لاختيار الانسان هي الاختلاف ، ذلك أن بعض الناس يختار الحق وبعضهم يختار الباطل ، وأن بعضهم يفعل الحرام وبعضهم يفعل الحلال ، وبالتالي يصبح الناس فريقين : فريق على الحق وفريق على الباطل .

قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)^(٦) وقال سبحانه : (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم)^(٧)

(١) سورة هود / آية ٧

(٢) سورة الانسان / آية ٢ - ٣

(٣) سورة الانعام / آية ١٦٥

(٤) سورة يونس / آية ١٤

(٥) سورة التباين / آية ٢

(٦) سورة هود / آية ١٩٨ - ١٩٩

(٧) سورة المائدة / آية ٤٨

وهذا الاختلاف سيؤدي الى تصارع الفريقين ، لان لكل فريق منهجه وغايتته . .
فأتباع الباطل يتعرضون لأهل الحق بالاذى والبلاء ليمعدوهم عن طريقهم وليفتنهم عن
دينهم ، وأتباع الحق مطالبون برفع لواء الحق ونشر عقيدة التوحيد وإزالة حاجز الكفر
ودحر عدوانه .

ولقد شهد التاريخ ذلك الصراع الطويل . . وكان أهل الايمان في كل عصر يلاقون
صنفاً من الابتلاء والمحن على أيدي أعدائهم، وعلى رأس أهل الايمان الأنبياء الكرام عليهم
الصلاة والسلام إذ تعرضوا للبلاء ، وكانت حياتهم سلسلة من المحن ، فكذبهم أقوامهم
واستهزؤوا بهم واتهموهم بتهمة كثيرة باطلة ولكن ذلك كله لم يضعف عزائمهم بل صبروا
وتحملوا . وهذه حقيقة مقررة في آيات القرآن الكريم في مناسبات عديدة :

قال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)^(١)

فالايمان أمانة الله في الارض ، لا يحملها الا من هم أهل لها ، ولهم على حملها
قدرة وصبر ، وليس الايمان كلمة تقال انما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء .^(٢)

وتلك هي سنة الله سبحانه مع الذين يشهدون بكلمة الايمان ان يبتليهم حتى يميز
الخبيث من الطيب .

قال تعالى (ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)^(٣)

فلا بد لأهل الايمان من الصبر على البلاء حتى يظفروا بالسعادة في الآخرة فالجنة
سلعة غالية ومنها الصبر على البأساء والضراء والشكر على السراء والنعماء .

قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهزئين
البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله

(١) سورة آل عمران / آية ١٨٦

(٢) مجمع في ظلال القرآن ٢٧٢٠/٥

(٣) سورة العنكبوت / آية ٣٠١

(١)
قريب

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الحكمة من البلاء الذي يصيب أهل
الايان وهي (٢) :

١ - تطهير الصف المؤمنين من ادعاء الايمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض:
قال تعالى (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (٣)
فادعاء الايمان سهل ولكن المحنة تكشف أصحاب الدعاوى الذين يجتمعون عند المغانم
ويهربون عند الشدائد والمحن . قال تعالى :
(ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) (٤)
قال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته
فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين) (٥) وهكذا يتغلى
ادعاء الايمان عن إيمانهم اذا كان سيكلفهم الجهد والمشقة ولا يذا .

٢ - تربية المؤمنين وتمحيص ما في قلوبهم :

يقول تعالى تعقيا على معركة أحد : (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك
الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب
الظالمين ، وليحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (٦)
" فلا بد من تربية النفوس بالبلاء ليوذي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كي تعز على نفوسهم

(١) سورة البقرة / آية ٢١٤

(٢) راجع كتاب: الصبر في القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوى - ص / ٢١ الطبعة
الثانية ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٣) سورة آل عمران / آية ١٧٩

(٤) سورة العنكبوت / ١٠

(٥) سورة الحج / ١١

(٦) سورة آل عمران / ١٤٠ - ١٤١

بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف . والعقائد الرخيصة التي لا يؤدى أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الاولى ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها . . كانت أعز عليهم وكانوا أضنَّ بها . وكذلك لن يدرك الاخرون قيمتها الا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها . . انهم عندئذ سيقولون في أنفسهم : لولم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا ما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ولا صبروا عليه . . وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها مقدِّرين لها ، مندفعين اليها " (١)

٣ - زيادة حسناتهم ومقامهم عند الله :

فالصبر على البلاء يرفع الدرجات ويضاعف الحسنات ويكفر السيئات .

روى البخارى عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله من خطاياها) (٢)

وروى مصعب بن سعد عن أبيه قال : (سئل رسول الله : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الانبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى وما عليه خطيئة) (٣)

فالابتلاء - باعتباره الحكمة العليا التي من أجلها خلق الله الانسان فى هذه الحياة - هو الذى بسببه اختلف الناس الى فريقين متصارعين . . وحقيقة هذا الصراع أنه صراع بين الحق والباطل ، بين الايمان والكفر ، وهذا ما نتعرض له فى المبحث الثانى باذن الله .

(١) (فى ظلال القرآن) ١ / ٤٥١

(٢) صحيح البخارى ٤ / ٢ باب ما جاء فى كفارة المرض

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى وقال : له شواهد كثيرة راجع : المستدرك على الصحيحين للحاكم ١ / ٤١ دار الكتب العلمية - بيروت

المبحث الثالث

الصراع بين الحق والباطل

ان الصراع بين الحق والباطل بدأ مع بداية الانسانية وهو أمر تابع للتكليف والابتلاء ،

لكي يختار المكلف أحد البديلين : طاعة الرحمن أو طاعة الشيطان ، وتنشأ العداوة ويشتد كيد الكفار للمؤمنين ومكرهم بهم ، ويذلون كل قواهم للقضاء على أهل الحق وسلخهم عن عقيدتهم ، ولكن ينبغي لأتباع الحق أن لا ينخدعوا بذلك الكيد مهما رفعوا من شعارات للتمويه عن هدفهم الحقيقي الماكر فقد أخبرنا الله سبحانه بحقيقة هذا الهدف في آيات كثيرة من القرآن الكريم

قال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دِينكم إن استطاعوا) (١)

وقال سبحانه : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) (٢)

وقال سبحانه : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (٣)

وقال عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) (٤)

وقال تعالى : (وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً) (٥)

فإخراج المسلمين من دِينهم هو هدف طوائف الكفر جميعها مهما اختلفت أسماؤهم واتجاهاتهم ومن أجل هذا الهدف الخبيث يذل الأعداء كل مالد يهيم وينفقون كل ما يستطيعون من مال : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكونون عليهم حسرة ثم يغلبون) (٦)

وإذا سيطروا على المسلمين أو وقع بعض أهل الحق في قبضتهم فإنهم يصبون عليهم

(١) سورة البقرة / ٢١٧

(٢) سورة البقرة / ١٠٩

(٣) سورة البقرة / ١٢٠

(٤) سورة آل عمران / ١٠٠

(٥) سورة النساء / ٨٩

(٦) سورة الانفال / ٣٦

العذاب صَبًّا ويزيدونهم أشد أنواع الأذى ليفتنوهم عن دينهم ويظفروا منهم بكلمة الكفر ويغروا من أحقادهم بعد أن كانوا قبل ذلك يتسترون بأقنعة المكر .

قال تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاَّ ولازمة يُرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكترهم فاسقون) (١)

وقال سبحانه : (لا يرقبون في مؤمن إلاَّ ولازمة ولعلهم المعتدون) (٢)

وقال سبحانه : (وَّذَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فينيلون عليكم ميلة واحدة) (٣)

وقال عز وجل : (إن يشقوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ووذَّ لو تكفرون) (٤)

فإنار الحقد تشتعل في قلوبهم والغيظ يملؤها ويؤجج العداوة فيها : (وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) (٥)

وليس هناك سبب حقيقى لتلك العداوة والحقد إلاَّ تمسك أولياء الرحمن بآيمانهم واعتزازهم به وهذا أمر يغيظ أولياء الشيطان .

قال تعالى : (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) (٦)

وقال أيضا : (وانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (٧)

ويظهر حقد أولياء الشيطان بأهل الايمان بأشكال متعددة منها السخرية والاستهزاء بالمؤمنين وتسفيه أقوالهم واتهامهم بالضلال والافساد .

(١) سورة التوبة / ٨

(٢) سورة التوبة / ١٠

(٣) سورة النساء / ١٠٢

(٤) سورة المستحنة / ٢

(٥) سورة آل عمران / ١١٩

(٦) سورة الحج / ٤٠

(٧) سورة البقرة / آية ٨

قال سبحانه (زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ، والذين اتقوا
فوقهم يوم القيامة) (١)

وقال عز وجل (إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون
وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأهم قالوا إن هؤلاء لضالون) (٢)
ربما يكون هذا الاتهام من أهل الباطل مبرراً ظاهرياً وستاراً يخفون به مكرهم
ويتظاهرون فيه بالاصلاح .

(وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر
في الأرض الفساد) (٣)

ولكن حقيقة كيدهم لا تخفى ، فهم لا يرضون بالحق ولا يناهضون الحجة بالحجة وإنما
يلجأون الى العنف والبطش، وتظهر على وجوههم علامات الكراهية اذا تليت عليهم
آيات الله :

(وإذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكاد أن يستطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعداها الله الذين كفروا وشئ
المصير) (٤)

ولقد حذر الله سبحانه المؤمنين من الاستجابة للكفار ولا نزلاق في مهاوى السوء
عن الدين مهما اشتد كيد الاعداء وقسوتهم .

قال تعالى (ومن يرد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٥)

(١) سورة البقرة / آية ٢١٢

(٢) سورة المطففين / آية ٢٩ - ٣٢

(٣) سورة غافر / آية ٢٦

(٤) سورة الحج / آية ٧٢

(٥) سورة البقرة / آية ٢١٧

وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم) (١)

ولذلك كان لابد للمؤمن من موقف حاسم يتخذه للتصدي لكيد الأعداء ونصرة دين
الله .

موقف المسلم من هذا الصراع:

أولا - الجهاد

الحق والباطل لا يلتقيان أبداً ولا يرضى أهل الباطل الا بإذلال أهل الحق وتنتهم
 ردّهم عن دينهم إن استطاعوا لذلك كان من سنة الله ان يدفع الناس بعضهم ببعض
 لدفع الفساد عن الارض واعزاز كلمة الله ، وازالة تسلط الباطل على رقاب المؤمنين . (ولولا
 دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (١)

وقد كفّ الله المسلمين عن القتال في مكة ، وفي أول العهد بالهجرة الى المدينة
 وقيل للمسلمين (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (٢) ثم أُذن لهم بالقتال —
 قال تعالى :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من
 ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
 صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله
 لقوى عزيز) (٣)

ثم فُرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ف قيل لهم :
 (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) (٤)

ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (٥)

(١) سورة البقرة / آية ٢٥١

(٢) سورة النساء / آية ٧٧

(٣) سورة الحج / آية ٣٩

(٤) سورة البقرة / آية ١٩٠

(٥) سورة التوبة / آية ٣٦

فكان القتال محرماً ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين . (١)
وقد امر الله المؤمنين باتخاذ أسباب النصر وإعداد العدة لإرهاب العدو ورفع الظلم
وإزالة حواجز الطاعون . قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٢) .

ولو شاء الله لانتصر من الكافرين من غير هذه الأسباب كلها ، ولكنه يريد لعباده المؤمنين
الخير ليختبر ثباتهم ويبتليهم فليس أكرم على النفس من أن يعز عليها الحق الذي تؤمن
به ، حتى تجاهد في سبيله فتقتل وتقتل . (٣)

(ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل
الله فلن يضل أعمالهم) (٤)

حكم الجهاد :

ذكر العلماء أن الجهاد فرض كفاية ، إذا لم يقم به أحد فانه يفترض على جميع المسلمين
القادرين عليه ، إما بالنفس أو بالمال ، فإذا قام به البعض سقط عن الباقيين ، لأن المقصود هو
دفع شر الكفرة ، والدعاء إلى دين الإسلام (٥)

ولا يجب الجهاد إلا على ذكر مسلم حر مكلف سليم من العس والعرج والمعرض الشديد
يملك ما يكفي ويكفي أهله في غيته ، أو يجد ذلك ببذل الإمام أو أمير الجيش (٦)

(١) راجع معالم في الطريق / سيد قطب - ص ٦٧

(٢) سورة الانفال / آية ٦٠

(٣) راجع: في ظلال القرآن ٣٢٨٦/٦

(٤) سورة محمد / آية ٤

(٥) فتح تحفة الفقهاء للإمام علاء الدين السمرقندي (ت ٥٣٩هـ) - تحقيق الدكتور محمد زكي

عبد البر - ٤٩٩/٣ - ٥٠٠

(٦) المغني للإمام ابن قدامة (ت ٦٣٠هـ) - ٣٦٦/١٠

وشرح منتبه الارادات للإمام منصور البهوتي (ت ١٠٥١هـ) - ٩١/٢

ثانيا - الهجرة (١)

~~~~~

إذا منع أهل الايمان من إظهار شعائهم ، ضعفوا عن قتال أعدائهم ، وتحقيق  
عزة المسلمين ، والحفاظ على حرية العقيدة والعبادة فلا بد من الهجرة تخلصاً من  
الظلم والذل ، و فراراً بد ينهم الى بلد يعبدون الله فيها .

والهجرة لغة : مشتقة من الهجر وهو الترك والتباعد (٢)

وفي الشرع : ( ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الاسلام ) (٣)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :

” وقد وقعت في الاسلام على وجهين :

الاول : الانتقال من دار الخوف الى دار الأمان كما في هجرتي الحبشة وبتداء

الهجرة من مكة إلى المدينة .

الثاني : الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان ، وذلك بعد أن استقر النسب

صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهاجر اليه من أمكنة ذلك من المسلمين (٤)

حكم الهجرة :

أوجب الله سبحانه الهجرة على كل مسلم يلحقه الأذى وتناوله الفتنة في دينه ويمنع

من أداء شعائر الاسلام ، ويكرهه الأعداء في دار الكفر على التنازل عن شئ من دينه ،

ولا يستطيع رد الأذى ودفع العدوان .

قال تعالى : ( إن الذين تخافهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين

(١) سنن أبي داود عن هذا الموضوع ، والموضوع الذي يليه : ( الصبر وتحمل الأذى )

لصلتهما الوثيقة بالموضوع الرئيس للبحث .

(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٩٧٢

(٣) التعريفات للإمام الشرف علي بن محمد الجرجاني ص/ ٢٥٦ - دار الكتب العلمية -

بيروت ١٤٠٣ هـ

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري / للإمام ابن حجر ١٦/١

في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً (١)

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن صف من الناس تقبض الملائكة أرواحهم ظالمي أنفسهم مكتسبين غضب الله وسخطه فيحتجون بأنهم كانوا مستضعفين في أرض الشرك يمنعهم المشركون من إظهار الايمان بالله وعبادته ، وهي معذرة ضعيفة وحجة واهية مادام بإمكانهم أن يتركوا هذه الأرض ويفارقوا أهلها الى أرض أخرى يعبدون الله فيها (٢)

- روى الامام الطبري في سبب نزول هذه الآية بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يَسْتَخْفُونَ بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت : ( إن الذين تخافهم .. ) الآية ، قال : فكتب الى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية ، وأنه لا عذر لهم ، قال : فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم : ( ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله .. ) (٣)

فكتب اليهم المسلمون بذلك ، فحزنوا وأيسروا من كل خير ، ثم نزلت فيهم : ( ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ) (٤)

فكتبوا اليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركم المشركون ، فقاتلوهم حتى نجا من نجا ، وقتل من قتل ) (٥)

(١) سورة النساء / آية ٩٧

(٢) راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للامام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)

ج ٢٣٢/٥ ، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة كما قال الهيثمي انظر مجمع الزوائد (١٠/٧)

(٣) سورة العنكبوت / آية ١٠

(٤) سورة النحل / آية ١١٠

(٥) جامع البيان ٢٣٤/٥

- وفي رواية أخرى يرويها الامام الطبري أيضاً نجد شيئاً من التفصيل في سبب تخلف هؤلاء عن الهجرة. قال ابن زيد : ( لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وظهر، ونبع الايمان تبع التفاق معه ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا : يا رسول الله ، لولا أنا نخاف هؤلاء القوم يعذبوننا ويفعلون ويفعلون لأسلمنا ، ولكننا نشهد أن لا إله الا الله ، وأنت رسول الله ، فكانوا يقولون ذلك له فلما كان يوم بدر قام المشركون ، فقالوا : لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره ، واستبحنا ماله فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم معهم ، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة ، قال : فأما الذين قُتلوا فهم الذين قال الله تعالى فيهم ( إن الذين تخافهم الملائكة .. ) إلى قوله ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ) وتركوا هؤلاء الذين يستضعفونكم ( فأولئك ما وأهم جهنم وساءت مصيراً ) قال : ثم عذر الله أهل الصدق فقال ( إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ) يتوجهون له ، لو خرجوا لهلكوا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم إقامتهم بين ظهري المشركين )<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن الذين لم يهاجروا الى المدينة ، وتخلفوا عن الهجرة بلا عذر قاهر ، وقوا في مكة يكتمون إسلامهم ويظهرون التقية لأعدائهم .. لا عذر لهم يوم القيامة أما الذين يُعذرون بترك الهجرة فهم الذين قال الله سبحانه فيهم :

( الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفوراً )<sup>(٢)</sup>  
قال عكرمة<sup>(٣)</sup> : ( يعني الشيخ الكبير والمعجوز والجواري والصغار والغلمان )<sup>(٤)</sup>

(١) المرجع السابق ٢٣٦/٥

(٢) سورة النساء / آية ٩٨ - ٩٩

(٣) هو الامام عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، توفي بالمدينة سنة ( ١٠٥ هـ )

- راجع ترجمته في الأعلام ٢٤٤/٤ -

(٤) جامع البيان ٢٣٥/٥



فهؤلاء لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق (١)  
وهؤلاء لم يتركوا الهجرة اختياراً ولا إكراهاً منهم لدار الكفر على دار الاسلام، ولكن  
للعجز الذي هم فيه عن النقلة عنها (٢)

وهذا الحكم لا يخص المستضعفين من أهل مكة الذين تركوا الهجرة بل هو عام  
- كما يقول الامام ابن كثير (٣) - في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على  
الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالاجماع (٤)  
وهكذا نزلت هذه الآية تسمى المشفقين من متاعب الهجرة ( ظالي أنفسهم ) بما  
أنهم حرموها الحياة في دار الاسلام ، تلك الحياة الرفيعة الكريمة والزموها الحياة في  
دار الكفر ، تلك الحياة الذليلة الخائسة الضعيفة المضطهدة . . . هؤلاء كانت التقية  
جائزة لهم يوم أن لم تكن لهم دولة يهاجرون اليها ، فأما بعد قيام الدولة ووجود  
دار الاسلام ، فان الخضوع للفتنة أو الالتجاء للتقية - في الوسع الهجرة والجهر بالاسلام -  
أمر غير مقبول (٥)

روى الامام أبو داود عنه جريح رضي الله عنه أنه الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

(١) راجع تفسير القرآن العظيم / للامام ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) - ١ / ٥٤٢ - دار المعرفة

١٣٨٨ هـ

(٢) تفسير الطبري ٢٣٣ / ٥

(٣) هو الامام اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء عماد الدين ،

حافظ مؤرخ فقيه ، ولد في بصرى الشام سنة ٧٠١ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ

له مصنفات مشهورة . - راجع ترجمته في الأعلام ١ / ٣٢٠ -

(٤) تفسير ابن كثير ٥٤٢ / ١

(٥) راجع : في ظلال القرآن ٢ / ٧٤٣

( أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ) <sup>(١)</sup> أي إذا لم يأمن على

دينه <sup>(٢)</sup>

وقد نص العلماء على وجوب الهجرة لمن عجز عن إظهار دينه

- قال الامام ابن مفلح : <sup>(٣)</sup> ( وجب الهجرة على من يعجز عن إظهار دينه في دار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفار . . لأن القيام بأمر الدين واجب على القادر ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، ولا يتم الواجب إلا به فهو واجب ) <sup>(٤)</sup>

- وقال الامام البهوتي : <sup>(٥)</sup> ( وجب على عاجز عن إظهار دينه بمحل يغلب فيه حكم كفر أو بدعة مضلة ، الهجرة ) <sup>(٦)</sup>

- وقال الامام الألوسي : <sup>(٧)</sup> ( إن كل مؤمن وقع في محل لا يمكن أن يظهر دينه لتعرض المخالفين ، وجب عليه الهجرة الى محل يقدر فيه على إظهار دينه ، ولا يجوز له أصلاً أن يبقى هناك ويخفي دينه ويتشبث بعذر الاستضعاف ) .

ثم استثنى من هذا الحكم من له عذر شرعي في ترك الهجرة وقال : ( إنه يجوز له

(١) رواه أبوداود - كتاب الجهاد ١٠٥/٣ وقال الألباني : حديث حسن ( صحيح

الجامع الصغير ١٧/٢ )

(٢) فتح الباري ٣٩/١

(٣) هو الامام ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي شيخ الحنابلة في عصره ولد سنة

( ٧٤٩ هـ ) وتوفي سنة ( ٨٠٣ هـ ) - راجع ترجمته في الاعلام ٦٤/١

(٤) المبدع في شرح المقنع ٣/٣١٣ - ٣١٤

(٥) هو الامام منصور بن يونس البهوتي الحنبلي شيخ الحنابلة بمصر ، ولد سنة ( ١٠٠٠ هـ )

وتوفي سنة ( ١٠٥١ هـ ) - راجع ترجمته في الاعلام ٣٠٧/٢ -

(٦) شرح منتهى الارادات ٩٤/٢

(٧) هو الامام محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي - شهاب الدين ، مفسر محدث

أديب ، من أهل بغداد ، ولد سنة ( ١٢١٧ هـ ) وتوفي سنة ( ١٢٧٠ هـ )

- راجع ترجمته في الاعلام ١٧٦/٢ -

المكث مع المخالفين ، والموافقة بقدر الضرورة ، ويجب عليه أن يسعى في الحيلة للخروج  
والفرار بدنه (١) .

أما قوله صلى الله عليه وسلم ( لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ) (٢) فلا يعنى  
انقطاع الهجرة كلياً وإنما معناه - كما قال العلماء - إن الهجرة المعهودة في زمانه  
صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دار الاسلام  
فلا تتصور منها الهجرة ، فمفارقة الوطن بسبب الهجرة الى المدينة انقطعت ومقيت  
مفارقة الوطن بسبب الجهاد ، وسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر ، والخروج فسى  
طلب العلم والفرار بالدين من الفتن (٣)

فالهجرة من دار الكفر لا تنقطع . ودار الكفر هي كل أرض يغلب فيها حكم الكفار  
فهى صفة عارضة يحسب سكانها وليست صفة لازمة (٤)

وقبل أن نختم الموضوع نلخص أحكام الهجرة من دار الكفر (٥) بحسب أحوال المقيمين  
فيها وهم ثلاثة أصناف :

١ - أن يقيم فيها رغبة واختياراً لصحبة الكفار ، فيرضى ما هم عليه من الدين أو يندحه  
أو يُرضيهم بعيب المسلمين . . فهو كافر عدو لله ولرسوله .

(١) روح المعاني ١٢١/٣

(٢) رواه البخارى ٦٥/٣

(٣) راجع: أحكام القرآن للإمام أبى بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بابن العربي  
(ت ٥٤٣ هـ) ٤٨٤/١ - دار المعرفة بيروت .

وصحيح مسلم بشرح الامام يحيى بن شرف الدين النوى (ت ٦٧٦ هـ) - ٨/١٣

الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - دار احياء التراث العربى - بيروت .

فتح الباري لشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) -

١٦/١ ذيل الاوطار شرح منتقى الاخبار للإمام محمد بن على الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)

٢٦/٨ - دار القلم - بيروت

(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٨٢/١٨ - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم  
ولده محمد

(٥) راجع: الولاء والبراء فى الاسلام / لمحمد بن سعيد القحطاني (ص ٢٧٥ وما بعدها)  
- نقلا عن رسالة (الدفاع عن أهل السنة والاتباع) للشيخ حمد بن عتيق (ت ٣٠١ هـ)

٢ - أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يُظهر دينه مع قدرته على الهجرة . . ولا يوالىهم بقلبه ولا لسانه ، فهذا لا يكفونه لأجل مجرد الجلوس ولكنه يعتبر عاصياً بترك الهجرة .

٣ - القسم الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم . وهو نوطان :

١ - أن يكون مظهرًا لدينه فيتبرأ منهم وماهم عليه ، ويصح لهم ببراءته وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة .

٢ - أن يقيم عندهم مستضعفًا : وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله ( إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا )<sup>(١)</sup>

وهؤلاء عليهم أن يصبروا وتحملوا أذى الأعداء . وهذا ما سنرى تفصيله في الموضوع التالي إن شاء الله .

### ثالثا : الصبر وتحمل الأذى

إذا منع المسلم من الهجرة وحيل بينه وبينها ، أو كان ضعيفا لا يقدر عليها أصلا

فهل يرضى بالكفر وينشرح صدره للمقام بين الكافرين وتحقيق مآربهم ؟

لا ، بل الواجب عليه أن يتمسك بدينه ويعتصم بعقيدته ويصبر على إيذاء الأعداء

ويتحمل كل ما يصيبه من ابتلاء وشدة في سبيل الله .

وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شاهدة على ذلك ، فلقد حكى لنا القرآن

الكريم صبرهم على أذى أقوامهم الذين حاولوا أن يصدوهم عن دعوتهم ويفتنوهم

عن دينهم .

قال تعالى ( ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاههم

نصرنا ) ( ١ )

والرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء تعرض لأشد أنواع الابتلاء ولا يذأ

من أعدائه الذين لم يتركوا وسيلة لإيذائه إلا فعلوها ف ضرب أروع الأمثلة في الصبر ، ولم

يشنه ذلك عن عزمه أو يضعف من همته ، بل كان يقول مناجياً ربه سبحانه : ( إن لم

يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ) ( ٢ )

ولقد تكررت أوامر الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام بالصبر على كيد الأعداء

في آيات عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ( واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم

الله وهو خير الحاكمين ) ( ٣ )

( ١ ) سورة الانعصام / آية ٣٤

( ٢ ) هذه القول من دعائه عليه الصلاة والسلام المشهور حين عودته من الطائف بعد

أن أعرض أهلها عن دعوته وقابلوه بالسخرية والاستهزاء وعرضوا صبيانهم وسفهاهم

ليرموه بالحجارة حتى سالت منه الدماء صلى الله عليه وسلم .

راجع تفصيل القصة في كتاب : ( السيرة النبوية ) للإمام ابن هاشم ( ت ٢١٣ هـ )

- ١ / ٤٢٠

( ٣ ) سورة يونس / آية ١٠٩

وقوله سبحانه ( واصبر واصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون )<sup>(١)</sup>  
 وقوله سبحانه ( فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم )<sup>(٢)</sup>

ولقد كانت الالفاظ البذيئة والاقوال الجارحة تؤذي الرسل صلى الله عليه وسلم  
 أشد الايذاء فكان عليه الصلاة والسلام يصبر على اذى هؤلاء الطواغيت مستجيلاً  
 لأمر الله سبحانه : ( واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً )<sup>(٣)</sup>

والصحابه الكرام تعرضوا للأذى ولأقوال من التعذيب ألوانا ، وجند المشركون  
 كل مالد يهيم من وسائل القهر والبطش ليفتنوهم عن دينهم فما لانت لهم قناة بـل  
 صبروا حتى هياهم مخرجاً . والامثلة على ذلك كثيرة ، منها .

- بلال بن رباح<sup>(٤)</sup> :

تعرض لأشد أنواع العذاب والايذاء فقد كانوا يطوفون به والحبل في عنقه ، وكسان  
 أمية بن خلف يخرجونه اذا حميت الظهيرة فيطرحونه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر  
 بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر  
 بمحمد فيقول وهو في ذلك البلاء :

أحد أحد ، ويقول : والله لو أعظم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها .<sup>(٥)</sup>

- آل ياسر : وهم ياسر وعمار وسمية ( أم عمار )<sup>(٦)</sup>

( ١ ) سورة النحل / آية ١٢٧

( ٢ ) سورة الاحقاف / آية ٣٥

( ٣ ) سورة المزمل / آية ١٠

( ٤ ) بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه أبو بكر واعتقه

فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه جميع المشاهد ثم خرج بعد وفاة النبي

الى الشام ومات فيها سنة ٢٠ هـ ( الاصابة ١ / ١٦٩ )

( ٥ ) السيرة النبوية لابن هشام / ٢١٧ - الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١ / ١٦٩

( ٦ ) آل ياسر : هم عمار بن ياسر ووالده ياسر بن عامر بن مالك من بني ثعلبة وأمهم سمية

مولاة لهم كان من السابقين الاطمين هو وأبوه ، شهد عمار الشاهد كلها ثم شهد اليمامة

فقطعت أذنه بها ثم استعمله عمر على الكوفة ، قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين

وله ثلاث وتسعون سنة . ( الاصابة ٢ / ٥٠٥ )

وقد تعرضوا للاذى الشديد وكانوا يعذبون فى الشمس ليرتدوا عن الاسلام وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُمَرَّبُ بهم فيُشَرِّهم بالجنة ويحثهم على الصبر قائلاً : ( اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة ) وفى رواية أخرى : ( أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة )<sup>(١)</sup> .

وطعن أبو جهل سمية فى قُبُلها فماتت ومات ياسر فى العذاب وأُحرق عمار بن ياسر بالنار وكان الكفار يغطونه فى الماء حتى أكرهوه على سب الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر آلهم بخير .<sup>(٢)</sup>

- وخباب بن الارت<sup>(٣)</sup> : أخذ المشركون فأوقدوا له ناراً ثم ألغوا فيها فما أطفأها إلا شحم ظهره ، وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك .<sup>(٤)</sup>

- عثمان بن مظعون<sup>(٥)</sup> : الذى لطم مشرك عينه فخرها<sup>(٦)</sup> فقال له الوليد بن المغيرة ان كانت عينك عما أصابها لغني . فقال عثمان : بلى والله ان عيني الصحيحه لفيرة الى ما أصاب اختها فى الله . وأنشد قائلاً :<sup>(٧)</sup>

- (١) أوردته الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٩٦/٩) وقال : ( رواه الطبراني ورجاله ثقات )
- (٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٩/١ حياة الصحابة للكاندهلوي ٤٣٠/١
- (٣) خباب بن الارت التميمي ، سبي فى الجاهلية فبيع بمكة ثم حالف بنى زهرة وأسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدراً وابعدها ، ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين ( الاصابة ٤١٦/١ )
- (٤) حياة الصحابة ٤٣١/١
- (٥) الاصابة ٤١٦/١
- (٦) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمعى ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، هاجر الى الحبشة هو وامينه الهجرة الاولى فى جماعة ، ولكن بلغهم أن قريشا أسلمت فرجعوا الى مكة ، ونالهم من المشركين ايذاء شديداً ، فدخل عثمان فى جوار الوليد بن المغيرة ثم رد جواره ، وناله الاذى فى عينه ، تخفى رضى الله عنه بعد شهوده بدراً فى السنة الثانية من الهجرة ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ( الاصابة ٤٥٧/٢ )
- (٧) جعلها خضراء : أي سوداء ، وكانت العرب تطلق الخضرة على السود ، يقولونه : اخضر الليل أي اسود . راجع : الصحاح ٦٤٦/٢ ، المعجم الوسيط ٢٤٠/١
- (٨) حياة الصحابة ٤٤٢/١

فان تلك عيني في رضا الرب نالها      يدا ملحد في الدين ليس بمهتد  
فقد عوّض الرحمن منها ثوابه      ومن يُرضه الرحمن يا قوم يسعد  
فاني - وان قلت غوي مضلل      سفيه - على دين الرسول محمد  
أريد بذاك الله والحق ديننا      على رغم من يبغي علينا ويعتدي

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الصبر ويشرهم بالفرج القريب  
روى البخاري عن خباب بن الارت قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : ( قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الارض فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار  
فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك  
عن دينه ، والله لَيَتِمَنَّ هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا  
الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ) (١)

ولما أقيمت للمسلمين دولة في المدينة ، اشتد كيد الاعداء وازداد حقدهم على  
المسلمين ، فكانوا يترصدون بهم الدوائر ، ويطشون أشد البطش بمن يقع تحت أيديهم  
من المسلمين .

ولكن قلوب المؤمنين الصابرة ونفوسهم المطمئنة كانت أبلغ دليل على اعتزاز هؤلاء  
بدينهم وتمسكهم به وعدم التخلي عن شيء منه مهما حل بهم من عذاب واذا .  
ولنستعرض بعض الامثلة لنرى مصداق ذلك :

يوم الرجيع :

قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة رهط  
من غُضل والقارة فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفرًا من أصحابك  
يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام ، فبعث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ستة نفر من أصحابه ، من بينهم : زيد بن الدثنه وخبيب بن عدي ، فلما وصلوا



قرب الرجيع ، وهى ماء لهذيل <sup>(١)</sup> ، غدروا بهم ، فأخذ الصحابة أسيافهم فقاتلوا حتى قُتل أربعة منهم وأسر اثنان هما زيد وخبيب ، فأخذ وهما الى مكة فباعوهما لقريش .  
 - فأما زيد بن الدثنة <sup>(٢)</sup> فاشترى صفوان بن أمية ليقته بأبيه أمية بن خلف الذى قتله المسلمون يوم بدر ، وأخرجه المشركون من الحرم ليقتلوه ، واجتمع حوله رهط من قريش ، فيهم أبوسفيان الذى قال له : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنت فى أهلك ؟  
 قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيه شوكه تؤذيه ، وأنسى جالس فى أهلى -

فقال أبوسفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحب أصحاب محمد محمداً .

ثم قتلوه . رضى الله عنه .

- وأما خبيب بن عدي <sup>(٣)</sup> فانهم أخرجوه الى التنعيم ليصلبوه ، فقال لهم : دعونى حتى أركع ركعتين ، فقالوا : د ونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة .  
 ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، وقاتلهم بدداً <sup>(٤)</sup> ولا تغادر منهم أحداً ثم قتلوه رضى الله عنه .

( ١ ) وذلك فى موضع يقال له ( الهداه ) بين عسفان ومكة ( كما فى رواية البخارى

( ١٧٧/٢ )

( ٢ ) هو زيد بن الدثنة ( بفتح الدال وكسر الشاء ) ابن معاوية الانصارى ، شهد بدرأً وأحد

مع الرسول صلى الله عليه وسلم . ( راجع ترجمته فى الاصابة ١/٥٤٨ )

( ٣ ) هو خبيب بن عدي بن مالك الانصارى الاوسى ، اشتهر بقصة استشهاديه ، قال عنه

الامام البخارى : ( هوسن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا ) راجع : صحيح

البخارى ١٧٧/٢ والاصابة ١/٤١٨

( ٤ ) بدداً : أى متفرقين .

( ٥ ) أورد البخارى هذه القصة فى صحيحه ١٧٧/٢ كتاب الجهاد والسير ، باب من ركع ركعتين عند القتل -

وقد روى الامام البخارى <sup>(١)</sup> أن خبيبا قال حين أرادوا قتله :

وما أبالي حين أقتل مسلماً      على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلومي—سزع

وأخرج الامام الطبراني <sup>(٢)</sup> أن خبيبا قال حين رفعوا إلى الخشبة :

لقد جتمع الأحزاب حولي وألبوا      قبائلهم واستجمعوا كل مجـمـع  
وقد جتمعوا أبناءهم ونساءهم      وقربت من جذع طويل منـنـع

إلى الله أشكو غربتي ثم كرسيتي      وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبرني على ما يراد بي      فقد بضـعوا <sup>(٣)</sup> لحمي وقد بان مطمعي

وأورد الامام ابن كثير <sup>(٤)</sup> نقلاً عن ابن اسحاق أبياتاً أخرى ما قاله خبيب رضى الله عنه

أبرزها : وقد خيرتني الكفر، والموت ونه      وقد هـمـلت <sup>(٥)</sup> عيناى من غير مجزع <sup>(٦)</sup>

وما بن حذار الموت، إنى لميت      ولكن حذارى حجم نار ملفـفـع <sup>(٧)</sup>

فوالله ما أرجو <sup>(٨)</sup> إذا مت مسلماً      على أى جنب كان في الله مضجعى

فلمست بعدد للعد وتخشعاً <sup>(٩)</sup>      ولا جزعا انى إلى الله مرجعى

(١) صحيح البخارى ١٧٧/٢

وأورد الامام ابن حجر فى الإصابة ( ٤١٨/١ ) البيت الاول كما يلى :

لمست أبالي حين أقتل مسلماً      على أى جنب كان في الله مصرعى  
كما ذكر أن خبيبا لما قُتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوا مستقبل القبلة فأداروه  
مراراً ثم عجزوا فتركوه .

(٢) أورد الامام الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ٦/٢٠٣-٢٠٤ ) وقال : (رواه الطبرانى ،  
فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف) .

(٣) بضـعوا : قطعوا

(٤) البداية والنهاية ٦٧/٤

(٥) هـمـلت : سالت

(٦) مجزع : خوف وحزن

(٧) مأخوذ من لفعتك النار أى شعلتك من نواحيها وأصابك لهيئها

(٨) أرجو : أخاف

(٩) تخشعاً : تذلاً ( وهذه المعانى مأخوذة من حاشية حياة الصحابة ٧٨٧/١ )

وهكذا ضرب خبيب رضى الله عنه أروع الأمثلة فى الصبر وتحمل الأذى فى سبيل الله ولم تلن له قنائه ، ولم يتظاهر أمامهم بكلمة ترضيهم لينجوبها من الموت ، وإنما وقف كالطود الشامخ معتزاً بإيمانه متحدياً جبروت أعدائه فرحاً بما سيظفر به من الشهادة فى سبيل الله .

موقف عبد الله بن حذافة مع ملك الروم :

وهذه صورة أخرى من عشرات الصور التى يبرز من خلالها ثبات الصحابة رضى الله عنهم وصبرهم وتحملهم أشد أنواع العذاب فى سبيل الله .

( ١ ) فقد نقل ابن كثير عن الحافظ ابن عساكر فى حديثه عن عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة ( أنه أسرت الروم - فى خلافة عمر بن الخطاب - فجاءوا به الى ملكهم ، فقال له : تنصر وأنا أشركك فى ملكى وأزوجك ابنتى ، فقال له : لو أعطيتنى جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت . فقال : إذا أقتلك . قال : أنت وذاك .

فأمر به فُصِّل وأمر الرماة فرمو قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيابى ، ثم أمر به فأُنزل ، ثم أمر بقدر من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يُلقى فيها فُرُغ فى البكرة ليُلْقَى فيها فبكى فطمع فيه ودعاه ، فقال : انى انما بكيت لأن نفسى إنما هى نفس واحدة تلقى فى هذا القدر الساعة فى الله ، فأحببت أن يكون لى بعدد كل شعرة فى جسدى نفس تعذب هذا العذاب فى الله .

وفى بعض الروايات أنه سجنه ، ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل اليه بخمر ولحم حنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حلَّ لى ، ولكن لم أكن لاشمتك بهي .

( ١ ) هو عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي ، من السابقين الأولين ، شهد بدرا وغيرها ، وشهد فتح مصر ، ومات فى خلافة عثمان بمصر ودفن بمقبرتها ( راجع ترجمته فى الاصابة ٢ / ٢٨٧ )

فقال له الملك : فقبل رأسى وأنا أطلقك .

فقال : وتطلق معى جميع أسارى المسلمين . قال : نعم

فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبداً .  
(١) فقام فقبل رأسه رضى الله عنهما .

ويمرر فى هذه الحادثة الصبر العظيم والايان الراسخ الذى كان يتحلى به هذا الصحابى الجليل فلقد رأى الموت أمام عينيه ، وهُدِّد به مراراً فلم يتزعزع ، وُمنع عنه الطعام والشراب فلم يذق لقمة من حرام يدفع عنه خطر الموت وألم الجوع مع أنه قد أحل له ، لكنه امتنع ليغىظ عدو الله .

ثم لما رأى أنه لن ينجو لوحدته بل سينجومعه جميع أسرى المسلمين لقاءً أن يقبل رأس هذا الطاغية ، سارع الى هذا العمل بنظره الثاقب تحقيقاً لهذه المصلحة العظيمة لجيش المسلمين ، (٢) حيث تخلص هؤلاء الأسرى من براثن هذا الطاغية ونجوا من الاستضعاف والبطش ليعودوا أسوداً فى ساحات المعارك .

- والواقع أن هذا العرض من ملك الروم بفك أسرى المسلمين لقاءً تقبيل رأسه يمدد على ما أصابه من الخذلان الشديد وهو يجد هذا الصحابى الجليل يتحدى كبرياءه ولا يبالي بسطوته ولا يعبأ بشدة بطشه ، فأراد أن يسترد هذا الطاغية شيئاً من كبرياءه وبعض ما وجهه أمام أتباعه وحاشيته .

- وهكذا ضرب هذا الصحابى الجليل أروع مثال للصبر والثبات وهو يضع نصب عينيه قوله تعالى : ( ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ) (٣) - هذه هي النماذج العملية للتربية النبوية التى خرجت هؤلاء الأبطال الذين يعتزون بايمانهم ولا يباليون بما ينالهم من شدايد فى سبيل دينهم ، ويمثلون أمر ربهم

(١) تفسير ابن كثير ٥٨٨/٢ والاصابة لابن حجر ٢٨٨/٢

(٢) سنن فضل الحديث عن هذا الموضوع . راجع ص/ ٧٤

(٣) سورة التوبة / آية ١٢٠

فيصبرون ويصابرون .

- وقد أمر الله المؤمنين بالصبر في مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم .

قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون )<sup>(١)</sup>

وقال سبحانه : ( لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم

ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور )<sup>(٢)</sup>

وهكذا ينبغي للمؤمنين أن يتمسكوا بعقيدتهم ولا يزيغوا عنها مهما اشتد بطش

الاعداء وقهرهم ، ومهما حاول أهل الكفر أن يردوهم عن دينهم ، وقد وعد الله الصابرين

المخلصين بفرج قريب .

قال تعالى : ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله

ألا إن نصر الله قريب )<sup>(٣)</sup>

\* ولكن ماذا يفعل المؤمن إذا تعرض لبلاء شديد ، وضعفت نفسه عن تحمله ، وأحاط

به الاعداء من كل جانب ليفتنوه في دينه ، وأذاقوه من العذاب ألوانا ؟

في هذه الحالة رخص الإسلام في استعمال التقية ، وذلك بان يُظهر الانسان بلسانه

موافقة الكفار وينطق بما يريد من حفاظاً على نفسه ولكن بشرط أن يبقى قلبه مطمئناً بالايمان

فلا ينشر صدره بكلمة الكفر .

وهذا يُعتبر من مرونة الاسلام وشموله وتعامله مع جميع مستويات الايمان عند الناس ،

وتحت كل الظروف . . وسنرى تفصيل أحكام التقية وضوابطها والرد على من شذف

استعمالها في ثنايا هذا البحث بان الله .

( ١ ) سورة آل عمران / آية ٢٠٠

( ٢ ) سورة آل عمران / آية ١٨٦

( ٣ ) سورة البقرة / آية ٢١٤

# الفصل الثاني

## تعريف التقية والأدلة على جوازها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التقية لغة واصطلاحاً

---

المبحث الثاني : الأدلة على جواز الترخص بالتقية

---

\* تمهيد عن العزيمة والرخصة وتعريفها عند الأصوليين

\* الأدلة على جواز التقية :

١ - من القرآن الكريم

٢ - من السنة

٣ - من الإجماع

\* التقيّة والشبّات

# المبحث الأول<sup>(٤٣)</sup> تعريف التقية

تعريف التقية لغة

قال الجوهري<sup>(١)</sup> في الصحاح :

اتَّقَى يَتَّقِي ، أصله اتَّقَى على افتعل ، فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأبدلت  
التاء وأدغمت .

والتَّقَاة : التقية . يقال : اتَّقَى تَقِيَّةً وَتَقَاةً ، مثل : اتَّخَمَ تُخْمَةً  
وَوَقَاةً الله وَقَايَةً : أي حفظه .<sup>(٢)</sup>

وأورد ابن منظور<sup>(٣)</sup> في لسان العرب :

تَوَقَّى وَاتَّقَى بمعنى ، ومنه : ( تَبَقَّهْ وَتَوَقَّهْ ) أي : استبق نفسك ولا تعرضها للتلف ،  
وتحرَّز من الافات واتَّقها .

والتوقية : الكلاسة والحفظ ، ورجل تقي : معناه أنه مُوقٍ نفسه من العذاب والمعاصي  
بالعمل الصالح<sup>(٤)</sup>

وقال الزبيدي<sup>(٥)</sup> في تاج العروس

وقاه يقيه ، وقاية وواقية : صانه وستره من الأذى وحماه وحفظه

(١) هو اسماعيل بن حماد الجوهري ، من أئمة اللغة ، أقام في نيسابور وتوفي فيها

عام (٣٩٣ هـ) - - الأعلام ٣١٣/١ -

(٢) الصحاح للجوهري : تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - ٢٥٢٦/٦ الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ

(٣) هو الامام محمد بن مكرم ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الافريقي ، إمام

لغوى حجة ، ولد بمصر عام (٦٣٠ هـ) وتوفي فيها عام (٧١١ هـ) - الأعلام ١٠٨/٧ -

(٤) لسان العرب لابن منظور - ٤٠١/١٥ - ٤٠٢ دار صادر - بيروت .

(٥) هو الامام محمد بن محمد الزبيدي ، الملقب بمرتضى ، علامة باللغة والحديث

والرجال والانساب ، أصله من واسط في العراق ، وولده في الهند ، ومنشأه

في زبيد باليمن ، توفي عام ١٢٠٥ هـ - الأعلام ٧٠/٧ -

ومنه قوله تعالى : ( وما لهم من الله من واق )<sup>(١)</sup> أي : دافع . والتوقيه : الكلاءة والخفظ.<sup>(٢)</sup>  
 يعد هذا الاستعراض لأقوال أئمة اللغة في معنى التقية نستنتج أن التقية تعني ( لغة ) :  
 الحفظ والصيانة والحذر ، وأن أساس التقية هما : الخوف والمحافظة على النفس في  
 مواطن الخطر .

كما نستنتج أن النطق الصحيح لهذه الكلمة هو ( التَقِيَّة ) بالتشديد ، وليس  
 ( التُقِيَّة ) بسكون القاف وتخفيف الياء ، وهذا ما ترجح عندي من خلال ما رجعت إليه  
 من مراجع لغوية .<sup>(٣)</sup>

وهذه إحدى القراءات المتواترة في قوله تعالى : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) فقد قرأ  
 يعقوب الحضرمي<sup>(٤)</sup> : ( تَقِيَّة ) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة بعدها .<sup>(٥)</sup>  
 كما ذكر القرطبي أن جابر بن زيد وجاهد والضحاك قرأوا : ( إلا أن تتقوا منهم تقية ) .<sup>(٦)</sup>  
 والانتقاء في هذه الآية متعدد بحرف ( مِ ) إما لأن الانتقاء تستر فعدي بـ ( مِ ) كما يُعَدَّى  
 فعل ( تستر ) ، وإما لتضمينه معنى ( تخافوا ) .<sup>(٧)</sup>

( ١ ) سورة الرعد / آية ٣٤

( ٢ ) تاج العروس من جواهر القاموس - ١٠ / ٣٩٦ - ٣٩٧ - دار مكتبة الحياة .

( ٣ ) راجع بالاضافة الى ما سبق ذكره من كتب اللغة . . كتاب : تهذيب اللغة / لابس  
 منصور محمد الأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) - ٩ / ٣٧٤ - تحقيق : عبد السلام هارون - دار  
 المصرية .

وكتاب : القاموس المحيط / لمحب الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ( ت ٧٨١ هـ )  
 - ٤ / ٤٠٣ - دار الجيل - بيروت .

( ٤ ) يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي البصري ، أحد القراء العشرة ، ولد بالبصرة  
 سنة ١١٧ هـ وتوفي فيها سنة ٢٠٥ هـ ( الاعلام ٨ / ١٩٥ )

( ٥ ) النشر في القراءات العشر / للحافظ ابن الجزري ( ت ٨٣٣ ) - ٢ / ٢٣٩ - دار الفكر .

( ٦ ) الجامع لأحكام القرآن / للإمام القرطبي - ٤ / ٥٧ .

( ٧ ) تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ٣ / ٢٢٠ - السداد

التونسية للنشر ١٩٦٩ م



## تعريف التقية اصطلاحاً

عند أهل السنة

~~~~~

قلنا نجد من علماء أهل السنة من يُفرد للحديث عن التقية باباً خاصاً ، وإنما يذكر الفقهاء أحكام التقية في أبواب الإكراه وأحكام الأسير ، كما يتعرض علماء الأصول لهذا الموضوع في باب الرخصة والمزينة أو في باب عوارض الأهلية .

أما علماء التفسير والحديث فإنهم يتحدثون عن موقف أهل السنة من التقية فمن معرض تعليقاتهم وشروحاتهم للآيات والاحاديث التي لها صلة بهذا الموضوع ، والتي سنفصل الحديث عنها بعد صفحات .

على أن هناك من أسهب في الحديث عن التقية من علماء أهل السنة لأنه كان في موطن الرد على الشيعة ، وما اشتهروا به من انحرافات خطيرة في مفهوم التقية ومجالاتها .

وهذا ما فعله مثلاً العلامة الألوسي في تفسيره (روح المعاني)

ولذلك نجد الكثير من علماء أهل السنة قد تحدث عن أحكام التقية دون أن يذكر تعريفاً لها ، لأنهم جعلوها داخلة في موضوعات أخرى كالإكراه والرخصة وغيرهما .

ومع هذا نجد عدة تعريفات للتقية عند بعض علماء أهل السنة من القدماء والمعاصرين ولكن معظمها تعريفات ناقصة لا تجمع أفراد المعرف ولا تمنع غيره من الدخول فيه .

ولنستعرض هذه التعريفات مع شيء من المناقشة والتعليق :

- قال الامام السرخسي: ^(١) (التقية أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره ، وإن كان يضر خلافه ^(٢))

(١) هو الامام محمد بن محمد ، رضي الدين السرخسي ، فقيه من أكابر الحنفية ، أقام مدة في حلب ثم انتقل الى دمشق وتوفي فيها سنة (٥٧١ هـ) - راجع ترجمته في الاعلام ٢٤/٧ -

(٢) المبسوط للامام السرخسي - ٤٥/٢٤ الطبعة الثانية - دار المعرفة في بيروت

- وقال الامام المطرزي: ^(١) (التقية أن يقي نفسه من اللائمة أو العقوبة بما يُظهر، وإن كان على خلاف ما يضر) ^(٢)

وهذان التعريفان ليس فيهما تحديد لصفة الشئ الذى يتم اخفاؤه والتظاهر بخلافه ، ان قد يخفي الانسان باطله وكفره ويتظاهر بالايان خوفاً من اللائمة أو العقوبة ، وهذا لا يسمى تقية بل يسمى نفاقاً ، ولذلك كان لابد من تقييد التعريف بـ قيد يميز بين الحالتين .

كما نلاحظ جانباً آخر فى تعريف المطرزي وهو قوله : (أن يقي نفسه من اللائمة أو العقوبة) فاللائمة ليست مبرراً سبباً لاستخدام التقية ، لأنه لا يجوز استخدامها للتخلص من اللوم والعقاب وذلك يخرج تعريف الامام المطرزي من كونه تعريفاً اصطلاحياً لفهم التقية عند أهل السنة .

- ولننتقل الى تعريفات أخرى :

فقد عرّف الشيخ موسى جارالله ^(٣) التقية بقوله : (أن يقي الانسان نفسه أو غيره بما يظهره) ^(٤) وعرّفها الشيخ محمد أبوزهرة ^(٥) بقوله : (أن يخفي الشخص ما يعتقد دفعاً للأذى) ^(٦)

ونكرر هنا ما لاحظناه على التعريفين السابقين ، وهو عدم وجود ضابط فيهما يميز بين التقية والنفاق ولما استعضنا عن كلمة (الانسان) و (الشخص) بكلمة (المسلم) لأمكننا أن نجعل

(١) هو الامام ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ، أبو الفتح المطرزي ، أديب لغوى من فقهاء الحنفية ، توفى فى خوارزم سنة (٦١٠ هـ) - الاعلام ٣٤٨/٧ -

(٢) المغرب فى ترتيب المغرب / للامام أبى الفتح المطرزي - ٣٦٧/٢ - تحقيق : محمد فاخرى وعبد الحميد مختار - طبع حلب .

(٣) ولد موسى جارالله فى (روستوف دون) بروسيا ، سنة ١٢٩٥ هـ وتفق بالعربية والعلوم الاسلامية حتى أصبح شيخ الاسلام فى روسيا وامام الجامع الكبير فى

(لنيفراد) ، حج وجاور بمكة ثلاث سنين ، وعاد الى بلاده ثم هاجر سنة ١٢٣٠ م = (٤) الشيعة فى نقد عقائد الشيعة / للشيخ موسى جارالله ص ٨١

(٥) هو الشيخ محمد بن أحمد أبوزهرة ، من كبار علماء الشريعة فى عصره ، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة (١٣١٦ هـ) وتوفى بالقاهرة سنة (١٣٩٤ هـ) وله

مصنفات كبيرة مشهورة . - راجع ترجمته فى الاعلام ٢٥/٦ -

(٦) الامام الصادق للشيخ محمد أبوزهرة ص / ٢٤١

هذا ضابطاً يخرج حالة النفاق من التعريفين السابقين ، فالمسلم يخفي إسلامه ، أما الشخص أو الانسان فهي كلمة عامة يدخل فيها المسلم والكافر .

- على أن هناك من عرف التقية بالدافع الذي يدفع اليها

فقد قال الامام الألوسي ^(١) : (التقية هي المحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الاعداء) ^(٢)

وهذا التعريف لا يختص بالتقية بل يشمل غيرها كالهجرة مثلاً ، فقد يهاجر المسلم حفاظاً على نفسه أو عرضه أو ماله من شر الاعداء .

كما أن تعريفه هذا مبني على عدم تخصيصه التقية في أمور الدين ، وهذا ما صرح به بقوله : (العد وقسمان : الأول من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم ، والثاني من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والملك والامارة ، ومن هنا صارت التقية قسمين) ^(٣)

وهذا التوسع في معنى التقية يخالف ما ورد في شأنها من أدلة سيرد الحديث عنها ، فالتقية رخصة جائزة مستثناة من أصل محرم شرعاً ، ولذلك لا بد من تخصيصها بأمر الدين .

وهذا ما حدده الإمامان ابن حجر العسقلاني ودر الدين العيني في تعريفهما للتقية

- فقد قال الامام ابن حجر ^(٤) : (التقية : الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير) ^(٥)

= وزار بعض البلاد الاسلامية منها ايران ، وكان آخرها مصر حيث مرض فيها ثم توفي

بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ (راجع ترجمته في الاعلام ٣٢٠/٧ - ٣٢١)

(١) سبقت ترجمته ص/ ٣٠ من هذا البحث .

(٢) (٣) روح المعاني / للامام شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) - ١/ ١٢١

دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣ هـ

(٤) سبقت ترجمته ص / ١٣ من هذا البحث .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري / للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

(ت ٨٥٢ هـ) ٣١٤/١٢ - دار الفكر - بيروت

- وقال الامام العيني ^(١) : (التقية هي الحذر من إظهار ما في الضمير من العقيدة ونحوها عند الناس) ^(٢)

والظاهر أن المقصود بكلمة (ونحوها) ما يتعلق بالعقائد ، وهي العبادات والتكاليف الشرعية أما الباحات كالطلاق والبيع والهبة فالاكراه عليها لا يدخل في باب التقية ، وإن كان داخلاً في مباحث الاكراه .

ونلاحظ دقة الامام العيني في تعريفه عندما قيد ما يخفيه مستخدم التقية في ضميره وهي (العقيدة ونحوها) وذكر كلمة (العقيدة) معرفة للإشارة الى العقيدة الحققة .
- وهذا الذي أشار اليه الامام العيني وضحه الشيخ محمد رشيد رضا ^(٣) حيث عرف التقية بقوله : (التقية هي ما يُقال أو يُفعل مخالفاً للحق لأجل توقي الضرر) ^(٤)
وكلمة (مخالفاً للحق) قيد لا بد منه لتسييز التقية عن غيرها ، وقد أغفلت معظم التعريفات السابقة هذا القيد .

ولكن تعريف الشيخ رشيد رضا لا ينطبق على جميع حالات التقية لأنه خصصها بالقبول أو الفعل وهذا يخرج الكتمان ، مع ان كتمان الايمان خوفاً من الضرر والاذى داخل في معنى التقية ، ولو عدنا اللفظ فَلْ إلا أنه الصريح بذكره أولى

(١) هو الامام محمود بن أحمد ، بدر الدين العيني الحنفى ، مؤرخ علامة من كبار المحدثين ، أصله من حلب ، ومولده في (عينتاب) قرب حلب واليه ينسب ، ولد سنة (٧٦٢هـ) ، وأقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس ، وتوفي بالقاهرة سنة (٨٥٥هـ) . راجع ترجمته في الاعلام ١٦٣/٢ -

(٢) عمدة القارى شرح صحيح البخارى / للامام بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٣) هو الشيخ محمد رشيد بن على رضا ، البغدادي الاصل ، ولد ونشأ في القلمون (بطرابلس الشام) عام (١٢٨٢هـ) وتعلم فيها ثم رحل الى مصر ولازم الشيخ محمد عبده ، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ) - راجع ترجمته في الاعلام ١٢٦/٦ -

(٤) تفسير المنار ٢٨٠/٣

أما تعريف الامامين ابن حجر والعيني فانهما على اختصارهما يشملان الكتمان ، لأن الحذر يكون بالقل أو بالفعل كما يكون بالكتمان .

- وستنتج من كل ما سبق أن أدق التعريفات وأرجحها هو تعريف الامامين ابن حجر والعيني ، على أن يضاف قيد لزيادة التوضيح ، وهو القيد الذى ذكره الشيخ رشيد رضا بقوله (مخالفاً للحق) للتأكيد على أن ما يخفيه مستخدم التقية فى قلبه هو الايمان لا النفاق وذلك يتم بإضافة كلمة (المسلم) إلى التعريف

ومذلك نصل الى التعريف التالى للتقية :

(التقية هى حذر المسلم من إظهار ما فى نفسه من العقيدة ونحوها للغير)

ويكون هذا الحذر بأحد أمرين :

١ - الكتمان ، بأن يخفى المسلم إيمانه أو بعض ما يعتقد خوفاً من الضرر ، دون أن يتظاهر بخلافه .

٢ - التظاهر بالكفر أو بشئ من المعاصي ، سواء كان هذا التظاهر بالقل أو بالفعل .

أو نقول : (التقية هى حذر المسلم من إظهار ما فى قلبه من الايمان بكتمان أو التظاهر بخلافه) ولزيادة التوضيح نذكر بعض التعريفات الاخرى التى فيها شئ من التفصيل ، وهى تعريفات لبعض الكتاب المعاصرين :

فقد عرف الدكتور عرفان عبد الحميد التقية بقوله :

(هي إخفاء المعتقد خوفاً من ضرر هالك ، ومعاشرة ظاهرة مع العد والمخالف ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضا ، وانتظار زوال المانع من شق المعاصي)^(١)

وعرفها الدكتور أحمد جلي بقوله :

(التقية اتخاذ الحيطة والحذر حفاظاً على النفس أو المال أو العرض ، وذلك بأن يُظهر الانسان غير ما يضر اذا اجتمع بمخالفه فى المعتقد حتى لا ينكشف أمره أو يفشوس سره

(١) دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية - ص/٤٥ - مؤسسة الرسالة - الطبعة

فيتعرض للأذى أو الشر (١).

أما متى يكون هذا الحذر وهذا الإخفاء وما هي الضوابط في استخدام التقية ؟
كل هذا سنجده تفصيلاً في ثنايا هذا البحث بإذن الله .

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين - ص / ١٥٣ - مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ

المبحث الثاني

الأدلة على جواز الترخيص بالنقبة

تمهيد عن العزيمة والرخصة

وتعريفهما عند الأصوليين

(١) العزيمة لغة : من عزم على كذا إذا أردت فعله وقطعت عليه .

أما اصطلاحاً فقد عرفها الأصوليون بتعريفات عدة أبرزها مايلي :

- قال الامام ابن قدامة :^(٢) العزيمة هي الحكم الثابت من غير مخالفة دليل شرعي .^(٣)- وقال الامام الشاطبي :^(٤) العزيمة ما شرع من الأحكام الكلية ابتداءً .ومعنى كونها كلية أنها لا تختص ببعض المكلفين دون بعض ، ولا ببعض الأحوال دون بعض ، كالصلاة مثلاً .^(٥)

وعلى هذا تكون العزيمة حكماً عاماً ، وهو الحكم الأصلي ويشمل الناس جميعاً .

أما الرخصة فهي لغة : خلاف التشديد ، واليسر والسهولة ، ومنه رخص السعر

إذا تراجع وسهل بالشراء ، ورخص له في الأمر : أن له فيه بعد النهي عنه .^(٦)

وشرعاً : ورد فيها تعريفات عدة أبرزها :

- قول الامام ابن قدامة : الرخصة استباحة المحظور مع قيام الحاضر .^(٧)

- وقول الامام الشاطبي : الرخصة ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلي يقتضي

المنع ، مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه .^(٨)

(١) الصحاح للجوهري ٥/١٩٨٥ .

(٢) هو الامام عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، موفق

الدين ، ولد عام (٥٤١ هـ) وتوفي عام (٦٢٠ هـ) ، وله تصانيف مشهورة

أبرزها : (المغني) شرح به مختصر الخراقي ، و (روضة الناظر) في أصول

الفقه ، و (المقنع) و (لمعة الاعتقاد) . انظر : الاعلام ٦٧/٤ .

(٣) روضة الناظر وجنة الناظر ، ص ٣٢ ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ - المكتبة السلفية بالقاهرة .

(٤) هو الامام ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الشهير بالشاطبي

من أئمة المالكية ، توفي عام (٩٧٠ هـ) ، ومن أبرز كتبه : الموافقات والاعتصام

وشرح الألفية وغيرها . انظر : الاعلام ٧٥/١ .

(٥) الموافقات في أصول الأحكام ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ٢٠٥/١ طبع القاهرة .

(٦) الصحاح ٣/١٠٤١ ، لسان العرب ٧/٤٠ .

(٧) روضة الناظر ص ٣٢ . (٨) الموافقات ١/٢٠٦ .

وكونه شاقاً لأنه قد يكون العذر مجرد الحاجة من غير مشقة موجودة ، فلا يسمى

ذلك رخصة ، وكونه مستثنى من أصل كلي لبيان أنه ليس بمشروع ابتداءً .

وقال الامام علاء الدين البخاري : (١) الرخصة هي الحكم الثابت على خلاف الدليل

لمعارض راجح (٢)

فقوله : الثابت على خلاف الدليل : احتراز عما ثبت على وفق الدليل فانه لا يكون

رخصة بل عزيمة ، كالصوم في الحضر .

وقوله : لمعارض راجح : احتراز ما لو كان غير راجح بل مساوٍ ، فيلزم الوقف

على حصول الرجح ، أو قاصر عن مساواة الدليل الشرعي ، فلا يؤثر وتبقى العزيمة بحالها (٣)

وهناك تعريفات أخرى للرخصة منها :

(ما وسع على المكلف فعله بعذر ، مع كونه حراماً في حق من لا عذره ، أو وسع على المكلف تركه ، مع قيام الوجوب في حق غير المعذور) (٤)

وهكذا نجد أن العزيمة حكم عام هو الحكم الأصلي ، والرخصة ليست من الاحكام

الاصلية ، وانما جاءت لتمنع استمرار الالتزام في الحكم الاصلي لعذر اقتضى ذلك ، تحقيقاً لقصد الشارع في التخفيف عن المكلفين ورفع الحرج ودفع الضيق عنهم . (٥)

فالعزيمة راجعة الى أصل كلي ابتدائي ، والرخصة راجعة إلى جزئي مستثنى من

ذلك الأصل الكلي . (٦) والرخصة لها أسباب كثيرة : منها الضرورة ، وذلك كمن يكون في

(١) هو الامام علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد البخاري ، فقيه حنفي من علماء الاصول ،

من أهل بخارى ، توفي عام (٧٣٠ هـ) . - الاعلام ١٣ / ٤ -

(٢) كشف الاسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوى - ٢ / ٢٩٨ - دار الكتاب العربي بيروت

(٣) أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية للدكتور حسين الجبوري ص / ١٢ مكتبة

المنارة بمكة - ط - ١٤٠٨ هـ .

(٤) كشف الاسرار ٢ / ٢٩٩

(٥) أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية ص / ١٢

(٦) الموافقات ١ / ٢٠٦

حالة مخمصة ويخشى على نفسه الموت ولا يجد ما يأكله الا الميتة ، فإنه يجوز له أن يأكل منها .

ومنها دفع الحرج والمشقة كرخصة الافطار في رمضان ^(١)

والرخصة تنقسم إلى قسمين : رخصة فعل ورخصة ترك ^(٢) .

فرخصة الفعل مثالها إجراء المكروه كلمة الكفر على لسانه ، ورخصة الترك مثالها ترك الخافض على نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وانما يرخص في ذلك لأن عدم الأخذ بالرخصة يؤدي إلى إتلاف النفس صورة ومعنى ،

والأخذ بالرخصة يؤدي إلى إتلاف حق الشرع أو حق العبد صورة لامعنى ، إذ التصديق بالقلب والاحتساب به باقٍ ، الا انه في الامتناع باذل نفسه لإقامة حق الله فكان مأجوراً ^(٣)

ورخصة التلطف بالكفر تكون في الضروريات أما في الحاجيات والتحسينات فلا تدخل فيها ^(٤) .

والرخصة هنا تغيد عدم المؤاخذه بالفعل أو الترك ، وليس معناها سقوط الحرمة ،

فالترخيص بإباحة إجراء كلمة الكفر على اللسان بعذر الاكراه ليس معناه سقوط حرمة الكفر وصيرورته مباحا ، بل معناه أن الله عزوجل يسقط العقوبة لأجل العذر ^(٥) .

(١)(٢) أصول الفقه للشيخ محمد أبوزهرة ص/ ٥١ دار الفكر العربي .

(٣) المغني في أصول الفقه للإمام عمر الخبازي ص/ ٨٧

(٤) الموافقات ٢ / ٥ مقاصد الشارع ثلاثة أقسام نذكرها ملخصة من الموافقات (٢/ ٥-٦)

وهي : ١ - الضروريات : وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ،

ومجموعها خمس : حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل .

٢ - الحاجيات : يفتقر اليها من حيث التوسعة ، فإذا لم تراعى دخل على المكلفين

الحرج لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد ، كإباحة الصيد والسكَم .

٣ - التحسينات : الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، ويجمع ذلك قسم

مكارم الاخلاق ومنها التقرب بالنوافل وغيرها من المحاسن الزائدة على أصل

المصالح الضرورية والحاجية .

(٥) أحكام الرخص في الشريعة الاسلامية ص/ ٢٧ - ٢٨

وهكذا أقرت الشريعة الإسلامية مبدأ التخفيف والتيسير على العباد فيما كلفوا به ،

مراعاة لأعدائهم ، وتحقيقاً لمصالحهم في العاجل والآجل .

قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . (١)

وقال عز وجل : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) . (٢)

وقال سبحانه : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : (إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه ،

فسددوا وقاربوا وأبشروا) (٤)

وأبرز ما رخص الله به مراعاةً لأحوال المكلفين ولاختلاف مستويات الإيمان والصبر

عندهم ، جواز التظاهر بالكفر أو بشيء من المعاصي مع اطمئنان القلب بالإيمان في

حال الإكراه ، وهذا ما ستعرض له في هذا البحث بإذن الله .

(١) سورة البقرة . آية / ١٨٥

(٢) سورة البقرة . آية / ٢٨٦

(٣) سورة الحج . آية / ٧٨

(٤) رواه البخاري ١ / ١٦ كتاب الإيمان ، باب الدين يسر

الادلة على جواز التقية

أولا : الادلة من القرآن الكريم

تكرر التأكيد في القرآن الكريم على ولاء المسلم لله ولرسوله وللمؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين ، والتحذير من أن يرتد المسلم عن دينه أو يميل قلبه الى غير الدين الحق . . . وهذا هو الموقف الثابت الذي لا يحيد عنه أي مسلم مهما اضطر الى ذلك ولكن الرخصة وردت في آيتين من كتاب الله تعالى بجواز التقية في حالة الاكراه . والآيتان هما :

الاية الاولى : قوله تعالى في سورة آل عمران : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم فاقا ويحذرکم الله نفسه والى الله المصير) .

وقد ورد في معنى الآية قولان :

الاول : وهو الأرجح عند الجمهور ^(١) والذي يعد دليلاً على جواز التقية عند أهل السنة ، بل هو

- (١) بل إن جميع كتب التفسير التي بحثت فيها ورجعت اليها أكدت هذا المعنى وأيدته . راجع مثلاً : جامع البيان للطبري (ت ٣٠٠) ٢٢٨/٣ - أحكام القرآن للکياهراس (ت ٥٠٤) ١٩/٢ - معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٦) ٣٣٦/١ - الكشف للزمخشري (ت ٥٣٨) ٤٢٢/١ - المحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤١) - ٣٧٩/٢ - أحكام القرآن لابن العربي (ت ٥٤٣) ٢٦٨/١ - زاد المسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ٣٧٢/١ التفسير الكبير للفخر الرازي (ت ٦٠٦) ١٣/٨ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١) ٥٧/٤ - أنوار التنزيل للبيضاوي (ت ٦٨٥) ص ٧١ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (ت ٧٠١) / - لباب التأويل للهازمي (ت ٧٢٥) ٣٣٦/١ - التسهيل لابن جزي (ت ٧٤١) ١٨٥/١ - البحر المحيط لابن حبان (ت ٧٥٤) ٤٢٢/٢ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤) ٣٥٧/١ - تفسير أبي السعود (ت ٩٥١) ٢٣/٢ - روح المعاني للألوسي (١٢٧٠) ١٢١/٣

دليل عند كل من أجاز التقية من الفرق الاخرى ، وهو تفسير الآية بالتظاهر باللسان
فى حالة الخوف دفعاً للاذى مع اطمئنان القلب بالايان

وقد تحدث الامام البغوي عن هذا المعنى بدقة ووضوح فقال :

(معنى الآية : أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مولاة الكفار ومداهنتهم وباطنتهم
الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين ، أو يكون المؤمن فى قوم كفار يخافهم فيدأريهم
باللسان وقلبه مطمئن بالايان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو يظهر
الكفار على عمرة المسلمين) (١)

فالآية الكريمة أجازت للمسلم أن يدارى الكفار بلسانه ويظهر لهم الولاية اتقاءً لشرهم
فى حالة الاكراه على ان يبقى القلب مطمئناً بالايان مبغضاً للعداء* منتظراً زوال هذا
المانع فالتقية تأثيرها فى الظاهر لافى أحوال القلوب .

ولزيادة المعنى تأكيداً وتفصيلاً ننقل أقوالاً أخرى لأئمة المفسرين فى معنى هذه
الآية :

- قال الامام ابن جرير الطبري (ت ٣١٠) :

(الا أن تتقوا منهم تقاة : الا أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا
لهم الولاية بالسنتكم ، وتضمرها لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ،
ولا تعينوهم على مسلم بفعل) (٢) وقال الامام الكياهراس (٥٠٤) : (قوله تعالى " الا أن
تتقوا منهم تقاة " يدل على أن إظهار الموافقة فى الاعتقاد وغيره جائز للتقية) (٣)

- وقال الامام ابن كثير (ت ٧٧٤) :

(من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتيقهم لظاهرة لا بباطنه

(٤)

ونيته)

(١) تفسير البغوي ٣٣٦/١

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٢٨/٣

(٣) أحكام القرآن للكياهراس ١٩/٢ وهو الامام على بن محمد بن على الطبري ، الملقب

بعماد الدين ، والمعروف بالكيا السهراس ، فقيه شافعى مفسر (انظر ترجمته فى

الاعلام ٣٢٩/٤)

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥٧/١

القول الثاني فى معنى الآية : انفرده من التابعين قتادة (١)

حيث قال : (الا أن تتقوا منهم تقاة : الرحم من المشركين من غير أن يتولواهم ففى دينهم ، إلا أن يصل رحماً له فى المشركين) (٢)

وقد رد الطبرى هذا التأويل قائلاً : (وهذا الذى قاله قتادة تأويل له وجهه ، وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية : (الا أن تتقوا منهم تقاة) ، فالأغلب من معانى هذا الكلام : الا أن تخافوا منهم مخافة . فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم ، ووجهه قتادة الى أن تأويله : الا أن تتقوا الله من أجل القرابة بينكم وبينهم تقاة ، فتصلون رحماً . والتأويل فى القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم) . (٣)

ومع أن صلة رحم الكفار جائزة ، ولا تدخل فى مولاتهم . فان تفسير هذه الآية بصلة تلك الرحم ضعيف ولا يتفق مع أسباب نزولها كما سنرى ، ولذلك قال ابن العربى فى رد قول قتادة :

(هذا القول وإن كان جائزاً فى الدين فليس بقوي من معنى الآية ، وإنما فائدتها ما تقدم فى القول الاول) (٤)

فالآية الكريمة تحذر من مولاة الكفار وترخص بالتقية لمن خاف فى بعض الحالات

التي سنرى تفصيلها فى هذا البحث

(ولما كان الامر فى هذه الحالة متروكاً للضائر ولتقوى القلوب وخشيتها من علام الغيوب فقد تضمن هذا التهديد تحذير المؤمنين من نعمة الله وفضله فى صورة عجيبة من التعبير حقاً : ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) . (٥)

(١) هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوس البصرى ، مفسر حافظ ، ولد سنة ٦١ هـ

وتوفى سنة ١١٨ هـ ، قال عنه الامام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة

(الاعلام ١٨٩/٥)

(٢) جامع البيان للطبرى ٢٢٩/٣

(٣) المرجع السابق / نفس الصفحة

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ٢٦٨/١

(٥) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٣٨٠/١

سبب نزول هذه الآية :

١ - روى الضحاك عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري ، وكان تقياً يوفى له حلف مع اليهود ، فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب قال عبادة : يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو ، فأنزل الله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الآية (١)

٢ - وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين تكلم ببعض ما أراد منه المشركون (٢)

٣ - وأخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، وابن أبي الحقيق ، وقيس بن زياد قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر ، وعبد الله بن جبير ، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوك عن دينكم . فأبى أولئك النفر ، فأنزل الله فيهم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين) إلى قوله (والله على كل شيء قدير) (٣)

٤ - وقال قوم : نزلت في قصة حاطب بن ابي بلتعة ، وكتابه الى اهل مكة (٤)

٥ - وقال الواحدي : نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه ، كانوا يتولسون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم (٥)

(١) - تفسير القرطبي ٥٨ / ٤ - وأسباب النزول للواحدي / ص ٧٣ / ٥ .

(٢) - تفسير القرطبي ٥٨ / ٤

(٣) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٧٦ / ٢ وأسباب النزول للواحدي ص / ٧٣

(٤) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٢ / ٣٧٩

(٥) - أسباب النزول للواحدي ص / ٧٣

والسبب الثاني وهو نزول الآية في عمار بن ياسر انفراد به القرطبي وذكره بصيغة التضعيف (قيل) وكأنه يشير الى ضعفه، وهذا هو الراجح إذ أن الذي نزل في عمار بن ياسر هو الآية في سورة النحل كما سنرى . وبقى الاسباب الاخرى تشير إلى أن الآية نزلت في المدينة المنورة وهي أسباب لا مانع من اجتماعها لتعلقها واتصالها بمعنى الآية وموضوعها الرئيسي وهو النهي عن مولاة الكفار .

الآية الثانية : قوله تعالى في سورة النحل :

(من كفر بالله من بعد إيمانه الا مَنْ أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير هذه الآية :

(أخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله وله عذاب عظيم ، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عذابه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم) (١)

ومع المفسرين ربط معنى هاتين الآيتين بالآية التي قبلهما وهي قوله تعالى :

(إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)

فيكون المعنى : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكشرون فلم يدخل تحت حكم الافتراء . (٢) وضعف الامام الطبري هذا القول قائلاً :

(هذا قول لا وجه له ، وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول ، لكان

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٢

(٢) نقل الطبري هذا القول عن الزجاج ، وذلك يكون (من كفر بالله) بدل ممن يفترى الكذب لانه رأى الكلام إلى اخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله ، أما القول الاول فقد نُقل عن الأخفش ، وذلك يكون (مَنْ) ابتداء وخبرة محذوف ، اكتفى منه بخبر (مَنْ) الثانية ، كقولك (مَنْ يأتنا مَنْ يحسن نكره) - تفسير القرطبي

١٨٠ / ١٠ - ومن رجع التفسير الثاني للآية :

النسفي ٢٠٠ / ٢ - الفخر الرازي ٢٠ / ١٢٢

الله تعالى قد أخرج من افتري الكذب في هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ولم يؤمنوا قط وخص به الذين قد كانوا آمنوا في الحال ، ثم رجعوا الى الكفر بعد الايمان ، والتنزيل يدل على انه لم يخصص هؤلاء من سائر المشركين (١)

فالمعنى المختار إذن :

(من كفر بالله من بعد إيمانه ، الا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان ، موقن بحقيقة ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر لكن من شرح بالكفر صدراً فاختره وآثره على الايمان ، وراح به طائفاً ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم) (٢)

- قال الامام الجصاص في تعليقه على هذه الآية :

(هذه أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الاكراه) (٣)

- وقال الامام ابن حجر :

(هذا وعيد شديد لمن ارتد مختاراً . وأما من أكره على ذلك فهو معذور بالايه لان الاستثناء من الإثبات نفي ، فيقتضي أن لا يدخل الذي أكره على الكفر تحت الوعيد) (٤)

واذا كانت الآية تتحدث عن الاكراه على الكفر وترخص في التقية في أهم مايجب التمسك به وهو الايمان فان التقية في فروع الشريعة تدخل في هذا الحكم من باب الأولى استدلالاً بهذه الآية .

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٨١

(٢) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٢

(٣) احكام القرآن للجصاص ٣ / ١٩٢

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢ / ٣١٢

(٦١) - أي تطاهراً -

قال الامام القرطبي : (لما سمح الله بالكفر به أو هو أصل الشريعة عند الاكراه ولم
يؤاخذ به ، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها ، فإذا وقع الاكراه عليها لسم
(١) يؤاخذ به)

أسباب نزول هذه الآية :

قال الامام ابن الجوزي :

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال :

١ - أنها نزلت في عمار بن ياسر أخنه المشركون فعذبوه فأعطاهم ما أرادوا بلسانه . (٢)

رواه مجاهد عن ابن عباس ، وه قال قتادة

٢ - أنه لما نزل قوله : (إن الذين تخافهم الملائكة ظالمي أنفسهم) الآية . كتب بها
المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة ، فخرج ناس من أقربالاسلام فاتبعهم
المشركون فادركوهم ، فأكرهوهم حتى أعطوا الفتنة . فنزل (إلا من أكرهه)

الآية .

(٣)

رواه عكرمة عن ابن عباس ، وه قال مجاهد

٣ - أن الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة ، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل
ولا تشبع من طعام حتى يرجع ، فزجع اليها .

(١) تفسير القرطبي ١٨١/١٠

(٢) وقد أورد السيوطي في الدر المنثور (١٦٩/٥ - ١٧١) روايات تؤكد
ذلك عن ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وعبد الرازق وابن سمعد
والحاكم وغيرهم ، وسوف نفصل الحديث عن ذلك بعد صفحات .

(٣) وأخرجه ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم

(الدر المنثور ١٧١/٥)

فأكرهه المشركون حتى اعطاهم بعض ما يريدون . (١)

٤ - أنها نزلت في جبر ، غلام ابن الحضرمي ، كان يهودياً فأسلم فضربه سيده حتى رجع الى اليهودية . (٢)

والملاحظ على أسباب النزول السابقة أن السبب الاول كان في مكة حينما اشتدت وطأة قريش على المسلمين واشتد الاذى عليهم ، ومنهم عمار بن ياسر أما الاسباب الثلاثة الأخرى فهي في المدينة بعد الهجرة . ولكن البعض قد ذهب الى أن سورة النحل كلها مكية ، وعليه تكون خواتيمها نزلت مرة بمكة مرة بالمدينة لتكرر المناسبة (٣)

وتكرار نزول الآية مكن فيه حكمة عالية وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طي تلك الآيات المكررة من الرصايا النافعة ، والفوائد الجمّة للتدبر بالصبر والثبات (٤)

والآيات التي نحن بصدد الحديث عنها لها أهمية بالغة في التحذير من السردة أو الميل للكافرين وفي أمور العقائد الإسلامية الأخرى .

- وهناك أدلة أخرى من القرآن الكريم يمكن اعتبارها أدلة غير مباشرة على جواز

الترخص بالتقية في حالة الاكراه ومنها :

١ - قوله تعالى : (إن الذين تخافهم الملائكة ^{ظالمين} أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساء مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) (٥)

(١) أبود السنيوطي عن ابن ابي حاتم عن قتادة أن الذي نزل في عياش هو قوله تعالى (ثم إن ريك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) الآية . (الدر المنثور ٥ / ١٧٣)
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤ / ٤٩٥ - ٤٩٦ . راجع أسباب النزول للواحدي ص (٢١٢ - ٢١٣)

(٣) راجع: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١ / ١١٣

(٤) المرجع السابق ١ / ١١٤

(٥) سورة النساء . الآيات ٩٧ - ٩٩

وقد سبق تفسير هذه الايات ، والحدِيث عن سبب نزولها ^(١) ، ولكننا هنا نشير الى ان الله سبحانه توعّد المتخلفين عن الهجرة بغير عذر قاهر بالعذاب الشديد ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء وألزمهم بالمقام في دار الكفر ، ففضّل سبحانه بالصفح عنهم في ترك الهجرة إذ لم يتركوها اختياراً ، ولا إيثارةً منهم لدار الكفر على دار الاسلام ولكن للعجز الذي هم فيه عن النقلة عنها ^(٢)

فهؤلاء يعذرون بترك الهجرة والبقاء في مكة يكتمون اسلامهم ويظهرون التقيّة لاعدائهم .

وقد ذكر الامام البخاري هذه الايات في صحيحه في مطلع كتاب الاكراه ثم علّق عليها قائلاً :

(فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به ، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً ، غير متنع من فعل ما أمر به) ^(٣)

ويتبين من هذه الايات أن التقيّة رخصة في حالة الضرورة ، وأنه يجب على المسلم أن يتحين الفرص للهجرة من دار الكفر حتى لا يضطر للعمل بالتقيّة .
وقد كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يدعو الله في صلاته أن يهيأ لهؤلاء - المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

روى ابن جرير بسنده عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " كان يدعو في دبر كل صلاة :

(١) واجتمع ص / ٥٥ من هذا البحث

(٢) تفسير الطبرى ٢٣٣/٥

(٣) صحيح البخاري ٢٠٠/٤ كتاب الاكراه

(اللهم خَلِّصْ الْوَلِيدَ وَسَلِّمْ بِنَ هِشَامٍ وَعِيَاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَضَعْفَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ ، الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ^(١) .

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ : (يَسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ الْإِكْرَاهَ عَلَى الْكُفْرِ لَوْ كَانَ كُفْرًا لَمَّا دَعَا لِسُلُوكِهِمْ وَسَمَاهُمْ مُؤْمِنِينَ) ^(٢) .

٢ - قوله تعالى : (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُمْ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَصِيَّكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ^(٣) .

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَصِفُ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْمَشْرِكُونَ فِي مَكَّةَ ، حَيْثُ مَنَعُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَامَ الْحَدِيثِ ، حِينَ أَحْرَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ بِالْعُمْرَةِ ، وَمَنَعُوا الْهَدْيَ وَحَبَسُوهُ عَنْ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ

ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ أَنَّهُ لَوْ لَا رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَنِسَاءٌ مِنْهُمْ يَكْتُمُونَ إِيْمَانَهُمْ بِمَكَّةَ وَقَدْ حَبَسَهُمُ الْمَشْرِكُونَ بِهَا ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ لَكُمْ فِي دُخُولِ مَكَّةَ وَلِسُلْطَتِكُمْ عَلَى كِفَارِهَا ، وَلَكِنْ لَوْ تَمَّ ذَلِكَ فَقَدْ تَوَقَّعُوا بِهِؤَلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقَتَّلُوا مِنْهُمْ دُونَ عِلْمِ مِنْكُمْ بِإِيْمَانِهِمْ ، وَلَوْ تَزَيَّلُوا ؛ أَيَّ تَعَيَّرَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ إِيْمَانَهُمْ بِمَكَّةَ ^(٤) وَفَارَقُوا الْمَشْرِكِينَ لِعَذَابِ

(١) تفسير الطبري ٢٣٧/٥ ورواه أيضا البخاري في صحيحه في كتاب الإكراه ٢٠٠/٤

(٢) فتح الباري ٣١٥/١٢

(٣) سورة الفتح / آية ٢٥

(٤) ذكر الإمام ابن العربي في أحكام القرآن ١٧٠٨/٤ قولاً آخر في معنى (لوتزِيلُوا)

فقال : (قال جماعة : إن معناه لوتزِيلُوا عَنْ بَطْنِ النِّسَاءِ وَأَصْلَابِ الرِّجَالِ) أَيِ

المؤمنين الذين هم في أصلاب الكفار . ثم ردَّ عليه وضعفه فقال :

(وهذا ضعيف ، لقوله تعالى : " أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتَصِيَّكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ " وَسَبَنَ

فِي صِلَابِ الرِّجَالِ لَا يُوطَأُ وَلَا تَصِيبُ مِنْهُ مَعْرَةٌ) فَاَلْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنَ

المؤمنين فِي مَكَّةَ .

الله من بقي في مكة من المشركين عذاباً أليماً^(١) .

وهكذا قصّصت حكمة الله أن لا يدخل المسلمون مكة عام الحديبية صيانة لهؤلاء المستضعفين الذين يكتُمون إيمانهم ، ولا يعلم المسلمون بأمرهم ، ولقد وصف الله سبحانه هؤلاء المستضعفين بوصف الايمان مع أنهم لم يُظهروا ايمانهم ، وهذا دليل على جواز استخدامهم التقية لكتمان إيمانهم خوفاً من بطش المشركين - أما قوله تعالى : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)^(٢) فهذه الآية - كما أرى - لا تصلح دليلاً صريحاً في موضوعنا هذا لأن كتمان هذا المؤمن إيمانه لم يكن على ما يبدو بسبب الخوف من بطش فرعون ، فهو ابن عمه وولي عهده ، وإنما كان لمصلحة موسى ومن آمن معه ، ولذلك نجده يتصدى لمؤامرة قتل موسى ويقف مدافعاً عنه ناصحاً لقومه محذراً لهم من عذاب الله ، وهذا لا يفعله من يستخـدم التقية ، وسيجد القارئ تفصيل هذا الموضوع في الباب الثاني إن شاء الله .^(٣)

(١) تفسير الطبري ٩٥/٢٦ - ١٠٢ تفسير القرطبي ٢٨٦/١٦ - ٢٨٧

(٢) سورة غافر آية / ٢٨

(٣) راجع ص / ٢٩٩ من هذا البحث .

الدليل الأول :

أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار ، عن أبيه قال :

أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما وراءك شيء ؟ قال : شر ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهم بخير . قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالآيمان . قال : إن عاد واعد . فنزلت (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالآيمان) .

في رواية لابن سعد عن محمد بن سيرين : (ان النبي صلى الله عليه وسلم لقى عماراً وهو يبكي فجعل يمسح عن عينيه ويقول : (أخذك الكفار ففطوك في الماء فقلت كذا وكذا .. فان عاد واعد ذلك لهم)^(١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم أذن لعمار بن ياسر في استعمال التقية ، وكان قد تعرض للإيذاء والاكراه من قبل المشركين وشهد موت أبيه وأمه سمية تحت العذاب ولم يقوَ على تحمل الإيذاء الشديد الذي صبَّه عليه المشركون بقسوة فأعطاهم ما أرادوا من ظاهر الكلام الذي يرضيهم ولكن قلبه كان مطمئناً بالآيمان ، ومع ذلك سارع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باكياً خشية أن يكون قد اقترف إثماً أو خرج من الآيمان فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويخفف عنه ويقول : (فان عاد واعد) .

وهذا دليل على جواز الترخص بالتقية في حال الاكراه وأن الاثم يُرفع عنه في هذه

الحالة .

(١) الدر المنثور للسيوطي ١٧٠/٥ فتح الباري لابن حجر ٣١٢/١٢ ونفسه الطبري ١٨١/١٤ قال ابن حجر في تعليقه على الرواية الأولى : (وهو مرسـل رجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد) ، وقال في رواية ابن سيرين : (رجاله ثقات مع إرساله أيضاً ، وهذه المراسيل تقوي بعضها ببعض) .

وقد يظن البعض أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمار (إن عاد واعد) هو للإيجاب أو الندب وهذا غير صحيح بل هو للإباحة .

قال الجصاص : (قوله صلى الله عليه وسلم لعمار : إن عاد واعد ، إنما هو على وجه الإباحة لا على جهة الإيجاب ولا على الندب ، وقال أصحابنا : الأفضل أن لا يعطي التقية ولا يُظهر الكفر حتى يُقتل ، وإن كان ذلك مباحاً له ، وذلك لأن خبيب ابن عدي لما أراد أهل مكة أن يقتلوه لم يعطهم التقية حتى قتل ، فكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند المسلمين أفضل من عمار في إعطائه التقية ، ولأن في ترك إعطاء التقية إعزازاً للدين وغيظاً للمشركين ، فهو بمنزلة من قاتل العدو وحتى قتل . فحظ الاكراه في هذا الموضع إسقاط المأثم عن قاتل هذا القوم حتى يكون بمنزلة من لم يقتل ^(١))

وقال السرخي : (قوله : فإن عاد واعد ، أي فإن عاد واعد إلى الاكراه فعد إلى الترخص ، أو فإن عاد واعد إلى الاكراه فعد إلى طمأنينة القلب . فإنه لا يُظن برسول الله عليه السلام أنه يأمر أحداً بالتكلم بكلمة الكفر ^(٢))

والواقع أننا لسنا في حاجة إلى تأويل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم : (فإن عاد واعد) بما قال به السرخي لأنه ما ذهب طمأنينة القلب عن عمار حتى تعود إليه ولو بقي المعنى على ظاهره وهو : فإن عاد واعد إلى الاكراه فعد إلى التظاهر بالكفر فلا يُفهم منه الندب أو الإيجاب لأنه أمر بعد الحظر ، والأمر بعد الحظر يقتضي الإباحة كما يقول الأصوليون ^(٣) . كما أن صيغة الأمر هذه تأكيد لإزالة الحرج من قلب عمار وتخفيف الحزن عنه ، فالحديث إذن دليل على جواز التقية في حالة الاكراه وأن من صبر على الابتلاء والشدة فأجره أعظم عند الله ، كما سنرى من الدليل الثاني :

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/١٩٢

(٢) المبسوط ٢٤/٤٤

(٣) انظر : روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ص/١٠٢

الدليل الثاني :

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن رضي الله عنه أن عيوناً لمسيلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوا بهما ، فقال لأحدهما : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ، قال : فأهوى إلى أذنيه فقال : إني أصم ، قال : مالك إذا قلت لك تشهد أني رسول الله ، قلت إني أصم ، فأمر به فُقتل .

وقال للآخر : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أنسي رسول الله ؟ قال : نعم ، فأرسله ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هلكت . قال : وما شأنك ؟ فأخبروه بقصته وقصة صاحبه . فقال : (أما صاحبك فمضى على إيمانه ، وأما أنت فأخذت بالرخصة)^(١)

ويذكر بعض المفسرين رواية أخرى وهي : (أما هذا المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضلته فهنيئاً له ، وأما الآخر فقد رخصه الله تعالى فلا تبعه عليه)^(٢)
وذكر ابن كثير أن المقتول هو حبيب بن زيد الأنصاري^(٣) وأن مسيلمة لم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك .^(٤)

وهي هذه الحادثة دليل على أن من امتنع عن التلفظ بالكفر حتى قُتل فأجره أعظم لأنه إظهار للصلابة في الدين واتباع للعزيمة ومن أظهر الكفر بلسانه بسبب الاكراه فلا إثم عليه لأن هذا يرخص له .

- (١) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٧/١٢ كتاب الجهاد ، باب (ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي أيجيبونهم أم لا ، ويكرهون عليه ؟)
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٣/٨ - روح المعاني للألوسي ١٢٢/٣
(٣) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الأنصاري المازني ، ذكره ابن اسحاق فيمن شهد العقبة من الأنصار وقال هو الذي أخذه مسيلمة فقتله ، وقال ابن سعد : شهد حبيب أحداً والخندق والمشاهد ، وروى ابن أبي شيبة أن حبيب بن زيد قتله مسيلمة فلما كان يوم اليمامة خرج أخوه عبد الله بن زيد وأمه نسيبة بنت كعب المازنية وكانت نذرت أن لا يصيبها غسل حتى يُقتل مسيلمة - الاصابة ٣٠٦/١ -
(٤) تفسير ابن كثير ٥٨٨/٢

الدليل الثالث :

روى ابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)^(١) والدليل في هذا الحديث أنه جعل المكروه كالناسي والمخطئ في إسقاط الأثام عنه ، فلو أن رجلاً نسي أو أخطأ فسبق لسانه بكلمة الكفر لم يكن عليه فيها إثم ولا تعلق بها حكم^(٢) ، فكذا المكروه لا يأتى إذا تلفظ بكلمة الكفر .

قال الامام علاء الدين الكاسانى في تعليقه على هذا الحديث :
(قيل إن المراد منه الاكراه على الكفر ، لأن القوم كانوا حديثي العهد بالاسلام ، وكان الاكراه على الكفر ظاهراً يوشك ، وكان يجري على ألسنتهم كلمات الكفر خطأً وسهواً ، فعفا الله ذلك عن هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

(١) سنن ابن ماجه ٦٥٩/١ باب طلاق المكروه والناسي .
وقد حسنه الامام النووي في الأربعين النوويه (ص/١٠٣) بشرح الامام ابن دقيق العيد) . ورمز السيوطي لصحته (راجع : فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢١٩/٢)
وسط الامام ابن رجب الحنبلي تخريجه في جامع العلوم والحكم ص/٣٢٥ فقال :
(هذا الحديث خرجه ابن ماجه ، وخرجه ابن حبان في صحيحه ، والدارقطني وهذا إسناد صحيح في ظاهر الامر ، ورواه كلهم محتج بهم في الصحيحين ، وقد خرجه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ، كذا قال ولكن له عليه ، وقد أنكره الامام أحمد) .

كما بسط الامام السيوطي تخريجه في الاشياء والنظائر ص/٢٠٦ - ٢٠٧ وذكر رواياته وشواهد ثم قال : (فهذه شواهد قوية تقضي للحديث بالصحة) .
وقال الألبانى في إرواء الغليل (١٢٤/١) بعد أن بسط تخريجه : هو صحيح ورجاله كلهم ثقات .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣
(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للامام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى (ت ٥٨٧ هـ) - ١٨٢/٢

قال الحافظ ابن حجر : (أجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل ، أنه أعظم عند الله من اختار الرخصة) (١)

ونص الامام ابن العربي (٢) على هذا الاجماع وأنه لا خلاف في ذلك بين العلماء ، فقال : (إن الكفر وإن كان بالاكراه جائزاً عند العلماء ، فإن من صبر على البلاء ولم يفتن حتى قتل فإنه شهيد ، ولا خلاف في ذلك ، وعليه تدل آثار الشريعة التي يطول سردها ، وإنما وقع الاذن رخصة من الله رفقا بالخلق ، وإيقاع عليهم ، ولما في هذه الشريعة من السماحة ونفي الحرج ووضع الإصر) (٣)

والمقصود بالاجماع هنا إجماع علماء أهل السنة ومن وافقهم من الزيدية وغيرهم ، كما أن هذا الاجماع يتعلق بإباحة القول بالتقية على وجه ما تفصيل أحكامها ، وهل تجوز في الاقوال والافعال أو في الاقوال فقط ، فان هذا ما اختلفوا فيه ، وسيرد الحديث عن ذلك فسي أحكام التقية (٥)

ولقد وردت نصوص مرويات عن بعض الصحابة والتابعين تؤكد جواز التقية ، منها :
- قال ابن عباس رضي الله عنهما : (التقية باللسان ، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن ذلك لا يضره ، وإنما التقية باللسان) (٦)

(١) فتح الباري ٣١٧/١٢

(٢) هو الامام محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي ، أبو بكر ابن العربي قاض من حفاظ الحديث ، ولد في اشبيلية عام (٤٦٨هـ) وتوفي قرب فاس عام (٥٤٣هـ) ، وله كتب كثيرة من أبرزها : احكام القرآن ، والمعاصم من القواصم - الاعلام ٢٣٠/٦ -

(٣) احكام القرآن ١١٧٩/٣

(٤) راجع التشريع الجنائي في الاسلام - للشيخ عبد القادر عودة ٧١٨/٢ ، راجع من ١٩٨٧ من هذا البحث لبيانه موقف الزيدية

(٥) راجع مبحث : التقية في الافعال ص/ ١٢٦ من هذا البحث .

(٦) اخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم (انظر : تفسير الطبري ٢٢٩/٣ - الدر

المشهور للسيوطي ١٧٦/٢) وأورده الحافظ ابن جرير في فتح الباري ٢١٤/١٢

- وقال أيضا : (التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالايان ، ولا ييسط يده فيقتل ، ولا الى اثم ، فانه لا عذر له)^(١)

- وقال : (نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين ، الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفونهم في الدين)^(٢)

- وقال الحسن البصرى :^(٣) (التقية جائزة الى يوم القيامة ، الا أنه لا يجعل في القتل تقية)^(٤)

- وقال الضحاك :^(٥) (التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به ، وهو لله معصية ، فتكلم مخافة على نفسه ، وقلبه مطمئن بالايان ، فلا إثم عليه)^(٦)

وهذا كله يؤكّد الاجماع على جواز التقية ، وأن من تعرض للاكراه يجوز له أن يتظاهر بالكفر أو بشئ من المعاصي لينجو من القتل أو الضرب الشديد .

بيد أنه قد وردت نصوص ظاهرها يعارض ماسبق ذكره من الاجماع على جواز الترخيص بالتقية ، ولودققنا النظر فيها لأدركنا أنها لا ترمي الى ما يتبادر الى الذهن منها لأول

(١) أخرجه ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في سننه من طريق عطاء (انظر : تفسير الطبرى ٢٢٨/٣ - الدر المنثور ١٧٦/٢ - فتح البارى ٣١٤/١٢)

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٢٨/٣ وابن المنذر وابن أبي حاتم . (انظر : الدر المنثور ١٧٦/٢)

(٣) هو الحسن بن يسار البصرى أبوسعيد ، تابعى ثقة ، كان إمام أهل البصرة وأحد العلماء المشهورين في زمانه ، ولد بالمدينة سنة (٢١ هـ) وتوفي بالبصرة سنة (١١٠ هـ) - الاعلام ٢٢٦/٢ -

(٤) أورده البخارى في صحيحه تعليقا بقوله : (قال الحسن : التقية الى يوم القيامة) صحيح البخارى ٤ / ٢٠٠ وصله عبد بن حميد وابن أبي شية . (انظر : مصنف ابن أبي شية ٣٥٩/١٢ فتح البارى ٣١٤/١٢) .

(٥) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، مفسر ، توفي بخراسان سنة (١٠٥ هـ) - الاعلام ٢١٥/٣ -

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٢٩/٣

وهلة ، ولا تتعارض مع ما ذكرنا من الاجماع .

ومن هذه النصوص :

١ - قال مجاهد ^(١) (كانت التقية في جِدَّة الاسلام قبل قوة المسلمين ، فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام أن يتقوا من عدوهم) ^(٢)

وقد رأى الفخر الرازي أن هذا القول يحصر العمل بالتقية في فترة أول ظهور الدعوة الاسلامية أما بعد ذلك فلا يجوز الأخذ بالتقية ، فكان التقية حكم خاص بمرحلة من مراحل الدعوة الاسلامية في عهد النبوة .

ولذلك ذكر الامام الرازي هذا القول مقابلاً لقول الحسن البصري : (التقية جائزة الى يوم القيامة) ثم رجع قول الحسن بقوله : (وهذا القول أولى) ^(٣)

والواقع أنها قول واحد وحكم واحد ، ولكن القول الاول وضع ضوابط وشروطاً للتقية اذا وجدت في أى زمان ومكان أصبحت التقية جائزة ، واذا لم توجد فلا تباح التقية .

فالتقية لا تكون الا في حالة الاكراه والاستضعاف كما كان حال المسلمين في بدء الدعوة ، أما اذا كان المسلم في العزة والمنعة والقوة فلا يباح له بالتقية ولا يرخص له العمل بها إرضاء

(١) هو مجاهد بن جبر المكي ، مولى بنى مخزوم ، تابعى مفسر من أهل مكة ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ قال عنه الذهبي : شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس ، وقرأ عليه ثلاث مرات (الاعلام ٥ / ٢٧٨)

(٢) تفسير القرطبي ٤ / ٥٧

(٣) التفسير الكبير للرازي ٤ / ٨ - وقد ذهب الى هذا الاستنتاج من قول مجاهد ، أحد الكتاب المعاصرين وهو الدكتور عرفان عبد الحميد في كتابه (دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية) ص / ٨٥ حيث قال : (ومن الفقهاء من ذهب الى القول بأن التقية كانت رخصة جائزة في أول ظهور الدعوة يوم كان الاسلام مضطهدا والمسلمون قلة مقهورة على أمرها ، وأما بعد قوة دولة الاسلام فلا يجوز الأخذ بها ، والسبب هذا ذهب مجاهد المكي ، وذهب آخرون ومنهم الحسن البصري الى القول بأنها جائزة الى يوم القيامة) .

لهواه .

وحال الاستضعاف لا يختص ببدء الدعوة بل هو عام يتكرر مراراً على مر العصور ، وعلى المستوى الفردى كما اذا وقع المسلم فى أسر ، وعلى المستوى الاجتماعى اذا تسلط العدو على بلاد المسلمين .

فقول مجاهد لا يعد إنكاراً لاستمرار حكم التقية ، وانما هو إنكار لاستعمالها فى غير موضعها واستغلالها بلا ضوابط ولا شروط .

٢ - قال السرخى : (كان بعض العلماء يأبى التقية ويقول إنها من النفاق) (١)

ولا يقصد هؤلاء العلماء - الذين لم يذكر السرخى أسماءهم - تحريم حكم رخص الله فيه ، وانما هو أخذ بالعزيمة واحتياط فى الدين ، خشية أن تؤدى الرخصة الى النفاق ولو فى ظاهر الأمر أمام الناس .

فالتقية مزلق خطر ، وخاصة ممن يُقتدى به ، وباباً اذا فُتح بدون ضوابط ولا شروط يلتزم بها المؤمن ، يؤدى به الى النفاق ، وكثيراً ما يتساهل الناس فى ذلك ويقلد بعضهم بعضاً ، يأخذون بالتقية دون ضرورة تدعوهم للأخذ بها .

ولهذا كان لزاماً علينا أن نفصل الحديث فى أحكام التقية وشروط الترخص بها .

وهذا ما سنعرض له فى الفصل القادم بإذن الله .

التَّقِيَّةُ وَالشَّبَاتُ

هل تكون التقية أحياناً أفضل من الشبات ؟

التقية رخصة في حالة الاكراه والخوف ، والافضل للمسلم أن يأخذ بالعزيمة ، ويبذل نفسه في سبيل الله ، لان في ذلك اعزازا للدين واغاظة للمشركين فهو بمنزلة من قاتل العدو حتى قتل (١)

ولقد سبق الحديث فيما مضى من صفحات عن اتفاق علماء أهل السنة على ذلك ، وما أوردوه من الأدلة على أن الاخذ بالعزيمة وترك التقية أعظم أجرا عند الله من الاخذ بها . وقد ذكر الامام ابن حجر أن قوما منعوا من الاخذ بالعزيمة واحتجوا بقوله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) (٢)

ورد عليهم بأن هذه الآية لاحجة فيها على ما ذهبوا اليه ، لأنها مقيدة بقوله تعالى : (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما) ، وليس من أهلك نفسه في طاعة الله ظلما ولا معتديا . ثم عقب على ذلك بإيراد قول من فضل التقية وجعلها أولى من بذل النفس ، فقال : (إِنَّ تَم مَّن قَالَ بِأُولويةِ التَّلْفِظِ عَلَى بَذْلِ النَّفْسِ لَلْقَتْلِ ، وَإِنْ كَانَ قَاتِلُ ذَلِكَ يَعْمَمُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَإِنْ قَيَّدَهُ بِمَا لَوْ عَرَّضَ مَا يَرْجَحُ الْمَفْضُولُ - أَيْ التَّلْفِظُ - ، كَمَا لَوْ عَرَّضَ عَلَى مَنْ إِذَا تَلَفَظَ بِهِ نَفْعٌ مُتَعَدٍّ ظَاهِرٌ فَيَتَّجِهَ) (٣)

وهذا النصد دقيق جدا ، ولا بد من التوقف عنده قليلا . فهو لا القائلون بأولوية التللفظ وتقديمه على بذل النفس ، قولهم لا يصح على اطلاقه أبدا ، لأن هذا يعارض الأدلة الصريحة في تفضيل الاخذ بالعزيمة ، وفي بيان فضل الصبر والشبات على الحق ، ويعارض المواقف الصلبة للصحابة الكرام والسلف الصالح ، وما تحملوه من الشدة والأذى في سبيل الله دون أن يتظاهروا بشيء يرضى أعداءهم ويخفف عنهم وطأة التعذيب .

(١) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣

(٢) سورة النساء / آية ٢٩ - ٣٠

(٣) فتح الباري ٣١٦/١٢

لكن الحافظ ابن حجر بنظرة الثاقب يعرض لحالة خاصة يمكن استثناؤها من القاعدة العامة ، وذلك إذا كان في الأخذ بالتقية نفع متعدد ظاهر ، فقد يكون الأخذ بالتقية هنا أفضل من الأخذ بالعزيمة ، لان الهدف من تظاهر هذا المسلم وأخذه بالتقية في هذه الحالة هو درء مفسدة أعظم عن المسلمين عموما وتحقيق مصلحة متعددة لهم ، وليس لرد^١ الخطر عن نفسه فقط .

ولعل مما يقاس على هذه الحالة ما فعله الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة عند ما قبل رأس ملك الروم لينقذ أسرى المسلمين من براثن هذا الطاغية كي يعودوا الى ساحات المعارك من جديد . ولذلك أعجب عمر رضى الله عنه بهذا العمل وقال :

(حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ) ، فقام فقبل رأسه^(١) .

وهذا الموقف من عمر رضى الله عنه أمام جمع من الصحابة يدل على أن ما أقدم عليه عبد الله بن حذافة هو الأفضل ، حيث امتنع عن التلفظ بكلمة الكفر رغم كل التعذيب والتهديد ، وآثر الموت مع الثبات على النجاة ، ولكنه لما رأى أن النجاة ستكون لجميع اخوانه الاسارى سارع الى التقية ولم يتردد في تقبيل رأس الكافر ، لما في ذلك مصلحة للمسلمين والنكاية بالعدو

وقد لاحظ الامام السيوطى قريبا من هذا المعنى فقال :

(ان كان ممن يتوقع منه النكاية في العدو والقيام بأحكام الشرع فالأفضل التلفظ لمصلحة بقاءه ، والا فالأفضل الامتناع)^(٢) .

والقول بأفضلية التلفظ هنا مبني على تقديم المصلحة العامة وهي نفع المسلمين ، على المصلحة الخاصة وهي ما سيناله من أجر الشهادة في سبيل الله .

(١) راجع تفصيل هذه القصة ص / ٣٩ من هذا البحث

(٢) الاشباه والنظائر ص / ٢٢٧

الفصل الثالث

التقية والإكراه

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإكراه وشروطه وأقسامه

- تعريف الإكراه لغة واصطلاحاً
- شروط الإكراه
- أقسام الإكراه
- المكروه إذا صار كاللذات في يد المكروه
- علاقة الإكراه بالاضطرار
- هل التخويف إكراه ؟

المبحث الثاني : حد الإكراه الذي يبيح التقية

- أولاً : التقية في التظاهر بالكفر
- ثانياً : التقية في التظاهر بشئ من المعاصي
- دراسة قول مروى عن ابن مسعود رضي الله عنه
- هل حصول المشقة يبيح الأخذ بالتقية ؟
- القواعد الشرعية في تحديد الضرورة .

المبحث الأول تعريف الإكراه وشروطه وأقسامه

الأكراه لغة :

مأخوذ من كرهت الشيء أكرهه كراهة وكراهية ، خلاف أحبه .
وأكرهه على كذا : حملته عليه كرها وقهره عليه ، وكرهت إليه الشيء : نقضت حبيبته
إليه . والمكره (بفتح الميم) ما يكرهه الانسان ويشق عليه ، وجمعه مكاره ^(١) .
أما اصطلاحاً فقد وردت فيه تعريفات كثيرة نستعرض أبرزها :

قال السرخي : (الأكراه اسم لفعل يفعل المرء بغيره فينتفي به رضاه أو يفسد به اختياره) ^(٢)
وعرفه البزدوي بقوله : (هو حمل الغير على أمر يمتنع عنه بتخويف يقدر الحامل على
إيقاعه ويصير الغير خائفاً به) ^(٣)

وعرفه الحافظ ابن حجر بقوله : (الأكراه إلزام الغير بما لا يريد) ^(٤) .
ولعل أوضح هذه التعريفات تعريف الامام البزدوي ، لأنه تضمن أركان الأكراه
الأربعة :

وأولها : الحامل ، وهو المكره الذي يحمل المكره على الفعل أو القول قهراً وجبراً ،
وهذا الركن يؤخذ من قوله (حمل) الذي يستلزم حاملاً .

ثانيها : الفاعل ، وهو المكره المحمول على فعل ما أمره به الحامل ، وهو مأخوذ من قوله
(الغير)

(١) الصحاح ٢٢٤٧/٦ والمعجم الوسيط ٧٨٥/٢

(٢) المبسوط ٣٨/٢٤

(٣) هو الامام علي بن محمد بن الحسين ، أبو الحسن ، فخر الاسلام البزدوي ، فقيه
أصولي من علماء الحنفية من سكان سمرقند ، توفي سنة (٤٨٢ هـ) - الاعلام ٣٢٨/٤ -

(٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوي ٣٨٣ / ٤

(٥) فتح الباري ٣١١/١٢

ثالثها : المكروه عليه ، وهو الأمر الذي يُجبر الحاملُ الفاعلَ على الاتيان به قهراً .

رابعها : المكروه به ، وهو وسيلة الاكراه التي يتم بها التخويف .

كما أن من مزايا هذا التعريف أنه تضمن أبرز شروط تحقق الاكراه ، وهو قوله :

(يقدر الحامل على إيقاعه ، ويصير الغير خائفاً به)

فمن شرط الحامل أن يكون قادراً على إيقاع ما خوّف به الفاعل ، ومن شرط الفاعل أن يصير خائفاً من أن يقع به ما هدد به الحامل ^(١) . وهذا ما سنفصله بعد قليل .

ومن تعريفات العلماء المعاصرين نختار تعريف الشيخ مصطفى الزرقا حيث عرّف الاكراه بقوله : (هو الضغط على إنسان بوسيلة مرهبة ، أو بتهديده بها لا جباره على فعل أو ترك ^(٢))

وهو لا يختلف في معناه كثيراً عن التعريفات السابقة ، ولكنه يحدد صورتين للاكراه هما :

١ - أن يكره شخص شخصاً ، وذلك بإيقاع الضرر به ، فيلتبس المكروه الخلاص عن طريق الاستجابة لما يطلب منه فعله رفعاً لهذا الضرر الواقع .

٢ - أن يهدده بإيقاع الضرر إن لم يفعل ، فيستجيب المكروه تحت تأثير الخوف والرهبة دفعاً للضرر المتوقع ^(٣) .

ففي الصورة الأولى يستجيب المكروه لكي يزيل الضرر عنه ، وفي الصورة الثانية يستجيب لكي يُبعد نفسه عن ذلك الضرر قبل أن يقع .

شروط الاكراه :

لا بد لتحقيق الاكراه من شروط تتوحد في المكروه ، والمستكره ، والمكروه به ، والمكروه عليه وقد فصل علماء أهل السنة الحديث في هذه الشروط ، وحددوا ضوابط دقيقة جداً للاكراه الذي تباح به التقية ، ويمكننا أن نُجمل هذه الشروط في النقاط التالية :

(١) الاكراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى فركي شقرة - ص / ٤١ - ٤٢ - الطبعة الأولى مكتبة المنار الاسلامية - الكويت .

(٢) (٣) المدخل الفقهي العام ١ / ٣٦٨ - الطبعة التاسعة ١٩٦٨ - دار الفكر -

بيروت .

- ١ - أن يكون المكروه قادراً على تحقيق ما أُوعد به ، لأن الاكراه لا يتحقق الا بالقدرة فإن لم يكن قادراً على ما هدد به فاكراهه هذيان ^(١)
 - ٢ - أن يغلب على ظن المكروه وقوع ما هدد به إذا امتنع عن الاجابة إلى ما دُعي إليه ، فإن لم يغلب على ظنه ذلك ، بل كان مجرد تهديد لا يُنتظر تحققه ، فلا يكون إكراهاً . ^(٢)
 - ٣ - أن يكون المكروه عاجزاً عن دفع المكروه عن نفسه ، بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة إذ لو كان قادراً على النجاة من المكروه فإن الاكراه ينتفي ^(٣) ، فالمكروه لا مجال أمامه إلا أن يصبر على ما أكره عليه أو يقع في المحرم تحت تأثير الاكراه ، فاذا وجد له مخلصاً فلا يُعد مكراً .
 - ٤ - أن يكون ما أكره به متلفاً أو مؤدياً الى خوف وغم وضيق في نفس المكروه يضطره الى تنفيذ ما طُلب منه ^(٤) ، وذلك كالتهديد بالقتل أو قطع العضو أو الضرب أو الحبس وغير ذلك مما سنفصل الحديث عنه بعد قليل .
 - ٥ - أن يكون المهدد به عاجلاً ، أى يغلب على ظن المكروه أن المكروه سينفذ ما هدد به فور امتناعه عن المطلوب منه ، وذلك لأن التأجيل مظنة للخلاص ، وليس في ذلك ما يحمله على المسارعة لارتكاب الفعل . وقد ذهب الى هذا الشرط الحنفية ^(٥) والشافعية ^(٦) أما المالكية ^(٧) فاشتروا حلول الخوف من الأذى فقد يكون عاجلاً وقد يكون آجلاً ،
-
- (١) انظر المبسوط للسرخي ٣٩/٢٤ ، بدائع الصنائع للكاساني ٤٤٧٩/٩ ، المغني لابن قدامة ٣٨٤/٧ ، نهاية المحتاج ٤٣٦/٦
 - (٢) انظر بدائع الصنائع ١٧٥/٧ ، المغني ٢٦١/٨ ، نهاية المحتاج ٤٣٦/٦
 - (٣) انظر نهاية المحتاج ٤٣٦/٦
 - (٤) انظر المغني ٢٦١/٨ ، نهاية المحتاج ٤٣٦/٦ ، حاشية ابن عابدin ١٢٩/٦
 - (٥) انظر المبسوط ٧٨/٢٤
 - (٦) انظر الاشباه والنظائر للسيوطي ص/٢٣٠
 - (٧) انظر الخرشي على مختصر خليل للامام محمد الخرشي المالكي ٣٤/٤ - ٣٥

ووافقهم على ذلك ابن عابد بن من الحنفية^(١)، إذ لو توعده بمتلف بعد مدة وغلب على ظنه إيقاعه صار مكرهاً .

٦ - أن يكون المكروه ممتنعاً عما أكره عليه قبل الاكراه إما لحق آدمي آخر أو لحق الشرع^(٢)، فإذا لم يكن ممتنعاً قبل الاكراه فلا يُعفى من المسؤولية فمثلاً إذا ادعى أنه أكره على شرب الخمر، وهو لا يمتنع عادة عن شربها، فإن دعواه باطلة .

أقسام الاكراه :

ينقسم الاكراه إلى ثلاثة أقسام هي :

١ - الأكراه الملجئ أو التام : وهو الذي يُععدم الرضا ويُفسد الاختيار ، ويكون بالتهديد بالقتل أو قطع عضو أو الضرب المبرح الذي فيه تلف النفس أو العضو قلَّ الضرب أو كثر^(٣) .

وذلك كأن يقول المكروه للمكروه إن لم تفعل كذا لاقتلك أو لا قطعن يدك أو رجلك . ويدخل في هذا النوع التهديد بإتلاف المال كله^(٤) .

ومعنى قول الفقهاء : إنه يُععدم الرضا ، لأن الرضا هو الرغبة في الشيء والارتياح إليه ، وهذا لا يكون مع أي إكراه .

وأما إفساده للاختيار دون إعدامه ، فلأن الاختيار هو القصد إلى فعل الشيء أو تركه بترجيح من الفاعل ، وهذا المعنى لا يزول بالاكراه ، فالمكروه يوقع الفعل بقصده إليه ، إلا أن هذا القصد تارة يكون صحيحاً سليماً إذا كان منبعثاً عن رغبة في العمل ، وتارة يكون فاسداً إذا كان ارتكاباً لأخف الضررين ، وذلك كمن أكره على أحد أمرين كلاهما شر ، ففعل أقلهما ضرراً به ، فإن اختياره لما فعله

(١) انظر حاشية ابن عابد بن ١٢٩/٦

(٢) انظر المبسوط ٣٩/٢٤

(٣) انظر بدائع الصنائع ١٧٥/٧

(٤) انظر أصول الفقه لابي زهرة ص/٣٥٦

لا يكون اختياراً صحيحاً بل اختياراً فاسداً^(١) ، لأنه لم يكن عن رغبة .

٢ - الأكراه غير الملجئ أو الناقص : وهو الذي يُعَدُّم الرضا ولكن لا يُفسد الاختيار ، لأنه لا يفوت النفس أو شيء من الأعضاء ، ولا يوجب الإلجاء والاضطرار ، ويكون بالحبس أو القيد أو الضرب الذي لا يُخاف منه التلف ، وليس فيه تقدير لازم سوى أن يلحقه منه الاغتمام^(٢) ويدخل فيه التهديد بإتلاف بعض المال^(٣) .

٣ - الأكراه الأدبي^(٤) : وهو التهديد بأن يَنْزِلَ بأحد أصوله أو فروعه أو زوجه أو أحد أقاربه ، بما دون إتلاف النفس أو إتلاف عضو من الأعضاء . كالتهديد بحبس أحد أبويه أو زوجه أو اخته وغيرهم ، ونجد في هذا النوع من الأكراه أن الرضا والاختيار باقيان للمكروه .

وقد اختلف العلماء في هذا النوع من الأكراه ، هل يُعَدُّ إكراهاً مسقطاً للتبعات أو لا ؟ فقال فخر الإسلام البزدوي أنه ليس بإكراه لأنه لا يُعَدُّم الرضا^(٥) .

وخالفه في ذلك السرخسي فقال :

(لو قيل لشخص لنحبس أباك أو ابنك في السجن أو لتبيعن عبدك هذا ، ففعل ففي القياس البيع جائز ، لأن هذا ليس بإكراه فانه لم يهدده بشيء في نفسه ، وحبس أبيه لا يلحق به ضرراً ، فالتهديد به لا يمنع صحة بيعه وإقراره وهبته ، وكذلك في حق كل ذي رحم محرم .

وفي الاستحسان ذلك أكراه ولا ينفذ شيء من هذه التصرفات ، لأن حبس أبيه يُلحق به من الحزن والهم ما يلحق به حبس نفسه أو أكثر .

(١) الموسوعة الفقهية ١٠٥/٦ إصدار : وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية فسي

الكويت الطبعة الاولى - ١٤٠٥ هـ .

(٢) بدائع الصنائع ١٧٥/٧

(٣) (٤) أصول الفقه لأبي زهرة ص/٣٥٦

(٥) كشف الأسرار عن أصول البزدوي ٤ / ٣٨٤

فإن الولد إذا كان باراً يسعى في تخلص أبيه من السجن ويحبس مكان أبيه
ليخرج أبوه ، وكما أن التهديد بالحبس في حق أبيه يُعَدُّم تمام الرضا ، فكذلك التهديد
بحبس ابنه ^(١)

المكره إذا صار كالآلة في يد المكره :

هذه صورة من صور الاكراه لابد من أفرادها بالبحث، والتفصيل فيها ، وذلك كمن
حُمِّلَ وأُلْقِيَ به/شخص حتى قتله ، أو أمسك ورُبط حتى سُقِيَ الخمر ، وكمثل المرأة أو الصبي
الذي يُشَدُّ ورُبط ويُفَجَّر به ، أو المرأة التي تُمسك حتى يُخلع عنها حجابها وتُكشف
عورتها .

فهل تُعد هذه الصور من الاكراه الملجئ أم لا ؟

الواقع أن الاكراه هنا ينتهي إلى سلب قدرة المكلف حتى يصير كالآلة ، وهذا
يختلف عن الاكراه الملجئ الذي لا يفقد فيه الانسان اختياره كلية وإنما يفسد اختياره
لأنه يخير بين أن يفعل كذا أو يُقتل ، فيمكنه أن يمتنع عن الفعل ويصبر حتى يُقتل
لكنه هنا غير قادر أصلاً عن الامتناع لأنه صار آلة في يد المكره ، لا قصد له أصلاً ، ولا فعل
له أصلاً ، بل هو محل لفعل غيره وآلة له ^(٢)

فهذا النوع لا يدخل تحت صور الاكراه السابقة ، لان الاكراه عارض من عوارض الأهلية التي
تعرض للمكلف ، وهي في جملتها لا تذهب بأصل الخطاب ولا تُسقط الأهلية ، ولكنها
تؤثر في مقدار تحمل التبعات ، فالشخص تحت تأثير الاكراه مخاطب بكل التكالييف
الشرعية ^(٣)

لكنه هنا لم يعد مخاطباً لأنه لم يقم بأي فعل ، ولكن إن صدر منه نوع تمكين بأن

لا يسـ _____ تفـرغ وسـ _____ فـ _____ الامتنـ _____

(١) المبسوط ١٤٣/٢٤ - ١٤٤

(٢) الاستقامة للإمام ابن تيمية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ٣٢٦/٢ طبع جامعة

الإمام محمد بن سعود - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ

(٣) أصول الفقه لابي زهرة ص/ ٣٥٨

أو نوع إرادة بأن لا تكون إرادته جازمة في الامتناع ، فذلك فيه نوع فعل ^(١) ، ولا يعد بمنزلة عدم الفعل .

ثغور فنقول : إن الإكراه في هذه الصور يسلب الاختيار نهائياً ، ولذلك لا يدخل تحت معنى الإكراه الملجئ الذي يفسد فيه الاختيار ولكنه لا ينعدم .
علاقة الإكراه بالاضطرار :

الضرورة مشتقة من الضرر ، وهو النازل بما لا مدفع له ^(٢) ، والاضطرار هو : (دفع
الإنسان إلى ما يضره وحمله عليه والجأؤه إليه) ^(٣) .

وقد حدد الإمام القرطبي العلاقة بين الاضطرار والإكراه ، فقال :
(الاضطرار لا يخلو أن يكون بإكراه من ظالم أو بجوع في مخصه) ^(٤)
كما ذكر ذلك الإمام الجصاص ، حيث قسم الضرورة إلى قسمين ، فقال في بيان
معنى الضرورة :

(هو خوف الضرر على نفسه أو بعض أعضائه بترك الأكل ، وقد انطوى تحت معنيين :
أحدهما : أن يحصل في موضع لا يجد غير الميتة .
والثاني : أن يكون غيرها موجوداً ، ولكنه أكره على أكلها بوعيد يخاف منه تلف
نفسه أو بعض أعضائه) ^(٥)

وهكذا نجد أن حالة الضرورة أعم من حالة الإكراه ، وأن الإكراه صورة من صور
الضرورة .

(١) الاستقامة ٣٢٦/٢

(٢) التعريفات للجرجاني ص/١٣٨

(٣) نظرية الضرورة الشرعية للدكتور وهبه الزحيلي ص/٦٨ - الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ
مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٤) تفسير القرطبي ٢٢٥/٢

(٥) أحكام القرآن للجصاص ١٢٩/١

ولكن الضرورة مقيدة بما إذا بلغ الانسان حداً قارب فيه على الهلاك وأصبح مهدداً بالموت إن لم يتناول المحرم .

ولذلك عرفها العلماء^{أعد} بقوله : (هي بلغ الانسان حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب) (١)

وهذه الحالة تقابل الاكراه الملجئ الذي يهدد فيه المكروه بالقتل أو قطع العضو أو الضرب الشديد المتلف، أما الاكراه غير الملجئ فلا يدخل تحت مسمى الضرورة .

وهنا تفرق الضرورة عن الاكراه لأن الاكراه الناقص غير الملجئ يعد من صور الاكراه لكنه لا يعد من صور الاضطرار .

فالنسبة بين الاكراه والاضطرار هي العموم والخصوص من وجه .
فهما متلاقيان في حالة الاكراه الملجئ لانه يُعد صورة من صور الضرورة. ولكنهما بفترقان في غير ذلك :

فالجوع الشديد مع فقدان الطعام تُعد من حالات الضرورة لكنها غير داخلية في الاكراه .

والحبس والضرب غير المبرح لا يعد من حالات الضرورة ولكنه نوع من الاكراه .

التخويف^{وتحقيقه} / الاكراه

هل يعد التخويف والتهديد - من شخص قادر على تنفيذ ما هدد به - إكسراه

أم لا بد من تنفيذ هذا التهديد حتى يتحقق الاكراه ؟

اختلف العلماء في ذلك ، وقد حكى الامام ابن الجوزي هذا الاختلاف فقال :
(الاكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها ، وفي الاكراه المبيع لذلك روايتان :
احدهما : أن يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به .

(١) الاكسراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى شقره ص/ ٣٤

الثانية : أن التخويف لا يكون إكراها حتى يُنال بعذاب (١)

وقد رجح الامام ابن العربي أن التخويف والتهديد إكراه فقال :

(الصحيح أنه إكراه ، فان القادر الظالم إذا قال لرجل : إن لم تفعل كذا ولا تقتلك
أو ضربتك ، أو أخذت مالك ، أو سجنتك ، ولم يكن له من يحميه إلا الله ، فله أن يُقدم
على الفعل ، ويسقط عنه الاثم في الجملة) (٢)

ولا يجب على المكروه أن يتيقن حصول ما هدد به حتى يقدم على الفعل ، وإنما يكفي غلبه
الظن لأن اليقين في ذلك غيب لا يمكن القطع به .

قال الامام النووي : (٣) (المكروه على أكل الميتة بياح لسه أكلها إذا ظن وقوع ما خوف به
ولا يشترط أن يعلم ذلك ، فإنه لا يطلع على الغيب) (٤)

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤٩٦/٤

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١١٧٧/٣

(٣) هو الامام يحيى بن شرف النووي الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين ، علامة بالفقه والحديث
ولد في نوا (من قرى حوران بسورية) واليها نسبته ، وتوفي عام (٦٧٦هـ) وله مصنفات

كثيرة مشهورة - راجع ترجمته في الاعلام ١٤٩/٨ -
(٤) المجموع للنووي ٣٩/٩

المبحث الثاني

حد الإكراه الذي يبيح التقية

مسائل الإكراه تنقسم الى قسمين :

- قسم منها يتعلق بالإكراه على شيء من التصرفات القولية والقرارات المباحة في أصلها كالبيع والهبة والطلاق وغير ذلك ، وهذه كما قلنا سابقا لا تدخل في التقية ، وإن كانت داخلية في أحكام الإكراه .

والإكراه المعتبر في هذا المجال ، هو أي نوع من نوعي الإكراه التام أو الناقص ، وذلك لان الإكراه التام والناقص يُعَدُّ الرضا ، وأساس الأقوال الملزمة أن تكون عن تراضٍ وذلك لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكونون تجارة عن تراضٍ منكم)^(١) ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يحل لامرئ من ماله أخيه شيئا الا بطيب نفس منه)^(٢) والمكره ليس طيب نفس^(٣) .

- وقسم يتعلق بالإكراه على شيء من المحرمات القولية أو الفعلية ، كالإكراه على التلفظ بكلمة الكفر والإكراه على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير وغير ذلك .

فهنا يفترق الإكراه الكامل الملجئ عن الإكراه الناقص غير الملجئ .

وهذا القسم هو الذي يدخل الحديث عنه في موضوع التقية ، ولذلك كان لابد من التفصيل فيه لمعرفة حد الإكراه الذي يبيح الإقدام على شيء من هذه المحرمات تقية ويمكن أن نقسم التقية هنا الى قسمين :

- ١ - التقية في التظاهر بالكفر ، سواء كان هذا التظاهر بقول أو بفعل .
- ٢ - التقية في التظاهر بشيء من المعاصي ، سواء كان ذلك بقول أو بفعل .

(١) سورة النساء / آية ٢٩

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤ / ٤) وقال : (رواه أحمد والطبراني في الكبير واللاوسط ، ورجال أحمد ثقات)

(٣) أصول الفقه لابن زهرة ص / ٣٥٩

أولا : التقية في التظاهر بالكفر

إن أبرز ما يحرص عليه أعداء الاسلام أن يتخلّى المسلم عن دينه ، ويرتد عنه ، ولذلك يبذلون كل ما يستطيعون لكي يظفروا بقول أو فعل من المسلم يشعروهم بأنه تخلّى عن دينه قال تعالى : (و إذا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء)^(١) .

وقال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)^(٢) .

وهم من أجل ذلك لا يألون جهداً في استخدام كل وسائل الاكراه والتعذيب والايذاء ليفتنوا المسلم عن دينه ، وهذه جريمة من أبشع الجرائم في حق بني الانسان ، بل هي أشدها على الاطلاق لأن إكراه المسلم وفتنته حتى يرجع عن دينه أشد من قتله . قال تعالى : (والفتنة أشد من القتل)^(٣) .

ولقد حذر الله المسلمين أن يرتدوا عن دينهم أو تلين لهم قناة مهما اشتد كيد الأعداء .

قال تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)^(٤)

ولكنه امتن عليهم بأن رخص لهم التظاهر بشيء من الكفر عند الاكراه مع اطمئنان القلب بالايان فقال تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن ممن شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)^(٥) .

وقد عد العلماء هذه الآية - كما ذكرنا في تفسيرها^(٦) - أصلاً في جواز إظهار كلمة

(١) سورة النساء / آية ٨٩

(٢) سورة البقرة / آية ٢١٧

(٣) سورة البقرة / آية ١٩١

(٤) سورة البقرة / آية ٢١٧

(٥) سورة النحل / آية ١٠٦

(٦) راجع ص / ٥٩ من هذا البحث

الكفر في حال الاكراه ، ولكن الاكراه المعتبر شرعاً في هذا المجال هو الاكراه التام الملجئ الذي لا يكون الا بالتهديد بالقتل أو قطع العضو أو الضرب الشديد ، وهذا مانص عليه العلماء :

قال الامام المرغيناني : (١)

(وان اكراه على الكفر بالله تعالى ، والعيان بالله ، أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغير أو حبس أو ضرب لم يكن ذلك إكراهاً حتى يُكره بأمر يخاف منه على نفسه أو على عضو من أعضائه) (٢)

وقال الامام الكاساني : (٣)

(إذا كان الاكراه ناقصاً يحكم بكفرة ، لأنه ليس بمكره في الحقيقة ، لأنه ما فعله للضرورة ، بل لدفع الفم عن نفسه) (٤)

وقال الامام الفخر الرازي : (٥)

(الاكراه الذي عنده يجوز التلفظ بكلمة الكفر ، هو أن يعذبه بعذاب لا طاقة له

(١) هو الامام علي بن أبي بكر المرغيناني ، أبو الحسن برهان الدين ، من أكابر فقهاء الحنفية نسبته الى مرغينان (من نواحي فرغانه) ولد سنة ٥٣٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٣ هـ كان حافظاً مفسراً محققاً أدبياً ، من تصانيفه : الهداية ، بدايه المبتدى . وغيرهما . راجع ترجمته في الاعلام ٢٦٦ / ٤ -

(٢) فتح القدير شرح الهداية للكمال بن الهمام ١٧٤ / ٨

(٣) هو الامام أبوبكر بن مسعود الكاساني ، علاء الدين ، فقيه حنفي من من أهل حلب ، توفي عام ٥٨٧ هـ - راجع ترجمته في الاعلام ٧٠ / ٢ -

(٤) بدائع الصنائع ٩ / ٤٤٨٦

(٥) هو الامام محمد بن عمر التيمي ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي ، قرشي النسب أصله من طبرستان ، مولده في الري واليه نسبته ، ولد عام ٥٤٤ هـ وتوفي ٦٠٦ هـ وله مصنفات كثيرة أبرزها التفسير الكبير ، محصل آراء المتقدمين والمتأخرين ، معالم أصول الدين .

- راجع ترجمته في الاعلام ٣١٣ / ٦ -

به ، مثل التخويف بالقتل ، ومثل الضرب الشديد والايلاامات القوية (١) .

وقال الامام القرطبي :

(التقية - أى فى الاكراه على الكفر - لا تحل الا مع خوف القتل أو القطع أو الايذاء)

(٢)
(العظيم)

(٣)
وقال الامام الالمسي :

(لو كان التخويف بذوات المنفعة ، أو بلحوق المشقة التي يمكنه تحملها ، كالحبس

مع القوت ، والضرب القليل غير المهلك ، لا يجوز له موافقتهم) (٤) .

وهكذا نرى أن التظاهر بالكفر لارخصة فيه الا في حالة الاكراه الملجئ ، ولا يجوز

بحال من الأحوال فى الاكراه الناقص غير الملجئ .

ويدخل فى ذلك الاكراه على التلفظ بكلمة الكفر أو سب النبي صلى الله عليه وسلم

أو أحد من الأنبياء أو السجود للصنم أو الاكراه على إنكار شئ معلوم من الدين بالضرورة

أو ماشابه ذلك ما سنجد تفصيله فى أحكام التقية

(١) التفسير الكبير ١٢٣ / ٢٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٧ / ٤

(٣) سبقت ترجمته ص / ٣٠ من هذا البحث .

(٤) روح المعاني ١٢١ / ٣

ثانيا : التقية في التظاهر بشئ من المعاصي :

الرخصة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي في التظاهر بالكفر لمن أكره عليه وقد استدل العلماء بهذه النصوص القرآنية من باب الأولى على جواز التظاهر بشئ من المعاصي عند الاكراه .

قال الامام القرطبي :

(لما سمح الله عز وجل بالكفر به ^{أي تظاهراً} وهو أصل الشريعة عند الاكراه ، ولم يواخذ به ، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها ، فاذا وقع الاكراه عليها لم يواخذ به ولم يترتب عليه حكم) (١)

فالتظاهر بشئ من المحرمات عند الاكراه جائز، على أن لا يكون ذلك مما لا يتعدى ضرره الى الغير . (٢)

وهذه المحرمات تختلف درجة الحرمة فيها ، فبعضها من الكبائر كشرب الخمر والقذف وشهادة الزور ، وبعضها قد لا يصل الى درجة الكبائر . (٣)

ولذلك اختلف العلماء في حد الاكراه الذي يجوز معه التظاهر بشئ من المحرمات قال الامام ابن عطية الاندلسي :

(أما بأى شئ تكون التقية وتترتب حكماً : فذلك بخوف القتل ، والخوف على الجوارح ، والضرب بالسوط ، وسائر التعذيب ، فاذا فعل بالانسان شئ من هذا أو أخافه خوفاً متمكناً ، فهو مكروه وله حكم التقية .

والسجن إكراه ، والتقييد إكراه ، والتهديد والوعيد إكراه وهذه كلها بحسب حال المكروه ، وبحسب حال الشئ الذي يُكروه عليه ، فكم من الناس ليس السجن فيهم بإكراه . . . وسائل الاكراه هي من النوع الذي يدخله فقه الحال) (٤)

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٨١/١٠

(٢) سوف نتعرض لذلك بالتفصيل في مبحث خاص انظر ص/١٣٨ من هذا البحث

(٣) قال الامام العزبن عبد السلام في قواعد الأحكام ٢٤/١ : (ضبط بعض العلماء الكبائر بان قال كل ذنب تُرَن به وهيد أو حُدُّ أو لعن فهو من الكبائر)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للامام ابى عبد الحق بن عطية الاندلسي

وقال أيضاً :

(يعتبر الاكراه عندى بحسب همّة المكروه وقدره فى الدين ، وحسب الشئ يكره عليه

فقد يكون الضرب اكراها فى شئ د ون شئ)^(١)

وقال الامام القوطبى :

(اختلف العلماء فى حدّ الاكراه ، فروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ليس الرجل

آمن على نفسه اذا أخفته أو أوثقته ... أو ضربته ... وقال النخعي : القيّد

اكراه ، والسجن اكراه ... والوعيد المخوّف اكراه ، وإن لم يقع ، اذا تحقق

ظلم ذلك المتعدى وانفاذه لما يتوعد به ، وليس عند مالك وأصحابه فى الضرب

والسجن توقيت ، إنما هو ما كان يؤلم من الضرب ، وما كان من سجن يدخل منه

الضيق على المكروه)^(٢)

- ونقل الامام السيوطى عن الامام النووى قوله :

(إن الاكراه يحصل بكل ما يؤثر العاقل الاقدام عليه ، حذراً ما هُدّد به ، وذلك

يختلف باختلاف الاشخاص ، والافعال المطلوبة ، والأمور المخوّف بها ، فقد يكون

الشئ اكراها فى شئ د ون غيره ، وفى حق شخص د ون غيره)^(٣)

ونستنتج من النصوص السابقة أن حد الاكراه الذى يبيح التظاهر بشئ من المعاصى

يختلف باختلاف العوامل التالية :

١ - بحسب اختلاف نوع المعصية :

فالاكراه على شرب الخمر ، يختلف عن الاكراه على الجلوس على مائدة الخمر ون المشاركة

فى الشرب ، مع أن كلا الفعلين معصية لكن شرب الخمر من الكبائر ، والجلوس على مائدته

من الصفائر .

(١) المرجع السابق ٥١٩/٨

(٢) تفسير القوطبى ١٩٠/١٠

(٣) انشباؤه والنظائر للسيوطى ص ٢٢٩

٢ - بحسب اختلاف الاشخاص :

لأن الناس يتفاوتون في درجات الصبر وتحمل الأذى كما يتفاوتون في مكانتهم الاجتماعية فكم من الناس ليس السجن فيهم بإكراه لأنهم لا يبالون به ، وهناك آخرون يفضلون القتل على الإهانة أو الضرب أو السجن .

قال الامام ابن قدامة : (فأما الضرب اليسير ، فإن كان في حق من لا يبالى به فليس بإكراه ، وإن كان من ذوى المروءات على وجه يكون إخراجاً لصاحبه ، وضاً له وتشهيراً في حقه ، فهو كالضرب الكبير في حق غيره (١))

وقال الامام السرخسي :

(والحد في الحبس الذي هو اكراه ما يجي منه الاغتنام البين . . وليس في ذلك حد لا يزداد عليه ولا ينقص منه . . . لأن ذلك يختلف باختلاف أحوال الناس ، فالوجه الذي يضع الحبس من جأه تأثير الحبس والعقد يوماً في حقه فوق تأثير حبس شهر في حق غيره (٢)) .

٣ - بحسب اختلاف وسيلة الاكراه : فهناك وسائل للاكراه قد لا تؤدى الى القتل أو القطع

أو تلف العضو لكنها تدخل الغم على القلب أكثر من التهديد بالقتل لوحشيتها وقسوتها وقد روى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : (فتنة السوط أشد من فتنة السيف (٣)) وهناك وسائل استحدثتها المدنية المعاصرة تفوق في شدتها ما كان يطلق عليه الفقهاء الاكراه الملجئ ومع ذلك فهي لا تؤدى الى القتل أو قطع العضو أو تلفه ، بل تؤدى الى آلام شديدة قد يتمنى المرء بسببها أن يقتل ليتخلص من العذاب .

(١) المغنى ٣٨٤/٢

(٢) المبسوط ٥١/٢٤ - ٥٢

(٣) المرجع السابق ٤٦/٢٤

دراسة قول مروى عن ابن مسعود رضی الله عنه

روى الامام ابن أبى شيبة فى مصنفه بسنده عن ابن مسعود رضی الله عنه قال :

(١) (ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يد رأ عني به ما بين سوط الى سوطين إلا كنت متكلماً به)

وروى الامام ابن حزم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال :

(٢) (ما من ندى سلطان يريد أن يكلفني كلاماً يد رأ عني سوطاً أو سوطين إلا كنت متكلماً به)

وهذا النص لابد من تقييده بما ينفي عنه العموم والاطلاق

فلا يظن بالصحابي الجليل ابن مسعود رضی الله عنه أنه يقصد به جواز الاقدام على قول أو فعل محرم ليد رأ سوطاً أو سوطين .

ولذلك قال الامام السرخسي :

(انما نضع هذا - القول - على الرخصة فيما فيه الالم الشديد ، وإن كان من سوطين

فأما أن نقول السوطان اللذان لا يخاف منهما تلف يوجبان الرخصة له فى إجراء كلمة الشرك فهذا ما لا يجوز أن يُظن بعبد الله رضی الله عنه)

ثم قال : (وقيل : السوطان فى حقه كان يخاف منهما التلف ، لضعف نفسه ، فقد كان

بهذه الصفة على ما روى أنه صعد شجرة يوماً فضحكت الصحابة رضی الله عنهم من دقة ساقيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتضحكوا فهما ثقلان فى الميزان ") (٣)

فكلام ابن مسعود يُحمل على أمرين :

أحدهما : أنه لبيان الرخصة فيما فيه الالم الشديد ولو من السوطين

والآخر : أنه خاص به لتأذيه من السوطين ، لضعف كان فى جسمه

(١) مصنف ابن أبى شيبة ٣٥٩ / ١٢

(٢) المحلى ٣٣٦ / ٨ وأورد هذا القول الامام السرخسي فى المبسوط ٥٠ / ٢٤ والامام

ابن عطية فى المحرر الوجيز ٣٨١ / ٢ ، كما روى الحافظ ابن أبى شيبة فى مصنفه

(٣٥٩ / ١٢) هذا الأثر بسنده عن علي بن مسهر (وهو ثقة : تقريب التهذيب

ص / ٤٠٥) عن أبى حيان (يحيى بن سعيد ، وهو ثقة : تقريب ٥٩٠) عن أبيه

(سعيد التيمي ، وهو ثقة : تقريب ٢٣٤) عن الحارث بن سويد (وهو ثقة ثبت :

تقريب ١٤٦) - راجع تقريب التهذيب بتحقيق الشيخ محمد عوامة .

(٣) المبسوط ٥٠ / ٢٤ والحديث رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي فى مجمع الزوائد ٩٩٠ / ٩

(٤) الاكراه فى الشريعة الاسلامية - للدكتور فخرى أبو صفية - ص / ٤٤ - طبع المدينة

المنورة ١٤٠٢ هـ .

كما أن هذا الكلام من ابن مسعود خاص بالاكراه على الاقوال ، وهذا واضح من قوله (يريد أن يكلفني كلاماً) ، أما الافعال فالضرر فيها أشد ، ولا يُعقل أن يُقدم مسلم على شرب الخمر مثلاً ليدراً عنه سوطاً أو سوطين .

حصول المشقة وإبادة الأخذ بالتقية :

قد يفهم البعض ما أورده العلماء أن حد الاكراه على شيء من المعاصي يختلف باختلاف الأشخاص ، وأن هذا مما يدخل في فقه الحال ، فيفتي لنفسه في مسألة من المسائل أنه مُكره مع أنه ليس بمكره ، ويستبيح لنفسه الوقوع في المحرم بهذه الحجة ، ويأخذ بالرخصة لاليدفع عن نفسه الخوف والخطر وإنما ليدفع عنها المشقة ويبعد عنها الحرج .

وهذا أخطر الأمور ، لأن مجرد حصول المشقة أو وجود الحرج لا يؤدي إلى استباحة المحرم بل لابد من وجود الاكراه والخوف بالشروط التي سبق ذكرها .

وقد حذر الامام الشاطبي من خطر التساهل في ذلك دفعا للحرج وما يتوهمه الانسان من مشقة فقال : (إن أسباب الرخص أكثر ما تكون مقدرة وتوهمه لا محققة ، وربما عدها شديدة وهي خفيفة في نفسها . . ولو تتبع الانسان الوهم لرمى به في مهاوٍ بعيدة ، ولأبطل عليه أعمالاً كثيرة . . وقد تكون - المشقة - شديدة ولكن الانسان مطلوب بالصبر في ذات الله والعمل على مرضاته ، وفي الصحيح " من يصبر يصبره الله " (١) . وقال تعالى : " والله مع الصابرين " (٢) . (٣)

ثم قال محذراً من اتباع الهوى في تقدير الضرورة واستباحة المحرم :

(كثيراً ما تدخل المشقات وتزايد من جهة مخالفة الهوى ، واتباع الهوى ضد اتباع الشريعة ،

في كتاب وجوب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه ٢٥٦/١ بلفظ : (ومن يتصبر يصبره

الله ، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)

(٢) سورة الانفال / آية ٦٦

(٣) الموافقات في أصول الاحكام ٢٢٤/١ - ٢٢٥

فالمستبح لهواه يشق عليه كل شيء ، سواء أكان في نفسه شاقاً أم لم يكن . . . فإذا كان المكلف قد ألقى هواه ونهى نفسه عنه ، وتوجّه الى العمل بما كُلف به خفّاً عليه ، ولا يزال بحكم الاعتقاد يداخله حبه ، ويحلّوله مُرّه ، حتى يصير ضده ثقيلاً عليه بعد ما كان الامر بخلاف ذلك . . . فالشاق على الاطلاق في هذا المقام هو ما لا يطيقه من حيث هو مكلف (١) .

كما بين الامام ابن القيم أن حصول التعب والعناء لا يعتبر سبباً للرخصة ، فقال :
(إن كانت المشقة مشقة تعب ، فمضالج الدنيا والاخرة منوطة بالتعب ، ولا راحة لمن لا تعب له ، بل على قدر التعب تكون الراحة) (٢)

وهكذا نجد أن مجرد حصول العناء لا يبيح التقية ولا قدام على شيء من المعاصي ، بل لابد من حصول المشقة الشديدة التي يصعب على المكلف تحملها ، وذلك بأن يتعرض للمتهدد والاكراه ويؤدي امتناعه عن ذلك المحرم الى ضرر أكبر ، وعند ذلك يباح له الاخذ بالتقية ارتكاباً لا خف الضررين وأهون الشرين .

ولقد نص العلماء على كثير من القواعد الشرعية التي يمكن من خلالها تقدير حالة الضرورة في استباحة المحرم .

وأبرز هذه القواعد ما يلي :

القواعد الشرعية في تحديد الضرورة :

١ - الضرورات تبيح المحظورات : (٣)

ودليل هذه القاعدة الايات الكريمة التي أباحت للمضطرف فعل المحرم ، ومنها قوله تعالى :

(وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) (٤)

ومن بين حالات الضرورة - كما أسلفنا - الاكراه ، فمن تعرض للاكراه حلّ له الإقدام على

(١) المرجع السابق ٢٢٥/١

(٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين ١١٢/٢

(٣) نظرية الضرورة الشرعية للدكتور وهبه الزحيلي ص/٢٢٥ مؤسسة الرسالة - الطبعة

الرابعة ١٤٠٥ هـ

(٤) سورة الانعام / آية ١١٩

ما أكره عليه ، على أن لا يكون في ذلك ضرر متعدد لغيره من المسلمين ، كما سنرى تفصيله
في أحكام التقية

٢ - الضرورة تقدر بقدرها : (١)

ومعنى هذه القاعدة أن كل ما أبيح للضرورة من فعل أو ترك ، فأنما يُباح بالقدر الذى
يدفع به الضرر والذى ، ودليل هذه القاعدة قوله تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فلا إثم عليه) ، وهذا نهى عن تجاوز قدر الضرورة .

٣ - ما جاز لعذر ييطل بزواله : (٢)

وهذه القاعدة قريبة فى المعنى من القاعدة السابقة ومكملة لها ، ومعناها أن ما جاز
فعله بسبب عذر من الاعذار الشرعية ، فان مشروعيته تزول بزوال هذا العذر .

٤ - الاضطرار لا يُيطل حق الغير (٣)

وهذه القاعدة تقيد القاعدة الاولى : "الضرورات تبيح المحظورات" ، ومعناها أن الاضطرار
وإن كان يُسقط حق الله ويرفع الاثم والمؤاخذه ، الا أنه لا يُسقط حق انسان آخر
من الناحية المادية .

٥ - الضرر لا يُزال بالضرر : (٤)

ويقيد هذه القاعدة قاعدة أخرى نص عليها الفقهاء بقولهم : "يُتحمل الضرر الخاص
لأجل دفع الضرر العام" ، كما يقيدها قاعدة ثانية وهى : "اذا تعارض مفسدتان روعى
أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما" ، وتقضى هذه القاعدة أنه اذا لم يكن بدُّ من ارتكاب
أحد الضررين يجوز للانسان أن يرتكب أخفهما ليدفع عن نفسه الضرر الاعظم .

(١) الاشباه والنظائر للامام زين العابدين ابن نجيم ص/ ٨٦ ، نظرية الضرورة للزحيلي

ص / ٢٤٥

(٢) سورة البقرة / آية ١٧٣

(٣) الاشباه لابن نجيم ص/ ٨٦ ، نظرية الضرورة ص/ ٢٥٤

(٤) نظرية الضرورة ص/ ٢٥٩

(٥) الاشباه والنظائر للسيوطى ص/ ٩٥ وابن نجيم ص / ٨٧

٦ - درء المفسد أولى من جلب المصالح ^(١)

ومعنى هذه القاعدة انه اذا تعارضت مفسدة ومصلحة قُدِّم دفع المفسدة ، ولذلك يجوز ترك الواجب عند الاكراه دفعا للمشقة .

٧ - المشقة تجلب التيسير ^(٢)

وهذه القاعدة لا تختص بحالات الضرورة وانما تشمل جميع رخص الشرع وتخفيفاته ، والاصل فيها قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ^(٣) وقوله سبحانه : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ^(٤) والاحاديث الكثيرة التي تدل على الامر بالتيسير . والمقصود بالمشقة فيما يتعلق بالضرورة المشقة العظيمة الفادحة ^(٥) كما سبق بيانه .

(١) الاشباه لابن نجيم ص / ٩٠

(٢) الاشباه لابن نجيم ص / ٧٥ وللسيوطي ص / ٨٤

(٣) سورة البقرة / آية ١٨٥

(٤) سورة الحج / آية ٧٨

(٥) الاشباه للسيوطي ص / ٨٩

الفصل الرابع

أحكام التقية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : التقيه فى الاقوال

- ١ - كلمه الكفر وما يتصل بها .
- ٢ - الكذب واليمين الكاذبة .
- ٣ - شهادة الزور .
- ٤ - القذف والسب

المبحث الثانى : التقيه فى الفتوى

- هل تجوز التقيه فى الفتوى ؟
- موقف علماء السلف من الاكراه على الفتوى
- محنة القول بخلق القرآن
- موقف الامام أحمد من أجاب بالموافقة

المبحث الثالث : الكتمان

- أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وخطر التهاون فيه
- حكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
- الترخيىض فى السكوت عن المنكر

المبحث الرابع : التقيه فى الافعال

- الاختلاف فى جواز التقيه فى الافعال
- أحكام التقيه فى الافعال :
- ١ - الافعال التى تسقط حرمتها بالاكراه
- ٢ - أفعال لا تسقط حرمتها ولكنها تحتل الرخصة .
- ٣ - أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه ولا رخصة فيها .

المبحث الأول

التقية في الأقوال

اللسان خطره عظيم وآفاته كثيرة ، لما قد ينطق به من أقوال محرمة توقع صاحبها في النار كالكذب وشهادة الزور والقذف والغيبة والنميمة وغيرها ، بل قد ينطق اللسان كلمة واحدة تؤدي الى الكفر والردة اذا كانت معبرة عما في قلبه .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) (١)

ولكن المسلم قد يتعرض للاكراه فيضطر أن يتلفظ بكلمة محرمة ليتخلص من الاذى ، — وهذا ما رخص به الاسلام دفعاً للمشقة .

وقد ذكرنا سابقاً موقف عمار بن ياسر رضي الله عنه حينما اكراهه المشركون على الكفر ولم يتركوه حتى ذكر آلهتهم بخير ، وقلبه مطمئن بالايمان .

وانا كان التظاهر بالكفر عند الاكراه قد رخص به الاسلام ، فان العلماء حملوا عليه فروع الشريعة كلها - كما قال الامام القرطبي - فاذا وقع الاكراه عليها لم يؤاخذ به (٢) ولهذا يجوز للمسلم اذا أكره على قول محرم أن ينطق به دفعاً للاذى عن نفسه ، وأبرز

هذه الاقوال المحرمة ما يلي :

أولا - كلمة الكفر وما يتصل بها :

سبق أن ذكرنا أن الترخيص بإجراء كلمة الكفر على اللسان لا يجوز الا في حالة الاكراه التام الملجئ وهو أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه التلف إن لم يتكلم بما أكره عليه . وتشمل كلمة الكفر كل قول فيه إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة كالطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن الكريم ، أو إنكار صلاحية التشريع الاسلامي للتطبيق ، أو إنكار

(١) رواه الترمذی (١٢ / ٥) وقال حديث حسن صحيح .

(٢) تفسير القرطبي ١٨١ / ١٠

فرض من فرائض الاسلام أو ركن من أركان الايمان . . . وهذا من القسم الذى لا تسقط حرمة بالاكراه لكنه يحتل الرخصة. قال الامام علاء الدين البخاري (١)

(أما القسم الذى لا يسقط من الحرمات ويحتل الرخصة فمثل اجراء كلمة الكفر على اللسان بشرط طمأنينة القلب . . . وذلك لان حرمة اجراء كلمة الكفر لا تحتل السقوط، لان — التوحيد واجب على العباد الى الابد . . . والكفر بالله تعالى حرام دائما الى الابد لا تسقط حرمة بالاكراه، بلبقى حراما مع الاكراه، الا أنه رخص للعبد اجراء كلمة الكفر لان فيه فوات التوحيد صورة لا معنى لانه معتقد وحدانية الله تعالى بالقلب وهو الأصل (٢) وقال الامام العزيز بن عبد السلام (٣)

(التلغظ بكلمة الكفر مفسدة محرمة لكنه جائز بالحكاية والاكراه، اذا كان قلب المكروه مطمئنا بالايمان، لأن حفظ المهرج والارواح أكمل مصلحة من مفسدة التلغظ بكلمة لا يعتقد ها الجنان ولو صبر عليها لكان أفضل لما فيه من اعتزاز الدين واجلال رب العالمين (٤)

ويشترط لجواز التظاهر بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ* ثلاثة شروط هي :

١ - أن يكون القلب مطمئناً بالايمان :

وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى :

(١) سبقت ترجمته ص/٥٢ من هذا البحث

(٢) كشف الاسرار عن أصول البزوى ٣٩٩/٤

(٣) هو الامام عبد العزيز بن عبد السلام السلي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء،

فقيه شافعي ولد في دمشق سنة ٥٧٧ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ .

(راجع ترجمته في الاعلام ٢١/٤)

(٤) قواعد الاحكام في مصالح الأنام - للعزيز بن عبد السلام - ٩٨/١ - ٩٩ هـ -

تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع دار الشروق بالقاهرة ١٣٨٨ هـ

(من كفر بالله من بعد إيمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)^(١)

لأن المكروه لاسلطان له على من أكرهه إلا بما يحمله عليه من التلفظ ، أما حقيقة ما استقر في قلب المكروه فلا سبيل له عليه ، فالأكراه لاسلطان له على تحويل القلب ——— طمأنينة بالإيمان الى انشراحه بالكفر .

قال الامام ابن العربي في تفسيره :

(أما الكفر بالله فذلك جائز له - أي للمكروه - بغير خلاف - على شرط أن يلفظ بلسانه وقلبه منشراح بالإيمان ، فان ساعد قلبه في الكفر لسانه كان آثمًا كافرًا ، لان الأكراه لاسلطان له في الباطن ، وانما سلطته على الظاهر)^(٢)

٢ - استخدام المعارض والتورية فيما يقول :

وذلك بأن يتلفظ بكلام يفهم السامع منه معنى، ولكنه في نفسه يقصد معنى آخر .^(٣)
وقد نقل الامام الخازن^(٤) في تفسيره الاجماع على أنه لا يجوز لمن أكره على التلفظ بكلمة الكفر أن يأتي بها تصريحًا بل لابد أن يأتي بالمعارض^(٥)

كما ذكر ذلك الامام الجصاص فقال :

(ابيح له - أي للمكروه - في حالة الأكراه أن يظهر كلمة الكفر ، ومعارض بها غيره إذا خطر ذلك بباله ، فإن لم يفعل ذلك مع خطورة بباله كان كافرًا . . .)

(١) سورة النحل / آية ١٠٦

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١١٧٨/٣

(٣) سوف نتحدث بالتفصيل عن المعارض ص/١٥٣ من هذا البحث

(٤) هو الامام علي بن محمد بن ابراهيم الشيخ، علاء الدين، المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث ، من فقهاء الشافعية، نسبت الى (شيعة) من أعمال حلب ولد ببغداد سنة (٦٧٨ هـ) وسكن دمشق وكان خازن الكتب بأحد مدارسها وتوفي بحلب سنة (٧٤١ هـ) . - الاعلام ٥/٥

(٥) لباب التأهيل في معاني التنزيل للامام الخازن ١٤٦/٣

فإذا أكرهه الكفار على أن يشتم محمداً صلى الله عليه وسلم فخطر بباله أن يشتم محمداً آخر غيره فلم يفعل وشتم النبي صلى الله عليه وسلم كان كافراً . . فإن أعجلوه عن الروية ولم يخطر بباله شيء وقال ما أكره عليه أو فعل لم يكن كافراً إذا كان قلبه مطمئناً بالآيمان ^(١)

ونص على ذلك الامام ابن العربي في تفسيره فقال :

(قال المحققون من علمائنا إنه إذا تلفظ بالكفر لا يجوز له أن يجري على لسانه إلا جريان المعارض ، متى لم يكن كذلك كان كافراً أيضاً ، وهو الصحيح ، فان المعارض أيضاً لاسلطان للاكراه عليها ، مثاله أن يُقال له : اكفر بالله ، فيقول : أنا كافر بالله ، يريد باللاهي ، ويحذف الياء كما تحذف من الغازي والرامي والقاضي . . وكذلك إذا قيل له اكفر بالنبي ، فيقول : هو كافر بالنبي ، وهو يريد بالنبي المكان المرتفع من الأرض) ^(٢)

وهكذا يجب على المكروه أن يخالف المكروه في قصده إلى إيقاع لفظ الكفر ، فيخالفه باضمار خلاف ما أكره عليه وهذا تأكيد لأطمئنان قلبه بالآيمان .

ولكن ينبغي أن يقيّد هذا الشرط بقيد ين ^(٣) :

الاول : امكانية التورية ، فقد ينخلق على المكروه ذهنه فيحار في الاتيان بالتورية لما يمتلكه من الخوف والهلع ، مما لا يبقى معه فسحة للتروي والتمعن ، خاصة وأن التورية فسي الالفاظ تعتمد على معرفة اللغة ووجوه تصريف الكلام ، وقد ضعفت هذه الملكة في زماننا . فينبغي أن يقيّد اشتراط التورية بالقدرة عليها ، وهذا مانص عليه الامام ابن عابدين ^(٤) فسي حاشيته فقال :

(إن التورية إنما تلزم عند ظهورها ، فإذا خطرت لزمته)

الثاني : أن يكون الأمر المكروه عليه مما يحتمل التورية ، كما في الاكراه على السب أو السجود وهناك صور لا تحتمل التورية كالاكراه على إلقاء المصحف في القدر والنجاسة ، فلا يمكن

(١) أحكام القرآن للجصاص ١٩٢/٣

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢٨/٣

(٣) الاكراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى شقرة ص/ ١١٦ - ١١٧

(٤) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابد بن الدمشقي ، امام الحنفية في عصره ، توفي في

دمشق سنة (٢٥٢ هـ) وأشهر كتبه : (رد المحتار على الدر المختار) ويعرف باسم

(حاشية ابن عابدين) ، وله كتب أخرى كثيرة . - راجع ترجمته في الاعلام ٤٢/٦ -

للمكره على ذلك أن يورى بشئ . وهذا ماسنراه عند الحديث عن التقية فى الأفعال .

٣ - ألا يكون ممن يُقتدى به فى ذلك :

إذا أكره شخص على النطق بكلمة تؤدى الى الكفر ، وكان ممن يقتدى به ويستمع الى قوله لمكانته العلمية بين الناس ، ويخشى أن يخفى الحق على الجاهلين وأن يضعف ايمانهم فلا يجوز له أن يستخدم التقية لأن هذا سيؤدى الى ضرر متعد وافساد للآخرين وقد قال الامام أحمد بن حنبل : (إذا أجاب العالم تقية والجاهل بجهل فمضى يتبين الحق ؟) (٢)

وسنرى تفصيل هذا الشرط بعد صفحات عند الحديث عن التقية فى الفتوى .

ثانياً - الكذب واليمين الكاذبة

الكذب من المحرمات ، ولكن حرمة تختلف بحسب نوعه ، فلو كذب انسان على غيره كذبا يؤدى الى ترويعه أو اضلاله أو يُقتل بسببه فهذا من الكبائر ، أما لو كان هـذا الكذب سيؤدى الى أن تؤخذ منه ثمرة فلا يكون ذلك من الكبائر (٣) وعلى حسب اختلاف نوع الكذب وفسدته يختلف حد الاكراه الذى يبيح الاقدام عليه فالكذب الذى يؤدى الى قتل مسلم معصوم الدم لا يجوز بحال من الاحوال ، ولو كان بسبب الاكراه الملجئ (٤) .

والكذب فيما لا يضر غيره ولا يؤدى الى مفسدة يجوز الاقدام عليه بسبب الاكراه الناقص للتخلص من الحبس أو الضرب اليسير .

وكذلك الأمر بالنسبة لليمين الكاذبة فانها لا تنعقد بالاكراه ولا يحنت صاحبها .

قال الامام ابن رجب الحنبلي :

(١) حاشية رد المحتار ٦ / ١٣٤

(٢) البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى ٢ / ٤٢٤

وراجع تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠ / ٨

(٣) انظر: قواعد الاحكام للعزبن عبدالسلام ١ / ٢٣

(٤) سنتحدث بالتفصيل عن تحريم قتل الغير والتسبب به مهما كان الاكراه فى ذلك .

(لوأكره على الحلف بيمين لحق نفسه ، فحلف دفعاً للظلم عنه لم تنعقد يمينه ، ولو أكره على الحلف لدفع الظلم عن غيره فحلف . . فلا تنعقد أيضاً وهو الاظهر) .^(١)

- وأورد الامام القرطبي عن أبي شيبة قال : (سألت أنس بن مالك عن الرجل يؤخذ بالرجل هل ترى أن يحلف ليقه بيمينه ؟ فقال : نعم ، ولأن أحلف سبعين يميناً وأحنث أحب السيِّ أن أدلَّ على مسلم) .^(٢)

- كما أورد قصة في ذلك عن ادريس بن يحيى قال :

(كان الوليد بن عبد الملك^(٣) يأمر جواسيسه يتجسسون الخلق يأتونه بالاخبار ، قال : فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حيوة^(٤) ، فسمع بعضهم يقع في الوليد ، فرفع ذلك اليه فقال - أي الوليد - : يا رجاء أذكر بالسوء في مجلسك ولم تغير !

فقال : ما كان ذلك يا أمير المؤمنين

فقال له الوليد : قل : الله الذي لا اله الا هو .

قال : الله الذي لا اله الا هو .

فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطاً ، فكان يلقي رجاء فيقول : يا رجاء ، بك يُستسقى المطر^(٥) ، وسبعون سوطاً في ظهرى !

فيقول رجاء : سبعون سوطاً في ظهرك خير لك من أن يُقتل رجل مسلم)^(٦)

(١) القواعد لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ) ص / ٣٧

(٢) تفسير القرطبي ١٨٩ / ١٠

(٣) هو أحد خلفاء الدولة الأموية ولد عام ٤٨ هـ وتولى الخلافة عام ٨٦ هـ وتوفي عام

٩٦ هـ - راجع ترجمته في الاعلام ١٢١ / ٨ -

(٤) هو الامام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي ، شيخ أهل الشام في عصره ، وهو الذي

أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة (١٢٠ هـ)

- الاعلام ١٧ / ٣ -

(٥) أي : يُستسقى المطر بدعائك ، وهذا إشارة إلى صلاحه وتقواه .

(٦) تفسير القرطبي ١٩٠ / ١٠

ثالثا - شهادة الزور

شهادة الزور نوع من أنواع الكذب ، بل هي من أخطر أنواع الكذب وأكبر الكبائر وقد روى البخارى ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الاشرار بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقيل الزور) .^(١)

ولذلك لا بد من بيان الحكم الشرعى فيمن أكره على شهادة الزور ، هل يجوز له أن يشهد بالزور ويستخدم التقية أولا ؟

ولاجابة على هذا السؤال لا بد من التمييز بين نوعين من شهادة الزور .

النوع الاول : اذا كانت هذه الشهادة ستؤدي الى قتل مسلم معصوم الدم أو قطع عضو منه بغير حق أو إحلال فرج محرم ، فلا يجوز ذلك ولو كان بسبب الاكراه الملجئ . قال الامام العزبن عبدالسلام :

(لو أكره بالقتل على شهادة زور أو على حكم بباطل ، فان كان الاكراه على الشهادة به أو الحكم به قتلاً ، أو قطع عضو ، أو إحلال بضع محرم لم تجز الشهادة ولا الحكم ، لأن الاستسلام للقتل أولى من التسبب الى قتل مسلم بغير ذنب ، أو قطع عضو بغير جرم ، أو اتيان بضع محرم)^(٢)

ومن أمثلة الاكراه على شهادة الزور التى تؤدى الى اتيان بضع محرم ، أن يأتى بشهادة زور مكرهين ليشهدوا على امرأة أنها زوجته مع أنها ليست زوجته ، أو يأتى بهم ليشهدوا كذباً على أن فلانا طلق زوجته ثلاثاً ليمكن هو من زواجها بعد ذلك ، أو ليشهدوا على أن زوجها قد ارتد لكي يحكم القاضى بطلاقها ويمكن هو من زواجها . وفى كل هذه الامثلة السابقة يعد وطؤ المرأة زنى لأنها لا تجوز له ، ويعد الشهود متسببين فى هذا الزنى ، وهذا لا يجوز ولو مع الاكراه الملجئ .

النوع الثانى : اذا كانت شهادة الزور ستؤدى الى مفسدة أقل من المفسد السابقة

(١) رواه البخارى ١٠٢/٢ فى كتاب الشهادات ، باب ما قيل فى شهادة الزور - ومسلم ٦٤/١ فى كتاب الإيمان باب بياض الكبائر

(٢) قواعد الاحكام ٩٣/١

كالشهادة التي تؤدي الى اتلاف مال للغير ، فهذا النوع تجوز التقية فيه ، ولكن بشرط أن يكون بسبب الاكراه الملجئ^(١) لأنه يؤدي الى استباحة كبيرة من الكبائر .

قال الامام العزبن عبد السلام :

(شهادة الزور مفسدة كبيرة ، فان أكره عليها بالقتل أو بما يؤدي الى القتل كقطع عضو ، فان كان المشهود به يتضمن قتل نفس معصومة أو زنا أو لواطاً لم يجز . . . وان كانت الشهادة بغير ذلك جازت ، لأن حرمة نفس الشاهد أعظم من حرمة ما أكره على الشهادة به)^(١)

وهناك أقوال أخرى محرمة قد يقع الاكراه عليها ، منها :

القذف : وهوا اتهام برئ بالزنى ، وقد قال العلماء انه يباح بالاكراه إن لم يجب به حدٌ على القذوف ويمكن أن يلحق بالتلفظ بكلمة الكفر ، أى لا يجوز الا فى الاكراه الملجئ . ولا يُنظر الى تعلقه بالمقذوف لأنه لم يتضرر به^(٢)

السب : وما يتصل به كالسخرية والشتم واللعن ، فهذا أيضاً لا يجوز الا فى الاكراه الملجئ ، كما قال بعض العلماء^(٣) ، وقال بعضهم : يجوز سب غير الصحابي لمن تخوف بمؤلم - أى فى الاكراه غير الملجئ - أما الصحابي فلا يجوز سبه الا بالتخوف بالقتل^(٤) .

وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن موضوعين مهمين لهما صلة بالتقية فى الاقوال وهما :
التقية فى الفتوى ، والكتمان . ولا بد لنا من الحديث عنهما بالتفصيل لشدة ما وقع فيه الشيعة وغيرهم من انحرافات فى هذين المجالين :

(١) قواعد الاحكام ١٠٤/١

(٢) انظر الاشباه والنظائر للسيوطى ص/ ٢٢٢

(٣) انظر حاشية رد المحتار للامام ابن عابدين ١١٦/٥

(٤) انظر حاشية الدسوقي على الشرح ٣٦٩/٢

المبحث الثاني التقية في الفتوى

أهل الفتوى هم العلماء الذين جعلهم الله ورثة الانبياء ، وحملهم هذه الامانة ليكونوا أمناء على أحكام الله أوفياء في تبليغها للناس .
والأصل في المستفتي أنه يسأل عما يشكل عليه من أحكام الاسلام ، ليعتقد بها إن كانت في مسألة اعتقادية ، وليعمل بها إن كانت في حكم من الأحكام العملية .
ولذلك كان لزماً على العلماء أن يدركوا خطر الفتوى وأهميتها ، وأن لا يصدر من أحد هم فتوى في مسألة ما إلا عن علم بأحكامها .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من خطر التسرع في الفتوى ، ويُن أن من أفق بغير علم فانه يتحمل إثم هذه الفتوى ومسؤوليتها .

روى الامام أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

(من قال عليّ ما لم أقل ، فليتبوأ بيّتاً في جهنم ، ومن أفق بغير علم كان إثمه على من أفقاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خان)^(١)

وقد أورد الامام ابن القيم هذا الحديث في (اعلام الموقعين) ثم عقب عليه بقوله :
(وخطر الفتى أعظم من خطر القاضي ، لأن فتواه شريعة عامة تتعلق بالمستفتي وغيره)^(٢)
وذلك لأن الفتوى إذا صدرت من عالم فإن الناس يتناقلونها ويعملون بها ، فان كانت صادرة عن جهل ضل الناس بسببها ، وهذا ما يحصل إذا أصبح الجهال رؤوس الامم ومتصدري الفتوى فيها .

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول :

(١) سنن أبي داود ٦٦/٤ كتاب العلم ، باب التوقي في الفسأ ، وصححه الألباني في تحريجه لأهله

مشكاة المصابيح للبرزى ٨١/١

(٢) اعلام الموقعين عن رب العالمين ٣٨/١

(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)^(١)
 فالفتوى أمرها خطير ومسؤوليتها جسيمة ، وقد تضل بسببها أمة كاملة وتستباح بسببها المحرمات .

وشر الناس من يفتي بغير علم فيحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله .
 قال تعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب الكذب)^(٢)
 قال الامام ابن الصلاح^(٣) في تعليقه على هذه الآية : (قوله تعالى : " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم " . شامل بمعناه من زاغ في فتواه ، فقال في الحرام هذا حلال ، أو في الحلال هذا حرام)^(٤) .

ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يتدافعون الفتوى إدراكاً لخطورها .
 روى الانام ابن الصلاح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال :
 (أدركت عشرين مائة من الأنصار ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا ، وهذا الى هذا حتى ترجع الى الأول) .
 وفي روايه : (ما منهم من أحد يحدث بحديث الا ودد أن أخاه كفاه إياه ، ولا يُستفتى عن شيء الا ودد أن أخاه كفاه الفتيا)^(٥)

(١) صحيح البخاري ٣٠ / ١ كتاب العلم ، باب كيف يُقبض العلم .

(٢) سورة النحل / آية ١١٦ ، ١١٧

(٣) هو الامام عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) الشهرزوري ، أبو عمرو ، تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح ، من أبرز علماء الحديث ، ولد في شهرزور ، وتوفي في دمشق سنة (٦٤٣ هـ) . - الاعلام ٢٠٧ / ٤ -

(٤) أدب المفتي والمستفتي للامام أبي عمرو ابن الصلاح - ص / ٨٥

تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر - مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة

- ط ١ - ١٤٠٧ هـ

(٥) المرجع السابق ص / ٧٥

حكم التقية في الفتوى ؟

إذا أكره العالم على أن يفتي بفتوى باطلة فهل يجوز له أن يفتي بها تظاهراً لينجو

من العذاب ويتخلص من التهديد والوعيد ؟

وهل التقية في الفتوى جائزة في حالة الاكراه أولاً ؟

للجواب على هذا السؤال لابد لنا من بيان الفرق بين الاكراه على الفتوى الباطلة

والاكراه على التلفظ بكلمة الكفر ، فالتلفظ بكلمة الكفر لا يتعدى ضرره الى الغير ، ولا يلحق

الفساد بعقيدة الآخرين أما الفتوى الباطلة فانها قد تلحق الفساد بعقيدة أمه بأسرها

ويتخذ الظالم هذه الفتوى حجة له أمام الناس وتبريراً لما يقوم به من محرمات .

والتقية في الفتوى تكون بأحد أمرين :

الأمر الاول : السكوت عن فتوى الحق فيما يجب إظهاره .

الأمر الثاني : الافتاء بالباطل .

قال الامام ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) :

(ومن تلبس ابليس على الفقهاء : مخالطتهم الامراء والسلاطين ، وداهنتهم

وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك ، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا

من دنياهم عرضاً .

فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه :

الاول : الأمير ، يقول لولا أنني على صواب لأنكر عليّ الفقيه ، وكيف لا أكون مصيئاً وهو

يأكل من مالي .

والثاني : العامي ، أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه

لا يبرح عنده .

والثالث : الفقيه ، فإنه يفسد دينه بذلك (١)

وهكذا نجد أن الفرق كبير بين التقية في التظاهر بالكفر، والتقية في الفتوى، فلا يمكن أن نقيس أحدهما على الآخر، ولا يجوز للعالم أن يُقدم على التلطف بفتوى باطلة مهما كان الاكراه ملجئاً، والتهديد كبيراً ولو أدى ذلك إلى قتله، لأنه لو أفتى بغير الحق لينقذ نفسه فقد أضل الناس وساعد على طغيان الباطل، وإذا صبر حتى قُتل ففي هذا سلامة عقائد الناس وهدم إضلالهم (١).

- ولقد ضرب العلماء من سلفنا الصالح أروع الأمثلة في صلابة مواقفهم من انحراف عن الاسلام، متحملين بصبر وشجاعة كل ما ينالهم بسبب الجهر بكلمة الحق فأظهروا بذلك عزة الاسلام، وكانوا أعزة بهذا الدين حينما ادوا واجبهم نحو، وكانوا أشد الناس خشية من ربهم، يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، فاستحقوا وصف الله تعالى لهم: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٢).

ثم لما ضيَّع العلماء هذا الواجب بالسكوت عن كلمة الحق والتهاون في حمل لواء الدعوة، فقد واكرامتهم وسيادتهم، حتى أصبح بعضهم اليوم يصدر عن الفتاوى تزلفاً للحكام في الأنظمة العلمانية في بعض البلاد الإسلامية والتماساً لرضاهم.

موقف علماء السلف من الاكراه على الفتوى :

تعرض كثير من علماء السلف الصالح للمحن والشدائد لكي يتلفظ أحد هم بفتوى يتخذها الحكام آنذاك حجة لما يقومون به من أعمال وما يريدون فرضه على الناس من عقائد.

ولو استعرضنا كتب التاريخ والتراجم لوجدنا أنه قلما نجا عالم من هذه المحن منذ القرون الأولى بدءاً من سعيد بن المسيب ومروراً بالأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وابن تيمية وغيرهم : (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وواضعفو واستكانوا) (٣)

(١) الاكراه في الشريعة الإسلامية للدكتور فخري أبو صفية ص/ ٢٢٢ - ٢٢٣

(٢) سورة فاطر / آية ٢٨

(٣) سورة آل عمران / آية ١٤٦

فهذا سعيد بن المسيب^(١) يصرُّ على عدم جواز البيعة لخليفتين في وقت واحد ، فيكرهه بنو أمية على البيعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان ، ولكنه يقول : لا أبايع لاثنتين ما اختلف الليل والنهار فيقول له والي المدينة : نقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم فيقول : ماذا يقول الناس ؟ يقولون بايع سعيد بن المسيب ، ما أنا بفاعل ، والله لا يقتدي بي أحد من الناس .

فما كان منهم الا أن جلدوه مائة سوط وألبسوه المسوح وطَّخُوا به أسواق المدينة وهددوه بضرب عنقه^(٢) وهو مع كل هذا ثابت على فتواه صابر على بلواه .

وهذا الامام مالك^(٣) يفتي بعدم وقوع يمين المكره أو طلاقه ، فلا يرضى العباسيون بهذه الفتوى لاستلزامها جواز التحلل من بيعة الخلفاء بالاكراه ، وينهاه أبو جعفر المنصور عن التكلم بها فيأبى الامام مالك ، ويصر على الكلام بها ، فيضرب بالسياط حتى تُخلع كتفه ، ويحمل على بعير ويطاف به ، ويقال له : ناد على نفسك . فيقول : (ألامن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس ، وأنا أقول طلاق المكره ليس بشي^(٤)) ! . والامثلة في هذا المجال كثيرة لا تنتهى ، وكلها تدل بوضوح على صبر علماء السلف الصالح وثباتهم وتمسكهم بقول الحق وعدم تنازلهم على الفتوى التي يعتقدون موافقتها للحق مهما تعرضوا له من محنة .

ولكننا سنكتفى بالحدیث عن المحنة الشديدة التي ألتمت بعلماء أهل السنة أيام العباسيين لإكراههم على القول بخلق القرآن ، وقد تعرض لهذه المحنة كثير من العلماء والمحدثين ، وتنوعت أساليب إكراههم فمنهم من أجاب ومنهم من ثبته الله .

- (١) هو سعيد بن المسيب المخزومي القرشي ، سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد سنة (١٣ هـ) وتوفي سنة (٩٤ هـ) - الأعلام ١٠٢ / ٣
- (٢) راجع : حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ١٧٠ / ٢ - ١٧١
- (٣) هو الامام مالك بن أنس الاصبحي ، امام دار الهجرة وأحد الائمة الاربعة ، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ وتوفي فيها سنة ١٧٩ هـ - الأعلام ٢٥٧ / ٥
- (٤) حلية الأولياء ٣١٦ / ٦ والإكراه في الشريعة الاسلامية ص / ٢٠٩

محنة القول بخلق القرآن :

قال الامام ابن الجوزي :

(لم يزل الناس على قانون السلف وقولهم إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة
فقالوا بخلق القرآن)^(١)

وقد كان بشر المريسي^(٢) أول القائلين بهذه البدعة في أيام هارون الرشيد ، وكان يستتر
ذلك فلما سمع به هارون قال : (إن أظفري الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط)^(٣) .

فكان بشر متواريًا أيام هارون نحوًا من عشرين سنة ، فلما مات هارون ظهر ودعي السني
ضالته ولكنها لم تنتشر زمن الأمين ، فلما تولى المأمون الخلافة خالطه قوم من المعتزلة فحسَّنوا
له هذه البدعة حتى قوى عزمه على حمل الناس على الاعتقاد بها ، فكتب الى صاحب الشرطة
ببغداد بأن يمتحن الناس فمن أجاب تركو ومن امتنع حبس وضرب^(٤) .

وكان المحرض للمأمون على هذا العمل ابن أبي دؤاد^(٥) الذي كان قاضيًا للمأمون
وكان يناظر العلماء ويحملهم قهراً على القول بمقالته .

وأبرز من اکتوى بنار هذه المحنة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله ، فلنعرض
قصته مع هذا الابتلاء بشيء من التفصيل :

محنة الامام أحمد :

أورد الامام ابن الجوزي في كتابه (مناقب الامام احمد) روايات كثيرة تعرض صوره هذه المحنة
وما حصل فيها ، نقتطف منها ما يتصل بموضوعنا :

(١) مناقب الامام أحمد بن حنبل - لابن الجوزي ص / ٣٠٨

(٢) هو بشر بن غياث المريسي فقيه معتزلي يرمى بالزندقة ، وقيل كان أبوه يهوديا ، وهو
من أهل بغداد ، توفي سنة (٢١٨ هـ) . - الاعلام ٥٥ / ٢ -

(٣) مناقب الامام أحمد ص / ٣٠٨

(٤) المرجع السابق ص / ٣٠٩ - ٣١٠

(٥) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الايادي ، أحد قضاة المعتزلة ، ورأس فتنه

القول بخلق القرآن ، توفي في بغداد مفلوجاً سنة ٢٤٠ هـ - الاعلام ١ / ٢٤٤

فقد روى بسنده عن ابي معمر القطيعي أنه قال :

(لما حضرنا في دار السلطان أيام المحنة ، وكان ابو عبد الله أحمد بن حنبل قد أحضر
وكان رجلاً لنا ، فلما رأى الناس يجيئون انتفخت أوداجه ، واحمرت عيناه وزال ذلك اللين الذي
كان فيه ، فقلت إنه قد غضب لله)^(١)

وروى أيضا بسنده عن أبي جعفر الأنباري أنه قال :

(لما حُمل أحمد بن حنبل الى المأمون أُخبرت فعبرت الفرات فاذا هو جالس في الخان فسلمت
عليه ، فقال : يا أبا جعفر تعنيت . فقلت : ليس هذا عنا .

وقلت له : يا هذا أنت اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أُجبت الى خلق القرآن —
ليجين بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل
إن لم يقتلك فانت تموت ، ولا بد من الموت ، فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء .

فجعل أحمد يبكي ويقول : ماشاء الله ، ماشاء الله . . . أعد علي ما قلت)^(٢)

وتدل هذه الرواية على مكانة الامام احمد رحمه الله ، كما تدل على خطر الاجابة بـ "فـ"
الفتوى وخاصة من يُقتدى به .

وما يؤكّد ذلك ما قاله للامام أحمد أحد الذين ثبتوا معه في هذه المحنة وهو محمد بن نوح
فقد قال له : (يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، وقد مدّ الخلق
أعناقهم اليك لما يكون منك ، فاتق الله واثبت لأمر الله)^(٣)

وقد قال المروزي للامام أحمد وهو في محنته : (يا استاذ ، قال الله تعالى " ولا تقتلوا أنفسكم " .
فقال أحمد : يا مروزي اخرج انظر أي شيء ترى .

قال المروزي : فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم الا الله
والصحف في أيديهم ، والأقلام والمحابر في أذرعهم .

(١) مناقب الامام أحمد ص / ٣١١

(٢) المرجع السابق ص / ٣١٤

(٣) المرجع السابق ص / ٣١٥

فقال لهم المروزي : أي شيء تعملون ؟ فقالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبه .

فدخل الى الامام فأخبره بما رأى . فقال : يا مروزي أضل هؤلاء كلهم ؟ اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم ^(١) .

وهكذا صبر الامام احمد رحمه الله وتحمل أشد انواع العذاب والايذاء ولم ينطق بهذه الفتوى كما يريد المعتزلة لاعتقاده أن التقية في هذا المجال لا تجوز أبداً لأنها تؤدي الى إضلال الخلق وفساد الدين .

ولقد كانوا كلما ذكروه بالتقية ليأخذ بها يتذكر أحاديث الأمر بالصبر فيزداد ثباته .
روى الامام ابن الجوزي أنهم دخلوا على الامام وهو محبوس ، فجعلوا يذكرونه ما يروى من التقية من الأحاديث ، فقال أحمد : وكيف تصنعون بحديث خباب : " إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يَنْشُرُ بِالْمَنْشَارِ ثُمَّ لَا يَصْدُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ " ^(٢) فيئسوا منه .

ثم قال : لست أبالي بالحبس ، ما هو ومنزلي الا واحد ، ولا قتلاً بالسيف ، إنما أخاف فتنة بالسوط ، وأخاف أن لا أصبر .

فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك فقال : لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي . فكأنه سري عنه ^(٣) .

وهكذا ضرب رحمه الله أروع الامثلة في الصبر ، ولم يكن يخاف من القتل ، وإنما كان خوفه من عدم الصبر إذا تعرض للعذاب ، ولكن الله كان يقبض له من كان يقوى صبره ويشد من عزيمته .
وقد أورد الامام ابن الجوزي روايات كثيرة في هذا المجال ، أبرزها :

١ - قال أحمد بن حنبل : (ما سمعت كلمة كانت أوقع في قلبي من كلمة سمعتها من أعرابي في رحبة طويق ، قال لي : يا أحمد إِنَّ قَتْلَكَ الْحَقَّ مَتَّ شَهِيداً ، وَأَنْ عَشْتَ عَشْتَ حَمِيداً) ^(٤)

(١) المرجع السابق ص / ٣٢٩ - ٣٣٠

(٢) سبق تخريج هذا الحديث . انظر ص / ٣٦

(٣) المرجع السابق ص / ٣١٦ - ٣١٧

(٤) المرجع السابق ص / ٣١٣

٢ - وأرسل اليه آدم العسقلاني يقول له : (يا هذا اتق الله وتقرب اليه بما أنت فيه ، ولا يستفزك أحد ، فإنك ان شاء الله مشرف على الجنة)^(١)

٣ - وقال الامام أحمد : (لما كان الليل نام من كان معي من أصحابي - في الحبس - وأنا متفكر في أمري ، فاذا أنا برجل طويل يتخطى الناس حتى دنا مني ، فقال : أنت ابيو عبد الله . . قلت : نعم قال : اصبر ولك الجنة . قال أحمد : فلما مسني حر السوط ذكرت قول الرجل)^(٢)

٤ - وكان الامام أحمد يقول كثيراً : (غفر الله لابي الهيثم ، فقال له ولده : يا أبة مَن أبو الهيثم ؟

قال : اليوم الذي أخرجت فيه للسياط . . اذا انا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي : تعرفني ؟ قلت : لا . قال : أنا ابو الهيثم العيار ، اللص الطرار ، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أنني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق ، صبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين)^(٣)

وتسك الامام أحمد بالصبر ، ووقف كالطود الشامخ لا يأبه بما يناله من عذاب ، وكان يوجه اليه من ينظره في سجنه وكلما رآه منه إصراراً زادوا في تعذيبه وقيده ، واستمر الحال به على ذلك حتى توفي المأمون سنة (٢١٨) وخلفه المعتصم الذي استمر على تلك السيرة . وكان يهدده اذا لم يستجب بأنه سيقتله بالسيف أو سيضربه ضرباً شديداً ويلقيه في موضع لا يرى فيه الشمس .^(٤)

ولنذكر قصة واحدة من بين عشرات القصص التي يظهر منها رباطه جأش الامام أحمد وعدم ميالاته بما يتهدده من الموت .

(١) مناقب الامام أحمد ص / ٣١٨

(٢) نفسه ص / ٣٢٥

(٣) نفسه ص / ٣٣٣ - ٣٣٤

(٤) نفسه ص / ٣٢٠

فقد أدخل على الخليفة يوماً وعنده ابن أبي دؤاد وأبو عبد الرحمن الشافعي، فأجلس بين يدي الخليفة، وكانوا هلولاً عليه، وقد كانوا ضربوا عنق رجلين، فنظر الامام أحمد إلى أبي عبد الرحمن الشافعي وقال: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟

فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هوذا يُقدم به لضرب العنق يناظر في الفقه... (١)

وكان كلما اشتد الضرب عليه يقول له المعتصم: يا أحمد علام تقتل نفسك، ويحك ماتقول؟ فيقول الامام أحمد: أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل به... (٢)

ولما اشتد به التعذيب وهو على إصراره قال أحد الحاضرين في مجلس الخليفة: يا أمير المؤمنين اضرب عنقه ودمه في رقبي، فقال الامام أحمد في نفسه: جاء الفرج، تضرب عنقي واستريح. ولكن ابن أبي دؤاد قال: (لا يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإنه ان قتل أو مات فمات دارك قال الناس صبر حتى قتل، فاتخذة الناس إماماً، وثبتوا على ما هم عليه، لا ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجاً من منزلك شك الناس في أمره... (٣)

وهكذا فرج الله عن الامام أحمد وتلقاه الناس بالفرحة واجتمعوا حوله على الباب وضجوا حتى خاف الخليفة وخرج من مجلسه... (٤)

موقف الامام أحمد ممن أجاب بالموافقة:

هناك بعض العلماء أجاب في هذه المحنة لينجو من التعذيب والتهديد، وبعضهم الآخر لم يجب بصراحة وانما استخدم المعاريف فقال: القرآن والتوراة والأنجيل والزبور - يعد دهن بيده - هذه الأربعة مخلوقة، يقصد هو بقلبه أصابعه التي عدّ بها... (٥)

(١) المرجع السابق ص/ ٣٢٠

(٢) المرجع السابق ص/ ٣٢٧

(٣) (٤) المرجع السابق ص/ ٣٤٠

(٥) احكام القرآن لابن العربي ١١٢٨/٣

كما ان هناك آخرون رفضوا الاستجابة فمنهم من مات وهو صابر على ذلك ومنهم من صبر حتى فرّج الله هذه الكربة عن المسلمين .

ولقد كان موقف الامام أحمد من أجاب في هذه المحنة موقفاً صلباً يدل على أن هؤلاء الذين أجابوا ولم يشبتوا قد ارتكبوا خطأ عظيماً وأن هذا الموقف منهم لا يدخل في باب التقية ولا يُعد رخصة بل هو معصية واثم .

فقد جاء إليه أحد هؤلاء ، فلما خرج إليه الامام أحمد وراه أغلق في وجهه الباب ودخل وكان الامام أحمد قد حلف بالعهد أن لا يكلم احداً من اجاب حتى يلقي^{الله} عز وجل (١) بل إن بعض الذين أجابوا كان الامام أحمد لا يرى رواية الحديث عنهم ، ولما ماتوا لم يصل عليهم (٢)

ولقد شعر بعض هؤلاء بما وقعوا به من الائم بعد أن خرجوا من مجلس الخليفة ، فكسان أحد هم يقول وهو خارج من دار المعتصم : يا غلام قدّم الحمار فإن مولاك قد كفر ، ويقول آخر كفرنا وخرجنا (٣) وهذا يدل على عظيم ما أقدموا عليه من هذا القول وما تلفظوا به من هذه الفتوى الباطلة .

ولعلنا بهذا الاستعراض لما حصل في محنة القول بخلق القرآن نكون قد اثبتنا ان التقية في الفتوى لا تجوز أبداً ولو أدى الامتناع الى القتل اذا كانت في امر يتعلق بأصول الدين واركانه ، او يترتب عليها تضليل العباد وانتشار الفساد والظلم بين الناس .

اما اذا كانت في مسألة فرعية جزئية بحيث يكون الضرر فيها محدداً ، فان الضرورة هنا تقدر بقدرها ، ويختلف الأمر فيها بحسب نوع الاكراه ومقدار الضرر الحاصل من هذه الفتوى ومكانة المفتي بين الناس .

ولو تمكن المفتي ان يكتفي بالسكوت ، أو يقول لأعلم ، ويتقي بذلك شر من أكرهه ، فلا يجوز له أن يفتي بالباطل .

(١) مناقب الامام احمد ص/ ٣٨٩

(٢) المرجع السابق ص/ ٣٨٦

(٣) المرجع السابق ص/ ٣٨٧

ففي مثل هذه المسائل الفرعية يجب عليه كذلك عند زوال الإكراه أن يعود لتبيين الحق وتصحيح الفتوى التي صدرت منه ، أو الاعلان عن الحكم الذي اضطر سابقا للسكوت عنه .

وماذا لك إلا لأن العلماء ورثة الانبياء ، وقد حملهم الله أمانة هذا الدين وتبليغ أحكام الشرع الى الناس بلا خوف ولا وجل .

قال تعالى : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) (١)

المبحث الثالث الكتمان

الكتمان صورة رئيسة من صور التقية، وهو سكوت عن قول يجب إظهاره شرعا، ولكنه يتعذر بسبب الاكراه والخوف .

ولذلك لابد من التفصيل في هذا المجال واستعراض أقوال العلماء لمعرفة الحالات التي يجوز فيها هذا السكوت والحالات التي لا يجوز فيها .
وهناك صورتان ^(١) بارزتان للكتمان هما :

١ - كتمان شيء من عقائد الدين وأحكامه وشعائره .

٢ - السكوت عن المنكر في أمر يجب فيه الانكار شرعا .

وإذا كان الشيعة قد جعلوا هذا الكتمان أصلا من أصول الدين عندهم ونسبوا لائمتهم قولهم :

(انكم على دين من كتمه أعزه الله) وقولهم (أبى الله إلا أن يُعبد سرّاً) ^(٢) . . فإن

أهل السنة قد وضعوا ضوابط دقيقة للحالات التي يرخص فيها بالكتمان لدرء مفسده أعظم لأن الأصل في المسلم أنه يعتز بدينه ومضحي من أجله ويذل في سبيل نصرته كل ما يستطيع ولا يعبأ بكل ما يناله من مخاوف وأخطار .

والكتمان لما يجب إظهاره جريمة خطيرة ، إذا لم يكن بسبب عذر شرعي . قال الامام ابن

(١) وهناك صوره ثالثة للكتمان لكنها لا تدخل في التقية لأنها ليست كتمانا لأمر يجب

إظهاره ، وهذه الصورة هي أن يكتم الانسان نعمه أنعم الله بها عليه خشية الحسد ، وقد

ورد في ذلك حديث ضعفه المناوي في فيض القدير (٤٩٣/١) وهو قول الرسول صلى الله

عليه وسلم : (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود) وهذا

غالبا ما يكون في أمور الدنيا وأعمالها لا في أمور الدين وشعائره .

(٢) راجع مبحث : حرص الشيعة على كتمان عقائدهم . ص / ٣٤٥ من هذا البحث

تهمة : (الله تعالى قد أمر بالصدق والبيان ، ونهى عن الكذب والكتمان فيما يُحتاج الى معرفته وظهره)^(١)

قال تعالى : (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ولعنهم اللاعنون)^(٢)

والله سبحانه أخذ الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا أحكام الله للناس ولا يكتُموا شيئاً مما أنزل اليهم من ربهم فلما نقضوا الميثاق استحقوا العقاب .

قال تعالى : (وإن أخذ الله ميثاق الذين آمنوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترُونَ)^(٣)

ولقد تحدثنا فى المبحث الماضى عن واجب العلماء فى حمل أمانة هذا الدين وتبليغ أحكامه للناس وأنه لا يجوز لهم يتسببوا فى إضلال الأمة أو إفسادها بفتوى باطلة أو كتمان شئ من أحكام الدين .

والله سبحانه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين وعدم كتمان شئ منه قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)^(٤)

قال الامام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية :

(هذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتُموا شيئاً من أمر شريعته)^(٥)

وسا يؤكد أن كتمان العلم وعدم تبليغ أحكام الله الى الناس يعد جريمة فى ميزان الاسلام اذا لم يكن بعذر شرعى، مارواه الامام أحمد والترمذى وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه

(١) منهاج السنة النبوية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - ٩/١

(٢) سورة البقرة / آية ١٥٩

(٣) سورة آل عمران / آية ١٨٧

(٤) سورة المائدة / آية ٦٧

(٥) تفسير القرطبى ٢٤٢/٦

وسلم قال : (من سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) (١)

والواقع أن الجانب الرئيسي في هذا الموضوع هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لان الصورتين البارزتين للكتمان وهما : كتمان أحكام الدين ، والسكوت عن المنكر تنضويان تحته .

ولذلك كان لزاما علينا أن نبين أهمية هذا الواجب وخطر التهاون فيه ، والاعذار التي تبيح تركه ، متى يجوز استخدام التقية في ذلك .
أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطر التهاون فيه :

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والهذه الواجب الاسلامي من أهمية مكانة

منها قوله سبحانه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم :

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) (٢)

وقوله عز وجل وهو يصف هذه الأمة بما وصف به نبيها :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (٣)

ولقد حذر الله سبحانه من التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين أن بني اسرائيل لما تركوا هذا الفرض وسكتوا عن المنكرات حلت عليهم اللعنة .

قال تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوا لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٤)

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤٣١ / ١ والترمذي ٢٩ / ٥ وقال : حديث حسن .

ومز السيوطي لصحته في الجامع الصغير ، ونقل المناوي في (فيض القدير) تصحيح

الحاكم للحديث وسوافقة الذهبي عليه في كتابه (الكبائر) . - انظر: فيض القدير

شرح الجامع الصغير ١٤٦ / ٦ -

(٢) سورة الاعراف / آية ١٥٧

(٣) سورة آل عمران / آية ١١٠

(٤) سورة البقرة / آية ٦١

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال هؤلاء^{*} ما استحقوا بسببه هذه اللعنة وحذر من خطر السكوت عن انكار المنكر .

فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضى الله عنه :
(إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض) .
ثم قال صلى الله عليه وسلم : (كلا والله ، لتأمرنَّ بالمعروف وتنهونَّ عن المنكر ، ولتأخذنَّ على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أوليضرين الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم)^(١)

ومن هنا تبرز أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخطر التساهل في هذا الواجب الاسلامي وخاصة اذا كان هذا التساهل ممن أتاها الله علماً وأوجب عليهم مهمة تبليغه الى الناس وأمرهم بما يصلح دينهم ونهيهما عما فيه فسادهم .
حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال الامام النووي :

(ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقيين واذا تركه الجميع اثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ، ثم انه قد يتعين - أى يصبح فرض عين - اذا كان في موضع لا يعلم به الا هو ، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو ، كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف)^(٢)

وقال الامام ابن تيمية :

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره . . فان مناط الوجوب هو القدرة ، فيجب على كل انسان بحسب قدرته)^(٣)

(١) : رواه أبو داود في الملاحم ، باب الأمر والنهي - ورواه الترمذي في باب تفسير

سورة المائدة ٤ / ٤٦٨ وقال : حديث حسن .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٣

(٣) الحسبة في الاسلام ص / ١٢ - ١٣ ط ١٤٠٣ هـ

وقال أيضا مبينا أن ما ينال المرء من مشقه وما يصيبه من ابتلاء في سبيل تحقيق هذا الواجب لا يعنى أن يتركه ايثارا للسلامه :

(ولما كان في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الايتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنه صار في الناس من يتعلل لترك ما يجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة)^(١)

ومعد هذا البيان لمنزلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضيته . . نتساءل الان :
إذا أكره المسلم على ترك هذا الفرض ومنع من انكار المنكر ، وأجبر على السكوت وكتمان الامر بالمعروف ، وهو في موطن يتعين عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لعلمه ومكانته فهل يجوز له أن يسكت ؟ ومتى يجوز له ذلك ؟
الترخيص في السكوت عن المنكر :

الأصل في هذا الباب الحديث النبوي الذي حدد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مراتب تغيير المنكر :

روى الامام مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال :
(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان)^(٢)

وهذا الحديث ينص على وجوب تغيير المنكر باليد أو اللسان لمن قدر على ذلك ، فان غلب على ظنه أن تغييره بيده أو بلسانه يسبب منكراً أشد منه ، من قتله أو ايدائسه ، أو يسبب مفسدة أعظم منه ، فهو في سعة من أمره^(٣) ، حيث يكفي أن يكره ذلك المنكر ففى قلبه ، ويسكت عن انكاره

وانكار المنكر بالقلب لا يزيله ولكنه يعنى أن القلب لا يزال مطمئناً بالطاعة كارهها لهذه المعصية،

(١) المرجع السابق ص / ١١٣

(٢) مسلم ٥٠/١ كتاب الإيمان - باب كون النهي عن المنكر من الايمان .

(٣) راجع : شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٥

وهذا ما يحجزه عن الميل اليها أو التأثير برويته لها ، كما أن الانكار بالقلب يؤدي إلى عدم الرضا بالمنكر وهذا ما يدعو إلى انتظار زوال المانع حتى يسارع إلى التغير باللسان أو باليد .

قال الامام السرخسي :

(لو أن رجلاً وجب عليه أمر بمعروف أو نهى عن منكر فخاف إن فعل أن يقتل وسعه أن لا يفعل ، وإن فعل فقتل كان مأجوراً ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض مطلقاً ، قال تعالى " وأمر بالمعروف ونه عن المنكر وأصبر على ما أصابك " ^(١) ، وترك عند خوف الهلكة رخصة ^(٢))

كما بين الامام القرطبي أن هذه الآية تقتضي الحض على تغيير المنكر ، وإن نال المغير ضرر ، وهذا إشعار بأن المغير قد يؤذى أحياناً ولكن عليه أن يصبر ^(٣)

وذكر الامام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ^(٤) أنه لا يريد هم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال الأعداء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يريد هم عن ذلك راد ، ولا يصد هم عنه صاد ، ولا يحيييك فيهم لوم لائم ولا عدل عادل ^(٥)

وهكذا يتبين أن مجرد اللوم والعتاب لا يبيح ترك هذا الواجب ولا السكوت عن قول الحق وإنما لابد من أن يلحقه بسبب هذا الانكار أذى شديد فعندئذ يرخص له في السكوت. أو يخاف حصوله

قال الامام القرطبي :

(أجمع المسلمون . . أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه ، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى ، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره) ^(٦)

(١) سورة لقمان / آية ١٧

(٢) المبسوط ٢٤ / ١٤٥

(٣) تفسير القرطبي ١٤ / ٦٨

(٤) سورة المائدة / آية ٥٤

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٧٠

(٦) تفسير القرطبي ٤ / ٤٨

ولمعرفة درجة الأذى الذي يجوز معه الترخيص بالسكوت وعدم إنكار المنكر ، ننقل قول الامام ابن القيم فى بيان شروط انكار المنكر .

فقد قال : (إن النبى صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره)^(١)

وهذا المقياس يمكن تحديد نوع الأذى والضرر الذى يجوز معه الاكتفاء بالانكار القلبي وذلك بمقارنة هذا الضرر بنوع المنكر الذى يقوم بتغييره فمثلا إذا كان المنكر كبيرة من الكبائر التى تفسد أخلاق المجتمع وتوهن قواه كشرب الخمر وتعاطى المخدرات فالواجب على كل مسلم قادر أن ينكر بحسب استطاعته ولو أدى ذلك الى سجنه أو ضربه .

أما اذا كان المنكر لا يتعدى ضرره الى الغير ويخشى إذا أنكر على فاعله أن يتمادى فى المعصية ويطش بمن أنكر عليه فقد يُرخص له فى السكوت .
والواقع أن كل انسان يُعدُّ فقيه نفسه فى هذه المسألة بحيث يوازن بين خطر المنكر وبين ما قد يناله من الأذى عند تغييره ، فيرجح أخف الضررين متخذاً من تقوى الله ومراقبته دافعاً يمنع من التهاون أو تحكيم الهوى ، مع الاحتياط فى استخدام هذه الرخصة ألا وهى السكوت عن المنكر فى حالة عدم الاستطاعة .

قال الامام الشاطبى :

(إن الرخصة اضافية لأصلية ، بمعنى أن كل أحد فى الأخذ بها فقيه نفسه ، مالم يجد فيها حداً شرعياً فيقف عنده)^(٢)

(١) اعلام الموقعين ١٥/٣

(٢) الموافقات ٢١٣/١

(١٢٦)
المبحث الرابع
التقية في الأفعال

ما ذكرناه سابقاً من الأدلة على جواز التقية في حالة الإكراه خصصه بعض علماء أهل السنة بالأقوال دون الأفعال ، وذلك لأن الرخصة التي ورد النص بها تتعلق بإظهار كلمة الكفر وهذا خاص في الأقوال ، ولذلك اختلف علماء أهل السنة في جواز التقية في الأفعال .

وقد حكى الإمام ابن عطية هذا الاختلاف فقال :

(اتفق العلماء على إباحة التقية للأقوال باللسان من الكفر فما دونه . . . واختلفوا في الأفعال ، فقال جماعة من أهل العلم منهم الحسن ومكحول وسروق : يفعل المكروه كل ما حُمِلَ عليه مما حرم الله فعله وينجي نفسه بذلك . . . وقال جمع كثير من العلماء : التقية إنما هي مبيحة للأقوال ، فأما الأفعال فلا ، روى ذلك عن ابن عباس والربيع والضحاك ، روى ذلك عن سحنون (١) .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي في حديثه عن إباحة شرب الخمر تقية عند الإكراه :

(ففي إباحته قولان : أحدهما يباح له ذلك . . وهو قول الجمهور كالشافعي وأبي حنيفة ، وهو المشهور عن أحمد ، روى نحوه عن الحسن ومكحول وسروق ، وعن عمر بن الخطاب ما يدل عليه .

والقول الثاني : أن التقية تكون في الأقوال ، ولا تقية في الأفعال ولا إكراه عليها .

روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي العالية وأبي الشعثاء ، والربيع والضحاك وهو رواية عن أحمد ، روى عن سحنون - من المالكية - أيضاً (٢) .

وعلى هذا فجمهور العلماء على جواز التقية في الأفعال وأنها لا تختلف عن التقية في الأقوال ، وهذا ما قال به كثير من أئمة التابعين ، ومانص عليه جمهور علماء المذاهب الأربعة . ولأهمية هذا الموضوع لابد من استعراض أقوال العلماء فيه بشيء من التفصيل وبيان الأدلة التي استدلت بها كل من الفريقين :

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي ٣ / ٧٥ - ٧٦

(٢) جامع العلوم والحكم ص / ٣٥٥

أدلة المانعين :

استدل العلماء الذين منعوا من جواز التقية في الافعال ببعض النصوص التي وردت عن الصحابة وأئمة التابعين ، أبرزها :

- مارواه ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (التقية انما هي باللسان وليست باليد) وفي رواية ابن جرير : (التقية باللسان ، من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس ، وقلبه مطمئن بالايمان ، فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان ^(١)) .

- روى ابن أبي شيبة وابن جرير أيضا عن الربيع في قوله تعالى (الا أن تتقوا منهم تقاة) قال : (قال ابو العالية : التقية باللسان وليس بالعمل ^(٢)) .

- كما استدلو بما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (ما من كلام يد رأ عنى سوطين من ذي سلطان الا كنت متكلماً به ^(٣)) فقصر الرخصة على القول دون الفعل ^(٤) .
- أي ابن مسعود -
قال الامام ابن عطية : (وليس هذا بحجة ، لانه يحتمل ان جعل الكلام مثلاً ، وهو يريد أن الفعل في حكمة ^(٥)) .

- واستدلو كذلك بأن الرخصة التي وردت في قوله تعالى (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) انما هي في الذين أكرهوا على الكلام ولم يؤثر ذلك في بدن ولا مال ، بخلاف الفعل فانه يؤثر في البدن والمال ^(٦) .

وقد رد بعض العلماء هذا الاستدلال فقالوا : (انهم اكرهوا على النطق بالكفر ، وعلى مخالطة المشركين وسعائتهم ، وترك ما يخالف ذلك ، والتروك أفعال على الصحيح ، ولم يؤاخذوا بشئ من ذلك ^(٧)) .

- (١) (٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٩/١٢ وجامع البيان لابن جرير الطبري ٢٢٩/٣
(٣) سبق تخريج هذا الأثر تفصيلاً والحديث عن معناه . راجع ص/٩٣ من هذا البحث
(٤) (٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٥١٧/٨
(٦) (٧) فتح الباري لابن حجر ٣١٥/١٢

أدلة الجمهور :

استدل جمهور العلماء على جواز التقية في الأفعال وأنها لا تختلف عن التقية في الأقوال بأدلة عديدة أبرزها :

- مارواه البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
(إنما الأعمال بالنيات)^(١) .

وقد أورد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب الإكراه من صحيحه وذلك للتنبيه على أنه لا فرق في الإكراه بين القول والفعل فيها في الحكم سواء ، مادام القلب في كليهما مطمئناً بالآيمان .

قال الحافظ ابن حجر :

(كأن البخاري أشار بإيراده هنا إلى الرد على من فرق في الإكراه بين القول والفعل لأن العمل فعل ، وإذا كان لا يُعتبر إلا بالنية كما دل عليه الحديث ، فالمكره لانية له ، بسـل نيته عدم الفعل الذي أكره عليه)^(٢)

- كما استدلوا بالأدلة التي ورد فيها الترخيص بالتقية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية^(٣) .

وقالوا : إن هذا يشمل التقية في القول والفعل ، والتفريق بينهما غير واضح لأن الله أناط الرخصة باطمئنان القلب بالآيمان وهذا يتحقق في الأقوال كما يتحقق في الأفعال .^(٤)

- واستدلوا كذلك بالآيات التي نصت على إباحة الميتة ولحم الخنزير للمضطر ، ومنها قوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وأُهلَّ به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)^(٥) والاضطرار كما يكون بسبب الجوع والمخمصة فإنه يكون بسبب الإكراه .

(١) صحيح البخاري ٦/١ كتاب بدء الوحي ، ورواه مسلم في كتاب الإمامة ٤٨/٦

(٢) فتح الباري ٣١٢/١٢

(٣) سبق ذكرها ص/ ٥٥ من هذا البحث

(٤) تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٩٥/١٤

(٥) سورة البقرة / آية ١٧٣

قال الامام القرطبي (الاضطراب لا يخلو ان يكون باكراه من ظالم أو بجوع في مخصه)^(١)
وهكذا نجد أن قول الجمهور هو الراجح في هذه المسألة ، وأنه لا فرق في جواز التقية
بين القول والفعل مادام القلب في كليهما مطمئناً بالايان .

ولعل الذي يقصده القائلون بعدم جواز التقية في الأفعال ، ما كان فيه ضرراً متعدياً
إلى الغير ، كالقتل والزنى وغيرهما ، وهذا لا شك في تحريمه كما سنرى بعد صفحات
ولذلك قسم الامام ابن حزم التقية في الأفعال إلى قسمين فقال :
(الإكراه على الفعل ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : كل ما تبيحه الضرورة كالاكل والشرب ، فهذا يبيحه الإكراه ، لأن الإكراه ضرورة
فمن أكره على شيء من هذا فلا شيء عليه لأنه أتى مباحاً له إتيانه .
والثاني : ما لا تبيحه الضرورة ، كالقتل والجرح والضرب وفساد المال ، فهذا لا يبيحه
الإكراه)^(٢) .

وهناك تقسيم آخر لحالات الإكراه على الأفعال اعتمده كثير من العلماء^(٣) ، حيث قسموا
الإكراه على الأفعال إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - أفعال تسقط حرمتها بالإكراه : كسبب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير
 - ٢ - أفعال لا تسقط حرمتها بالإكراه لكنها تحتل الرخصة : كالسجود للصنم وترك الفرائض
 - ٣ - أفعال لا تسقط حرمتها بالإكراه ولا رخصة فيها : كالقتل والزنى .
- ويمكننا أن نستعرض أحكام التقية في الأفعال وفق هذا التقسيم :

(١) تفسير القرطبي ٢/ ٢٢٥

(٢) المحلى ٨/ ١٣٥٠

(٣) راجع مثلاً : كشف الاسرار عن أصول البرزوى ٤/ ٣٨٢ بدائع الصنائع ٧ / ٧٦ وما بعد ها

حاشية ابن عابدين ٦ / ١٢٨ وما بعد ها

أحكام التقية في الأفعال :

١ - الأفعال التي تسقط حرمتها بالإكراه :

اختلف العلماء في هذا النوع من الأفعال : هل يجوز الإقدام عليه عند الإكراه والتهديد بالقتل أم يجب ؟

وسبب الاختلاف أن شرب الخمر واكل الميتة واكل لحم الخنزير أفعال محرمة في الأصل لكنها تنقلب الى الإباحة عند الضرورة ، والإكراه حالة من حالات الضرورة ، وإذا أصبحت مباحة فالواجب عند بعض العلماء - على المكروه أن يقدم عليها عند الإكراه الملجئ صيانة لنفسه من القتل ، وقال بعضهم لا يجب ذلك .

القائلون بالوجوب : وهم الحنفية وبعض الشافعية .

قال الامام عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) : - من الشافعية -

(من أكره على شرب الخمر . . . يلزمه ذلك ، لأن حفظ الحياة أعظم في نظر الشرع من رعاية المحرمات المذكورات)^(١) . وقال أيضاً : (لأن حفظ النفوس والأطراف أولى من حفظ العقل في زمن قليل ، ولأن فوات النفوس والأطراف دائم ، وزوال العقل يرتفع عن قريب بالصحو)^(٢)

- وقال الامام علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠ هـ) : - من الحنفية -

(لو أكره على اكل الميتة او شرب الخمر بما يوجب اللجاء ، فانه يفترض عليه الإقدام على ما أكره عليه ، حتى لو صبر ولم ياكل ولم يشرب حتى قتل يعاقب لثبوت الإباحة في حقه في هذه الحالة بالاستثناء المذكور في قوله تعالى " الا ما اضطررتم اليه ")^(٣)

- وقال ايضاً :

(اعلم ان العلماء اختلفوا في حكم الميتة والخمر والخنزير ونحوها في حالة الاضطرار أنها تصير مباحة أو تبقى على الحرمة ويرتفع الاثم :

(١) قواعد الأحكام ٩٣/١

(٢) المرجع السابق ١٠٣/١ - ١٠٤

(٣) كشف الاسرار عن أصول الجزدي ٣٨٣/٤

فذهب بعضهم الى انها لا تحل ، ولكن يرخص الفعل في حالة الاضطرار ابقاءً للمهجة
كما في الاكراه على الكفر ، وكل مال الفير ، وهو رواية عن ابي يوسف وأحد قولي الشافعي
وذهب اكثر أصحابنا - أي الحنفية - الى أن الحرمة ترتفع في هذه الحالة
خاتمة الاختلاف تظهر فيما إذا صبر حتى مات لا يكون آثماً عند الفريق الاول ويكون
آثماً عندنا (١).

وقال الامام الجصاص - من الحنفية :-

(من أكره بالقتل وتلف بعض الاعضاء على شرب الخمر أو اكل الميت لم يسعه أن لا ياكل
ولا يشرب ، وإن لم يفعل حتى قتل كان آثماً لأن الله تعالى قد أباح ذلك في حالة
الضرورة عند الخوف على النفس) (٢)

والواقع ان هذا الاختلاف في جواز شرب الخمر أو وجوبها عند التهديد بالقتل
قائم منذ عهد التابعين كما صرح بذلك الامام ابن عطية حيث اورد قول مسروق : (٣) ان لم
يفعل حتى مات دخل النار (٤)
القائلون بالجواز :-

اشتهر هذا القول بجواز شرب المحرم أو اكله عند الاكراه الملجئ . وعدم وجوب ذلك
ولو أدى إلى القتل عن الامام أحمد ومعه الشافعية والمالكية .
قال الامام ابن الجوزي :-

(وإذا ثبت جواز التقية فالأفضل ألا يفعل ، نص عليه أحمد في اسير خير بين القتل
وشرب الخمر فقال : إن صبر على القتل فله الشرف ، وإن لم يصبر فله الرخصة) (٥)
وقال الامام السيوطي - من الشافعية - :-

(شرب الخمر يباح بالاكراه قطعاً ، استبقاءً للمهجة . . . ولكن لا يجب على الصحيح) (٦)

(١) كشف الاسرار ٣٢٢/٢

(٢) أحكام القرآن للحصاص ١٩٣/٣

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني تابعي ثقة من أهل اليمن ، قدم المدينة
في ايام ابي بكر ، ثم سكن بالكوفة وتوفي سنة ٦٣ هـ (الاعلام ٢١٥/٧)

(٤) المحرر الوجيز ٧٥/٣

(٥) زاد المسير في علم التفسير ٤٩٧/٤

(٦) الأشباه والنظائر ص ٢٢٧

وقال الامام ابن عطية من المالكية :-

(قال كثير من اهل العلم منهم سحنون ^(١) إن لم يفعل حتى مات فهو مأجور، وتركه ذلك المباح أفضل من استعماله ^(٢))

ومن قال من التابعين بعدم الوجوب الامام عطاء بن أبي رباح ^(٣)

فقد روى ابن ابى شيبة عن قيس بن سعد (عن عطاء بن رباح) رجل أخذ العد وفأكرهه على شرب الخمر وأكل الخنزير ، قال : إن اكل وشرب فرخصة ، وإن قُتل أصاب خيراً ^(٤) . ولا تريد أن تفصل الحديث في أدلة كل من الطرفين وما استند إليه لأن هذا محله كتب الفقه المقارن ولكننا نلاحظ أن كثيراً من الفقهاء لم يفرقوا بين حالة الضرورة في أكل المحرم أو شربه ، وبين حالة الاكراه على ذلك المحرم .

والمواقع ان الفرق بينهما واضح في هذه الحالة ، فالمضطر الى اكل لحم الخنزير او شرب الخمر في الجوع والعطش المؤدي الى الهلاك يختلف حكمه هنا عن المكروه . لان الاكراه على شيء من هذه المحرمات غالباً ما يكون بهدف إزالال المسلم وقسرة على فعل المحرم ليعتاد عليه ، أو لكي يطفىء الكره غيظه من ذلك المسلم ويظهر الشماته به .

بل إن الاكراه على شرب الخمر أو شيء من المسكرات والمخدرات قد يدوم طويلاً فيؤدي الى الاضرار والأمراض الشديدة وقد يصل به الأمر الى الموت .

(١) هو الامام عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، الملقب بسحنون ، قاض فقيه من فقهاء المالكية في المغرب ، اصله شامي من حمص ، ولد في القيروان وتوفي فيها سنة ٢٤٠ هـ . (الاعلام ٥ / ٤)

(٢) المحرر الوجيز ٣ / ٧٦

(٣) هو الامام عطاء بن أسلم بن صفوان ، ابن ابى رباح ، تابعي من اجلاء الفقهاء ، ولد باليمن سنة ٢٧ هـ ونشأ بمكة فكان مفتي اهلها وحدثهم ، وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ

(٤) مصنف ابن ابى شيبة ١٢ / ٣٥٨ (الاعلام ٤ / ٢٣٥)

وقد يؤدى الى ارتكاب الجرائم ^(١) بسبب السكر وفقدان الوعى فكيف نوجب على المكروه الاقدام على شئ من ذلك لينجوا من الموت ؟

ثم إن الامتناع عن هذه المحرمات ولو كان سيؤدى الى القتل إلا أن فيه إغاظة للكفار وتقويت ما يهدفون اليه من هذا الاكراه ، وفيه إظهار عزة المسلم وقوة ايمانه وهو ما يندبه الشرع . ومن امتنع عن هذا المحرم ليظهر اعتزازه بدينه وليغيب الكفار بامتناعه فهو ممن قال الله تعالى فيهم :

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يبطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) ^(٢)

وقد سبق ذكر قصة عبد الله بن حذافة السهمى حيث سجنه ملك الروم ومنع عنه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه وقال له : ما منعك أن تأكل فقال : أما إنه قد حلّ لي ، ولكن لم اكن لاشمتك فيّ . ^(٣)

وقد لاحظ الامام ابن عابدين هذا المعنى فقال :

(ولو أكره بلجىء - أي : على شرب الخمر أو أكل لحم الخنزير - حلّ الفعل بل فرض ، فإن صبر فقتل أثم ، الا اذا أراد مفايضة الكفار فلا بأس به)

وهكذا يترجح أن حالة الاكراه الملجئ على شرب الخمر أو أكل الخنزير تختلف عن حالة الضرورة التى سببها المخمصة ، وأن القول بوجوب الاكل فى حالة الضرورة لينجوا الانسان من الموت قد يكون له وجه يرحجه ، ولكنه لا يترجح فى حالة الاكراه بل الافضل الامتناع ولو أدى الى القتل .

(١) وما يؤكد ذلك ما رواه ابن حبان فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اجتنبوا أم الخبائث) ثم ذكر قصة رجل ممن كان قبلنا اكرهته امرأة على ان يقتل غلاما أو يزنى بها أو يشرب كأساً من الخمر ، فإن أبى فضحته ، فاختار شرب الخمر فلما شربها زنى بالمرأة وقتل الغلام : (راجع موارد الظمان الى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمى - ص / ٣٣٤) .

(٢) سورة التوبة / آية ٢٠

(٣) راجع تفصيل القصة ص / ٢٩ من هذا البحث

وكل ما سبق تفصيله في هذا الموضوع خاص بما اذا كان الاكراه ملجئاً ، اما اذا كان الاكراه ناقصاً غير ملجئ* فلا يجوز الاقدام على شئ* من هذه المحرمات ابداً ، وهذا ما اتفق عليه العلماء لان الخمر أم الخبائث وشربها من الكبائر وكذلك أكل لحم الخنزير والميتة ، فلا يستباح شئ* من ذلك الا في الاكراه الملجئ* ، ولان الاكراه الناقص لا يعد حالة من حالات الضرورة التي تبيح الوقوع في المحرم .

قال الامام المروغيناني :

(إن أكره على أن يأكل الميتة ويشرب الخمر ، إن كان ذلك بحبس أو ضرب أو قيد لم يحل له ^(١))

وقال الامام ابن عابد يبن :

(وإن أكره على أكل ميتة أو دم أو لحم خنزير أو شرب خمر بإكراه غير ملجئ* ، بحبس أو ضرب أو قيد لم يحل إن لاضرورة في إكراه غير ملجئ* ^(٢))

ثانياً : أفعال لا تسقط حرمتها ولكنها تحتل الرخصة :-

سبق ان ذكرنا في مبحث (التقية في الأقوال) أن الاكراه على التلفظ بكلمة الكفر لا يرفع الحرمة بل يبقى هذا التلفظ محرماً ، ولكنه يستباح رخصة بسبب الاكراه الملجئ* دون ان يسقط حرمة .

وهذا ما ينطبق أيضاً في الاكراه على أفعال الكفر ، أو على ترك شئ* من الفرائض أو إفسادها فان هذا كله لا يجوز ولا تسقط حرمة الا ان الرخصة وردت فيه عند الاكراه الملجئ* ، ولو صبر المكره لم يفعل فإنه مأجور عند الله .

وسنتناول هذا الموضوع من خلال هذين الجانبين :-

(١) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ١٧٢/٨ وهو شرح على الهداية للمروغيناني .

(٢) حاشية ابن عابد يبن ١٣٣/٦

(٣) وقد ألحق العلماء بهذا النوع الاكراه على إتلاف مال الغير فإنه لا يجوز الا في حالة الاكراه

الملجئ* حيث يترخص بفعله مع بقاء الحرمة لكن السيوطي رجح جوازه ولو بسبب الاكراه

الناقص . راجع : بدائع الصنائع للكاساني ١٧٧/٧ ، القواعد لابن رجب ص/٣٠٩ ،

الاشباه والنظائر للسيوطي ص/٢٢٩

١ - الاكراه على أفعال الكفر :

وذلك كالاكراه على السجود لغير الله سبحانه أو إلقاء المصحف في النجاسات أو القيام

بشيء من شعائر أهل الملل الأخرى وغير ذلك .

وقد حرم كثير من العلماء هذا النوع من التقية ولو كان بسبب الاكراه الملجئ بناءً على

قولهم بتحريم التقية في الأفعال وهذا ما سبق بيانه في بداية هذا البحث .

كما أن بعضهم حدد شروطاً لهذا النوع من التقية، وهذا ما ذكره الإمام ابن عطية بقوله :

(قال الحسن - أي البصري - في الرجل يُقال له : اسجد لصنم ولا قتلناك ، قال :

إن كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويجعل نيته لله ، فإن كان لغير القبلة فلا وإن قتلوا)

وقد رد الإمام ابن عطية على ذلك بقوله :

(وما يمنعه أن يجعل نيته لله تعالى ، وإن كان لغير القبلة ، وفي كتاب الله " فأينما

تولوا فثم وجه الله ")^(١) ، وفي الشرع إباحة التنفل للمسافر إلى غير القبلة)^(٢)

وهذا مانص عليه الإمام ابن حزم بقوله :

(ومن أكره على سجود لصنم ، أو لصليب فليسجد لله تعالى مبادراً إلى ذلك ولا يبالى

في أي جهة كان ذلك الصنم والصليب ، قال تعالى " فأينما تولوا فثم وجه الله ")^(٣)

فالأكراه على شيء من أفعال الكفر لا يختلف في الحكم عن الأكراه على التلفظ بالكفر

عند من أجاز التقية في الأفعال ، ولذلك ينبغى التذكير بالشروط التي قيد العلماء بها هذا

(٤)

الجواز وهي :

١ - أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان

٢ - أن يستخدم المعارض والتورية إذا أمكن له ذلك .

٣ - ألا يكون ممن يُقتدى به في هذا الفعل .

(١) سورة البقرة / آية ١١٥

(٢) المحرر الوجيز ٧٦/٣

(٣) المحلى ٣٣٥/٨

(٤) راجع ص/ ١٠٠ من هذا البحث

٢ - الاكراه على ترك شئ من الفرائض أو إفسادها :

يتضمن هذا الموضوع جانبين هما :

١ - الاكراه على ترك شئ من الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والحج .

٢ - الاكراه على إفسادها بعد البدء بها وذلك بتركها أو القيام بفعل يفسدها .

وقد أُلحِق العلماء هذا النوع بالاكراه على الكفر، لأن الاكراه هنا لا يرفع الحرمة وإنما يبيح الترخص، ولو صبر المكروه ولم يفعل شيئاً مما أُكْرِه عليه فهو مثاب عند الله لتعظيمه حق الشرع .

قال الامام العزبن عبد السلام :

(ترك الصلاة وصوم رمضان وتأخير الزكاة وحقوق الناس الواجبات من غير عذر شرعي مفسده

محرمه ، لكنه جائز بالاكراه ، فإن حفظ النفوس أولى مما يُترك بالاكراه ، مع أن تداركه ممكن
(١)
فيكون جمعاً بين هذه الحقوق وبين حفظ الارواح)

وقال الامام علاء الدين البخارى :

(لو أُكْرِه بما فيه إلقاء على إفساد الصلاة أو تركها ، أو على إفساد الصوم وهو مقيم ، كان له أن يترخص بما أُكْرِه عليه ، لأن حقه في نفسه - أي : لو قُتل - يفوت أصلاً ، وحق صاحب الشرع يفوت الى خَلْف ، فإن صبر ولم يفعل ما أُمر به حتى قُتل كان مأجوراً لأنه تمسك بالعزيمة لأن حق الله تعالى وهو الصوم والصلاة لم يسقط عنه الاكراه ، وفيما فعله إظهار الصلابة فليس
(٢)
الدين)

ويلاحظ في هذا النص تحديد حالة الاكراه على إفساد الصوم بما اذا كان المكروه مقيماً

ولم يكن مسافراً، وقد فصل الامام علاء الدين البخارى في موضع آخر من كتابه ما أجمله هنا ، فقال :

(إكراه الصائم على الفطر إن كان مسافراً من قبيل الاكراه على أكل الميتة وشرب الخمر

حتى لو لم يفطر حتى قُتل كان آثماً ، وإن كان مقيماً فهو من قبيل الاكراه على الكفر حتى لو صبر عليه وقتل كان مأجوراً)
(٣)

(١) قواعد الاحكام ١٠٣/١

(٢) كشف الاسرار ٣٩٩/٤

(٣) المرجع السابق ٣٨٣/٤ - ٣٨٤

وهذا التفريق سببه مانع عليه الحنفية من أن ما أبيح للضرورة أو الرخصة يجب الاقدام عليه في حالة الاكراه الملجئ ، ومن امتنع فهو آثم لانه امتنع عن فعل المباح ، ومن ذلك — الافطار للمسافر فانه مباح له ، وشرب الخمر للمضطر كما سبق بيانه .

اما المقيم فالصيام بالنسبة له فرض لا يحوز تركه مادام صحيح الجسم ، ولكنه رخص له في تركه عند الاكراه الملجئ ، وأثر الرخصة هنا في تغير حكم الفعل وهو التأخير — لا في تغير وصفه وهو الحرمة . (١)

أحكام الاكراه على ترك شيء من العبادات أو إفسادها -

نذكر موجزا لابرز الاحكام التي تتعلق بالاكراه على ترك شيء من العبادات أو إفسادها والذي يهمننا في هذا المجال هو معرفة أشهر الأقوال من التعرض للتفصيلات الفقهية .

١ - الصلاة :

نص العلماء على أن الاسير اذا مُنع من الصلاة عليه أن يصلّي إيماء ثم يعيد ، فإن مُنع من الايماء يمكنه تأخيرها عن وقتها حتى يزول عذره (٢)

أما اذا أكره على الاتيان بأحد مبطلات الصلاة كالكلال والشرب أو الحدث أو التحول عن القبلة فقد ذهب العلماء الى أن الصلاة تفسد بذلك وعليه إعادتها عند زوال الاكراه (٣) .

٢ - الصوم :

الصائم الصحيح المقيم إذا أكره على إفساد صومه له حالتان (٤)

١ - ان يُوجر الطعام في فمه قهراً أو تُرْبط المرأة الصائمة ليجامعها الرجل ، فلا يفسد الصوم هنا لأن ذلك حصل بغير اختيار أصلاً كما لو أطارت الريح ذبابة إلى حلقه .

(١) بائع الصنائع للكسانس ١٧٦/٧

(٢) المجموع للنووي ٦٤ / ٣ حاشية ابن عابدين ٢٧٥/١

(٣) الاشباه والنظائر للسيوطي ص/ ٢٢٣ ، راجع : الاكراه وأثره في الاحكام الشرعية

للدكتور عبد الفتاح شيخ ص/ ٨١ - ٩٣

(٤) الاكراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى شقره ص/ ١٣٤ - ١٣٥

وهذا هو الراجح لان الناس لا يفسد صومه إذا اكل أو شرب فالمكروه من باب أولى .
 ٢ - ان مكروه على أن ينتهك حرمة الصوم تحت التهديد ، فيقال له إما ان تأكل او نقتلك
 او نقطع عضوا من أعضائك .

فهذه الحالة محل خلاف بين الفقهاء ، هل يفسد الصوم وعليه الإعادة أولاً .
 والراجح أيضاً أن الصوم لا يفسد ^(١) وذلك لما اعتمد عليه القائلون بهذا القول من قياس
 المكروه على الناسي الذي ورد النص بعدم فطره .

٣ - الزكاه :

الأكراه على دفع الزكاة لا يدخل في التقية لأنه إكراه بحق ، اما الأكراه على عدم دفعها
 فانه لا يتصور لأن فرض الزكاة يمكن تأخيرها ويمكن التوكيل فيه .
 ولو أكره بسلب جميع ماله فان الزكاة تسقط عنه لأنه لم يعد مالكا للنصاب .

٤ - الحج :

وكذلك بالنسبة للحج فإن المكروه على تركه يمكن تأخيرها حتى يزول الأكراه ، ولو استمر
 الأكراه الى آخر عمره كما لو كان أسيراً ، فانه لا يعد مستطيعا ويسقط عنه فرض الحج .
 ولو أكره على جناية من جنایات الاحرام فإن هذا لا يبطل الحج ، أما وجوب الفدية
 فهذا محل في كتب الفقه ^(٢)

ثالثا : أفعال لا تسقط حرمتها بالأكراه ولا رخصة فيها :

أبرز ما يذكره العلماء من المحرمات في هذا المجال جريمتان من أكبر الكبائر هما القتل
 والزنى ، وهما فعلا لا يجوز الاقدام عليهما شيء منهما

(١) المرجع السابق ص/ ١٣٧ راجع : المبسوط للسرخسي ١٥٢/٢٤

(٢) راجع تفصيل هذه الاحكام في كتاب : الإكراه وأثره في الاحكام الشرعية للدكتور

عبد الفتاح شيخ ص/ ١٠٩ - ١١٩ ، والذي يفسد الحج من جنایات

الاحرام - ولو كان بسبب الإكراه - الجماع قبل الوقوف بمزدلفة .

ولو كان بسبب الاكراه الملجئ^(١)، ومن أكره على القتل أو الزنى ففعل فهو آثم عند الله ، وهو شريك في الجريمة .

ولنتحدث عن كل واحد من هاتين الجريمتين بشيء من التفصيل :

١ - القتل أو قطع العضو أو اتلافه :

حرمة دم المسلم ثابتة لا تقبل ترخيصاً ولا تحتل السقوط بضرورة أو اكراه ، وقد حذر الله سبحانه من الاقدام على قتل المسلم بغير حق .

قال تعالى : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق)^(٢)

وقال سبحانه : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً)^(٣)

ولذلك أجمع العلماء على أن من أكره على قتل مسلم معصوم الدم أو قطع عضو منه أو ضربه ضرباً يؤدى الى تلف أحد أعضائه ، فلا يجوز له ذلك أبداً ، بل يجب عليه أن يصبر ويمتنع ولو أدى به ذلك إلى الموت .

قال الامام ابن تيمية :

(أما قتل المعصوم فلا يباح بالاكراه بلا نزاع ، لانه ليس له أن يحيي نفسه بموت ذلك المعصوم . . . بل طلبه إحياء نفسه بالاعتداء على غيره ظلم محض . . . وهو موجب للقود على المكروه والمكروه في مذهب أحمد ، والمشهور من مذهب الشافعى لاشتراكهما في الفعل : هذا بالمباشرة المحرمة ، وهذا بالتسبب المفضي الى الفعل غالباً ، وقيل إنما يجب على المكروه الظالم لأن المكروه قد صار كالآلة^(٤))

فالتقية في القتل لا تجوز أبداً ، ولا يجوز للمكروه ان يحيي نفسه بقتل غيره وانتهاك حرمة بل يلزمه ان يدرأ مفسده القتل بالصبر على القتل ، لان صبره على القتل أقل مفسدة ممن

(١) وقد ألحق بعض العلماء بهذا النوع الاكراه على ضرب الوالدين ، لأن النهي عن

إيذائهما أبدي خالد لا ترخيص فيه . (راجع : بدائع الصنائع للكاساني ١٧٧/٢)

(٢) سورة الانعام / آية ١٥١

(٣) سورة النساء / آية ٩٣

(٤) الاستقامة لشيخ الاسلام ابن تيمية - ٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤

إقدامه عليه (١) .

وقد سبق أن أوردنا (٢) قول ابن عباس رضى الله عنه : (الثقة التكلم باللسان والقلب

مطمئن بالايمان ، ولا ييسط يده فيقتل) .

وقيل الحسن البصرى : (التقية جائزة الى يوم القيامة ، الا انه لا يجعل فى القتل

تقية) .

وهذا الحكم أجمع عليه علماء أهل السنة (٣) ، وقال به الشيعة أيضا (٤)

وكما لا تجوز التقية فى القتل فانها لا تجوز فى قطع طرف إنسان معصوم الدم لو أكره

(٥)

على ذلك ، قال الامام الزيلعى :

(وحرمة طرف الانسان كحرمة نفسه ، حتى لو أكره على قطع يد غيره لا يُرخص له قطعها

(٦)

كما لم يُرخص له قتل نفسه) .

٢ - الزنى :

الزنى من أكبر الكبائر وأبشع الجرائم ، وقد حرمه الاسلام حفظا للأعراض والانساب

(٧)

قال تعالى : (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا)

ولذلك عدّه الامام أحمد بعد قتل النفس فى الإثم ، فقال : (لأعلم بعد قتل النفس

(٨)

شيء أعظم من الزنى)

(١) قواعد الأحكام للعزبن عبد السلام ٩٣/١

(٢) راجع : ص / ٧٠ من هذا البحث

(٣) راجع مثلا : أحكام القرآن للجصاص ١٩٤/٣ ، أحكام القرآن لابن العربي ١١٨١/٣ ،

المغنى لابن قدامة ٣٢١/٩ ، القواعد لابن رجب ص/ ٢٨٧ ، حاشية ابن عابدين ١٣٥/٦

(٤) راجع : ص / ٣١٦ من هذا البحث

(٥) هو عثمان بن على بن محجن ، فخر الدين الزيلعى ، فقيه حنفى ، توفى فى القاهرة سنة

(٧٤٣ هـ) - الاعلام ٢١٠/٤ -

(٦) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ١٩٠/٥

(٧) سورة الاسراء / آيه ٣٢

(٨) الجواب الكافي لمن سأل عن الدنيا والشايفى لابن قيم الجوزية ص/ ١٦٢

وكثيرا ما يتعرض المسلم أو المسلمة للاكراه على فعل هذه الجريمة، وخاصة في حالة الاسر

عند الاعداء ، فهل يباح فعل هذه الجريمة تحت تأثير الاكراه أولا ؟

الواقع أن الاكراه هنا له صورتان :

- الصورة الاولى : أن تُربط المرأة حتى يُزنى بها ، أو يُمسك الرجل ويُجبر على الزنى

فالمكره في هذه الصورة لا يوصف حكمه بجواز أو حرمة لأنه صار كالالة

في يد المكره .

لا قدرة له عن الامتناع أصلاً^(١) .

قال الامام ابن حزم :

(لو أمسكت امرأة حتى زنى بها ، أو أمسك رجل فأدخل إحليله في فرج امرأة ، فلا شيء عليه

ولا عليها ، سواء انتشر أو لم ينتشر ، أمني أو لم يُمن ، أنزلت هي أو لم تُنزل ، لأنها لم يفعلوا

شيئاً أصلاً ، ولا انتشار ولا مناء فعل الطبيعة الذي خلقه الله تعالى في المرء^(٢))

الصورة الثانية : أن يُقال للرجل (أو امرأة) إما أن تزنى أو نقتلك أو نضربك أو نحبسك

إلى غير ذلك من وسائل الاكراه .

فاذا كان الاكراه غير ملجئ^{*} : فلا يجوز للمرأة ولا للرجل الوقوع في هذا المحرم ، وهذا

ما أجمع عليه العلماء :

قال الامام ابن العربي :

(ولو أكره رجل بالسجن على الزنى ما جازله ذلك إجماعاً^(٣))

أما لو كان الاكراه ملجئاً : بحيث كان التهديد بالقتل أو القطع أو الضرب المتلف فهل يباح

الزنى في هذه الحالة ؟ اختلف في ذلك العلماء .

فقال الشافعيه :

لا يباح الزنى ولو كان بالتهديد بالقتل لان مفسدته أفحش من الصبر على القتل ، سواء

كان المكره رجلاً أو امرأة^(٤) .

(١) راجع فقرة: المكره اذا صار كالآله في يد المكره . ص / ٨٢ من هذا البحث

(٢) المجلس ٣٣١ / ٨

(٣) أحكام القرآن ١٠٧٤ / ٣

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص / ٢٢٧

وقال الحنفية :

لو أكره رجل بالقتل على أن يزني لم يسعه أن يفعل ، أما المرأة فانه يُرخص لها الزنى بالاكراه الملجئ* ، وسبب هذا التفريق ان الرجل مباشر لفعل الزنى مستعمل للآله في ذلك ، وحرمة الزنى حرمة تامة فلا تنكشف عند الضرورة كحرمة القتل ، ولكنه لا يحثُّ استحسانا لوجود الشبهة . أما المرأة فهي مفعول بها ، وليست مباشرة للفعل ، انما الذى يتصور منها التمكين وذلك بترك الامتناع ، ولو صبرت كانت مأجورة^(١)

وقد أورد الامام الكاساني هذا التفريق ثم قال :

(وهذا عندى فيه نظر لان فعل الزنى كما يتصور من الرجل يتصور من المرأة ، الاترى أن الله سبحانه وتعالى سماها زانية ، إلا ان زنى الرجل بالايلاج وزناها بالتمكين ، والتمكين فعل منها فينبغي أن لا يختلف فيه حكم الرجل والمرأة فلا يُرخص للمرأة كما لا يُرخص للرجل^(٢))
وقال الحنبليّة :

إن الزنى لا يكون من الرجل إلا مع انتشار ، والاكراه ينافيه ، فاذا وجد الانتشار انتفى الاكراه^(٣) ولذلك قالوا : إذا أكره الرجل فزنى فعليه الحد ، ولكن الامام ابن قدامه رجّح سقوطه لان الحد ودُّ تدراً بالشبهات ، أما المرأة فلا حدّ عليها^(٤)
أما المالكية :

فقد اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم إن الاكراه لا يسقط الحد ولا الاثم ، وقال بعضهم بسـل يسقطه^(٥) وهذا مارجحه الامام ابن العرى إذا كان الاكراه ملجئاً^(٦)

(١) المبسوط للسرخس ١٣٨/٢٤

(٢) بدائع الصنائع ١٧٧/٧ - ١٧٨

(٣) شرح منتهى الارادات ٣٤٧/٣

(٤) الفنى ١٥٩/١٠ ، ١٦٠

(٥) مواهب الجليل من أدلة خليل للشيخ احمد الشنقيطى ٣٣٩/٤

(٦) أحكام القرآن ١٠٨٦/٣

- وبعد هذا الاستعراض المجلد لآراء الفقهاء في هذا الموضوع نرى أن الراجح في الإكراه على الزنى أن حرمة ثابتة لا تقبل السقوط، وإن الائم لا يرتفع عن الفاعل سواء كان رجلاً أو امرأة بل عليه أن يصبر ويمتنع قدر المستطاع ولو أدى ذلك الى قتله ^(١) وهذا ما يوافق قلب جمهور العلماء .

(١) وهذا ما رجحه الدكتور حسين الجبورى في كتابه (عوارض الاهلية عند الاصوليين) ص/ ٤٩٩

(١٤٤) الفصل الخامس

التفريق بين التقية وغيرها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الفرق بين المداراة والمداهنة وصلتهما بالتقية

- تعريف المداراة والمداهنة
- المداراة خلق نبوي
- أحاديث ضعيفة وردت في المداراة

المبحث الثاني : المعارض وصلتها بالتقية

- تعريف المعارض
- حكم المعارض شرعاً
- صلة المعارض بالتقية
- أمثلة للمعارض المباحة

المبحث الثالث : الخدعة في الحرب وصلتها بالتقية

الفروق بين المداراة والمداهنة

وصلتهما بالتقية

- المدارة لغة: الملائنة^(١)، يقال دارأته مداراةً وداريته إذا اتقيته ولا ينته^(٢)
 قال ابن الاثير: (المدارة في حسن الخلق والصحبة غير مهموز وقد يهمز)^(٣)
والمداهنة لغة: المصانعة^(٤) وظهار خلاف ما يضر^(٥)

وقد عرف الامام ابن حجر المداراة شريعاً بقوله:

(هي الرفق بالجاهل في التعليم، والفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لاسيما إذا احتيج الى تألفه ونحو ذلك)^(٦)

أما المداهنة فقد عرفها بقوله:

(المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويسترباطه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه)^(٧)
 وهكذا يتبين الفرق بين المداراة والمداهنة، فالمدارة خلق حسن مندوب إليه أما المداهنة فهي محرمة.

وقد نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: (المدارة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقسى أسباب الألفة)

ثم قال: (وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة)^(٨)

(١) الصحاح للجوهري ٢٣٣٥/٦

(٢) لسان العرب ٧١/١

(٣) النهاية في غريب الحديث ١١٠/٢

(٤) الصحاح ٢١١٦/٥

(٥) لسان العرب ١٦٢/١٣

(٦ - ٨) فتح الباري ٥٢٨/١٠

فالفروق بينهما أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يوده اليه
أو يحجزه عن الباطل .

والمداهن يتلطف به ليقوه على الباطل ويتركه على هواه . فالمدارة لأهل
الايان ، والمداهنة لأهل النفاق

قال الامام العيني في شرحه على البخاري :

(المدارة هي لين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ، وهي من أخسلاق
المؤمنين ، والمداهنة محرومة ، والفروق بينهما أن المداهنة هي أن يلقي الفاسق
المعلن بفسقه فيؤلفه ولا ينكر عليه ولو بقلبه ، والمدارة هي الرفق بالجاهل الذي
يتستر بالمعاصي ، وللطيف به حتى يوده عما هو عليه)^(١)

وعرف الامام الجرجاني المداهنة بقوله :

(هي أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ، ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب
غيره ، أو لقلّة مبالاة في الدين)^(٢)

ولقد حذر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم من مداهنة الكفار أو مصانعتهم
في شيء من الدين فقال تعالى : (فلا تطع المكذبين وداو لو تدّهن فيدّهنون)^(٣)

أي : (وداو هؤلاء المشركون لو تلين لهم في دينك بإجابتك أيّاهم الى الركسون
الى آلهتهم فيلينوا في عبادة إلهك . . وانا هو مأخوذ من الدهن ، شبه التليين
في القول بتليين الدهن)^(٤)

(١) عدة القاري شرح صحيح البخاري ١٧١ / ٢٢

(٢) التعريفات / للشريف علي بن محمد الجرجاني - ص / ٢٠٧

(٣) سورة القلم / آية ٨-٩

(٤) تفسير الطبري ٢١ / ١٤

فهو "الكفار على استعداد للتخلي عن الكثير من عقائدهم وتصوراتهم الجاهلة في مقابل أن يتخلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعض ما يدعوا اليه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليساوم في دينه أو يتنازل عن شيء منه ، فقد كان يقابل كل مساومات المشركين بموقف صلب وتحمل هو وأصحابه الأذى والعذاب ، دون أن يفت ذلك في عضده شيئاً .

وهو مع كل هذا كان أحسن الناس خلقاً وألينهم معاملة حتى مع الكفار والمنافقين مداراة لهم وتأليفاً لقلوبهم ، وهذا ما سنراه في المثال التالي :

المداراة خلق نبوي :

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها (أنه استأذن طسي النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : ائذنا له فبئس ابن العشيرة ، أو بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له الكلام .

فقلت له : يا رسول الله ، قلت ما قلت ، ثم ألت له في القول .

فقال : أيّ عائشة ، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاءً فحشة (١)

وفي رواية للبخاري : (فلما جلس تطلق النبي في وجهه وانبط اليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبطت اليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة متى عهد تبني فاحشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاءً شوه (٢)

وهذا الرجل - كما يقول الامام النووي - (هو عيينه بن حصن ، ولم يكن أسلم حينئذ ، وإن كان قد أظهر الاسلام ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين حاله ليعرفه الناس ، ولا يفتربه من لم يعرف حاله ، وقد كان منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وعده ما دل على ضعف إيمانه .

(١) البخاري ٧٠/٤ كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس - ومسلم ٢١/٨ كتاب البر والصلة والآداب

باب مداراة من يتقى فحشه .

(٢) البخاري ٧٠/٤

وأردت مع المرتدين ، وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضى الله عنه . ووصف النبي له بأنه
بئس أخوال العشيرة من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف ، وإنما ألان له القول تألفاً
له ولأمثاله على الاسلام ولم يمدحه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ذكر
أنه أشنى عليه في وجهه ولا في قفاة إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام ^(١)

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الرجل كان يُقال له الأحق المطاع ، ورجع
النبي صلى الله عليه وسلم بإقباله عليه تأليفه ليُسلم قومه لأنه كان رئيسهم ^(٢) .

كما نقل عن الامام الخطابي قوله : (الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم
أن يبين ذلك ويفصح به ويعرّف الناس أمره ، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة
على الأمة ، ولكنه لما جُبل عليه من الكرم أظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه
لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله ^(٣))

وأورد قبل الامام القرطبي :

(النبي صلى الله عليه وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق فليس
مكالته ، ومع ذلك فلم يمدحه بقول ، فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حقيق
فعله معه حسن عشرة ^(٤))

وهكذا يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألف قلب عيینه بشيء من
لين الكلام وطلاقة الوجه ، ولكنه قبل ذلك أخبر أصحابه بحاله ليعرفوا أمره ولا يفتروا به .
وهو صلى الله عليه وسلم لم يكذب في أي من الحالتين ، ولم يمدحه بعد الذم ، وإنما
عامله معاملة حسنة ، وهذا من آداب الاسلام ، ولو لم يفعل ذلك وادر إلى الشدة لازداد
حقداً على الاسلام ونفورا منه . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستألف أمثال هؤلاء
باللين لهم وعض العطايا المالية ليستل الضغينة من قلوبهم ويكون عوناً لهم على طمس
شيطانهم وهذا ما فعله مع الذين أسلموا من المشركين بعد فتح مكة .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤/١٦

(٢) (٣) فتح الباري ٤٥٣/١٠

(٤) المرجع السابق ٤٥٤/١٠

وهكذا تتضح الحكمة النبوية العظيمة التي جمعت بين لين القول مع الرجل وحسن معاملته تألفاً له على الاسلام، وبين التحذير منه كيلا تؤتى الأمة من قبله ويغتربه من لم يعرف حاله، ومع ذلك فقد شكك البعض في حديث عيينه ، بدعوى انه مشكل من جهة المعنى وأنه لا يليق مثل هذا بالرسول صلى الله عليه وسلم .

- يقول الشيخ محمد الخولي^(١) : (القصة مشكلة من جهة المعنى ، ان كيف يذم الرسول صلى الله عليه وسلم شخصاً رآه مقيلاً ، ويقول فيه : بئس أخوال العشيرة ، ثم يهش فـس وجهه وينبسط له حينما جلس معه ، وهل هذا الا التظاهر بغير ما يضر ؟ فكيف يصدر هذا من الرسول الكريم الذي شهد له رب العالمين بأنه على خلق عظيم ؟) .

ثم نقل بعض كلام شراح الحديث الذي يزول به الاشكال ، ولكنه مع ذلك قال : (مازلنا نرى مقام الرسول وكرم خلقه فوق ذلك الموقف ، وان الذي نجده في نفوسنا كالذي وجدته عائشة ، واذا كان الغرض من ذلك التبسط التألف له كان من تمامه ألا يذكره بسوء قد يصل خبره اليه ، واذا كان الغرض المداراة كفى فيها مقابلته له بحال عادية ليس فيها تصنع . . ثم هل كان عيينه بدرجة من القوة والشر بحيث يخشاه الرسول ويداريه ؟)^(٢) وسبب الاشكال عند الشيخ الخولي هو عدم تفرقة بين المداراة والمداهنة حيث عدّ فعل الرسول صلى الله عليه وسلم نوعاً من المداهنة والتظاهر بخلاف ما يضر اتقاءً لشراً عيينه .

ولابد لنا من مناقشة هذا الفهم الخاطئ

فالرسول صلى الله عليه وسلم - كما اتضح لنا من أقوال شراح الحديث - لم يتظاهر بخلاف ما في قلبه أمام عيينه ولم يُثن عليه ولم يصفه بصفة مدح أبداً

وانما ألان له الكلام وأظهر له طلاقة الوجه ، تألفاً لقلبه ، وهذا الموقف من الرسول

(١) هو الشيخ محمد عبدالعزيز بن علي الشاذلي الخولي ، من علماء الشريعة بمصر

ولد سنة (١٣١٠هـ) وتوفي سنة (١٣٤٩هـ) - راجع ترجمته في الاعلام ٢٠٩/٦ -

(٢) الأدب النبوي للشيخ محمد عبدالعزيز الخولي ص/ ١٣١ - ١٣٢ دار المعرفة

صلى الله عليه وسلم نابع من تخلقه بأخلاق القرآن الكريم ، فقد أمره ربه بالتزام الحكمة والموعظة الحسنة في مجال الدعوة فقال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ^(١) ويُنَّ له أن الغلظة والشدّة لا توصل كلمة الحق الى قلوب الناس بمقدار ما توصلها الحكمة واللين فقال سبحانه : (فيما رحمة من الله لئن لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تُفَضُّوا من حولك) ^(٢)

ولقد أرشد الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام الى التزام أسلوب الحكمة واللين وهو يدعو الطاغية فرعون الى الايمان بالله تعالى . فقال عزوجل مخاطباً موسى وأخاه هارون : (اذ هبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) ^(٣)

أفبعد هذا كله يبقى للتشكيك في هذا الحديث موضع ؟

إذا كان الله سبحانه قد أمر رسوله موسى عليه السلام بالتزام اللين مع أشدّ الأعداء وأعتى الطغاة لعل ذلك يكون سبباً في استجابته للحق ، فكيف نُشكك في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يلين في الكلام لرجل يرجو إسلامه وإسلام قومه ؟ لقد كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من عُيينه نابعاً من تخلقه بأخلاق القرآن الكريم ، ولهذا شهد له ربه بأنه على خلق عظيم .

ولكن الشيخ الخولى اعتبر هذا الموقف معارضاً لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وسماه تصنعاً .

وإذا كان الاشكال الذي وجدته عائشه رضى الله عنها قد زال بمجرد إخبار النبى لها فلم لا يزول الاشكال من نفسه مع أنه نقل أقوال العلماء في ذلك ؟ وهكذا يتبين أن الإدارة خلق حسن مندوب اليه في كل الأحوال ، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عُيينه وهو من المنهج النبوى في الدعوة الى الله ، أما المداهنة فهي محرمة لأنها تعني أن يتظاهر المسلم بموافقة أهل الباطل ويقرهم على

(١) سورة النحل / آية ١٢٥

(٢) سورة آل عمران / آية ١٥٩

(٣) سورة طه / آية ٤٣ - ٤٤

باطلهم ، فإذا اضطر المسلم الى ذلك فهذه هي التقية

ولا يمكن أن تعد المداراة تقية ، لأنها لا تعنى كتمان شيء من الدين والتظاهـر بخلافه ، وإنما هي لين الكلام والتبسم في وجه من يُخشى شره أو يُرجى تقريبه الى الاسلام . وقد أورد الامام البخارى في باب : (المداراة مع الناس) قول أبي الدرداء رضي الله عنه : (إنا لنكسر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم)^(١) .

قال الحافظ ابن حجر : (الكسر ظهر الاسنان ، وأكثر ما يطلق عند الضحك)^(٢) .

وهذا التبسم في وجه الكافر إذا كان بنية التلطف به وتقريبه من الاسلام فهو المداراة ، أما إذا كان بنية المحبة له ولأعجاب بما هو عليه فهذه مولاة له ، وهذا ما حرمه الاسلام . لذلك قيّد أبو الدرداء رضي الله عنه قوله بقيد ينفي ما قد يتبادر الى ذهن من الميل القلبي ، فقال : (وإن قلوبنا لتلعنهم) أى تبفضهم وتكرههم .

وقد نبّه الامام الالموسى على الفرق بين المداراة والتقية وروى على من جعل المداراة نوعاً من التقية ، فقال : (عدّ قوم من باب التقية مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم) الى أن قال : (ولا يعد ذلك من باب المولاة المنهى عنها ، بل هي سنة وأمر مشروع)^(٣) .
أحاديث ضعيفة وردت في المداراة :

ورد في المداراة أحاديث كثيرة معظمها لا يصح بل هو ضعيف ، ولذا لزم التنويه اليها في هذا المجال وهذه أبرزها :

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) صحيح البخارى ٦٩/٤ قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى ١٠ / ٥٢٨ :
(هذا الاثر وصله ابن أبى الدنيا وإبراهيم الحري في غريب الحديث ، والدينورى في المجالسة ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية) .

(٢) فتح البارى ١٠ / ٥٢٩

(٤) روح المعاني للالموسى ١٢٢/٣

(رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس)^(١)

٢ - وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مداراة الناس صدقة)^(٢)

٣ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله أمرنى بمدارة الناس كما أمرنى بإقامة الفرائض)^(٣)

(١) قال ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢٤٤ / ٢) :

(هذا حديث لا يصح ، وأبو داود - أحد رواة - كان يضع الحديث باجماع المحدثين)

وقد أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٠ / ٨) بلفظ (رأس العقل بعد الايمان

التودد الى الناس) وقال : (رواه البزار فيه عبيد الله بن عمرو وهو ضعيف) . وراجع

فيض القدير للمناوى (٥٧٤ / ٣) وفتح البارى لابن حجر (٥٢٨ / ١٠)

(٢) قال ابن الجوزى فى العلل (٢٤٣ / ٢) : (هذا حديث لا يصح عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم)

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٠ / ٨) : (رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه يوسف بن

محمد بن المنكدر وهو متروك) .

(٣) قال العجلونى فى كشف الخفاء (٥٠٨ / ١) : (رواه الديلمى فى مسنده بسند

ضعيف عن عائشة مرفوعا) .

المبحث الثاني المعاريف وصلاتها بالنقبة

التعريف لغة خلاف التصريح ، ومنه المعاريف في الكلام ، وهي التويه بالشئ* عن الشئ*

(١) أو هو كلام يشبه بعضه بعضاً في المعاني

(٢) أما اصطلاحاً : فهو كلام له وجهان يطلق أحدهما ويراد لازمه

وقد فصل الامام ابن القيم رحمه الله الحديث في هذا الموضوع فقال :

(هي أن يتكلم الرجل بكلام جائز يقصد به معنى صحيحاً ، ويوهم غيره أنه يقصد

به معنى آخر ، فيكون سبب ذلك الوهم كون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين لغويتين

أو شرعيتين أو لغوية مع أحدهما ، فيعني أحد معنوية ويوهم السامع له أنه إنما عنى

(٣) الآخر)

كأن يقول عن رجل أنه أخي ويقصد أخوة الاسلام ، أو يسأل عن شخص فيقول

مارأيت ويقصد أنه مارآه اليوم ، أو يقول عن مريض : لقد هدأت نفسه ، يقصد أنه مات

والسامع يظن أنه شفي .

إلى غير ذلك مما سنرى تفصيله في هذا المبحث .

حكم المعاريف شرعاً :

المعاريف نوعان ، أحدهما جائز شرعاً ، والثاني محرم .

(٤) والضابط في ذلك كما قال الامام ابن القيم : أن كل ما وجب بيانه فالتعريف فيه حرام

(١) الصحاح للجوهري ١٠٨٧/٣ لسان العرب لابن منظور ١٨٣/٧

(٢) فتح الباري لابن حجر ٥٩٤/١٠

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٤٦/٣

(٤) وقد روى الامام أبو داود في سننه ٢٥٣/٥ تحت عنوان : (باب في المعاريف)

عن سفيان بن أسيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هكلك به مصدق وأنت له كاذب) وهذا دليل على تحريم المعاريف إذا كان فيها تغيير بالمخاطب وخداع له وإبطال للحقوق .

لأنه كتمان وتدليس، ويدخل في هذا الاقرار بالحق، والشهادة على المعقود، والفتيا والحديث والقضاء .

وكل ما حُرِّم بيانه فالتعريض فيه جائز، بل واجب إذا أمكن، كالتعريض لسائل عمن مال معصوم أو نفس يريد أن يعتدى عليها .

وان كان بيانه جائزاً وكتمانها جائزاً :

- فإن كانت المصلحة في كتمانها فالتعريض مستحب كتورية الفازي عن الوجه السني

يريده .

- وان كانت المصلحة في بيانه فالتورية فيه مكروهة ولاظهار مستحب .

- وان تساوى الأمران جاز كل منهما، وذلك بأن يكون التعريض في غرض مباح

وليس فيه إيهاام للمخاطب ولا تغريره . (١)

فالمعارض إذا جازة إذا لم يكن فيها استباحة الحرام واسقاط الواجبات وبطال

الحقوق فإن كان فيها شيء من ذلك فهي محرمة (٢) .

وقد قال الامام القرطبي في حديثه عن المعارض :

(كانوا يكرهون أن يقال هذا في خديعة وظلم وجحдан حق ، فمن اجتراً وفعل

أثم في خديعته) (٣)

ونتساءل الآن : ماهي صلة المعارض بالتقية ؟

بناءً على تقسيم المعارض الى قسمين : جائزة ومحرمة ، نستنتج أن استخدام المعارض

المباحة التي لا يكون فيها تضييع حق أو ترويح باطل أو تغرير يضر بالمخاطب ، لا يدخل

في التقية لانه مباح في الأحوال العارضة، وخاصة إذا كان فيه مصلحة معتبرة شرعاً .

ولذلك لا يسمى من يستخدم المعارض المباحة كذاباً ، ولا يطلق عليه صفة الكذاب

(١) اعلام الموقعين ٣/ ٢٤٧ بتصرف واختصار

(٢) المرجع السابق ٣/ ٢٤٥

(٣) تفسير القرطبي ١٠/ ١٩١

قال عمر رضي الله عنه : (إن في المعارض ما يكف أو يعف الرجل عن الكذب) (١)

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه : (إن في المعارض لمنده وحه عن الكذب) (٢)

أي : إن في المعارض ما يستغنى بها الرجل عن الاضطرار الى الكذب، فالمعارضيس أسلوب حسن يتخلص بها المسلم من أمر لا يريده ، وهو مع ذلك ينجو من الكذب ولا يقع في المحرم .

أما المعارض المحرمة فلا يجوز استخدامها إلا في حالة الضرورة والخوف ، فإذا استخدمها المسلم مضطراً فإنه يكون بذلك قد استخدم التقية ، لأن التقية تعني الوقوع في المحرم اضطراراً .

والنوع الثاني من المعارض ^{يدخل في التقية} ، وهي المعارض المحرمة شرعاً ، ولذلك قال العلماء : إن من أكره على كلمة الكفر لا يجوز أن يجربها على لسانه إلا مجرى المعارض ومن أكره على سب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز له ذلك حتى يقصد بقلبه محمداً آخر ، وهذا ما استعرضناه بالتفصيل عند الحديث عن ضوابط استخدام التقية .

أمثلة للمعارض المباحة

هناك كثير من المعارض المباحة وردت على السنة بعض الأنبياء عليهم السلام ، وغيرهم ، وقد وهم البعض وظنوا داخله في باب التقية ، بل إن الشيعة - كما سنرى - استدلسوا بها لإثبات وجوب التقية وأنها من سنة الانبياء وهديهم بها ، ولذلك كان لزاماً على الباحث أن يستعرض هذه المعارض ، ويبين الوجه فيها ، والمصلحة من استخدامها . ولعل أبرزها :

١ - المعارض التي ذكرها ابراهيم عليه السلام بقوله (إني سقيم) وقوله (بل فعلسه كبيرهم هذا) وقوله عن زوجته (هي أختي) .

(١) (٢) رواهما البخاري في الأدب المفرد ٣٣٣/٢ - ٣٣٤ وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٣٥/٨ ، وأخرج الطبري في التهذيب قول عمران ، وكذلك الطبراني في الكبير رجاله ثقات كما قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٠ / ٥٩٤)

في الباب الثاني

وسنتحدث بالتفصيل عن هذه المعارض وأسبابها والهدف منها ، وما افتراه الشيعة

(١)

على إبراهيم عليه السلام في نسبة التقية له مستدلين بهذه المعارض .

بيد أننا لا بد أن نشير هنا إلى معاني هذه المعارض بإيجاز .

فقله عليه السلام (إني سقيم) ذكره ليكون عذراً تظاهراً به أمام قومه ليتخلف عنهم

ولا يشاركونهم في عيدهم ، وبالتالي يتمكن من تحطيم أصنامهم في غيابهم .

وهو لم يكذب في هذا القول لأن الانسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة

مكروه ، إما في بدنه وإما في قلبه ، وكل ذلك سقم ، ولعله كان يقصد أنه سقيم القلب بسبب

(٢)

إصرار قومه على كفرهم وضلالهم

وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) نوع من التهكم والسخرية بهم ، لإقامة الحجة

عليهم ، وإجبارهم على الاعتراف بأن آلهتهم حجارة صماء لا تضر ولا تنفع .

وقوله (إنها أختي) قالها إبراهيم عليه السلام عن زوجته سارة عندما هاجر

بها إلى قرية فيها جبار من الجبابرة فأرسل ذلك الجبار يطلبها وسأله من هذه النسوة

معك ؟ قال : أختي ، ثم رجع إليها فقال : (لا تكذبي حديشي فأني أخبرتهم أنك

أختي ، والله إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك) فدعت ربها أن لا يسلط عليها ذلك الطافر فنجأها الله منه^(٣)

فهو يقصد بهذا القول أخوة العقيدة والايان لأخوة النسب ، وهذا من

المعارض الجائزة .

أما الحديث الذي رواه البخاري وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال

(لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات)^(٤) فلا يعني نسبة الكذب المذموم إلى إبراهيم

عليه السلام .

لأن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع .

(١) راجع موضوع : نسبتهم التقية لإبراهيم عليه السلام . ص / ٢٦٦ من هذا البحث

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٤٨ / ٢٦

(٣) انظر صحيح البخاري ٢ / ٢٦ في كتاب البيوع ، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه

(٤) صحيح البخاري ٣ / ٢٤٠ في كتاب النكاح ، باب اتخاذ السراري .

ومسلم ٧ / ٩٨ في كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام .

أما في نفس الامر فليست كذباً لانه من باب المعارض ، وانما أطلق عليه ذلك لكونه يشبه صورة الكذب عند السامع (١)

٢ - والرسول صلى الله عليه وسلم استخدم المعارض يوم بدر فقد قام بنفسه مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه باستكشاف جيش المشركين قبل بدء المعركة فلقي شيخاً من الأعراب فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجيشين ، فقال : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك قال : أوزاك بذاك ؟ قال : نعم .

فأخبرهما بما يعلم من أخبار الجيشين ، ولما فرغ من خبره قال : من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه ، والرجل يردد مستغرباً : من ماء ؟ أم من الماء ؟ (٢)

وهذه المعارض تدل على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تدبيره ، بحيث استطاع أخبار جيش المشركين دون أن يعرف هذا الرجل شيئاً عنه .

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : نحن من ماء ، إلى قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشراً) (٣) وهذا المعنى صحيح وهو خبر صادق ، ولكن الأعرابي فهم أن الماء اسم لموضع أو قبيلة .

ومن معارض الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يوري عن الغزوة بغيرها ، فيظن الناس أنه يريد جهة كذا وإذا به يقصد غير هذه الجهة ، وهذه من معارض الأفعال (٤) ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم المعارض في مزاحه ، ولا يقول إلا حقاً وذلك ليدخل السرور على أصحابه ، ويتألف قلوبهم ، ولتحقيق مصالح أخرى

(١) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٢٤ ، بذل المجهود شرح سنن

أبي داود ٣٢٥/١٠

(٢) السيرة النبوية لابن هاشم ٦١٦/٢

(٣) سورة الفرقان / آية ٥٤

(٤) إعلام الموقعين ٦/٢٥١

فمن ذلك قوله لمن قال له احملني ، قال : أحملك على ابن الناقة ، فقال يارسول الله ماعسى أن يغني عني ابن الناقة ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : ويحك ، وهل يلد الجمل إلا الناقة ؟^(١)

وكذلك لما جاءته عجوز فقالت : يارسول الله : ادع الله لى أن يدخلنى الجنة فقال : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فوطت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز^(٢)

وقوله للمرأة : زوجك الذي في عينيه بياض ، وهو يقصد البياض حول الحدقة. وهذه المعارض ونحوها من أصدق الكلام .^(٣)

٣ - وأبو بكر رضي الله عنه استخدم المعارض في طريق الهجرة الى المدينة :

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وهو مُردِفُ أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يُعرف ، ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يُعرف ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟

فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل . قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير)^(٤)

٤ - وأم سليم^(٥) رضي الله عنها ضربت أروع الأمثلة في الصبر وتلقي المصيبة بالتسليم

(١) رواه ابو داود ٢٧١/٥ رقم ٤٩٩٨ والترمذى ٣٥٧/٤ رقم ١٩٩١ وقال :

هذا حديث حسن صحيح غريب

(٢) رواه الترمذى في كتابه الشمائل ص/ ١٢١

(٣) اعلام الموقعين ٢٤٦/٣

(٤) صحيح البخارى ٣٣٤/٢ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) هى أم سليم بنت ملحان الأنصارية ، وقد اختلف في اسمها ف قيل سهلة وقيل ربيعة أو الرميصة ، وهى أم أنس خادم الرسول صلى الله عليه وسلم ، تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنساً ، وأسلمت مع السابقين إلى الاسلام من الأنصار ففضب مالك وخرج الى الشام فمات بها ، فتزوجت بعده أبا طلحة =

الكامل وذلك حينما مات ابنها فأرادت أن تخفف وطأة الخبر عن زوجها أبي طلحة .
وقد روى البخاري في باب (المعارض مندوحة عن الكذب) هذه القصة مختصرة
ورواها البزار في مسنده وابن سعد في طبقاته بتفصيل أكثر .
ففي رواية البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :

(كان ابن لابي طلحة رضى الله عنه يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي ، فلما
رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ما كان ، فقرئت إليه
العشاء فتعشى ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أتى
أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم ،
قال : اللهم بارك لهما . (١)

وفي رواية له أن أم سليم قالت لابي طلحة : (هدا نفسه ، وأرجو أن يكون قد
استراح) (٢)

وفي رواية البزار أن أم سليم قالت لابي طلحة بعد أن تعشى وأصاب منها : (يا
أبا طلحة عارية استعارها قوم ، وكانت العارية عندهم ما قضى الله ، وإن أهل العارية
أرسلوا الى عاريتهم فقبضوها ألهم أن يجزعو ؟ قال : لا ، قالت : فإن ابنك قد فارق
الدنيا . قال : فأين هو ؟ قالت : هاهونا في المخدع ، فدخل فكشف عنه واسترجع ، (٣)

= على أن يُسلم ، وكان صداقها الاسلام ، وكانت تغزومع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولها في ذلك قصص مشهورة

(راجع ترجمتها في الاصابة ٤ / ٤٤١ - ٤٤٢)

أما زوجها أبو طلحة فاسمه زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الخزرجي ، شهد
العقبة ودرأها بعدها من المشاهد ، وكان من الرماة المشهورين ومن فضلاء
الصحابة ، وهو القائل :

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد (راجع ترجمته في الاصابة

(٥٤٩ / ١)

(١) صحيح البخاري ٣ / ٣٠٤ كتاب العقبة - باب تسمية المولود

(٢) المرجع السابق ٤ / ٨٢ كتاب الأدب - باب المعارض

(٣) أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون

فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بقول أم سليم ، فقال : " والذي بعثني بالحق لقد قذف الله تبارك وتعالى في رحمها ذكرا لصبرها على ولدها " (١) .

وهكذا كانت المعارض طريقاً لتخفيف الحزن عن أبي طلحة ، فقد فهم من قولها :
(هداً نَفْسَه وأرجو أن يكون قد استراح) أنه تعافى وزال مرضه ، ولكنها أرادت بقولها
هداً نَفْسَه أنه انقطع كلية بالموت ، وقولها (استراح) أنه استراح من نكد الدنيا وألم
المرض، فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للامر الذي فهمه أبو طلحة (٢).
وهذه من المعارض المستحبة ، وهي دليل على فطنة أم سليم وقوة إيمانها وصبرها عند
الصدمة الاولى .

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٤/٩ : (رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ،

غير أحمد بن منصور الرمادي ، وهو ثقة) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٩٤/١٠

المبحث الثالث

الخدعة في الحرب وصلاتها بالتقية

اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب ^(١) وقد ورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة رواها البخاري وغيره ، منها ما رواه عن جابر رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (الحرب خدعة) ^(٢) .

وما رواه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (ستن النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة) ^(٣) .

قال الامام ابن العربي :

(الخديعة في الحرب تكون بالتورية وتكون بالكمين يعدة الجيش ، وتكون بخلف الوعد ، وذلك كذب من المستثنى الجائز المخصوص من المحرم) ^(٤) .

واختلف العلماء هل المراد حقيقة الكذب أو أن الجواز مقيد بالتورية والمعاريف ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف ثم نقل قول الامام النووي :

(الظاهر إباحة حقيقة الكذب . . لكن التعريف أولى) ^(٥) .

وسواء كان الكذب في الحرب صريحاً أو كان عن طريق المعاريف والتورية فإن هذا لا يدخل في التقية ولا يعد باباً من أبوابها .

ذلك لان التقية لا تكون الا في حالة الاكراه والاستضعاف ، والمقاتل في ساحة المعركة ليس مستضعفاً ولا مكرهاً ، كما أن الذي يخادع عدو ليظفر به حتى يقتله لا يعد مكرهاً ، وإنما يستخدم أسلوب الخداع الذي أباحه الاسلام في هذا الموطن ليتمكن من الايقاع بعدو .

ولعل أبرز القصص في هذا المجال قصة قتل كعب بن الاشرف على يد الصحابي الجليل محمد بن مسلمة وأخوانه .

(١) تحفة الاحوذى شرح سنن الترمذى ٣٢٠/٥
 (٢) (٣) صحيح البخاري ١٧٤/٢ كتاب الجهاد ، باب الحرب خدعة .
 (٤) سنن الترمذى بشرح الامام أبي بكر ابن العربي ١٧٠/٧
 (٥) فتح البارى ١٥٩/٦

وقد روى البخارى هذه القصة فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من لكعب بن الاشرف فانه قد آذنى الله ورسوله ،
فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فأذن لى
أن أقول شيئا . قال : قل . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا
صدقه ، وانه قد عثانا ، وانى قد أتيتك استسلفك . قال : وأيضا والله لتملنّه .
قال : إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شئ يصير شأنه ، وقد
أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين .

فقال : نعم ، ارهنونى . قالوا : أى شئ تريد ؟

قال : ارهنونى نساءكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟
قال : فارهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو
وسقين ، هذا عار علينا ، ولكننا نرهنك الأمة - يعنى السلاح - .

فواعده أن يأتيه ، فجاءه ليلا معه أبونايلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم السرى
الحصن ، فنزل اليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ انى أسمع صوتا كأنه
يقطر منه الدم .

قال : انما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبونايلة ، إن الكريم لو دُعِيَ الى طعنه بليلى
لأجاب .

وقال محمد بن مسلمة لمن معه : اذا ماجأ فانى قاتل^(١) بشعره فأشبهه ، فاذا رأيتمونى
استمكنت من رأسه فد ونكم فاضربوه .

فنزل اليهم متوشحا وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقالوا : نجد منك ريح الطيب .

فقال : نعم تحتي فلانه أعطر نساء العرب ، فقال محمد : أفتأذن لى أن أشم منك . قال :
نعم . فشَمَّ ثم قال : أفتأذن لى أن أعود . قال : نعم .

فلما استمكن منه قال : د ونكم فاقتلوه ، ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه^(٢)

(١) هذا من باب إطلاق القول على الفعل كما قال الحافظ ابن حجر (فتح البارى ٧ / ٣٣٩)

(٢) صحيح البخارى ٢ / ٧٨ باب رهن السلاح ، ٣ / ١٧ باب قتل كعب بن الأشرف

وهكذا تمكن محمد بن مسلمة واخوانه من قتل عدو الله كعب بن الأشرف الذي نقض عهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شاعراً يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش^(١) وكان من أبرز أسباب نجاح خطة قتله الخداع الذي استخدمه محمد بن مسلمة بما آتاه الله من فطنة وذكاء حتى أنهم كعباً أنه يحبه وتظاهر بالضييق والتذمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما أذن له فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

والواقع أن هذه الخطة المحكمة تتضمن صراحة من الخداع لهذا العدو ولتظاهر أممه بخلاف الحق الذي يعتقده ابن مسلمة واخوانه .

فقد تظاهروا أممه بالتذمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يكثر من طلبه لأموالهم كما تظاهروا بحبة هذا الكافر والإعجاب به والثناء عليه .

بل إن بعض الروايات تذكر أن كعباً قال لأبي نائلة : (أخبرني ما في نفسك ، ما الذي تريد من أمره ؟ - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - قال : خذلانه والتخلي عنه ، قال : سررتني)^(٢) !

وهذا غاية ما يمكن من التظاهر بالباطل لخداع هذا الكافر حتى يأمن لهم ولا يرتاب في أمرهم ، لكي تتم الخطة المرسومة بنجاح .

ومع كل هذه الصور من التظاهر بالباطل والثناء على هذا الكافر ، فإن هذا لا يعد تقية كما قلنا ، لأن الأساس في التقية أن يكون بسبب الإكراه والاستضعاف ، ومحمد بن مسلمة واخوانه الأبطال لم يتظاهروا بذلك مكرهين خائفين ليأمنوا بطش ابن الأشرف ، وإنما تظاهروا بمودته ليطشوا به .

وهكذا يتضح الفرق بين الخدعة في الحرب والتقية .

وهناك قصص عديدة أخرى يمكن أن تصلح دليلاً في هذا الموضوع أبرزها ما قام به نعيم بن مسعود رضي الله عنه عندما أسلم في غزوة الخندق ولم يعلم المشركون بإسلامه فقال لـ

(١) فتح الباري ٢ / ٣٣٧

(٢) فتح الباري ٢ / ٣٣٨

الرسول صلى الله عليه وسلم خذل عنا ، فقام بدور هام أدى الى التفريق بين الاحزاب
 المحاصرة للمدينة ، حيث أوهم كل فريق منهم أنه ناصح لهم وأن الآخرين قد تواطأوا
 على الانسحاب من المعركة ، وذلك أوقع الخلاف بينهم وكان ذلك من أسباب هزيمتهم .^(١)

(١) راجع تفصيل قصه نعيم في سيرة ابن هشام ٢٢٩/٢

الفصل السادس

أثر التقية في المجتمع الإسلامي

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إكراه مسلمي الأندلس على الكفر واستخدامهم التقية

- إجبارهم على التنصر

- صمود المسلمين وسالتهم

- استخدامهم التقية

المبحث الثاني : إكراه مسلمي الاتحاد السوفيتي على الكفر واستخدامهم التقية

- إكراههم على الكفر

- استخدامهم التقية

* لماذا انعدم الوجود الإسلامي في الأندلس ولم ينعدم في الاتحاد السوفيتي ؟

المبحث الثالث : واقع التقية في المجتمع الإسلامي المعاصر .

تحدثنا فى الفصول السابقة عن موقف أهل السنة من التقية، ومانصوا عليه من ضوابط وشروط لجواز استخدامها فى حالة الاكراه والخوف .

وننتقل فى هذا الفصل للحديث عن بعض الصور التطبيقية لاستخدام التقية فى المجتمعات الاسلامية التى اكرهت على الكفر كالاندلس وبلاد ماوراء النهر التى هى الان جزء من الاتحاد السوفيتى .

والواقع ان أبرز ما تهدف اليه هذه الدراسة التطبيقية اثبات أن التقية مزلق خطر، وساب قد يؤدى إلى الكفر اذا لم تصاحبه الخشية الدائمة من الله سبحانه .

- وقد أورد الامام المطلبى أن رجلاً جاء الى حذيفة فقال : (يا أبا عبد الله أكرهت بنو اسرائيل فى يوم واحد ؟ قال : لا ، ولكن كانت تعرض عليهم الفتنة فإبانونها فيكرهون عليها حتى يدخلوا فيها ، ثم تعرض عليهم أكبر منها ، فإبانونها فيضربون عليها ويقولون : والله لا ندخل فى هذه أبداً ، فيضربون عليها حتى يدخلوا فيها ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ أحدكم من قميصه) (١) .

- كما حذر الامام أحمد من خطر استخدام التقية اذا كانت ستؤدى الى مشاركة دائمة للمكافى فى أعمالهم : (روى الاثرم عن أبى عبد الله أنه سئل عن الرجل يؤسر فيعرض على الكفر ويكره عليه أنه أن يرتد ؟ فكرهه كراهة شديدة وقال : ما يشبه هذا عندى الذين أنزلت فيهم الآية من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أولئك كانوا يراون على الكلمة ثم يتركون يعملون ماشاءوا ، وهؤلاء يريدونهم على الإقامة على الكفر وترك دينهم ، وذلك لان الذى يكره على كلمة يقولها ثم يخلى لاضرر فيها ، وهذا المقيم بينهم يلتزم بأجابتهم الى الكفر والمقام عليه واستحلال المحرمات وترك الفرائض والواجبات ، وفعل المحظورات والمنكرات ، وان كان امرأة تزوجوها واستولدوها أولاداً كافراً ، وكذلك الرجل ، وظاهر حالهم المصير الى الكفر الحقيقى والانسلاخ من الدين الحقيقى) (٢) .

فالتقية الجائزة هى أن يجد المسلم ظرفاً يسمح له فيه بالنجاة مع المحافظة على دينه ، أما اذا نجا من القتل مع ضياع دينه فهذه ليست تقية وانما هى ردة وكفر ، واذا لم تؤدى الى كفر الاباء فانها قد تؤدى غالباً الى كفر الابناء والذرية .

قال الامام الطاهر بن عاشور : (ويجب أن تكون الثقة غير دائمة لانها اذا طالت دخل الكفر فى الذراري) (٣) وهذا ما حصل لكثير من المسلمين كما سنراه فى هذا الفصل .

(١) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع للامام أبى الحسين المطلبى (ت ٣٧٧هـ) - ص ٨٦

(٢) المغنى لابن قدامة ١٠ / ١٠٨

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٣ / ٢٢١

وسنكتفى فى هذا الفصل باستعراض أبرز حادثتين من الحوادث التاريخية الكثيرة التى أكره فيها المسلمون على الكفر واضطروا فيها للاخذ بالتقية .
وهاتان الحادثتان هما :

- اكره مسلمى الاندلس على الكفر بعد أن سقطت آخر معاقلهم فيها فى يد الاسبان .
 - اكره مسلمى الاتحاد السوفيتى على الكفر بعد الثورة الشيوعية التى اجتاحت بلادهم .
- كما سنختم الفصل بالحد يث عن واقع التقية فى المجتمع الاسلامى المعاصر ، وما حل بالمسلمين من تخاؤل وتهاون بسبب استخدامهم للتقية وعدم الاخذ بضوابطها الشرعية .

المبحث الأول

إكراه مسلمي الأندلس على الكفر

واستخدامهم التقية

حكم المسلمون الأندلس زهاء ثمانية قرون ، فقد كانت طلائع الفتح بقيادة طارق بن زياد عام (٩٢) ، وتوالى الفتوحات حتى عم الاسلام وانتشر الخير ، وأقام المسلمون في الأندلس حضارة ما عرف التاريخ مثيلاً لها ، وعاش غير المسلمين في ظل هذه الحضارة عيشة وغيصة سعيدة وقد نالوا حقوقهم ، وتحقق لهم ما كانوا يفقدونه في ظل الحكم الصليبي .

ثم بدأ الضعف يدب في صفوف المسلمين ، وشغل أمراء الأندلس بالخلافات والمنازعات واستغل الصليبيون ذلك فهرعت جيوشهم وأخذوا يستولون على مدن الأندلس واحدة بعد واحدة وحصناً بعد حصن ، حتى لم يبق في يد المسلمين غير غرناطة ، لنعنتها وكثرة أهلها . ولكن غرناطة لم تصمد طويلاً فقد دب الخلاف بين حكامها من بني الأحمر ، وانتهمس الأمر بتغلب الأسبان على غرناطة سنة (٨٩٧ هـ) وكان بذلك نهاية المسلمين بالأندلس ولقد سقطت غرناطة بعد أن سلم ملكها (أبو عبد الله بن أبي الحسن) مفاتيح المدينة إلى الأسبان لقاء شروط حددها الطرفان وتتضمن بنوداً كثيرة أبرزها : أن يأمن المسلمون على أنفسهم ودينهم وأموالهم وأعراضهم ، وإقامة شعائهم واحترام مساجدهم وفك أسراهم ، وإغنائهم من الضرائب سنين معلومة (١) .

ولكن هذه الشروط لم ينفذ منها شيء ، وإنما تعرض المسلمون لاشد أنواع التعذيب والقتل وأبشع صور الجرائم حتى يرتدوا عن دينهم ويتخلوا عن إسلامهم ، وحلت بالمسلمين محنة شديدة لم ينج منها إلا القليل .

فكيف كان ذلك ؟ وهل تمكن الأسبان من تحقيق مآربهم ؟ وهل استطاع المسلمون أن — يحتفظوا بدينهم ودين أبنائهم ؟ هذا ما سأعرض له في هذا المبحث بشيء من الاختصار

(١) محاكم التفتيش في الأندلس - محمد علي قطب - ص/٣٢ - ٣٩ - طبع القاهرة

اجبار المسلمين على التنصر والتخلي عن الاسلام

بعد أن استولى الاسبان على الاندلس بدأت حملات التعذيب الوحشي والاكراه على التنصر واضطهاد المسلمين بأشنع أساليب العنف وصره . والحديث عن هذا الموضوع طويل ، ولكننا سنقتطف بعض الصور لنرى منها ما كان يتعرض له المسلمون هناك من شدة ما ينالهم من أذى واضطهاد لكي يتخلوا عن دينهم ويدخلوا في النصرانية بالاكراه والقسر .

ولقد كان الاسبان الصليبيون يعرفون تمام المعرفة بأن المسلم لا يرضى بدينه بد يلا ولذلك لم يكونوا يكتفون منه بكلمة يقولها وانما كانوا يُكرهونه على التخلي عن كل مظهر إسلامي ويخضعونه لمراقبة شديدة ، ويضطشون به بأقل شبهة .

- ومن ذلك أنهم كانوا يُكرهونه على تغيير اسمه الاسلامي ولباسه الاسلامي وان — يرسل أطفاله من سن الرابعة الى مكاتب النصرى ، ومن لا يفعل ذلك يحرق بالنار . (١)

- واذا رأوا متنصراً احتفل بيوم الجمعة بأن ارتدى ثياباً أنظف من ثيابه العادية أو رآه يذبح الحيوان على الطريقة الاسلامية ، أو يقوم بختان ولده ، أو لا ياكل ولا يشرب في رمضان الا عند الغروب ، أو يفصل الموتى ويكفّنهم على الطريقة الاسلامية ، أو غير ذلك مما يتميز به المسلمون فهذا دليل على أنه لم يتنصر ، وجزاؤه التعذيب والحرق . (٢)

- ومن شعروا به أنه لا يأكل لحم الخنزير ولا يشرب الخمر أو أنه يتنظف ويتطهر — ويستحم ، أو يتكلم بالعربية ، أو يحجب نساءه أو يلبس زياً إسلامياً ، فالويل له من التعذيب . (٣)

وهكذا حلت المأساة بمسلمي الاندلس ، تلك المأساة التي كان هدفها اقتلاع جذور المسلمين من الأندلس وإلغاء كل ما يمت اليهم بصلة .

(١) حاضرم العالم الاسلامى للامير شكيب أرسلان ٢/١٥، ٢٥ دار الفكر - ط٤ - ١٣٩٤ هـ

(٢) محاكم التفتيش فى الاندلس ص/ ٤٨ - ٤٩

(٣) حاضرم العالم الاسلامى ٢/٣٨ ، محاكم التفتيش ص/ ٦٠

فماذا كان موقف المسلمين ؟

صمود المسلمين وسالتهم :

بقى المسلمون يقلبون حملات التنصير ويصدون في وجه هذا التيار الكاسح ما يزيد على قرن من الزمان ، دفاعاً عن عقيدتهم .^(١)

مع أن كثيراً منهم ممن وقع في قبضة الصليبيين قد تظاهروا بالنصرانية ، ولكن قلوبهم كانت مطمئنة بالايان ، وكانوا يبذلون كل جهدهم للحفاظ على دينهم وشخصيتهم الاسلامية ولذلك نجد أن عشرات الثورات قد قامت في وجه الاسبان ، واعتصم بعض المسلمين في الجبال يقاومون الاسبان ويتصدون لهم .

وكان من أبرز هذه الثورات الثورة التي وقعت عام (١٥٦٨) وامت جبال البشرات ، واستمرت حولين كاملين ، وكانت أحداثها حافلة بالبطولة والفداء ، وقام هؤلاء يأخذ الثأر فهدموا كثيراً من الكنائس وقتلوا من وقع في قبضتهم من القساوسة وقواد الاسبان ، فقابل الاسبان هذه الثورة بوحشية وأتوا بالفظائع لقمع هذه الثورة ، فذبحوا النساء والأطفال ، وأحرقوا المساكن ودروا البيوت وخنقوا السكان بالدخان حتى هلك من المسلمين الكثير ، فتكبروا أشد التكبر بمن وقع تحت قبضتهم وأحرقوهم أحياء .

ولم تخمد هذه الثورة حتى عمد الاسبان الى سياسة المكر والخداع ، وأذاعوا أمراً بالعفو العام ، وطلبوا المفاوضات ، وتظاهروا بأنهم سيتخلون عن سياسة البطش والاكراه على التنصر ، وذلك هدأت الثورة وهرب كثير من المسلمين بأسرهم الى افريقية .

ولكنهم عادوا الى وحشيتهم فأذاقوا المسلمين ألوان العذاب ، وسالت دماؤهم أنهاراً وحرقت أجسادهم أكواماً^(٢) .

ثم صدر أمر الاسبان بتهجير ونفي المسلمين المتنصرين بحجة أن لهم اتصالاً بأعداء اسبانيا ، وأنه لا سبيل الى جعلهم يعتنقون المسيحية ، ولهذا وجب طردهم الى بـ افريقية

(١) التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمن علي الحجي - ص ٥٦٨ / دار القلم بيروت — الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

(٢) حاضره العالم الاسلامي ١٥/٢ - ١٦

وهكذا أُجبر من بقي من المسلمين على مغادرة وطنه وُديء بتنفيذ هذا القرار سنة (١٨٠١ هـ) (١٦٠٩ م) وتم نقل مئات الالوف الى سواحل شمال افريقية، وظلت سفن النقل المعدة لتجهيزهم تروح وتغد وشهراً طويلاً، وهى مشحونة بهم تلقىهم فى شفر افريقية على صورة من الذل والهوان، تفتت الاكباد أسى وحسرة وقد قدر بعض المؤرخين عدد الذين نُفوا بقراة مليون نسمة (١) .

وقيت بعض الأسر الاسلامية التى أُجبرت على التنصر، وكان هؤلاء يتظاهرون بالنصرانية ويحذرون أشد الحذر من انكشاف أمرهم، وقد انتبه الاسبان الى خطر هجرة المسلمين الى سواحل افريقية خشية أن يتجمعوا وينقضوا على السواحل الاسبانية أخذاً بالثأر، فاستمروا فى سياسة الاكراه على التنصير بوحشية وعنف ومنعوا من بقى من المسلمين من الهجرة (٢)

استخدام مسلمى الاندلس للتقية :

لقد كانت المحنة التى تعرض لها مسلمو الاندلس شديدة لدرجة أنهم كانوا يُجبرون على التخلي عن كل مظهر اسلامى، وكان الاسبان ييثون عيونهم ليحصوا على المسلمين أنفاسهم .

مع ذلك ظل كثير من المسلمين متمسكين بدِينهم، يقومون بالعبادة سرّاً، ويتظاهرون بالنصرانية أمام الاسبان .

وكان المسلمون المتنصرون يعقدون أولادهم ظاهراً فى الكنيسة فاذا انصرف القسيس مسحوا عن الولد ماء المعمودية، وإذا تزوج أحد هؤلاء أجرى القسيس عقد الاكليل، ثم بعد ذهابه يعقدون النكاح بحسب السنة الاسلامية (٣) .

(١) محاكم التفتيش ص/ ٦٤ - ٦٩ (٤) حاض العالم الاسلامي ١٤ / ٢

(٢) حاض العالم الاسلامي ٣٠ / ٢

(٣) المتعميد فى الطفولة من شعائر المسيحية، وطريقته رش الطفل بالماء أو تغطيته فيه ويقوم بهذه العملية كاهن يعقد باسم الاب والابن وروح القدس وبذلك ينشأ الانسان ظاهراً من الذنوب كما يزعمون . راجع كتاب : المسيحية للدكتور أحمد شلبي

ولما اشتدت المحنة بالمسلمين اكثر، اضطروا الى إخفاء دينهم حتى عن أولادهم لان الولد قد يغشي سرايبه دون أن يشعر بخطر ذلك .

ولم يعد بإمكان الاب أن يشرف على تربية أولاده ، أو يلقنهم شيئاً من أمور الاسلام أو يعلمهم شيئاً من اللغة العربية ، لان الابناء يؤخذ بهم الى مكاتب النصارى ويتلقنون النصرانية ولا يعرفون غيرها .

ومع كل ذلك فقد وُجد في بعض الاسر الاسلامية من يعلم أبناءه سراً مع شدة الحذر والتأكيد عليهم بضرورة الكتمان والتستر .

ومن هؤلاء الذين تعلموا من آبائهم بهذه الطريقة المؤرخ محمد بن عبد الرفيـع الأندلسي (ت ١٠٥٢ هـ) الذي يحكي لنا قصته في كتابه (مقدمه الفتح من تاريخ رباط الفتح) فيقول :

(لقد أطلعني الله على دين الاسلام بواسطة والدي رحمه الله وأنا ابن ستـة أعوام وأقل ، مع أني كنت اذ ذاك أروح الى مكتب النصارى لاقرأ دينهم ، ثم أرجع الى بيتي فيعلمني والدي دين الاسلام ، فكنت أتعلم فيهما معا وسني حين حُملت اليـ مكتبهم أربعة أعوام ، فأخذ والدي لوحاً من الجوز . . . فكتب لي فيه حروف الهجاء وهو يسألني حرفاً حرفاً فلما فرغ أوصاني أن أكتب ذلك عن والدي وعن أخي وجميع قرابتنا ، وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق ، شدد عليّ الوصية ، صار يرسل والدي اليّ فتسألني مالذي يعلمك والدك ؟ فأقول لها : لاشي . فتقول : أخبرني بذلك ولا تخف لان عندي الخبر بما يعلمك .

فأقول لها : أبداً ما هو يعلمني شيئاً .

وكذلك كان يفعل عي . ، وأنا أنكر أشد الانكار . . . فلم أقرأ لاحد قط بشي ، مع أن والدي رحمه الله قد ألقى بنفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيُحرق لامحالة لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده) .

ثم يقول : (وكان والدي يقول لي : اذا أتيت كنائسهم ورايت الاصنام ، فاقرا فـي نفسك سرا قوله تعالى : " يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون —

الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له " وقوله سبحانه : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون " فلما تحقق والدي رحمه الله أنني أكرم أمور دين الاسلام عن الاقارب فضلاً عن الاجانب أمرني أن أتكلم بإفشاء لوالدتي وهي ومعض أصحابه فقط ، وكانوا يأتون الى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا اسمع ، فلما رأى حزبي مع صغر سني فرح غاية الفرح ، وعرفني بأصدقائه وأحبائه وأخوانه في دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً ^(١) .

وهكذا نجد أنه رغم شدة التعذيب الذي كان يتعرض له المسلمون فان بعضهم كان حريصاً على تلقين أولاده دين الاسلام ولو أدى ذلك الى مالا تحمد عقباه ، وذلك بقيت بعض الأسر متمسكة باسلامها سرّاً قروناً عديدة حتى انقضت المحنة .

ولكن هذا الأمر لم يكن سهلاً ، فقد كان جواسيس محاكم التفتيش ينتشرون في كل مكان فاذا وقع مسكين في قبضتهم زجّ به في أعماق السجون ، وقد أمكنهم أن يجعلوا من الابن جاسوساً على أبيه ، والاب على ابنه ، والزوج على زوجته ، فمن عرف شيئاً ولم يبلغ عنه عُبدَ شريكاً في الالحاد واستحق العذاب الصارم ومن قبض عليه ، وكان ذنبه صغيراً ، لطفه رجال التفتيش وحلوه الى جاسوس لهم ينقل لهم أخبار الآخرين ^(٢) .

كل ذلك كان يمنع كثيراً من الآباء أن يفصحوا عن شيء من دينهم لابنائهم ، وذلك نشأ أولادهم على النصرانية باطنياً وظاهراً ، وهم لا يعلمون أن آباءهم كانوا مسلمين ، وأن قلوبهم كانت مطمئنة بالايان وذلك نظراً لشدة كتمان الوالدين ، ولأن من عادة الصغير أنه لا يكتف السراً غالباً .

وهكذا تحولت الاندلس الى دار كفر ، ونشأت الاجيال على النصرانية ، وحتى اسم الاسلام من بلاد الاندلس ، ولذلك ليس من السهولة أن نجد الآن أسراً مسلمة في أسبانيا ^(٣) .

والواقع أن تحول الملايين الى النصرانية كان من بين أسبابه جهل الكثيرين بالاسلام وضعف جذوة الايمان في قلوبهم ، فآثروا السلامة ، ولم يبذلوا ما بذله والد المؤرخ الاندلسي الذي

(١) حاضر العالم الاسلامي ٢٤/٢ - ٢٦

(٢) محاكم التفتيش ص/ ٩٠ - ٩١

(٣) التاريخ الاندلسي ص/ ٥٦٩

ذكرنا قصته ، لأن هذا قد يوقعهم فى المخاطر .

كما أن الكثير من هؤلاء تيسرت لهم أسباب الهجرة فلم يهاجروا ، فضّلوا فراق دينهم على فراق أوطانهم^(١) .

وقد ذكرنا فى بداية حديثنا عن التقية أن من تيسرت له أسباب الهجرة من دار الكفر لا يجوز له أن يبقى فيها مادام عاجزاً عن إظهار دينه .

وهؤلاء اضطرهم الكفار الى المشاركة بكل أعمال الكفر بما فيها التجسس على إخوانهم وإرسال أبنائهم ليتربوا على الكفر فى مدارس النصارى .

وهذه أعمال لا يجوز للمسلم أن يُقدم عليها بدعى التقية لأنها تنافى اطمئنان القلب بالايان وتؤدي الى الانسلاخ من الدين .

أما المقهورون الذين مُنعوا من الهجرة فهم معذرون أمام الله سبحانه ماداموا قد بذلوا كل ما فى وسعهم للمحافظة على دين أبنائهم ، ولكن التيار الكاسح كان أقوى منهم .

المبحث الثاني^(١٧٥) إكراه مساهمي الاتحاد السوفييتي على الكفر واستخدامهم النقية

يتكون الاتحاد السوفيتي اليوم من مناطق كانت تسعة أعشارها اسلامية ، ولم تكن روسيا
إلا د ولية محدودة المساحة تقع في الركن الشمالي الشرقى من أوروبا ، ثم أخذت تتسع
حتى بلغت خمسة عشر ضعفاً من حجمها الأول .

ولقد سيطر الروس على الاقاليم الاسلامية التي تزيد في مساحتها عن القارة الاوربية
كلها عدة مرات .^(١)

وقد كانت هذه الاقاليم تسمى بلاد ما وراء النهر ، حيث ابتدأ دخولها في الاسلام
منذ أواخر عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوالى انتشار الاسلام فيها في
عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أن تم فتحها على يد قتيبة بن
مسلم سنة ٨٦ هـ ثم دخل كثير من أهل البلغار وتركستان في الاسلام على أيدي التجار
المسلمين في القرن الثالث الهجري .

وفي القرن السابع الهجري ظهر التتار واجتاحوا العالم الاسلامي ، والبشوا أن تحولوا
الى الاسلام وذلك تحولت كل الاراضي الواقعة اليوم في الاتحاد السوفيتي الى الحكم
الاسلامي^(٢)

ثم استولت روسيا القيصرية على كثير من المناطق الاسلامية في أواسط القرن العاشر
الهجري وطرده المسلمون من المدن المهمة وبدأ الاستعمار الروسي يشن الهجمات الشرسة
على المسلمين ويحتل مناطق التتار المسلمين واحدة واحدة ويفرض عليهم التحول الى المسيحية
أو الهجرة من اراضيهم^(٣)

(١) الاسلام في وجه الزحف الاحمر- للشيخ محمد الفزالي - ص/١٠٧ - ١٠٨ ، المختار
الاسلامي- القاهرة الطبعة السادسة ١٣٩٦ هـ .

(٢) المسلمون في الاتحاد السوفيتي - للدكتور محمد علي البار ١/٢٧ - ٢٨ ، دار
الشروق بجدة الطبعة الاولى - ١٤٠٣ هـ .

(٣) المرجع السابق ١/٤٣ - ٤٤

وقد اضطر كثير من المسلمين للتظاهر بالنصرانية بسبب ما شهدوا من الاضطهاد والوحشية ولكن ما إن أتيحت لهم بعض الحرية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) حتى ظهروا على حقيقتهم مسلمين محافظين على إسلامهم في السرمدي ثلاثة قرون^(١) .

وعاد الاضطهاد الروسى للمسلمين على أشده ، وقامت ثورات عارمة في تركستان ، ولكن قوات القيصر واجهتها بكل قسوة وأبادت قرى بكاملها ، وقبائل بجميع أفرادها .

ولما قامت الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧) وواجه لينين حرباً شرسة من قوات روسيا القيصرية ، لم يجد أمامه الا الاستعانة بالمسلمين الذين يشكلون عدداً كبيراً يزيد على خمس وثلاثين مليوناً^(٢) .

وعندئذ توجه لينين بالنداءات المتكررة الى المسلمين يعدهم فيها بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم ، وكان ما جاء في أول بيان أصدره لينين الى المسلمين بعد شهر من ثورته عام ١٩١٧ م مايلسى :

(يامسلمى روسيا ، يامسلمى الشرق ، أيها الرفاق ، أيها الاخوة :

ثوروا من اجل دينكم وقرآنكم وحریتکم فى العبادة إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم . . . وان عاداتكم وتقاليديكم حرة لا يمكن المساس بها . . . واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة^(٣))

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان الذى كان في حوزة القياصرة الى مثلى مسلمى روسيا في مؤتمر عام ، وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية .

ونجحت مكيدة لينين حتى وصلت دعايته الى درجة الزعم بأن نظامه البلشفي يقوم على مبادئ القرآن وشريعة الاسلام ، ووقف كثير من مسلمى روسيا في صفه^(٤) !

ثم ظهرت حقيقته واتضح أكاذيبه بعد أن تمكن وسيطر ، حيث قام بحرب إبادة للمسلمين أشد عتواً وجبروتاً وعنفاً من القياصرة ، وأقام مذبحه القرم ونشر المجاعة في ربوعها حتى

(١) المرجع السابق ٤٣/١ - ٤٤

(٢) (٤) المرجع السابق ٢٢/١ - ٢٣

(١)

أكل المسلمون الكلاب ولقطط ثم أكلوا موتاهم !!

وقام الجيش الأحمر بهتته على شر وجهه ، وقضى قرابة ثلاث سنين سوداء وهو يحصد البلاد

(٢)

والأقاليم الإسلامية من شاطئ المحيط الهادى الى جبال أورال .

وسلكت الشيوعية طرقاً وحشية لاضطهاد المسلمين ، وسحو معالم دينهم ودينيتهم ، فقاموا بإبادة جماعية لمئات الآلاف ، ونفي شعوب إسلامية بكاملها الى مجاهل سيريا ليحل محلهم الروس ، وهدموا المساجد وأقلوا المدارس الدينية وحولوها الى أماكن للهو ومتاحف وحانات وغير ذلك ، وأحرقوا المصاحف الكريمة فى الميادين العامة .

أما علماء الاسلام فقد عانوا من وحشية الروس أشد العناء فقتل الكثيرون منهم وحكم على بعضهم بالأشغال الشاقة المؤبدة واضطهدوا وأرغموا على الكفر .

هذا الى جانب نهب البلاد الإسلامية ونقل ثروتها الى مقاطعات أخرى وتمزيق أوصالها

(٣)

بالمنازعات المصطنعة واثارة النعرات القومية بين أبنائها .

استخدام هؤلاء المسلمين للتقية :

قام المسلمون فى تركستان وأذربيجان وخارى وسمرقند وخوارزم وغيرها من الولايات الإسلامية ، أشد المقاومة ، وثاروا فى وجه لينين وعصابته ، ولكن هذه الولايات سقطت واحدة تلو الأخرى وتعرض المسلمون فيها لأشد أنواع الايذاء والقهر والتصفية الجسدية .

وقامت الحملات الشيوعية المكثفة على مدى ستين عاماً أو تزيد على اقهار المسلمين وجبارهم على التخلي عن دينهم ، وإيجاد أجيال من ذرارى المسلمين ضائعة تائهة أو كافرة ملحدة وحولت الشيوعية أكثر من ثلاثين ألف مسجد الى دور للهو واصطبلات ، كما

(٤)

قتلت ملايين المسلمين .

(١) المرجع السابق ٢٥ / ١

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الأحمر ص / ١٢٨

(٣) راجع الاحصائيات التى ذكرها الشيخ محمد الفزالى فى كتابه : الاسلام فى وجه

الزحف الأحمر ص / ١٣٦ - ١٤٠ .

(٤) الشيوعية والاسلام - أحمد عبد الغفور عطار - ص / ١١٨ - ١١٩ ، دار الاندلس

الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

ولكن الشيوعيين الروس عجزوا مع كل هذه الوحشية عن محو الاسلام وابادة أهله ، فعندما وجد المسلمون أنه لم يعد بمقدورهم أن يقاوموا هذا السيل العاتق ، التزموا التقيسـة وتظاهروا بموافقة الشيوعيين وأسروا عباداتهم وشعائهم .

ولكن كثيراً من الاجيال التي نشأت في ظل الشيوعية لم تكن تعرف عن تقية الآباء شيئاً وقد تربت على الالحاد ولم تعرف عن الاسلام الا الصورة المشوهة التي تلتقتها من المدارس الشيوعية .

مع كل هذا لا يزال الملايين من أبناء المسلمين في الاتحاد السوفيتي الى اليوم يعتقدون الاسلام سراً ، بل إنهم في بعض الولايات السوفيتية يقسمون بأداء شعائهم جهراً (١) وقد ذكرت صحيفة الرياض أن المسلمين السوفيات يشكلون حالياً ١٦ ٪ من عدد السكان في الاتحاد السوفيتي ، وأن هؤلاء يتمسكون بشخصيتهم الاسلامية بالرغم من تعايشهم مع الروس ، وأنهم لا يزالون يحافظون على عقيدتهم الاسلامية بالرغم من الضغوط الشديدة التي تعرضوا لها ، وأن هذه الظاهرة جعلت قادة الكرملين يقلقون . (٢)

مميز هنا سؤال مهم : لماذا انعدم الوجود الاسلامي في الاندلس ولم ينعدم في الاتحاد السوفيتي ؟

لماذا انعدم الوجود الاسلامي في الاندلس عندما أكره أهلها على الكفر ولم ينعدم في الاتحاد السوفيتي مع أن الاكراه على الكفر لا يزال قائماً فيه الى الان ؟
ولماذا تحولت الذراري من أبناء المسلمين في الاندلس الى الكفر وبقي كثير من الذراري من أبناء المسلمين في الولايات السوفيتية متمسكة باسلامها رغم أن بطش الشيوعيين لا يقلل عن بطش الصليبيين بل قد يزيد ؟

(١) راجع ما ذكره الشيخ محمد صفوت السقا عن رحلته التي قام بها مع وفد رابطة العالم الاسلامي الى الاتحاد السوفيتي عام (١٩٧٤ م) وسجلها في كتاب سماه : (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) .

(٢) صحيفة الرياض - العدد / ٤٩٢٣ - صفحة / ١٧ - الاثنين ٨ / ١١ / ١٤٠١ هـ .

إن هذه الظاهرة جديرة بالانتباه ، ونرى أن هناك عدة عوامل في وجودها :

١ - الاضطهاد الذي عانى منه المسلمون السوفيت في العهد القيصري والتحدي الذي كانوا يواجهونه من هؤلاء ، كان له أثر كبير في زيادة تمسكهم بالاسلام ودفاعهم عنه ، كما كان له أكبر الاثر في تعودهم على الصبر والثبات والبذل والتضحية ، وهذا ما أكسبهم قوة وتحملًا .

أما المسلمون في الاندلس فقد كانوا في طيأينة وراحة ، بل كان بعضهم مشغولاً بديناهم وترفه ، ولذلك تمكن العدو ومن تحقيق مآربه وتحطيم الوجود الاسلامي في الاندلس .

أضف الى ذلك ما كان يفعله أمراء الاندلس من تعاونهم مع الاسبان للقضاء على إخوانهم في أمارات أخرى ، وهذه الخيانة للاسلام وأهله أدت الى تقوية الاعداء في بلاد المسلمين ، وتحكمهم في رقابهم .

٢ - الثورة الشيوعية لم يمس عليها قرن ، أما مذابح المسلمين في الاندلس فقد مضى عليها ما يزيد على خمسة قرون ، وهذا الفارق الزمني له أثر كبير إذ ان الاندلس قد تعاقب عليها أجيال كثيرة ، وكل جيل يبتعد عن الاسلام أكثر فأكثر ، ولم يعد هناك أى صلة بين الجيل المضطهد الذي استخدم التقية لاختفاء إسلامه وبين الاجيال التالية التي نشأت على الكفر ، مع أن المسلمين هناك استمروا في المقاومة ما يزيد على القرن .

أما في الاتحاد السوفيتي فان الجيل الحالي هو الذي شهد أباءه عهد الاضطهاد واضطروا لاستخدام التقية وكتمان اسلامهم ، ولذلك لم تنقطع الصلة بين جيل التقية والجيل الناشئ ، ولا يزال الابناء على علم بما جرى لأبائهم ، ولا يزال كثير من الاباء يتعهدون أبناءهم بالتربية الاسلامية سرًا كما كان يحصل في الاندلس في جيل الاضطهاد ولواستمر الوضع في الاتحاد السوفيتي على ما هو عليه الان - لا قدر الله - فقد تنسى الأجيال المتعاقبة ما حصل لأجدادهم وتتخلى عن دينها ، ولكن المبشرات تؤكد يقظة المسلمين هناك وتمسكهم بدينهم رغم الشدائد والارهاب .

٣ - كثرة عدد المسلمين في الولايات السوفيتية قبل الثورة الشيوعية ، واتساع بلادهم وهذا ما جعلهم في منعة ، ولم يقدر العدو ومع كل بطشه على إبادة تهم عن بكثرة أبيهم أو تهجيرهم بالكامل ، بينما كان عدد المسلمين في الاندلس قليلاً ، ولذلك تمكن الاسبان من إبادة الوجود الاسلامي بالكامل في الاندلس .

٤ - ولعل من بين الاسباب وجود فترات هدوء نسبية في اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، وكان ذلك بسبب ما يتعرض له الحكم الشيوعي من هزات خارجية تضطره لتخفيف الوطأة عن المسلمين في الداخل ، ومن بين ذلك ما قام به ستالين من مهادنة المسلمين في الحرب العالمية الثانية بعد أن تهاوت معاقله أمام زحف هتلر واضطر الى الاستعانة بعلماء المسلمين ورجال الدين المسيحي ليقاظ الروح القتالية ضد النازية .^(١)

نعود نقول : إن مسلمي الاتحاد السوفيتي مع ما تعرضوا له من البطش والارهاب فانهم لا يزالون يحتفظون بوجودهم ، ولا يزال كثير منهم يستخدمون التقية مع اطمئنان قلوبهم بالايان ولعل الجهاد الاسلامي في افغانستان ، والذي كسر شوكة الشيوعيين وأذلّهم ، يكون دافعاً الى زيادة تمسك المسلمين السوفيت باسلامهم وترقبهم لليوم الذي يزول فيه كابوس الظلم عنهم ، وما ذلك على الله بعزيز .

المبحث الثالث

واقع التقية في المجتمع الإسلامي المعاصر

إذا كان المسلمون في الاندلس والاتحاد السوفيتي أو بعض البلاد الإسلامية قد يمازجوا شيئاً قد استخدموا التقية مضطرين إلى ذلك لما نالهم من إكراه وامتعضوا له من إيذاء وابتلاء ، فإن كثيراً من المسلمين اليوم أخذوا يتمسكون بالتقية بلا ضرورة ولا إكراه ، وإنما ليدفعوا عن أنفسهم الحرج ولينالوا المنافع ويحققوا المصالح ، وهذا ما نراه في بعض المجتمعات الإسلامية التي تحكمها العلمانية الجاهلية .

لقد تحولت التقية في هذه المجتمعات الإسلامية من رخصة فردية إلى عمل جماعي يقوم به الملايين من المسلمين بمجرد أن يلحقوا الضرر أو يتوقعوا تفويت مصالحهم ، فيذلون أمام أعداء الإسلام المتسلطين عليهم ويوضون بالخنوع بحجة التقية وضمان السلامة والنجاة من المخاطر .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن بعض من ينتسب للإسلام في هذه المجتمعات يقوسون بمد يد العون للظالم حتى يزداد في ظلمه ، ويوالون الكفار بقلوبهم ، ويناصرونهم ويكشفون لهم عن أسرار المسلمين ويزعمون أن هذا كله جائز لهم تقية ليأمنوا على حياتهم . ولقد أعجب الأعداء بهذا الخنوع وهذه الذلة فشجعوا على توسعتها وتأكيد هـا بالمفاهيم الخاطئة التي تدعو إلى الحرص على استبقاء النفس وعدم الالتقاء بها إلى التهلكة^(١) . والله سبحانه لا يمنح العزة لعباده المؤمنين إلا إذا كانوا يوالون إخوانهم ويعادون أعداءهم ولا يميلون إليهم بقلوبهم بأي حُب أو ولا .

أما حينما يسارعون إلى حب الدنيا ونيل حظوظهم منها ولوعوا بحساب عقيدتهم فيداهنون وينافقون ليحصلوا على المكاسب الشخصية فإنهم عندئذ غثاء لا قيمة لهم ولا اثر لوجودهم مهما كان عددهم كبيراً وهذا ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وصـوره أدق تصوير .

(١) راجع ما ذكرناه من تصحيح المعنى الخاطيء لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ص / ٢٣٨ من هذا البحث

فقد روى أبوداود عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك
الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال
بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدوركم والمهابة منكم
وليقتل من في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا
وكراهية الموت) (١)

قال الامام الخطابي : (تداعى الامم : اجتماعها ودعاء بعضها بعضاً حتى تصير العرب
بين الأمم كقصعة بين الأكلة مُحاطاً بها من كل جانب) (٢)

وهذه الصورة التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل واقع المسلمين منذ عـدـة
قرون ، حيث تداعى عليهم الاعداء من كل جانب وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم واجتمعوا
حولهم كاجتماع الأكلة حول الطعام يقطعونهم إرباً إرباً ، والمسلمون واجمون لا يُبدون أي حراك
لأن الرعب قد أخرسهم .

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر :

(إن الذي أضعف المسلمين في القرون الاخيرة أن أحجم علماءهم وزعماءهم وقادتهم
عن الضرب على أيدي الظالمين ، وعن كلمة الحق في مواطن الصدق ، فتهافت الناس وضعفت
قلوبهم ، وُلثوا رعباً من عدوهم ، فكانوا لا غناء لهم ، وكانوا غثاء كغثاء السيل ، ولم يكن كذلك
سلفهم الصالح : كانوا يتعرضون لصنف البلاء ، وأشد الايذاء في سبيل الله ثم لا يجبنون
ولا ينكصون ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم تاريخ الاسلام ، أكبر شاهد
لما نقول) (٣)

(١) رواه أبوداود في سننه ٤٨٣/٤ رقم ٤٢٩٧ في الملاحم ، باب في تداعى الامم على
الاسلام رواه الامام احمد في مسنده ٢٧٨/٥ وسند الامام ابى داود فيه ابوعبد الله
صالح بن رستم الهاشمي وهو مجهول ، ولكن رواه الامام أحمد من طريق آخر وسنده
قوي كما قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط . (راجع : حاشية جامع الاصول ٢٨/١٠)

(٢) بذل المجهول في شرح سنن ابى داود ٢١٢/١٧

(٣) من تعليق الشيخ أحمد شاكر على دائرة المعارف الاسلامية - مادة (التعية) —

ان الذى تغير فى نفوس كثير من المسلمين هو ضعف الوازع الدينى ، والغفلة عن اليوم الآخر ،
ولذلك صار حبهم للدين وكاسبها هو شغلهم الشاغل ، ومن تعلق بحب الدنيا يصعب عليه
كل ما فيه تفويت لمصالحه الدنيوية ، وهكذا صار كثير ممن ينتسب الى الاسلام اليوم يبيعون دينهم
بقرض من الدنيا قليل ، ويغار عند هم خير من عبادة ربهم .

فكيف يرجى من أمثال هؤلاء ان يصبروا عند الابتلاء ويذلو نفوسهم فى سبيل الله ؟
ان هؤلاء على استعداد ان يتحملوا الذل والضيم والهوان وكل أشكال الاستعباد
والقهر ليسلموا على أموالهم وديارهم ولوطنهم صرح الاسلام !

مع كثرة هذا النوع من المسلمين الذين شغلهم حب الدنيا ونفروا من ذكر الموت فإننا
نشهد تبشير صحوة إسلامية مباركة تظهر فى كثير من بلاد المسلمين ، وخاصة فى فلسطين
وأفغانستان حيث صا المسلمون من غفوتهم وداوا يتحررون من الجبن والخوف وكراهية
الموت ، وسارعوا الى التمسك بالتقوى وبذ التقية . . . وهؤلاء هم أمل الأمة ورجاؤها .

وانا مانهضت الأمة الإسلامية من جديد فإن الله سبحانه سيحقق لها العز والتمكين
وهذا هو وعد الله للمؤمنين من هذه الأمة :

قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما
استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) (١)

الباب الثاني

التقية عند الشيعة

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالشيعة ومجمل عقائدهم

الفصل الثاني : مفهوم التقية وأدلتها وأحكامها

عند الشيعة الإمامية

الفصل الثالث : تمسكهم بالتقية في إخفاء عقائدهم المخرفة

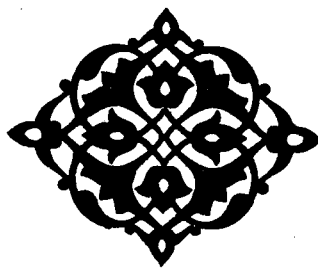
الفصل الرابع : تمسكهم بالتقية في مجالي الرواية والفقه

الفصل الخامس : مواقف تاريخية فسر بها الشيعة الإمامية

على أساس التقية

الفصل السادس : الآثار السيئة للتقية عند الشيعة

الفصل السابع : التقية عند الشيعة الباطنية



توطئة

الحديث عن فرقه من الفرق ، والبحث في عقيدته من عقائدها . . . يعد من أصعب الأمور على الباحث الذي ينبغي له أن يحكم على الأمور بدقة ونزاهة موضوعيه . ولقد مُني المسلمون منذ فجر تاريخهم بالأعداء المتربصين من كل جانب ، ومعاول الهدم التي كانت تحاول أن تقطع من جسم الأمة من يشذ عنها ، ولذلك وجدت بعض الفرق المنحرفة عن المسار الاسلامي ، ثم تشعبت من هذه الفرق فرق أخرى صار لكل منها آراء وعقائد تميزها .

والذي ينظر في كتب الفرق ، ويرى كثرة ماحوت من فرق واتجاهات ، قد يخيّل إليه أن هذه الأمة قد تمزقت أشلاء وأحزاباً ، وأن الاختلاف بين أفرادها وجماعاتها قد بلغ الغاية ، وهذا بالطبع غير صحيح ، بل لا يتفق والواقع الذي عاشته هذه الأمة ، إن ان هذه الفرق لم تتعد في أكثر الأحيان دوائر ضيقة وحدوده ، أما المجتمع الاسلامي العريض فقد ظل متماسكاً ، وظلت الجماعة المسلمة ملتفة حول كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم تشتغل بنشر الدعوة الاسلاميه اشتغالا يستأثر بجهد هائل العقليه والجسميه ، حتى انتشر الاسلام في أرجاء الارض ، واستطاعت في أقل من ربع قرن من الزمان أن تقيم حضارة اسلاميه كان لها - ولا يزال - الأثر الكبير في مسار البشريه وتاريخ الانسانيه . (١)

وهما يكن فالحديث عن فرقه من الفرق ، وخاصة الشيعة التي هي من أكثر الفرق انتشاراً ، حديث له أهميته البالغه ، ليتمكن القارئ من معرفة هذا الجانب الخفي الذي استغله المستشرقون وشوّهوا عن طريقه الصورة المشرقة لتاريخ المسلمين ، وتبعهم بعض المستأجرين والمستغفلين من أبناء المسلمين الذين أتخموا المكتبة الاسلاميه بكتبهم المسمومة ، ما جعل المسلم الغير يقف حائراً متسائلاً : أين الصورة الحقيقيه لتاريخ أسلافنا بعيداً عن تشويهات المشوّهين وتهويلات المهوّلين وافتراءات المفترين ؟!

ولذلك كان لزاماً على الباحثين في شتى أقسام العلوم الاسلاميه أن يبذلوا جهدهم ليميطوا اللثام عن هذا الجانب البهم ، كل حسب اختصاصه . ولعل هذه الصفحات - التي هي جهد متواضع - تحقق بعض ما يتطلع إليه القراء في هذا المجال .

(١) دراسته عن الفرق في تاريخ المسلمين / للدكتور أحمد محمد جلي ص/ ٥-٦ ط ١

الفصل الأول

التعريف بالشيعة ومجمل عقائدهم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : نشأة الشيعة وفرقهم

— معنى كلمة شيعة

— بداية التشيع

— فرق الشيعة

المبحث الثاني : الزيدية

— نبذة تاريخية

— عقائد الزيدية

— هل الزيدية من الشيعة؟

— موقف الزيدية من التقية

المبحث الثالث : الامامية الاثنا عشرية (الرافضة)

— التعريف بهم

— سبب تسميتهم بالرافضة

— مجمل عقائدهم

— مصادرهم في الروايات

— أبرز الدول الشيعية عبر التاريخ

المبحث الأول

نشأة الشيعة وفرقهم

لا بد لنا قبل أن نتحدث تفصيلاً عن الشيعة^{المعتقة عند} أن نعرض باختصار لنشأة التشيع وأشهر فرقهم وأبرز عقائدهم ليكون ذلك مدخلاً يعين القارئ على استيعاب موضوع البحث من جميع جوانبه .

ولا يخفى أن الحديث عن نشأة الشيعة واقتراحهم إلى فرق متعددة قد أشبعه الكتاب المعاصرون بحثاً ودراسة ولذلك سنكتفي هنا بإشارات موجزة ولمحات سريعة. ولنبدأ بتعريف مدلول كلمة (الشيعة) لغة واصطلاحاً :
معنى كلمة (الشيعة) :

شيعة الرجل أتباعه وأنصاره وأعوانه ، وكل من عاون إنساناً وتحزّب له فهو له شيعة (١) هذا هو معنى الكلمة في اللغة .

ولقد أصبحت هذه الكلمة مصطلحاً في تاريخ الإسلام للدلالة على فرقه لها عقائد خاصة .

يقول أحد علمائهم :

(التشيع في أصل اللغة هو الاتّباع على وجه الدين والولاء للمتبع على الإخلاص . وهو على التخصيص لا محالة لا يتبع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل السّولة والاعتقاد بإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بلا فصل ، ونفي الإمامة عن تقدمه في مقام الخلافة) (٢)

أما علماء أهل السنة فلمهم تعريفات عديدة في تحديد معنى التشيع نختار منها تعريف الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) الذي يقول فيه :
(الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، فقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصايه إما جلياً وإما خفياً ، واعتقد وأن الإمامه لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده) (٣)

(١) لسان العرب ٨ / ١٨٨

(٢) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات - لمحمد بن النعمان المفيد ص ٢ / ٣

طبع تبريز

(٣) الملل والنحل - لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - ١ / ٤٦ - تحقيق :

محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠ هـ

يؤيد وأن هذا التعريف لمصطلح الشيعة من أرفى التعريفات، وتدخل تحته فرق الشيعة المتعددة حيث يشتمل على عدة جوانب أبرزها :

- ١- مناصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- ٢- وجوب إمامته وخلافته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٣- أن هذه الامامة تثبت بالنص الجلي الظاهر، أو النص الخفي كما يقول بعضهم .
- ٤- وجوب بقاء الإمامة في نسل علي رضي الله عنه .
- ٥- نسبة الظلم لسائر من تولى الخلافة أو حكم المسلمين من غير الأئمة من ذريته ، وأن سكوت علي رضي الله عنه وذريته عن المطالبة بالخلافة لم يكن عن رضاه منهم ، وإنما كان تقيّة . وهكذا فالتشيع اصطلاحاً أساسه الاعتقاد بأن علياً وذريته أحق الناس بالخلافة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نص عليه ، وعهد بها إليه (١)

بداية التشيع :

يؤكد علماء الشيعة على أن بدء التشيع كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنباً إلى جنب ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعاهد ها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته ، وأنه هو الذي دعا إلى حب علي وولائه (٢)

ويستدل هؤلاء بما نسبوا للرسول صلى الله عليه وسلم من روايات توصي لعلي بالخلافة من بعده وتنص عليه بالامامة وتؤكد على الولاء له . وكل هذه الروايات باطلة لا يصح منها شيء عند أهل السنة ، ولكن الشيعة يقولون هذا يحايلون أن يربطوا عقائدهم وآراءهم بأصل نشأة الاسلام ليضفوا عليها الشرعية ويبعدوا عنها تهمة التأثير بالعقائد والأديان الأخرى . وهناك آراء أخرى في تحديد بداية التشيع كالقول بأنه ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو بعد مقتل عثمان رضي الله عنه أو بعد قضية التحكيم في معركة صفين أو بعد مقتل الحسين رضي الله عنه (٣)

(١) دراسات في الفرق والعقائد الاسلاميه - د . عرفان عبد الحميد - ص ٢٣ - مؤسسة -

بيروت - ١٤٠٤ هـ .

(٢) راجع : أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف العطاء - ص ٥٣ - وكتاب الشيعة

في الميزان لمحمد جواد مغنیه ص ١٧ الطبعة الرابعة - بيروت - ١٣٩٩ هـ ، وكتاب : تاريخ

الشيعة لمحمد حسين المظفري ص ٨ - ٩ طبع قم .

(٣) راجع تفصيل هذه الأقوال ومناقشتها في كتاب : دراسه عن الفرق في تاريخ المسلمين

للدكتور أحمد محمد جلي ص ٨٨ - ١٠١ - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات =

والواقع أنه لا بد من التمييز بين التشيع بمعناه اللغوي، وهو مناصرة الامام علي رضي الله عنه والتشيع بمعناه الاصطلاحي كعقيدة وفكرة لها طابعها الخاص وتخص فرقه بعينها .

حيث كانت كلمة شيعة تستخدم ولفترة طويلة في مدلولها اللغوي العام للإشارة إلى أتباع علي وأعوانه ، وربما كان من بين هؤلاء الأعوان جماعة من الصحابة أنفسهم ، ولكن لم يكونوا يفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، كما لم يدربخلد أحد هم شيئاً مما أوجدته فرقة الشيعة من عقائد وآراء ولقد اتخذ بعض المندسّين من حب علي رضي الله عنه ستاراً حركوا من ورائه الفتن ، وأثاروا من خلفه عقائد باطله ، أنكرها علي رضي الله عنه نفسه ، كتأليهه والقلوب برجعته ، وتمثل تلك الجماعات ، وما نادى به من آراء ، البذور الأولى للحركة الشيعية في صورها المختلفة .

وسرعان ما نمت هذه البذور وترعرعت وادت في صورة مذاهب عديدة (١)

والواقع أن ما حصل من خلافات في عهد الصحابة رضي الله عنهم لم يكن ليترك ذلك الاثراً لولا تدخل الأيدي الخفية الحاكمة على الاسلام .

ويظهر هذا جلياً في المؤامرة التي دُبّرت لقتل عثمان رضي الله عنه صبراً في بيته من قبل بعض الغوغاء بتحريك تلك الأيدي الخفية (٢)

كما يظهر ذلك في حرب الجمل حيث التقى طلحه والزبير رضي الله عنهما مع عثمان ابن حنيف عامل علي رضي الله عنه على البصرة ، وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ومعت علي رضي الله عنه بالصحابي القعقاع بن عمرو للصالح وأطمأنت النفوس ، وأدرك قتلة عثمان

= الاسلاميه - ط ١٤٠٦ وكتاب : دراسات في الفرق والعقائد الاسلاميه للدكتور عرفان عبد الحميد - ص / ٢٥ - ٢٨ .

(١) دراسة عن الفرق للدكتور جلي ص / ٩٩ - ١٠٠

(٢) راجع : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم - للامام القاضي أبي بكر بن العربي (٥٤٣ هـ) - تحقيق العلامة محب الدين الخطيب - دار الكتب السلفيه بالقاهرة الطبعة الاولى - ١٤٠٥ هـ . راجع الصفحات / ١١٩ - ١٤٣ .

أن الخطر سيحرق بهم وسيكشف أمرهم ففدوا مع الفلوس ودأوا يرمون السهام ويريقون الدماء فظنَّ كل فريق أن الفريق الآخر قد غدر به، وهكذا أنشبت المعركة بينهما وتحقق لهم ما يريدون (١)

وكذلك في صفين نجد الأيدي الخفية عندما رأت كفة القتال قد رجحت لصالح علي رضي الله عنه دبَّروا فتنة رفع المصاحف، وقام آخرون من المستغلين لهذه الفتنة في جيش علي فطالبوا علياً بقبول التحكيم وهَدَّدُوا إذا لم يقبل، فلما قبل قالوا له : كيف قبلت . . تب من كفرك . . وانقسم جيش علي رضي الله عنه إلى قسمين نتيجة لذلك ، قسم معه وقسم خرج عليه وهم الخوارج ، واستغل مشيروالفتن من الأيدي الخفية دعوى محبة علي رضي الله عنه وسولاته ودأوا ينشرون الغلو وينادون به ، وكان على رأس أولئك اليهودي عبد الله بن سبأ الذي يقول عنه الكشي - وهو من أبرز علماء الشيعة القدامى - في كتابه المعرف برجال الكشي : (أنه كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون رضي موسى بالغلو ، فقال في إسلامه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام مثل ذلك ، وكان أول من شُهر بالقول بفرض امامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه وأكفرهم) (٢)

وهكذا ظهرت قضية الامامة كمحور رئيسي للخلاف ، ودأت الشقة تتسع بين الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ، وبين الموالين له ممن غلوفى حبه .

ولكن هؤلاء الموالين لعلي رضي الله عنه لم يكونوا شيعة بالمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة ، لان التشيع اتخذ أطواراً مختلفه ، ومر بمراحل عديدة ، فقد كان لكل عصر نوع من

(١) راجع : العواصم من القواصم لابن العربي ع/ ١٥٦ - ١٦٠ مع تعليقات محب الدين الخطيب .

(٢) راجع : دراسات في الفرق للدكتور عرفان ص/ ٩٤ - ٩٧

(٣) اختيار معرفة الرجال - المعروف برجال الكشي - تهذيب أبي جعفر الطوسي

(ت ٤٦٠ هـ) - ص / ١٠٨ بتعليق حسن المصطفوي

التشييع، ولكل طائفة شيعية لون من التشيع، ولقد كان الشيعي الغالي في زمن السلف هو من يتكلم في عثمان وطلحه وسعاويه ويتعرض لسبهم وإن كان يوالي الشيخين، ثم أصبح الشيعي الغالي هو من يتبرأ من الشيخين^(١)، ثم زاد الامر سوءاً على مر القرون فأصبح هذا الغلو سمة للشيعه الاماميه، وجاء غلو أشد اتصف به الشيعه الباطنيه .

وهناك من يرى أن هشام بن الحكم (ت ٩٠ هـ) هو أول من ابتدع القول في الامامه وأن عقائد الشيعة بدأت تتبلور في عصره ولم يكن أحد قبل ذلك يذكر أن النص في (علي) جلي ، ولا في ذريته من الأئمة ، ولا غير ذلك من عقائد الشيعة . وذلك يترجح أن المذهب الشيعي قد تكون في هذه الفترة^(٢) وأن الغلو الذي ابتدأه ابن سبأ في القول بأن علياً رضي الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح في عهد هشام بن الحكم عقيدة لعامة الشيعة ولجميع فرقهم .

فرق الشيعة :

الشيعة الاوائل الذين اقتصر تشيعهم على مناصرة علي رضي الله عنه وآل بيته ، وتفضيلهم على غيرهم ، اتفقوا على جعل الامامه بعد علي في ولده الحسن ثم الحسين . وبعد استشهاد الحسين حصل الخلاف بينهم فيمن تكون الامامه ؟ ففريق نقلها بعده الى أخيه محمد بن الحنفية ثم أبناءه ، وهم الكيسانية ومنهم من ساقها بعد الحسين الى ابنه علي زين العابدين ثم ابنه الباقر . وكان للباقر أخ اسمه زيد بن علي انتسبت طائفة إليه وسُموا الزيدية . وبعد الباقر ساق فريق الامامه الى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم وكان لجعفر ابن آخر اسمه اسماعيل ساق فريق إليه الامامه بعد جعفر وسُموا الاسماعيليه . واستمر الآخرون في سوق الامامه بعد موسى الكاظم في أبناءه حتى قالوا بامامة اثني عشر إماماً ، وهؤلاء سُموا الاثني عشرية والاماميه .

(١) ذكر ذلك الذهبي في ميزان الاعتدال ٦/١ وهذا في عصر الامام الذهبي الذي

عاش في القرن الثامن وتوفي سنة (٢٤٨ هـ)

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب : دراسات عن الفرق - لجلي ص / ١٠٠

وهكذا أصبحت الفرق الشيعية الرئيسية هي : (١)

الكيسانية - الزيدية - الامامية - الاسماعيلية

ويذهب الشهرستاني إلى تقسيم فرق الشيعة الرئيسية إلى خمس فرق، حيث يعد الغلاة فرقة خامسة^(٢)، وكل فرقة من الفرق الخمسة تنقسم إلى فرق يجد القارئ تفصيلها في كتب الفرق والمقالات .

- أما الكيسانية^(٣) فهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقد أخذ يدعوا باسم محمد بن الحنفية للثأر من قتلة الحسين ، ويسجع سجع الكهان ويدعي أنه يخبر عن المستقبل ، فلما علم بذلك محمد بن الحنفية أعلن البراء منه على الملأ من الأئمة ، وقد أخذ المختار في محاربة قتلة الحسين حتى كان ذلك سبباً في التفاف الشيعة حوله .

ويعتقد الكيسانية بكثير من العقائد الغالية كتناسخ الارواح والبداء وغير ذلك . . ولم يبق للكيسانية وجود مستقل ، حيث انتقلت معظم عقائد ها إلى الفرق الغالية الاخرى ، وليس لها أتباع في الأقاليم الاسلاميه ، ولذلك يغفل كثير من الباحثين المعاصرين الحديث عنها ويقتصرون على الفرق الشيعية الأخرى . (٤)

- وأما الاسماعيلية فهي الفرقة الباطنية التي حوت عقائد السبئية والغلاة الآخرين وزادت عليها ، وهذه الفرقة يدخل ضمنها فرق أخرى عديدة ، وسنفرد للباطنية فصلاً خاصاً في هذا الباب لنتعرف على عقائد هم وفرقهم وموقفهم من التقية .

(١) راجع: التبصير في الدين لابي المظفر الاسفرايني ص/ ٢٣ والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص/ ١٥

(٢) راجع: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٣

(٣) راجع تفصيل ذلك في كتاب: تاريخ المذاهب الاسلاميه لابي زهره ص/ ٤٤-٤٧

(٤) وهذا ما فعله مثلاً الدكتور عرفان عبد الحميد في كتاب دراسات في الفرق ص/ ٤٣ كما أن بعض علماء الشيعة المعاصرين يقتصرون في تعريفهم بالشيعة على الفرق الثلاثة .

يقول محمد حسين المظفري : (كانت للشيعة فرق قبل عصر الصادق - ع - ومعهده ، وقد ذهبت ذهاب أمس الدابر ، ولم يبق منها اليوم إلا ثلاث فرق : الامامية - الزيدية

- الاسماعيلية) =

وهكذا سنقتصر في حديثنا في البحث القادم والذي يليه على فرقتي الزيدية والامامية
لنتعرف على مجمل عقائد كل منها ، وما ذهب اليه من آراء .

المبحث الثاني

الزيدية

(١) نبذه تاريخيه

ينتسب الزيدية إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه ،^(٢) وقد خرج زيد على بني أميه في عهد هشام بن عبد الملك (ت ٢٥ هـ) ، وبيع له بالكوفة ، وكان لزيد مكانته العلمية ومذهبه الفقهي ، ولكنه كان يرى باجتهاد منه ضرورة الخروج على بني أميه ولذلك خرج في خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة على والي العراق يوسف بن عمر الشقي .

فلما استمر القتال بينهما سمع من بعض أتباع الطعن على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأنكر ذلك عليهم ، فنفرت عنه طائفة فقال لهم : رفضتموني ، فسمي هؤلاء رافضة بسبب ذلك .^(٣)

(١) ملخصاً من كتاب : دراسة عن الفرق لجلي ص/ ١٨١ - ١٨٤ ودراسة في الفسوق

لعرفان ص/ ٦٥ - ٦٦

(٢) ولد زيد رحمه الله سنة ٧٩ هـ ، وأقام بالكوفة ثم ذهب إلى الشام فضيع عليه هشام ابن عبد الملك ثم عاد إلى العراق ثم إلى المدينة فلحق به أهل الكوفة يحرضونه على قتال الامويين ورجعوا به إلى الكوفة سنة ٢٠ هـ حتى خرج على بني أميه وقتل سنة ٢٢ هـ .

أثنى عليه علماء أهل السنة كثيراً ، فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣٦/٥ (كان ذا علم وجلالة صلاح ، هفا فخرج فاستشهد) وقال في تاريخ الاسلام ٧٥/٥ (بدت منه هفوه فكانت سببا لرفع درجته عند الله) أي أن استشهاده كان تكفيرا لخطئه في الاجتهاد الذي أدى به إلى الخروج على بني أميه .

راجع ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٢٣٦ / ٥ تاريخ الاسلام ٧٥/٥

الاعلام ٣/ ٥٥٩

(٣) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص/ ٢٥ طبع بيروت ١٤٠٠ هـ .

و بقي معه عدد قليل فقاتل حتى قُتل ، ودفن ليلاً عام ٢٢ هـ ، وبعده خرج ابنه يحيى

ابن زيد فى أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل عام (٢٥ هـ) .

ورغم ذلك فقد استمر الزيدى فى الخروج ، فخرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي

المعروف (بالنفس الزكية) ضد بني العباس فقتل فى رمضان (٤٥ هـ) كما خرج بعده

أخوه ابراهيم فقتل فى ذي القعدة من العام نفسه ، وخرج آخرون غيرهم .

وقد استطاع أحد أئمة الزيدى ويسمى (الحسن بن زيد) أن يؤسس دولة زيدى فى

أرض الديلم عام (٢٥٠ هـ) واستطاع (الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) أن يؤسس

دولة أخرى فى اليمن عام (٢٨٠ هـ) وقد استمرت دولة الزيدى فى اليمن تصارع القرامطة

الاسماعيلية حتى تغلب الاسماعيلية على اليمن عام (٣٢٥ هـ) .

وبعد حوالى ألف عام استرد الزيدى اليمن على يد الامام يحيى بن منصور عام (٣٢٢ هـ)

واستمرت دولتهم حتى قامت الثورة اليمنية ، ولكن لازالت اليمن مركز ثقلهم حتى الآن .

عقائد الزيدى (١)

يعتبر الزيدى أكثر الشيعة اعتدالا وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة ، ويمكن تلخيص

عقائدهم فيما يأتى :

(١) راجع : نصره مذاهب الزيدى للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق الدكتور ناجي

حسين وقد ذكر فصولاً عديدة فى عقائد الزيدى أبرزها :

فصل فى بيان مذاهب الزيدى فى أصول الامامة - ص / ١٤٢

فصل فى بيان الأوصاف التى يجب اجتماعها فى الامام - ص / ١٦١

فصل فى أن الامام لا يجب أن يكون مأمون الباطن معصوما كالرسول صلى الله عليه

وسلم - ص / ١٦٤

فصل فى الدلالة على فساد من يذهب إلى أن الامامة لا تثبت الا بالنص الجلى - ص / ١٧

فصل فى أن الامامة لا تستحق على وجه الارث - ص / ١٨٣ .

وراجع : تاريخ المذاهب الاسلاميه لابي زهره ص / ٤٧ - ٥٢ ، دراسة عن الفرق لجلى

ص / ١٨٤ - ١٩٠ ، دراسات فى الفرق لعرفان ص / ٦٥ - ٦٦

- ١ - الامامه : يذهبون الى أن الامام الذي أوصى له النبي صلى الله عليه وسلم لم يعينه بالاسم بل عرفه بالوصف ، واشتروا في الامام أن يكون فاطمياً - من ذرية فاطمه رضي الله عنها - هاشمياً ورعاً تقياً عالماً سخيّاً داعياً لنفسه ، ولم يشترطوا فيه العصه ، ولم يعترفوا بمبدأ الروايه المباشرة في الامامه ولم يوجبوا النص وانما قالوا ان الامامه تكون بالاختيار .
 - ٢ - قالوا بشرعيه خلافة الشيخين أبي بكر وعمر ولم يعلنوا البراءه منهما وذلك تطبيقاً لقاعدة وضعوها وهي القول بجواز إمامة المفضل مع وجود الفاضل ، ولم يكفروا أحداً من الصحابه .
 - ٣ - وقد نهج الزيديه في بعض العقائد منهج المعتزله فاعتقدوا أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ما لم يتب توبة نصوحا وقالوا بالأصول الخمسه .
- وقد ذهب الشهرستاني إلى أن تلمذة زيد لواصل بن عطاء كان لها الاثر في اقتباسه الاعتزال من واصل ، وهذا القول مردود فالامام زيد من أئمة أهل السنه وليس معتزلياً ولا يصح نسبة ذلك إليه ^(١) ولو ثبت تأثر الزيديه بالاعتزال فهذا لا يعني أن زيدا كان كذلك . ويستثنى من الزيديه فرقة الجاروديه أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي (ت ١٥٠ هـ أو ١٦٠ هـ) الذي وقع تحت تأثير الرافضه وقال بكثير من أقوالهم ، وكان يضع الأحاديث في مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرفض خلافة الشيخين . ولكن الجاروديه وغيرها من الفرق الزيديه الفاليه انقرضت أو ذابت في فرق الشيعة الأخرى ولم يبق الا الزيديه المعتدله ^(٢) الذين أشرنا الى عقائدهم .
- وينسب الزيديه إلى إمامهم زيد كتاباً في الحديث اسمه (المجموع) ويعدونه الكتاب الاساسي في مدرستهم الفقهية وأبرز شروحه (الروض النضير) للحسين بن أحمد الخيبي .

(١) الطلل والنخل - ١٥٤ / ١

(٢) راجع تحقيق ذلك في كتاب : زيد بن علي وآراءه الاعتقاديه للاستاذ : شريف صالح الخطيب فقد أثبت أن كل ما ينسب للزيديه يخصهم وحدهم أما زيد رحمه الله فهو إمام من أئمة أهل السنه ومذهبه في الامامه وغيرها من العقائد هو مذهب أهل السنه .

(٣) دراسة عن الفرق لجلي ص / ١٩١ - ١٩٢

ومشكك البعض في نسبة هذا الكتاب للإمام زيد رحمه الله .^(١)

هل الزيدية من الشيعة ؟

يذكر معظم علماء الفرق القدماء والمعاصرين فرقة الزيدية كفرقة من فرق الشيعة لا شراكتهم مع باقي الشيعة في القول بإمامة علي رضي الله عنه وإنكار شرعية الدولة الأموية والخروج عليها، ولكن هناك رأياً ذهب إليه بعض الكتاب من السنة والشيعة في اعتبار الزيدية فرقة مستقلة لا تنتمي إلى فرق الشيعة وإنما هي أقرب إلى السنة.

ويرى هذا الرأي الدكتور النشار الذي يقول إن زيدا لم يكن شيعياً على الإطلاق، ولم تكن حركته للشيعة وإنما هي حركة إسلامية استهدفت الخروج على الإمام الظالم من عالم من علماء المسلمين من أبناء علي رضي الله عنه، ويؤيد ذلك أن دعوة زيد كانت إلى الكتاب والسنة وأحياء السنن وإماتة البدع، وأنها خلت من المفاهيم الشيعية : كالنص والوصية، والحق الإلهي للأئمة، بل إن من حاربوا معه لم يكونوا شيعة بالمفهوم الاصطلاحي، وإنما كان ضمن أتباعه جماعات من الفقهاء وأهل العلم والمعتزلة وجماعة من أهل الكوفة من أحياء علياً.^(٢)

وقد أخذ الدكتور النشار بما رواه الطبري في تاريخه أن بعض أتباع زيد نالوا من الشيخين أبي بكر وعمر، فأمرهم زيد بالكف عن ذلك وقال : (إن أبا بكر وعمر ليسا كهؤلاء — أي الأمويين — ظالمون لكم ولا أنفسهم ولا أهل بيت نبيكم، وإنما أدعوكم إلى كتاب الله ليفعل به وإلى السنة أن يفعل بها، وإلى البدع أن تطفأ، وإلى الظلمة من بني أمية أن تخلع فإن أجبتهم سعدتم، وإن أبيتم فليست عليكم بوكيل)^(٣)

ويذهب إلى قريب من هذا الرأي محمد جواد مغنية من علماء الشيعة المعاصرين

حيث يقول :

(١) تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان ٣٢٢/٣ - ٣٢٣

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ١٥٦/٢

(٣) تاريخ الطبري ١٨١/٧ - الكامل ٢٤٣/٥

(الزيديه ليسوا من فرق الشيعة في شيء ، كما أنهم ليسوا من السنة ولا من الخوارج وأنهم طائفة مستقلة بين السنة والشيعة .

ليسوا من السنة ولا من الخوارج لانهم حصروا الامامه في ولد فاطمه .

وليسوا من الشيعة لانهم لا يوجبون النص على الخليفه ، هذا ، إلى أنهم يأخذون بفقه أبي حنيفه وأن فقههم أقرب إلى الفقه الحنفي منه إلى الفقه الشافعي (١)

ولذلك نجد مغنيه يُخرج الزيديه من الشيعة ، حيث يقول : (لفظ الشيعة عَلمٌ على

من يؤمن بأن علياً هو الخليفه بنص النبي) (٢) . ولعل الذي جعل علماء الفرق قديماً

يذكرون الزيديه ضمن فرق الشيعة هو وجود بعض الفرق الغاليه المنتسبه للزيد يسه

كالجاروديه ، أما وقد نبذت الزيديه هذا الغلو فإن عقائد ها أقرب إلى أهل السنة منها

إلى الشيعة .

وخاصة أن الزيديه تجنبوا الطعن في خلافة الشيخين أو تكفير أحد من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سبهم ، بينما أصرت الشيعة بقسميها الاماميه والباطنيه

على ذلك كما سنرى (٣)

موقف الزيديه من التقية :

يرى الزيديه أن التقية رخصة تجوز في مواضع مخصوصه بحسب المسوّغ شرعاً (٤)

وسوقفهم هذا يوافق موقف أهل السنة ، ويخالف موقف الشيعة الاماميه الذين جعلوا

التقية فرضاً لازماً وأصلاً من أصول الدين .

ولذلك نجد بعض علماء الزيديه قد شنعوا على الشيعة الاماميه لانحرافهم في مفهوم

التقية .

(١) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنيه ص/٣٦

(٢) المرجع السابق ص/١٥

(٣) راجع موقف علماء الشيعة الاماميه من الصحابه الكرام ص/٣٩٩ من هذا البحث.

(٤) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الاباء والمشايخ / للشيخ صالح بن مهدي

المقبلي - ص/٦٩٢ - ط ١ - ١٣٢٨ هـ

- فهذا الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل ^(١) (ت ٢٤٦ هـ) وهو من أبرز أئمة الزيدية : يذكر في كتابه (الرد على الروافض) بعضاً من آيات القرآن الكريم ترد دعوى الرافضة. منها قوله تعالى: (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) ^(٢) وقوله تعالى: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) ^(٣) وقوله: (وياي فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ^(٤)
- ثم يبيّن أن الدين الاسلامي وإن وُجد فيه مبدأ عدم إلقاء النفس في التهلكة ، الا أنه حارب النفاق واللعب بميل الناس ، أما أولئك الذين ادعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استخدم التقية ^(٥) وكنتم لمدته معينه العلم ، فإن الامام القاسم يسألهم : متى كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها المدثر؟ ألم يستند الرسول صلى الله عليه وسلم الى الكعبة والناس يؤمنون مشركون جهال عبدة أوثان ويقول : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ؟ ^(٦)
- وهذا الشيخ صالح بن مهدي المقلبي ^(٧) (ت ١٠٨٠ هـ) يقول في رده على التقية التي غلا فيها الشيعة الامامية وانحرفوا في مفهوها :

(١) القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل الحسني المعروف بالرسبي ، ولد سنة ١٦٩ ، وكان يسكن جبال "قدس" من أطراف المدينة ، ومات في الرس ، بقرب المدينة ، له رسائل كثيرة في الامامة ، والرد على ابن المقفع ، وسياسة النفس ، والعدل والتوحيد. والناسخ والمنسوخ ، وأمثال ذلك . (الاعلام ٥ / ١٧١)

(٢) سورة هود . آيه ١١٣

(٣) سورة آل عمران . آيه ١٤٦

(٤) سورة البقرة . آيه ٤١ - ٤٢

(٥) هذا ما ادعاه الشيعة الامامية . راجع مبحث (نسبتهم التقية للرسول) ص ٢٦٦ من هذا البحث

(٦) الرد على الروافض للامام القاسم - ص ١٠٤ نقلا عن : مسألة الامامة والوضع فـسـي الحديث لمحسن عبد الناظر - ص ٤٢٥ .

(٧) من أعيان الفقهاء الزيدية ، ولد في قرية مقبل باليمن سنة ١٠٤٧ هـ ، ونشأ في ثلث ، وتعلم فيها وفي كوكبان ، ثم رحل الى مكة سنة ١٠٨٠ هـ فاشتهر ، وكتب فيها =

(ان المقالة الواحدة لتكفى الدين كما يكفى الماء من القصعة ، ولنرينك من ذلك أمثله من قول الفرق ، منها : قول الرافضة فى عموم التقية ولزومها ، حتى جَوَّزُوا فى كل أمر ديني أنه تقية ، ولا يعرض عليهم شئ يخالف بناءهم عليه الا قالوا تقية ، وأن الأخذ بالتقية محتتم فكل ما خالف أهويتهم مما جاءت به الشريعة يقولون تقية .

فيقال لهم : فكل ما ادعيتمو ديناً نقول لكم نحن هو تقية أيضاً ، وكل ما تجيئونا به نقول انه تقية أيضاً ، فأصول مذاهبتكم تحتل أنها وردت تقية من البارئ تعالى ، أو من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أئمتكم ، فدعواكم أنها ليست بتقية مع جواز ذلك غير مقبولة .

ولو سلكتنا طريقكم لعطلنا الشرائع كلها ، وانها الزندقة .

ويصدق قول من قال : ائتنى برافض صغير أخرج لك منه زندقاً كبيراً . ان ما بيننا وبين الزندقة الا هذه الخوخة المفتوحة (١)

ويلاحظ القارئ اللبجج الشديده فى رد هذا العالم الزيدى على الرافضة ، وانكاره لما ابتدعو من انحرافات وظلوفى التقية .

ولعل هذا من أبرز الشواهد على التباين الكبيرين الزيدية والامامية فى موقفهم من التقية ، بل لعله أيضاً يؤيد ما ذكرناه سابقاً من أن الزيدية أقرب الى أهل السنة منهم الى الشيعة وأنه لا يصح جعلهم فرقة من فرق الشيعة .

ومن هنا يتبين خطأ كثير من الباحثين الذين تكلموا عن موقف الزيدية من التقية :

- فقد زعم بعضهم أن (الزيدية تشارك الفرق الشيعية الاخرى فى جواز التقية) (٢)

= مؤلفاته ، وتوفى فيها سنة ١٠٨٠ هـ .

ومن كتبه : العلم الشامخ ، الابحاث المسدده فى مسائل متعددة ، الاتحاف لطلبة الكشف انتقد فيه كشف الزمخشري ، المنار على البحر الزخار فى فقه الزيدية .

(الاعلام ٣ / ١٩٢)

(١) العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الالباء والمشايخ ص / ٦٩٢

(٢) إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة - ص / ٢٢١

وهذا لا يصح أبداً بما أثبتناه من أقوال علماء الزيدية الذين ردوا على الرافضة في هذا المجال ، كما أن هناك دليلاً آخر وهو ما فعله الإمام زيد رحمه الله ومن بعده من آل بيته الذين خرجوا على الأمويين والعباسيين ولم يتمسكوا بالتقية .
 - وآخرون زعموا أن الزيدية أنكروا التقية ولم يعملوا بها ^(١)
 والصحيح أن الزيدية لم ينكروا التقية أصلاً - كما فعل الخوارج - ^(٢) وإنما أنكروا انحراف الروافض في مفهوم التقية وتمسكهم بها كأصل من أصول الدين لأن الرخص العارضة .
 فموقف الزيدية من التقية مماثل تماماً لموقف أهل السنة ، وهو الموقف الحق المذى تشهد له آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
 أما هل عمل الزيدية بالتقية - بفهمها الصحيح - أم لم يعملوا فهذا لا يكون محل خلاف مادامت التقية رخصة جائزة يجوز العمل بها ويجوز تركها .
 والإمام زيد رحمه الله رغم اجتهاده في وجوب الخروج على الأمويين إلا أنه لم يخرج عليهم حتى استعد لذلك أشهراً طويلة كان خلالها مختفياً عن أعينهم ثم خرج مع من بايعه من أنصاره ، وهذا يدل على أنه كان فترة الاستعداد هذه ملتزماً بالسكوت وعدم المعارضة ^(٣) وهو نوع من أنواع التقية .

(١) التقية أصولها وتطورها للدكتور كامل الشيبى ص/ ٢٦٠ وهى مقالة فى مجلة كلية

الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣

(٢) راجع موقف الخوارج فى الباب الثالث ص/ ٦٠٦

(٣) يرى الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله أن الإمام زيد كان فى أول حياته وفى وقت انصرافه لدراسته يأخذ بمبدأ التقية ، وكان ينادى هشام بن عبد الملك بقبوله (يا أمير المؤمنين) . . حتى اذا حسب أنه اجتمعت له قوة ونصراء أخذ يتركها .

راجع كتاب (الإمام زيد) لابي زهرة ص/ ٢١٦

المبحث الثالث

الإمامية الاثنا عشرية

التعريف بهم :

ذكر أئمة علمائهم - معنى الشيعة الامامية بقوله :

(هو علم على من دان بوجود الامامة ، ووجودها في كل زمان ، وأوجب النص الجلي والعصه والكمال لكل إمام ، ثم حصر الامامة في ولد الحسين بن علي عليهما السلام ، وساقها الى الرضا علي بن موسى - ع -)^(١)

ويخرج من هذا التعريف فرقة الزيدية الذين لم يقولوا بالنص الجلي على الاثني عشر يوجبوا الامامة في ولد الحسين .

كما يخرج الاسماعيلية الذين ساقوا الامامة بعد جعفر الصادق في ولده اسماعيل ولم ينقلوها إلى موسى الكاظم وولده الرضا .

وذلك يقتصر لفظ الامامية على القائلين بإمامة اثني عشر إماماً وهم :^(٢)

- ١ - علي بن أبي طالب رضی الله عنه . ولد بمكة سنة ٢٣ ق هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ
- ٢ - الحسن بن علي : ولد بالمدينة سنة ٣ هـ ، وتوفي فيها سنة ٥٠ هـ ودفن بالبقيع .
- ٣ - الحسين بن علي : ولد بالمدينة سنة ٤ هـ واستشهد في كربلاء سنة ٦١ هـ .
- ٤ - علي بن الحسين (زين العابدين) : ولد بالمدينة سنة ٣٨ هـ وتوفي فيها سنة ٩٥ هـ ودفن بالبقيع .
- ٥ - محمد بن علي (الباقر) : ولد بالمدينة سنة ٥٧ هـ وتوفي فيها سنة ١١٤ هـ ودفن بالبقيع .
- ٦ - جعفر بن محمد (الصادق) : ولد بالمدينة سنة ٨٣ هـ وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ ودفن بالبقيع .
- ٧ - موسى بن جعفر (الكاظم) : ولد بالأبواء سنة ٢٨ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٨٣ هـ ودفن بالبقيع .

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) - ص ٧

(٢) ملخصاً من كتاب : الشيعة في التاريخ لمحمد حسن الزين (البفتي - الجعفري في =

.....

= (النبطية) ص / ٤٥ - ٤٦ - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - بيروت . وقد فصلت كتب الشيعة الحديث عن هؤلاء الاثمه ، وذكرت كثيراً من أخبارهم ونسبت إليهم المعجزات والخوارق وافترقت عليهم كثيراً من الغلو والانحراف ما ستجد بعضه في ثنايا بحثنا هذا . أما أهل السنة فان موقفهم من هؤلاء الاثمه أنهم من علماء الأئمة فضلائها ، وأنهم بريئون مما نسبته اليهم الشيعة من الغلو .

يقول الشهرستاني (في الملل والنحل ١ / ١٦٦) في حديثه عن الامام جعفر الصادق رحمه الله : (هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة . ماتعرض للإمامه قسطنطين ولا نازع أحداً في الخلافه قط ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط . . . وهو من جانب الأب ينتسب الى شجرة النبوة ، ومن جانب الام ينتسب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد تبرأ مما كان ينسب اليه بعض الغلاة ، ورئ منهم ولعنهم . ورئ من خصائص مذهب الرافضة وحاقتهم . . لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروجه على أصحابه فنسبه إليه وريطه فيه ، والسيد برئ من ذلك ، ومن الاعتزال والقدر أيضاً) .

ويقول ابن تيمية (في منهاج السنة ٢ / ١٢٣ - ١٢٤) في بيان موقف أهل السنة من هؤلاء الاثمه : (أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً أخذ عن أبيه وابن عباس والمسور بن مخرمه وأبي رافع ، وعائشه ، وأم سلمه ، وصفيه أمهات المؤمنين وعن مروان بن الحكم ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن عثمان بن عفان . . . قال يحي ابن سعيد : هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة . . . وكذلك أبو جعفر محمد بن علي ، من خيار أهل العلم والدين ، وقيل إن ماسمي الباقر لأنه بقر العلم . . . وأما كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج الى دليل ، والزهرى من أقرانه وهو عند الناس أعلم منه وجعفر الصادق رضي الله عنه من خيار أهل العلم والدين ، أخذ العلم عن جده أبي أمية أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعن محمد بن المنكدر ، ونافع مولى بن عمر ، والزهرى ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم ، وروى عنه يحي بن سعيد ،

ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينه ، وابن جريج ، وشعبة . . . وقد كُذِبَ على جعفر الصادق أكثر مما كُذِبَ على من قبله . . . ونسبت إليه أنواع من الاكاذيب مثل كتاب البطاقة والجفر والهفت . .

- ٨ - علي بن موسى (الرضا) : ولد بالمدينة سنة ١٤٨ هـ وتوفي بطوس ايران سنة ٢٠٣ هـ ودفن هناك .
- ٩ - محمد بن علي (الجواد) : ولد بالمدينة سنة ١٩٥ هـ وتوفي في الكاظمية سنة ٢٢٠ هـ ودفن هناك .
- ١٠ - علي بن محمد (الهادي) : ولد بالمدينة سنة ٢١٢ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ هـ ودفن فيها .
- ١١ - الحسن بن علي (العسكري) : ولد بالمدينة سنة ٢٣٢ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٦٠ هـ ودفن فيها .
- ١٢ - محمد بن الحسن (المهدي) : يقولون انه ولد بسامراء سنة ٢٥٥ هـ وغاب غيبته الصفري التي لم يعد يظهر فيها إلا لنوابه سنة ٢٦٠ هـ ، وغيبته الكبرى التي انقطع فيها عن الظهور سنة ٣٢٩ هـ .
- ويذكر أن المهدي الذي بشرت به السنة ، وأنه سيرجع الى الدنيا فيملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً .^(١)
- ولقول هؤلاء بإمامة اثني عشر إماماً سُموا بالاثني عشرية ، كما أنهم يسمون بالجعفرية لأخذهم بما يدَّعون أنه مذهب الامام جعفر الصادق في الفقه ولظهور كيانهم في عهده .^(٢)
- ^(٣)

وأما مَنْ بعد جعفر فموسى بن جعفر ، قال فيه أبو حاتم الرازي : ثقة أمين صدوق من أئمة المسلمين وقال ابن سعد (توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وليس له كثير رواية) .

وأما مَنْ بعد موسى فلم يؤخذ عنهم من العلم ما يذكر . ولكن لهم من الفضائل والمحاسن ما هم له أهل رضى الله عنهم .

(١) راجع مبحث : ادعائهم غيبة الامام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية ص ٥٥٧ من هذا البحث .

(٢) الشيعة - لمحمد صادق الصدر ص ٧٣ طبع بغداد ١٣٥٢ هـ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٤ والشيعية في الميزان ص ١٠٩ .

ولهم بالاضافة الى ماسبق اسم آخر لعله أقرب الاسماء الى حقيقتهم ، وهو (الرافضة)

فما هو سبب تسميتهم بذلك الاسم ؟

سبب تسميتهم بالرافضة :

عند ما خرج زيد بن علي وسعه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة على والي العراق يوسف بن عمر في عهد هشام بن عبد الملك ، قال له بعض هؤلاء : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب .

فقال زيد : إني لأقول فيهما إلا خيراً ، وسمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً ..

ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتموني . ومن يومئذ سُموا رافضة ، وثبت معه قرابة

(١) مائتي رجل .

يقول الامام ابن تيميه :

(ومن زمن خروج زيد افترت الشيعة الى رافضة وزيديه ، فإنه لما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما ، رفضه قوم ، فقال : رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم إياه ، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زهدياً لانتسابهم إليه) (٢)

ومذلك نستطيع تحديد ظهور الرافضة بسنة استشهاد زيد رحمه الله وهي ٢٢ هـ

وهؤلاء هم الذين ازداد الغلو فيهم تدريجياً ، وتركزت عقيدتهم في القول بأشني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري فسُموا اثني عشرية .

ولما شاع لقب (الرافضة) للشيعة الامامية الاثني عشرية ، صار علماً عليهم ، أرادوا

تطويب نفوس أتباعهم بتحسين هذا الاسم لهم فنسبوا إلى جعفر الصادق الرواية التالية :

(عن أبي بصير قال أتيت أبا عبد الله - ع - . . قلت : إنا قد نُبِزنا نبزاً انكسرت لـه

ظهورنا وماتت له أفئدتنا . . فقال : الرافضة ؟ قلت : نعم ، قال : لا والله ما هم سموكم ،

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص / ٢٥ وراجع مقالات الاسلاميين

للأشعري ص / ١٦

(٢) منهاج السنة النبويه في نقض كلام الشيعة القديره ٢١ / ١ تحقيق الدكتور محمد

رشاد سالم - طبع بيروت .

بل الله سماكم ، أما علمت أنه كان مع فرعون سبعون رجلاً من بنى اسرائيل يدّينون بدّينه ، فلما استبان لهم ضلال فرعون وهدى موسى ، رفضوا فرعون ولحقوا بموسى ، فكانوا فى عسكر موسى أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدّهم اجتهاداً ، فأوحى الله الى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم فى التوراه ، فإني قد نحلّتهم ، ثم نخر الله هذا الاسم حتى سماكم به ، إن رفضتم فرعون وهامان وجنودهما ، وتبعتم محمداً وآل محمد (١) !!

ولا يخفى أن مراد هذا الراي الكذاب بقوله رفضتم فرعون وهامان ، يقصد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وسيرى القارئ ما هو أشد من ذلك الضلال (٢) .

ومع افتراءهم لهذه الروايه التى يبرّرون بها تسميتهم بالرافضه ، فإنهم لا يرضون بهذا اللقب ويعدونه سبة وعاراً .

يقول محسن الأمين : (الرافضه لقب يُنبز به من يقدم علياً عليه السلام فى الخلافه ، وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام ، وإذا هاجت هاججة العصبية لم يُتوقف فى إطلاقه على كل شيعي) (٣)

ولكن الحقيقه التاريخيه التى لا يمكن ردها تؤكد إطلاق هذا اللقب عليهم ، رضوا ذلك أم كرهوا .

(١) الاختصاص للمفيد ص / ١٠٤ - الرضه من الكافي ص / ٣٤

(٢) راجع فقرة : استخدامهم التقية فى إخفاء طعنهم فى الصحابه الكرام . ص / ٣٩٩ من هذا البحث .

(٣) أعيان الشيعة ١ / ١٧ - نقلا عن كتاب : الشيعة والتشيع لإحسان الهى ظهر ص / ٢٧١ - الطبعة الاولى - ١٤٠٤ هـ - ادارة ترجمان السنه - باكستان .

مجل عقائد هم :

سنتعرض بالتفصيل لكثير من عقائد الرافضة في ثنايا بحثنا هذا ، ومع ذلك نذكر هنا مجللاً لعقائد هم التي يختلفون فيها عن أهل السنة ، ويشذون فيها عن جمهور الامم وأبرزها :

١ - الامامه :

وهي عند هم منصب إلهي كمنصب النبوة ، ولا تكون إلا بنص وتعيين ، ولذلك يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على الائمة . (١)

ويصفون هؤلاء الائمة بصفات كثيرة أبرزها العصمة عن الخطأ والسهو ، وأن علمهم بالالهام والتعلم من آبائهم الائمة السابقين لهم ، ويغلو بعضهم فيدعون نزول الملائكة على الائمة بالوحي وأنهم يعلمون الغيب وأنهم أفضل من جميع الأنبياء والرسل . (٢)

٢ - موقفهم من القرآن الكريم :

يعتقد علماء الشيعة أن القرآن الكريم قد دخله التحريف والتبديل وأن علياً رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن كله كما أنزل الله ، وتناقلته الائمة من بعده حتى وصل الى الامام الثاني عشر الذي سيخرجه للناس عندما يعود من غيبته المزعومة . (٣)

كما أنهم يخرجون كثيراً من الايات القرآنية عن ظواهرها الى تفسيرات باطنية محاولة منهم لتلمس الأدلة التي تؤيد غلوهم وانحرافاتهم . (٤)

(١) الشيعة في التاريخ - للزين ص / ٤٤

(٢) راجع فقرة : استخدامهم التقية في إخفاء غلوهم في أئمتهم . ص / ٤٤ من هذا البحث

(٣) راجع فقرة : استخدامهم التقية في إخفاء قول الكثيرين منهم بتحريف القرآن . ص / ٣٥٢ من هذا البحث .

(٤) راجع فقرة : تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم في التقية ص / ٢٣٣ من هذا الحديث .

٣ - موقفهم من الصحابة الكرام رضى الله عنهم :

يعتقد جميع علماء الشيعة قديماً وحديثاً بأن معظم الصحابة كفار مرتدون لأنهم ظلموا علياً رضى الله عنه وسلبوا حقه فى الخلافة ، ويدعي بعضهم أنه لم يسلم من هذا الكفر وهذه الردة إلا أربعة أو سبعة يذكرونهم بأسمائهم ،^(*) ولذلك نجد هؤلاء الرافضة يوظفون فى الطعن والتجريح والسب والشتم على الصحابة الكرام الذين هم خير جيل وأفضل قرن والذين شهد القرآن الكريم لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان .^(١)

٤ - الرجعة :

يقول الشيخ المفيد (ت ٣٤١ هـ) اتفقت الامامية على وجوب رجعة كثير من الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة^(٢) ويقول محمد رضا المظفر - أحد علمائهم المعاصرين :-
(إن الذي تذهب إليه الامامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الاموات الى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها ، فيعز فریقاً ويذل فریقاً آخر ، ويدل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد صلى الله عليه وسلم)^(٣)

وهكذا نجد أن عقيدة الرجعة يقول بها القدماء من الشيعة كما يقول بها المعاصرون منهم . ويذكر الشيخ المفيد أن الذين يرجعون إلى الدنيا فریقان :
(أحدهما : من علت درجته فى الايمان وكثرت أعماله الصالحات . . فيريه الله عز وجل دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه .

والآخر : من بلغ الغاية فى الفساد . . وكثر ظلمه لأولياء الله)^(٤)

والهدف من هذه الرجعة المزعومة أن يرى المؤمنون بالمهدي قيام دولة والانتقام من أعدائه ، ويقصد المفيد بمن بلغ الغاية فى الفساد الخلفاء الراشدين الثلاثة وأم المؤمنين

(١) راجع فقرة : استخدامهم التقية فى إخفاء موقفهم من الصحابة الكرام ص/٤٠٠ من هذا البحث .

(٢) أوائل المقالات ص/١٣ (٣) عقائد الامامية ص/٨٣ (٤) أوائل المقالات ص/٥٠

(*) ذكر شيخهم المفيد فى كتابه الاختصاص ص/٦٦ أن الذين سلموا من الردة سبعة وهم : سلمان وأبو ذر والمقداد وأبو ساسان الأنصارى وحذيفة وأبو عمرة الأنصارى وعمار بن ياسر .

عائشة وآخرون من الصحابة الكرام ، وغيرهم ممن يعد هم الشيعة أعداءهم ١١
 ولذلك نجد ابن بابويه القمي ينسب الى الباقر قوله : (إذا ظهر المهدي فإنه
 سيحيى عائشة ويقوم عليها الحد) (١)
 وكذلك يذكر المجلسي أنه إذا ظهر المهدي فإنه سيشق جدار رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ويخرج أبا بكر وعمر من قبريهما فيحييهما ثم يصلبهما ١٢ (٢)
 هذه هي عقيدتهم في الرجعة ، ولهم في إثباتها روايات كثيرة ينسبون لها لأئمتهم
 كما أنهم يتأولون بعض آيات القرآن الكريم (٣) ليستدلوا بها على هذه العقيدة المنحرفة
 والشاذة الخطيرة .

هـ - البداء :

البداء لغة هو الظهور بعد الخفاء (٤) وهذا لا يجوز على الله عز وجل ، لانه ينسب
 الجهل إليه سبحانه ، فالله سبحانه لا يتغير علمه ولا يظهر له شيء كان خافياً عليه .
 ولكن بعض الشيعة نسبوا البداء بهذه الكيفية لله عز وجل كاتنص على ذلك رواياتهم
 منها مانسبه ابن بابويه القمي لجعفر الصادق أنه قال : (ما بدا لله بداء كما بدا له في
 اسماعيل ابني) (٥) ومنها مانسبه الكليني لامامهم العاشر علي الهادي أنه لما مات ابنه
 الأكبر محمد بقي ابنه الأصغر الحسن قال : (بدا لله في محمد بعد أبي جعفر مالم
 يكن يعرف له ، كما بدا له في موسى - الكاظم - بعد مضي اسماعيل ماكشف به عن حاله) (٦)

(١) حق اليقين لمحمد باقر المجلسي ص / ٣٤٧

(٢) حق اليقين لمحمد باقر المجلسي ص / ٣٦٠ نقلاً عن : عقائد الشيعة في الميزان

للدكتور محمد كامل الهاشمي ص / ١٣٧

(٣) راجع تفسير التبيان الطوسي ١٠٦/٨ ، ٢١١/٨

(٤) لسان العرب لابن منظور ٢٦/١ - ٢٧

(٥) التوحيد لابن بابويه ص / ٣٣٦

(٦) الشافي شرح أصول الكافي ٢١٢/٢

أي أن الإمام بعد جعفر الصادق كان في علم الله اسماعيل ابنه الأكبر ولكن الله بدا له في ذلك فتوفي اسماعيل في حياة أبيه وانتقلت الإمامة إلى الأخ الأصغر موسى الكاظم ! وتكرر نفس الأمر في ولدي الإمام العاشر علي الهادي فإن الإمامة كانت في ابنه الأكبر محمد ثم بدا لله مالم يكن يعرف فمات محمد في حياة أبيه وأصبحت الإمامة في الأخ الأصغر الحسن !

وليلاحظ القارئ لفظه الرواية : (بدا لله مالم يكن يعرف) وهذا تصريح بأن معسني البداء الذي ينسبونه لله تعالى هو تغير العلم ، ووجود العلم بالشئ بعد الجهل به ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والذي دعاهم للقول بهذه الفرية الخطيرة مارأوه من عدم تحقق ما ينسبونه للائمة من وعود ، ويخشون أن يكشف كذبهم .

ولذلك يقول سليمان بن جرير - كما يذكر ذلك النوبختي^(١) الشيعي :-
(إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقاتلين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية . أما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتهما في العلم فيما كان ويكون ، وإخبار بما يكون في غد وقالوا لشيعتهم إنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشئ على ما قالوه قالوا لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون ، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء . .
وان لم يكن ذلك الشئ الذي قالوا إنه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعتهم : بدا لله في ذلك بكونه)^(٢) !!

ويذكر النوبختي أن أبا الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي كان يحث أتباعه على قتال جيش عامل الكوفة بكل وسيلة ممكنة ، حتى بالحجارة والقصب والسكاكين ، ويقول لهم : (قاتلوهم ، فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، وراحهم وسيؤفهم وسلاحهم لا تضركم) ولما اشتد القتل في أتباعه حتى كادوا يفنوا عن آخرهم قالوا له : ماترى ما يحصل

(١) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، من أهل بغداد ، نسبته إلى جده (نوبخت) =

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص / ٦٤-٦٥ - الطبعة الثانية - بيروت - ١٤٠٤ هـ

بنا من القوم ، وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر ، وقد عمل سلاحهم فينا وقتل من ترى منا فقال لهم : إن كان قد بدا لله فيكم فما نبي^(١)!!

وهناك روايات كثيرة في كتب الشيعة تؤكد البداء وتعظم من شأنه كقولهم : (ما عبد الله بشئ مثل البداء)^(٢) . وقولهم : (ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء)^(٣) وينسبون ذلك لأئمتهم ، وهم منها براء .

ويقف علماء الامامية قدماً وحديثاً لقاء هذا الفلوالخطير المسطر في أمهات كتبهم . مواقف متضاربة بين منكره ومقرّ ومفسر لمعناه

ولذلك نجد أحد أعلامهم المعاصرين يقول : (البداء الذي تقول به الشيعة هو من أسرار آل محمد صلى الله عليه وسلم وغوامض علومهم)^(٤)

ولامجال للتفصيل أكثر من ذلك في استعراض عقائد الشيعة لثلاث نخرج بالقارئ عن الموضوع الرئيس للبحث وهو بيان موقف الشيعة من التقيّة التي هي من أبرز عقائدهم .

= توفي سنة ٣١٠ هـ قال عنه بروكلمان : (إنه أشهر متكلمي الشيعة ببغداد ، نبغ في حدود ٣٠٠ هـ) ، وصفه عباس القمي في (الكنى والألقاب) بقوله (الكاتب المحسّن الامامي) ، ووصفه هبة الدين الشهرستاني بقوله : (علامة تحرير بحاثّة ثقة خبير بعلوم الأوائل وآراء المذاهب والفرق) له كتب كثيرة منها : فرق الشيعة ، الآراء والديانات ، الجزء الذي لا يتجرأ ، الرد على الغلاة

راجع ترجمة في : مقدمة فرق الشيعة بقلم هبة الدين الشهرستاني

الكنى والألقاب ٢٢٣/٣ ، تاريخ الادب العربي ٣٣٨/٣ ،

الأعلام ٢٢٤/٢

(١) المرجع السابق ص/٧٠

(٢) الأصول من الكافي ١٤٦/١ والتوحيد لابن بابويه ص/٣٣٢

(٣) المرجع السابق ١٤٨/١ والتوحيد ص/٣٣٤

(٤) أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص/١٩٠

مصادر الشيعة الامامية

المصادر الرئيسية لروايات الشيعة الاثني عشرية التي ينسبونها لأئمتهم أربعة مصادر

نتحدث عنها بايجاز^(١) وهي :

١ - الكافي :

وهو أول الكتب الاربعه تأليفاً، ومؤلفه محمد بن يعقوب الكليني^(٢) وهو يشمل على قرابة (١٦٢٠) رواية مسندة منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم ولائمة الشيعة ، ويقول الشيعة إن الكافي عرض على إمامهم الفائب عن طريق نوابه فاستحسنه وقال: (كاف لشيعتنا) ولذلك يعتبرونه من أوثق الكتب، ويعدون مؤلفه مجدداً المائة الثالثة فيقسم الكتاب الى ثلاثة كتب هي :

الأصول من الكافي - الفروع من الكافي - الروضة.

لم يذكر الكليني في كتابه أى سند متصل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لانه يعتبر أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر ما يرويه واقف عند الصادق

(١) ملخصاً من كتاب: الشيعة ، محمد صادق الصدر ص/ ١٢٠ - ١٣٢ طبع بفداد -

٣٥٢ هـ. مراجع : مقدمة الكافي للدكتور حسين محفوظ ص/ ٤ - ٦ ، وكتاب :

عقيدة الشيعة في الامام الصادق تأليف : حسين يوسف مكي العاملي ص/ ٢٢٣ - ٢٢٥

(٢) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي ، وكلين (بضم الكاف

فتح اللام المخففة) اسم لقرية من ناحية الري ، وقد نشأ الكليني فيها ، ثم رحل

الى بغداد وحدث بها سنة ٣٣٧ هـ ، وانتهت اليه رئاسة الامامية في أيام المقتدر

ويقول الشيعة إن الكليني أدرك زمان سفراء المهدي وتوفي سنة وفاة آخرهم .

كما يقولون عنه إنه أوثق وأضبط محدث في عصره وبعد عصره ، وان كتابه الكافي عرض

على إمامهم المنتظر فاستحسنه وقال : كاف لشيعتنا .

ويقولون إنه صنف كتاب الكافي في عشرين سنة ، كما أن لهم في توثيقه والثناء عليه

نصوص كثيرة وقلما يخلو عالم منهم إلا وله نص في ذلك . توفي في بغداد سنة ٣٢٩ هـ

الموافق ٩٤١ م .

راجع ترجمته في: لؤلؤة البحرين في الاجازات ليوسف البحراني - ص/ ٣٨٦ - ٣٩٤

تحقيق : محمد صادق بحر العلوم - طبع النجف ٩٦٩ م. جامع الرواه للاردبيلي =

رحمه الله ، وقليل منها ما يعلو الى أبيه الباقر ، وأقل من ذلك ما يعلو الى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، ونادر ما يقف عند النبي صلى الله عليه وسلم ^(١)

٢ - من لا يحضره الفقيه :

وهو المصدر الثاني للشيعة الامامية ، ومؤلفه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ^(٢) الملقب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) وقد حوى كتابه هذا من الاحاديث (٣٩١٣) حديثاً مسنداً و (١٠٥٠) حديثاً مرسلأً ، ويقول الشيعة إن رواياته بما فيها المراسيل تعد المثل الأعلى في الحجية والاعتبار .

= ٢١٨ / ٢ - ٢١٩ - طبع قم ١٤٠٣ هـ ق. روضات الجنات لمحمد باقر الخونساري
١٠٨ / ٦ - ١١٩ - تحقيق أسد الله اسماعيليان - طبع طهران - ١٣٩٠ هـ ق -
الكنى والالقب لعباس القمي ٩٨ / ٣ - ٩٩ طبع صيدا ١٣٥٨ هـ مقدمة الاصول من
الكافي للدكتور حسين علي محفوظ ص / ٨ - ٤٢ الطبعة الثالثة - طهران ١٣٨٨ -
مقدمة الشافي شرح أصول الكافي لعبد الحسين المظفر - تقديم محمد شريف
الدين - ص / ١٥ - ٣٧ طبع النجف - ١٣٨٩ هـ

(١) الامام الصادق / لابي زهرة ص / ٤٢٩

(٢) ولد سنة ٣٠٥ هـ ونشأ في مدينة (قم) وورد بغداد سنة ٣٥٥ هـ وعاصر بعض ملوك الدولة البويهية ، وأبرزهم ركن الدولة البويهبي الذي استدعاه الى (الري) فكنزل فيها وارتفع شأنه في خراسان ثم سافر الى بغداد سنة ٣٥٥ هـ ، ومات سنة ٣٨١ هـ في الري له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكر اكثرها الذين ترجموا له ولعل أبرزهم -
بالاضافة إلى كتاب من لا يحضره الفقه ، الكتب التالية :

الاعتقادات ، معاني الاخبار ، الامالي ، عيون أخبار الرضا ، إكمال الدين واتمام النعمه في إثبات الرجعه ، علل الشرائع ، الخصال ، التوحيد .

ويعد ابن بابويه من أعمدة المذهب الشيعي ولذلك يثني عليه علماء الشيعة كثيراً ويصفه الخونساري بالشيخ العلم الامين ، عماد الملة والدين ، رئيس المحدثين .
والده علي بن الحسين بن بابويه من علماء الشيعة أيضاً

راجع ترجمته في لؤلؤة البحرين ص / ٣٧٢ - ٣٨١ ، أمل الامل ٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤ ، روضات الجنات ٦ / ١٣٢ - ١٤٤ ، الكنى والالقب ١ / ٢١٢ - ٢١٣ ،

الاعلام ٦ / ٢٧٤

٣ - التهذيب :

وهو المصدر الثالث للشيعة الامامية ، وفيه من الأحاديث ما لا يقل عن كتاب الكافي
مؤلفه أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (١) (ت ٤٦٠ هـ)

٤ - الاستبصار :

وهو المصدر الرابع عند هم ، ومؤلفه كذلك أبو جعفر الطوسي ، ويعد هذا الكتاب والذي
قبله من أبرز الكتب عند هم التي تهتم بالفروع وروايات الأحكام ، وقد حوى قرابة خمسة آلاف
حديث ويلقبون مؤلفه بشيخ الطائفة .

(١) هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ينسب الى مولده طوس (شهد) من مدن
خراسان . ولد في (٣٨٥ هـ) وهاجر الى العراق ووصل بغداد سنة (٤٠٨ هـ) وهو ابن
ثلاثة وعشرين عاماً وكانت زعامة المذهب الجعفري فيها يومذاك لمحمد بن النعمان
المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلم فتتلمذ عليه ولازمه حتى توفي المفيد سنة
(٤١٣ هـ) فانتقلت رئاسة المذهب الى السيد المرتضى فلازمه الطوسي كما استفاد من
المكتبه التي أنشأها وزير بها الدولة البويهية في الكرخ وتضم آلاف المجلدات فلما
توفي السيد المرتضى سنة (٤٣٦ هـ) استقل الطوسي بزعامة المذهب ، ويبدو أنه لم
يكن يتظاهر بالفلو الذي تقول به الشيعة ولذلك خصص له الخليفة العباسي القائم
بأمر الله كرسيًا للكلام ثم علم أنه ممن يسبون الصحابه رض الله عنهم فطلبه ولكن
الشيخ أنكر ذلك تقيه (والقصة مذكورة في مقدمة كتاب الاستبصار للطوسي صفحة / ن
وسنذكرها عند الحديث عن الطعن في الصحابة راجع ص ٤٢٨ من هذا البحث) ثم
رأى الطوسي أن أمره قد انكشف فهاجر الى النجف سنة (٤٤٨ هـ) ثم توفي هناك سنة
(٤٦٠ هـ) وله كتب كثيرة أبرزها : التهذيب والاستبصار وهما من صحاح الشيعة
الرابعة - وكتاب رجال الطوسي - واختيار معرفة الرجال وهو تهذيب رجال الكشي
والامالي - وأصول العقائد - والتبيان في تفسير القرآن - والعدة في أصول الفقه -
والغية - والفهرست - والنهاية في مجرد الفقه والفتاوى . راجع ترجمته في : روضات
الجنات (٢١٦ / ٦ - ٢٤٩) - لؤلؤة البحرين ص / ٢٩٣ - جامع الرواه ٩٥ / ٢ -
وكتاب : شيخ الطائفة الطوسي لمحمد إقبال الانصاري - طبع الهند .
وراجع مقدمة الاستبصار لمحمد علي الغروي - ٣ - ١٣٩٠ هـ ق / والاعلام للزركلي

وصحة هذه الكتب الاربعه - كما يقل أحد علمائهم المعاصرين - كصحة نسبتها الى أصحابها ، مما لا مجال للريب فيها عند الشيعة الامامية (١)

ويرى بعضهم أنه ليس كل ما في الكتب الاربعه صحيح بل فيها الصحيح والحسن والمؤثق والضعيف وغير ذلك . (٢) وانظروا أن هذا القول صدر منهم تقية .

وقد قام بعد هؤلاء الثلاثة ثلاثة آخرون من علماء الشيعة الامامية فألفوا ثلاثة كتب

جامعة لروايات الشيعة وهي :

١ - وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة / لمحمد بن الحسن الحرّ العاملي (٣)

(ت ١٠٤ هـ) وقد استقى كتابه من روايات الكتب الاربعه وكتب أخرى لعلماء

الشيعة تزيد على السبعين .

٢ - بحار الأنوار / لمحمد الباقر المجلسي (٤) (ت ١١١ هـ)

ويشتمل على خمس وعشرين كتاباً من أمهات كتبهم .

(١) عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة / للسيد حسين يوسف مكي العاملي

ص/ ٢٢٦

(٢) الشيعة بين الحقائق والاهام / للسيد محسن الامين - الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ

راجع الصفحات / ١٤٨ ، ٣٩٣ ، ٤١٩

وكذلك : معجم رجال الحديث / لابي القاسم الموسوي الخوئي - ١٣٩٨ هـ النجف -

ج ١٧/١ - ٣١

(٣) هو محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي المشغري ، نسبة الى قرية من قرى

جبل عامل ببلدان ولد سنة (١٠٣٣ هـ) وانتقل الى جبع ومنها الى العراق ، وانتهى

الى طوس (بخراسان) فأقام وتوفي فيها سنة (١٠٤١ هـ) له تصانيف كثيرة بالاضافة

الى وسائل الشيعة منها أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل ، والفصول المهمة

في أصول الائمة ، والجواهر السنية في الاحاديث القدسية . وعلماء الشيعة

يثنون كثيراً عليه ويصفونه بشيخ المحدثين والعالم الفقيه المتبحر . . وغير ذلك .

راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين ص/ ٧٦ - ٨٠ روضات الجنات ٩٦/٧ - ١٠٥

الكنى واللقاب ١٥٨/٢ - الاعلام للزركلي ٩٠/٦

(٤) هو محمد باقر بن محمد تقي الشهير بالمجلسي ، وليّ مشيخة الشيعة في أصفهان

وترجم الى الفارسية مجموعة كثيرة من احاديث الشيعة . وأبرز كتبه بالاضافة الى =

٣ - الوافي / لمحمد بن مرتضى ، المشهور بمحسن الفيض ^(١) (ت ١٠٩١ هـ)

وقد جمع فيه كل ماتضمنته الأصول الأربعة ، ولم يزد شيئاً سوى الترتيب والتبويب .

= بحار الأنوار كتاب مرآة العقول شرح الكافي ، وكتاب ملاذ الأخيار في شرح تهذيب
الأخبار ، وكتاب الفوائد الطريفة في شرح الصحيفة ، بالإضافة إلى كتب أخرى بالفارسية .
يشني عليه علماء الشيعة كثيراً ويصفونه بالمحقق المدقق الجليل وحيد عصره وفريد
دهره . . وإصابة رأيه وثقة وأمانته وعدالته أشهر من أن تذكر !! إلى غير ذلك من
الوصاف - توفي سنة (١١١١ هـ) وله من العمر ٧٤ سنة
راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين ص / ٥٥ - ٦٠ جامع الرواة ٢ / ٧٨ - ٧٩ الكنى
واللقاب ٣ / ١٢١ الاعلام ٦ / ٤٨

(١) هو محمد بن المرتضى بن فيض الله محمود الكاشي المدعوب بمحسن الفيض ، ونسبته
(الكاشي) و (الكاشاني) و (القاشاني) من أهل كاشان ، له نحو ٨٠ مصنفاً
أبرزها : الصافي في تفسير القرآن ، وكتاب الوافي الذي جمع فيه الأصول الأربعة ،
والصافي منتخب من الصافي ، وكتاب معتصم الشيعة في أحكام الشريعة ، وكتاب
مفاتيح الشرائع ، وكتاب المسالك في أصول الدين .
يشني عليه بعض علماء الشيعة كثيراً . قال الخوانساري " قد بلغ فضله إلى حيث لم
يعرف بين هذه الطائفة مثله " وينتقده بعضهم لماله من المقالات التي توجب الكفر
كالقول بوحدة الوجود ، وهذا ما ذكره عنه البحراني في لؤلؤة البحرين .
وقد انتقل من بلدة كاشان إلى شيراز للتحصيل ثم عاد إلى كاشان وتوفي فيها سنة
(١٠٩١ هـ) وله من العمر أربع وثمانون سنة .

راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين ص / ١٢١ - ١٣١

روضات الجنات ٦ / ٧٩ - ١٠٣

الاعلام ٥ / ٢٩٠

أبرز الدل الشيعة عبر التاريخ

لكي تكتمل صورة هذه الفرقة في أذهان القراء لابد من الإشارة الى أبرز الدل الشيعة التي نهض التشيع على أكتافها وانتشر بجهودها حتى غدا على ما هو عليه اليوم من توسع. ولقد مرت في التاريخ دل عديدة اتصفت بالتشيع وكان لها دور في نشر المذهب الشيعي لكننا سنكتفي بذكر أبرز دلتين منها وهما : الدلة البويهية والدلة الصفوية لتمييزهما فسي نشر التشيع بشكل بارز، ولأن كثيراً من علماء الشيعة الذين سيرد ذكرهم في بحثنا هذا قد نشأوا ونشطوا في ظل تلك الدلتين.

أولاً : الدلة البويهية :

وقد قامت هذه الدلة على يد علي بن بويه الذي كان يلقب بعماد الدلة، وكان ابتداءً سلطانه في شيراز عام ٣٢١هـ ثم امتد الى ايران والعراق وغيرها من أراضى الخلافة العباسية وتوفي عام ٣٣٨هـ وخلفه أخوه معز الدلة أحمد بن بويه الذي توفي عام ٣٥٦هـ ثم الأخ الثالث ركن الدلة الحسن بن بويه الذي توفي عام ٣٦٦هـ، ثم تتالي على الحكم عدة ملوك الى أن انهارت الدلة البويهية سنة ٤٤٧هـ على أيدي السلجوقيين^(١).

وقد كانت أيام آل بويه كلها أيام سعي وترويج لمذهب الشيعة^(٢)، وكانوا يقيمون الاحتفالات العظيمة في أعياد الشيعة، والتي أبرزها اليوم الثامن عشر من ذى الحجة وهو اليوم الذي يدعون فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه في غد يرخم، كما يقيمون المآتم في يوم عاشوراء وهو يوم استشهاد الحسين رضي الله عنه^(٣) ولم يقتصر عمل آل بويه في نشر المذهب الشيعي على ذلك، بل كانوا يبذلون جهودهم في تشجيع علماء الشيعة ومذل الاموال لهم حتى إن عضد الدلة كان يركب في موكب لزيارة

(١) راجع تفصيل ما أوجزناه في كتابي : تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفري ص/ ٢٠٦ -

٢١٣ طبع قم، والشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنیه ص/ ١٣٨ - ١٤٨

(٢) تاريخ الشيعة للمظفري ص/ ٢٠٧

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٠٨ - ٢٠٩

الشيخ المفيد محمد بن النعمان^(١) وكان يجلس مع علماء الشيعة ويذاكرهم في المسائل
ولذلك قصده علماء الشيعة من كل بلد ، وصنفوا له الكتب^(٢)
وقد صنف ابن بابويه القمي^(٣) (الملقب عند هم بالصدوق) كتاباً خاصاً للصاحب بن
عباد وزير فخر الدولة البويهبي ، وهو كتاب (عيون أخبار الرضا) كما يذكر في مقدمته^(٤).

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، الملقب بالشيخ المفيد
 والمعروف بابن المعلم ، ولد سنة ٣٣٦ هـ في عكبرا ، قرب بغداد ، ونشأ في بغداد
وتوفي فيها سنة ٤١٣ هـ ، له تصانيف كثيرة بلغت حوالي مئتي مصنف منها : أوائل
المقالات ، الارشاد ، الامالي ، الافصاح في إمامة علي ، إيمان أبي طالب ، المجالس
الاختصاص ، شرح عقائد الصدوق ، رسالة المتعه ، تزويج أمير المؤمنين بنته من
عمر ، أجوبة المسائل السرورية ، . . وغير ذلك .
يشني عليه علماء الشيعة كثيراً ، فمن ذلك ما قاله الخوانساري : (كان من أجمل
مشايخ الشيعة ، ورئيسهم وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر
من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية ، أوثق أهل زمانه وأعلمهم ، انتهت اليه
رئاسة الامامية في وقته) .

وهو من أكثر علماء الشيعة انحرافاً وظلماً ، قال عنه الذهبي : (أكثر من الطعن
على السلف ، وكانت له صولة في دولة عضد الدولة) ولذلك يعده مغنية المدافع
الأكبر عن أخبار الشيعة وآثارهم .

راجع ترجمته في : ميزان الاعتدال للذهبي ١٣١ / ٣ ، لؤلؤة البحرين ص / ٣٥٦ -
٣٧٢ ، رضات الجنات ١٥٣ / ٦ - ١٧٨ ، الكنى واللقاب ١٦٤ / ٣ - ١٦٥ ،
الشيعة في الميزان لمغنية ص / ١١١ - ١١٢ ، الاعلام ٢١ / ٧

(٢) تاريخ الشيعة ص / ٢١١

(٣) سبقت ترجمته ص / ٢١٣ من هذا البحث .

(٤) ص / ٣

ثانيا : الدولة الصفوية :

ينتسب الصفويون الى صفى الدين الاردبيلي (٦٥٠ - ٧٣٥هـ) وهو الجد الاكبر للشاه اسماعيل الصفوي (٨٩٢ - ٩٣٠هـ) مؤسس الدولة الصفوية . وقد كان صفى الدين متزعمًا لجماعة من المتصوفة ، واستطاع هو وأولاده من بعده عن هذا الطريق جذب الكثير من المريدين ليس في ايران فحسب بل في تركيا والعراق بتأثير دعايتهم القوية .

وأصبح هؤلاء مركزاً لبث الدعوة الشيعية ، وبدأ أولاد الشيخ صفى يعرفون أنفسهم للناس على انهم من نسل علي بن أبى طالب رضى الله عنه ويطالبون بالعرش إثباتاً لحقهم ويبدون أن الشيخ صفى كان يكتنم تشيعه ويتظاهر بأنه سني على مذهب الامام الشافعي وأن الذى جاهر بالدعوة الى التشيع هو حفيده علي سياهپوش ومن بعده من الاسرة الصفوية^(١) وقد بدأت حركة اسماعيل صفوي سنة ٩٠٥هـ من أذربيجان ، وفي سنة ٩٠٧ استولى على تبريز وجعلها عاصمة له .

ودخل اسماعيل الصفوي الى تبريز لقبه أتباعه بأبى المظفر وتوجوه ملكاً على ايران وما ان تم له ذلك حتى أعلن فرض المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في مختلف أنحاء ايران بعد أن كانت ايران سنية المذهب .

ولقد ذهب علماء الشيعة اليه قائلين : إن ثلاثة أرباع سكان تبريز من السنة ، ولا يدرون شيئاً عن المذهب الشيعي ، ونخشى أن يقلوا لانريد ملك الشيعة .

فأجابهم قائلاً : (لا يهمني هذا الأمر ، فالله وحضرات الائمة المعصومين معي ، وأنا لا أخشى أحداً ، وازن الله تعالى لوقال واحد من الرعية حرفاً واحداً فأسحب سيفي ولن أترك أحداً يعيش)^(٢) !!

ومذ لك تمكن الشاه اسماعيل من فرض المذهب الشيعي بحد السيف ، وحلّت بأهل

(١) ملخصاً من كتاب : تاريخ الصفويين وحضارتهم ، للدكتور بدیع جمعه ، والدكتور أحمد الخولي ٣٧/١ - ٤٠ الطبعة الاولى ٩٧٦م - الناشر دار الكتاب العربي بمصر .

(٢) المرجع السابق ٥٥/١ - ٥٦

السنة محنة شديدة، وكان أشد من تعرض لتلك المحنة علماء أهل السنة الذين أجبرهم هذا الرافضي وأعوانه على التشيع والطعن في الخلفاء الراشدين الثلاثة ولعنهم .

وهذا ما صرح به أحد علماء الشيعة من عاصر الدولة الصفوية وعاش في كنفها ، وهو

نعمة الله الجزائري (ت ١١٢٢ هـ) الذي يقول :

(لما أتى الشاه اسماعيل - الى شيراز ، وكان أكثر علمائها من المخالفين أحضرهم

وأمرهم بلعن المتخلفين الثلاثة ، فامتنعوا عن اللعن ، لان التقية لا تجوز عند هم فـ

اللعن وأضرابه ، فأمر بقتلهم .

ثم قيل له إن واحدا من أفاضلهم . . قد بقي ، فأرسل اليه وأمره بلعن الثلاثة ،

فلعنهم لعناً شنيعاً فسلم من القتل (١)) .

ولاحظ القارئ أن أهم ما كان يحرض عليه اسماعيل الصفوي من التشيع هو المجاهرة بلعن الخلفاء الثلاثة والاكراه على ذلك !

وقد كانت الكتب التي تبحث في المذهب الشيعي نادرة فبدأ يشجع على انتشارها

ثم توجه سنة ٩١٠ هـ الى أصفهان وقتل الكثير من أهلها واستولى عليها (٢) ثم استولى

على بغداد (سنة ٩١٤ هـ) واستمرت حرره في مختلف أنحاء ايران بهدف القضاء على

مناوئيه وخرس المذهب الشيعي كما قام بالهجوم على الدولة العثمانية سنة ٩٢٠ هـ ولكنه

دحر وتراجع ثم قام بهجوم آخر على العثمانيين في مصر سنة ٩٣٠ هـ ولكنه مات في نفس

(٣)
العام

واستمرت سياسة فرض المذهب الشيعي ومحاربة أهل السنة وشن الفارات على

الدولة العثمانية قائمة في الملوك الصفويين من بعده . (٤)

(١) الانوار النعمانية ٣٥ / ٢

(٢) تاريخ الصفويين ٥٨ / ١

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصفوية للدكتور كامل الشبيبي ص / ٤٠٩ - ٤١٠

(٤) بعد وفاة الشاه اسماعيل استلم الحكم ولده الشاه طهماسب ، وقد سار على خطى أبيه في نشر التشيع حتى مات سنة ٩٨٤ هـ ، وقد خرجت بغداد في عهده من السيطرة الشيعية حيث استعادها العثمانيون سنة ٩٤١ هـ ، ولما مات طهماسب تنازع أولاده على الملك واضطرب أمر الدولة حتى استلم الحكم الشاه عباس =

وقد استفحل خطر الصفويين فى عهد الشاه عباس (ولد سنة ٩٧٨ هـ وتوفى ١٠٣٨ هـ) الذى قضى سنوات طويلا فى تثبيت دعائم حكمه من جهة ، وفى الصراع مع الدولة العثمانية من جهة أخرى حتى تم له الاستيلاء ثانية على بغداد واحتلال أجزاء كبيرة من الاراضي العراقية واقتطاعها من السيطرة العثمانية ، ولذلك نجد الشيعة يعجبون الشاه عباس ويفخرون به حتى اليوم كما أن أوروبا تهتم دائما بشخصيته لانه أتاح لهم فرصة للتقاط الانفاس لمحاربة الدولة العثمانية ، ولولا حرب الصفويين مع الدولة العثمانية لأتمتت الجيوش العثمانية اجتياح أراضي جميع الدول الأوروبية ، ولتغير تاريخ أوروبا كلها (١)

تمثل الفترة التى حكم فيها الشاه عباس مرحلة القوة للدولة الصفوية ، ومعداتها تبدأ مرحلة الضعف والانقراض التى استمرت حتى الهجوم الافغانى على ايران على يد نادرشاه سنة ١١٤٨ هـ (٢)

وقد اهتم ملوك الدولة الصفوية بنشر التشيع والدعوة له مناء الاضرحة والمزارات للائمة ونشط علماء الشيعة فى هذا العهد وأفصحوا عن خفايا عقائدهم ، وأبرز هؤلاء

- محمد بن الحسين البهائي (٣) ت (١٠٣١ هـ)

- الفيض الكاشاني (٤) ت (١٠٩١ هـ) وهو صاحب تفسير الصافي ، صاحب كتاب الوافي الذى جمع فيه الاصول الاربعة للشيعة.

■ وأخضع الخارجين عليه ، واستتب له الامر سنة ٩٩٦ هـ ثم بدأ يسترد ما انتزعه العثمانيون من الدولة الصفوية حتى قوي ملكه ، واتخذ أصفهان عاصمة له ، وكانت العاصمة من قبله مدينة تبريز ثم قزوین (راجع تفصيل ذلك فى كتاب: الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنية ص/ ١٧٨ - ١٧٩)

- (١) تاريخ الصفويين ٣٥٨/١ - ٣٦٠
- (٢) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص/ ٢٢٠
- (٣) ولد البهائي فى بعلبك سنة ٩٥٣ هـ وانتقل به والده الى الديار العجمية ولما كبر اشتهر بين الشيعة حتى سموه مجدد دين الأئمة على رأس القرن الحادى عشر وانتهت اليه رئاسة المذهب - توفى بأصفهان ونقل الى طوس فدفن فيها .
- له مصنفات كثيرة أبرزها : الجامع العباسي ، والكشكول ، والعروة الوثقى ، والحواشي على الفقيه ، ومفتاح الفلاح ، ووالده الشيخ حسين عبدالصمد من علماء الامامية المشهورين فى الدولة الصفوية أيضاً . راجع : جامع الرواه للاردبيلي ٨٩/٢ - ٩١
- (٤) سبقت ترجمته ص/ ٢١٦ من هذا البحث

- الحر العاملي^(١) (ت ١٠٤١ هـ) وهو صاحب كتاب وسائل الشيعة الذي جمع فيه معظم كتب الشيعة .

- محمد باقر المجلسي^(٢) (ت ١١١١ هـ) وهو صاحب كتاب بحار الانوار وغيره .

- نعمة الله الجزائري^(٣) (ت ١١١٢ هـ) وأبرز كتبه الانوار النعمانية .

- محمد بن علي الاردبيلي^(٤) (توفي بعد ١٠٠٠ هـ) وهو من تلاميذ المجلسي، وصاحب

كتاب جامع الرواه . . وهناك كثيرون غيرهم من علماء الشيعة في العهد الصفوي من يصعب

حصرهم^(٥) . ولا يدرك القارئ خطورة العهد الصفوي تماماً الا حينما يطلع على ما نشره علماء

الشيعة هؤلاء من غلو واسباطرو في كتبهم من انحرافات خطيرة، وقد بينا كثيراً من ذلك في

ثنايا بحثنا هذا، وخاصة فيما يتعلق باعتقاد هؤلاء بتحريف القرآن الكريم، وطعنهم في

الصحابة الكرام والحكم بتكفير من خالفهم، وما إلى ذلك .

(٢-١) سبقت ترجمتهما ص/٢١٥ من هذا البحث.

(٣) هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد الجزائري، ينتسب إلى جزائر البصرة، ولد

في قرية الصباغية من قراها، سنة (١٠٥٠ هـ) وقرأ بها ثم بشيزار فأصفهان، له

مؤلفات عديدة أبرزها: (الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الانسانية) وهو من

أخطر الكتب الشيعية وأشدّها غلو، وله كتاب (شرح التهذيب)، وله شرح على

كتاب الاحتجاج للطبرسي سماه (قاطع اللجاج)، وقد ترجم الجزائري لنفسه في

آخر كتابه (الانوار النعمانية) ج ٤ / ٣٠٢ - ٣٢٦ . راجع ترجمته في : لؤلؤة

البحرين ص/ ١١١، روضات الجنات ٨ / ١٥٠، الاعلام ٨ / ٣٩

(٤) هو محمد بن علي الاردبيلي الفروي الحائري، من أهل (أردبيل) بايران، أقام

مدة في أصفهان له كتاب جامع الرواه، وتصحيح المسانيد، ولما فرغ من تأليف

جامع الرواه سنة (١٠٠٠ هـ) وكان إذ ذاك بأصفهان، أمر السلطان سليمان

الصفوي بكتابة نسخه له عن نسخة الاصل فدعا الاردبيلي علماء الشيعة الى حجرته

ليكتب كل واحد منهم شيئاً بخطه من أول النسخة التي ستنسخ للسلطان سليمان

وكان على رأس هؤلاء شيخه المجلسي الذي استفتح الكتاب بخطه . وهذا يبرز

التشجيع الذي كان يلقاه علماء الشيعة في العهد الصفوي . راجع ترجمته في :

مقدمة جامع الرواه - الاعلام ٦ / ٢٩٤ - ٢٩٥

(٥) ذكر بعضاً منهم محمد جواد مغنية في كتابه (الشيعة في الميزان) ص/ ١٨٢ -

تنبيه لابد منه :

قبل أن ننتقل الى الحديث عن التقية نلفت النظر الى اننا في كثير من الاحيان سنستخدم مصطلح (الشيعة) باطلاق للدلالة على فرقة الامامية ، وهذا ما فعله كثير من الباحثين الذين بيّنوا أن مصطلح الشيعة إذا أُطلق فإنه ينصرف الى الامامية وأما غيرهم فإما إسماعيله أو زيدية ^(١) وقد ذهب الى هذا الرأي بعض علماء الشيعة أيضاً . يقول كاشف الغطاء : (يختص اسم الشيعة اليوم على اطلاقه بالامامية) ^(٢) وهذا هو في الواقع المتبادر الى الازهان عندما يطلق لفظ الشيعة اليوم ، ولذلك يقول الدكتور عرفان عبد الحميد :

(إن البحث في عقائد الشيعة من غير تحديد وحصر للمصطلح ينبغي أن يعتمد على كتب الاثني عشرية الامامية ، باعتبارها تمثل الاكثية الغالبة من الشيعة ، ذلك أن المصطلح (الشيعة) إذا أُطلق من غير تحديد وحصر لا يعني الا المذهب الاثنى عشرى ^(٣))

وفيما يخص موضوع بحثنا وهو التقية فإننا نجد أن الامامية هم الذين اختصوا بهذا الانحراف والشذوذ ، وامتلات كتبهم بالاقاويل والنصوص والروايات عن التقية وقلما ترجع الى كتاب من أمهات كتبهم في الحديث أو التفسير أو الفقه أو العقائد وغير ذلك إلا وتجد فيه الكثير من استخداماتهم للتقية وانحرافاتهم فيها .

أما الزيدية فقد بيّننا أن موقفهم من التقية هو موقف أهل السنة .

وأما الباطنية فإن استخدامهم للمنهج الباطني يغنيهم عن كثير من استخدامات

(١) دراسات في الفرق للدكتور عرفان عبد الحميد ص / ٣٢ ، التقريب بين أهل السنة والشيعة / ناصر بن عبد الله الققاري ص / ١٥٦ وهو بحث مقدم لنيل الماجستير من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بإشراف الدكتور صالح الفوزان - عام

١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص / ٩٢

(٣) دراسات في الفرق ص / ٣٢

التقية في تأويل نصوص الكتاب العزيز وغير ذلك من الانحرافات وهذا ماسنراه في آخر بحثنا عن الشيعة^(١) فلم يبق من الشيعة ممن صال وجال في أمر التقية واستخدمها فليس غير مواطنها وشذ فيها عن حقيقتها إلا الامامية الراضية الذين أصبحت التقية عند هم سمة يُعرفون بها دون غيرهم^(٢)

من أجل ذلك كله سيجد القارئ أن الحديث عن التقية عند الامامية قد استغرق معظم صفحات البحث، كما سيجد أنني في كثير من الاحيان استخدم مصطلح (الشيعة) باطلاق كدلالة على طائفة الامامية الاثني عشرية، كما فعل كثير من الباحثين واتباعا لما هو شائع ومعروف.

(١) راجع الفصل الأخير من هذا الباب: التقية عند الباطنية ص/ ٥٨٧ من هذا البحث.

(٢) يقول محمد رضا المظفر - أحد علماء الشيعة المعاصرين - في حديثه عن التقية

(ما زالت سمة تعرف بها الامامية دون غيرها من الطوائف والامم) - عقائد

(٢٢٥)

الفصل الثاني

مفهوم التقية وأدلتها وأحكامها

وفيه أربعة مباحث : عند الشيعة الإمامية

المبحث الأول : تعريف التقية عند الشيعة الإمامية

المبحث الثاني : أهمية التقية عند هم وارتباطها بالعقيدة وأدلتهم على ذلك :

- ١ - تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذاهبهم في التقية .
- ٢ - رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها .
- ٣ - مناقشة هذه الروايات .
- ٤ - مغالطات الدكتور الشيعي في حديثه عن التقية .

المبحث الثالث : نسبتهم التقية للرسول والأئمة وبعض الصالحين :

أولا : نسبة التقية للرسول عليهم السلام .

- ١ - نسبة التقية لأبراهيم عليه السلام .
- ٢ - نسبة التقية ليوسف عليه السلام .
- ٣ - نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : نسبة التقية للأئمة المعصومين عند هم .

ثالثا : نسبة التقية لبعض الصالحين .

- ١ - نسبة التقية لأصحاب الكهف .
- ٢ - نسبة التقية لمؤمن آل فرعون .

المبحث الرابع : أحكام التقية عند الشيعة :

أولا : أحكام التقية عند علمائهم القدماء

ثانيا : أحكام التقية عند علمائهم المتأخرين .

ثالثا : أحكام التقية عند علمائهم المعاصرين .

رابعا : حد الضرورة في استخدام التقية عند هم .

خامسا : دار التقية وأحكامها .

*

*

*

المبحث الأول

تعريف التقية عند الشيعة الإمامية

تحدثنا في الباب الأول عن تعريف التقية لغيره ، وأصل اشتقاق هذه الكلمة ، ثم استعرضنا أقوال علماء أهل السنة في تعريف التقية اصطلاحاً بما يوافق نظرتهم إليها .

وهانحن الآن ننتقل الى الباب الثاني لنعطي نظرة شاملة مفصلة لموقف الشيعة من التقية من خلال رواياتهم وأقوال أئمتهم وعلمائهم في القديم والحديث .
ولا بد لنا أولاً أن نستعرض أهم تعريفات علماء الشيعة للتقية لننتقل بعدها الى رواياتهم وفتاواهم في التقية التي هي عندهم من أهم العقائد .
وقد عرف أحد علماء الشيعة التقية لغة فقال :

(الاتقاء في الأصل أخذ الوقاية للخوف ، ثم ربما استعمل بمعنى الخوف استعمالاً للمسبب في مورد السبب ، ولعل التقية في المورد من هذا القبيل)^(١)
وهذا التعريف اللغوي من الطبيعي أن يكون موافقاً للتعريفات اللغوية عند أهل السنة . أما تعريف التقية اصطلاحاً فلم يأت في أقوال عديدة ، فالشيخ المفيد^(٢) (ت ٤١٣) يعرف التقية فيقول :

(التقية هي كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ، وكاتمة المخالفين وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا)^(٣)

ونلاحظ من هذا التعريف أن الشيخ المفيد أطلق لفظة (ضرراً) وجعلها نكرة ، ولم يقيدها ، وكأنه يقصد أن التقية يمكن استخدامها مهما كان الضرر طفيفاً ، ولو كان ذلك الضرر في أي أمر من أمور الدنيا ، فليس في تعريف الشيخ المفيد أي تحديد لنوع الضرر ولا أي ضابط لتمييز الضرورة عن غيرها .

(١) الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي ١٥٣/٣

(٢) سبقت ترجمته ص ٢١٨ من هذا البحث .

(٣) شرح عقائد الصدوق ص ٦٦

ولننتقل الى تعريف آخر للتقية وهو تعريف الطوسي^(١) الملقب عند هم بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠ هـ) حيث عرفها بقوله :

(الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب ، للخوف على النفس ، إذا كان ما يبطنه هو الحق فإن كان ما يبطنه باطلاً كان ذلك نفاقاً)^(٢) .

فى هذا التعريف نجد تحديداً أدق لمفهوم التقية وتفريقاً بينها وبين النفاق ، فالتقية اظهار الباطل وكتمان الحق ، والنفاق عكس ذلك فهو اظهار الحق وكتمان الباطل ، ولا بد من هذا التفريق لان الصورة الشكلية لكلا الفعلين واحدة ، يُظهر الانسان فيهما خلاف ما يبطن ، لكن الفرق بينهما كبير . وكذلك فالشيخ الطوسى حدد نوع الضرر بقوله : (للخوف على النفس) ولم يفعل مثلاً فعل سلفه الشيخ المفيد الذى ترك الضرر بالاتحاد ولا تقييد .

وهناك تعريف آخر يختلف تماماً عن سابقه ، وهو تعريف لا يتحدث الا عن مجال واحد من مجالات التقية عند هم ، وهو مجال كتمان الاسرار عن غير أهلها ، وهو كما يقبل الدكتور الشيبى خروج بالتقية عن معناها الاصطلاحى لتتقصد معنى آخر صوفياً^(٣) .

وقد ذكر ذلك التعريف الشيخ بهاء الدين حيدر الاملى^(٤) (ت بعد ٧٨٢ هـ) حيث

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٤ من هذا البحث

(٢) تفسير التبيان للطوسى ٤٣٤ / ٢

(٣) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل الشيبى - ص / ١٢٥ مكتبة النهضة بغداد - الطبعة الاولى ١٩٦٦ م

(٤) هو بهاء الدين حيدر بن على الاملى ، من أهل (آمل) بطبرستان ، نشأ بالحلة ، واستقر ببغداد ، وصنف كتباً منها : الكشكول فى بيان ماجوى على آل الرسول ، الاركان فى فروع شرائع أهل الايمان ، مدراج السالكين فى مراتب العارفين ، لب الاصطلاحات الصوفية ، نص النصوص فى شرح الفصوص لابن عربى ، منبع الأسرار الالهية . . وغير ذلك .

قال عنه الخوانسارى : (هو من أجلة علماء الظاهر والباطن)

راجع ترجمته فى : روضات الجنات ٣٧٧ / ٢ ، الاعلام ٢٩٠ / ٢

يقول :

(التقية هي الاحتراز عن افشاء الاسرار الالهية)^(١)

ويقصد بهذه الاسرار ما عند هم من عقائد لا يجوز الافصاح بها حتى أمام الشيعة لئلا يدخل الشك والريب إلى نفوسهم وينفروا من التشيع

ونستنتج من هذه التعريفات الثلاثة النقاط التالية :

- ١ - أن التقية تكون عند الخوف وتوقع الضرر (ولو كان هذا الضرر غير محدد عند هم)^(٢)
- ٢ - أن في التقية اخفاءً لما يعتقد الانسان وظهراراً لخلافه
- ٣ - أنه لا بد للقلب أن يبقى مطمئناً بما يخفيه من اعتقاد

ولا يكاد القارئ يشعر بفرق واضح بين هذا الاستنتاج وبين تعريفات التقية عند أهل السنة التي سبق ذكرها في مطلع الباب الاول ، ولعل ذلك يرجع الى خاصية التعريفات والحدود لانها تُجمل ولا تفصل ، كما يلاحظ أن التعريفات الثلاثة السابقة تدور حول المعنى اللغوي والشكل الظاهري للتقية ولا تتعرض للمعنى الاصطلاحي الذي يقصده الشيعة من حقيقة التقية كعقيدة أساسية من عقائد هم. ولكن الذي سيبين لنا حقيقة التقية عند هم ومقدار غلوهم في شأنها واختلافهم فيها عن أهل السنة، إنما هي التفاصيل التي سنعرضها من خلال رواياتهم وأقوال علمائهم وأحكامهم فيها ومجالات استخدامهم لها وسنرى حينئذ أن تعريفاتهم للتقية لا تنطبق على حالات ومجالات استخدامهم لها . ولننتقل بعد ذلك الى تعريف التقية اصطلاحاً عند علماء الشيعة المعاصرين :

(١) الفكر الشيعي للشيعي ص/٢٦٦ ومقالة : التقية أصولها وتطورها للشيعي أيضاً ص/ ٢٥٧ . عن : (جامع الاسرار ومنبع الانوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذاهب الامامية الاثنا عشرية) لمؤلفه : بهاء الدين حيدر الاملى - مخطوط (١٠٧ ب) في مكتبة دائرة الهند بلندن .

(٢) سوف نرى تساهلهم في تقدير الضرورة وترك تحديد لها لدوافع الافراد النفسية

فالشـيخ محسن الامين^(١) يعرف التقية فيقول :

(هي إظهار خلاف الواقع في الأمور الدينية بقول أو فعل خوفاً وحذراً على النفس والمال أو العرض على نفسه أو على غيره)^(٢)

ويعرفها محمد جواد مغنية^(٣) بتعريف آخر قريب منه فيقول :

(هي الحيطة والحذر من القوى الظالم الذي يأخذ المتهم دون أن يحاكمه ويأذن له بالدفاع عن نفسه)^(٤)

ويقول في موضع آخر من كتابه معرفة التقية :

(هي أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحفظ بكرامتك)^(٥)

(١) هو محسن بن عبد الكريم الامين العاملي ، ولد في قرية شقراء بجبل عامل في لبنان عام (٢٨٢ هـ) وتعلم بها ، ثم في النجف بالعراق ، ثم عاد الى سوريا ، فاستقر في دمشق سنة (٣١٩ هـ) وعمل في التدريس والوعظ ثم الافتاء ، وتوفي فيها سنة (٣٧١ هـ) وله مؤلفات كثيرة ، أبرزها : أعيان الشيعة ، طبع منه ٥٦ مجلداً والحصول المنبذة في الرد على صاحب المنار ، وكشف الارتياح ، والشيعة بين الحقائق والاهام في الرد على صاحب الوشيعة ومعادن الجوهر ، وله ديوان شعر. وسوف نتعرض لكثير من أقواله وآرائه بالمناقشة في بحثنا هذا. راجع ترجمته في : أحسن الوديعة ١٣٤/٢ الاعلام ٢٨٧/٥

(٢) الشيعة بين الاهام والحقائق ص/ ١٨٥

(٣) محمد جواد مغنية : أحد علماء الشيعة المعاصرين في لبنان ، لم أجد له ترجمه ولكنني وقفت على الكثير من كتبه ، وأبرزها التفسير الكاشف في سبعة مجلدات ، وقد ذكر في مقدمته أسماء كتب صدرت له وهي : الله والعقل ، النبوة والعقل ، الاخرة والعقل ، إمامة علي والعقل ، المهدي المنتظر والعقل ، علي والقرآن . . . ، ومعالم الفلسفة الاسلامية ، الفقه على المذاهب الخمسة ، الشيعة والحاكمون . كما وقفت على كتاب كبير له هو (فقه الامام جعفر الصادق) من ستة أجزاء ، وكتاب (الشيعة في الميزان) ويتضمن ثلاثة كتب هي : الشيعة والتشيع ، ومع الشيعة الامامية ، والاثنا عشرية. وسيجد القارئ اننا سنتعرض لكثير من أقوال مغنية وآرائه بالمناقشة في بحثنا هذا

(٤) الشيعة في الميزان ص/ ٣٤٥

(٥) المرجع السابق ص/ ٤٨

وهناك تعريفات أخرى للتقية ذكرها علماء معاصرون من الشيعة في كتبهم لا تخرج في نصوصها عن التعريفات السابقة ولذلك أغضينا الطرف عنها .

ولاحظ على هذه التعريفات الدقة في تحديد الضرورة أكثر مما كان عند علماء الشيعة القدماء ، وإن لم تكن جامعة مانعة بما فيه الكفاية ، وذلك تقترب في ظاهرها من تعريفات أهل السنة أكثر ، ويبقى الاختلاف الجوهرى في حكم التقية ومجالات استخدامها . ولكن محمد جواد مغنیه اعتبر الاحتفاظ بالكرامة من مبررات استخدام التقية وهو هدم لتعريفه السابق وما وضعه فيه من شروط وقيود إذ أن كرامة الإنسان تخدش لمجرد نظرة أو عتاب وكل هذا لا يدخل في الضرورة أبداً . ومع ذلك فأسباب الاقتراب في الشكل الظاهري من تعريفات أهل السنة لها عدة احتمالات :

١ - إما أن يكون علماء الشيعة المعاصرون قد تأثروا بما ذكره علماء أهل السنة من تعريفات للتقية ونقلوا عنهم .

٢ - وأما أن يكونوا قد وصلوا إليها بأنفسهم نتيجة اتفاقهم في فهم آيات التقية وأدلتها مع فهم أهل السنة لها ، وذلك يكون المعاصرون من علماء الشيعة قد تجاوزوا نظرة سلفهم إلى التقية وأعرضوا عنها .

٣ - وأما أنهم اتخذوا هذا المسلك في صياغة تعريفات للتقية ظاهرها يوافق تعريفات أهل السنة فيكون هذا تقية أيضاً للدفاع عن أنفسهم ضد ما يتعرضون له من انتقادات لغلوهم في التقية وانحرافهم في فهمها . وسنلاحظ من خلال ما سير معنا من نصوص وأقوال لعلماء الشيعة المعاصرين أن الاحتمال الثالث هو الذي يقصده هؤلاء . وهي محاولة منهم لذر الرماد في العيون إيهاماً للناس أن التقية بهذا الشكل متفق عليها إسلامياً وليست أمراً قاصراً عليهم أو انحرافاً في الدين يلامون عليه . والواقع أن هناك اختلافات جوهرية كثيرة بين أحكام التقية عند أهل السنة ونظائرها عند الشيعة كما أن هناك روايات كثيرة في أهمية التقية منتشرة في كتب الشيعة وهذا ما سنعرض له تفصيلاً في المباحث القادمة إن شاء الله .

المبحث الثاني

أهمية التقية عندهم

وارتباطها بالمعصية وأدلتهم على ذلك

استدل الشيعة على فضل التقية ومنزلتها بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والحدِيث النبوي والاقوال المنسوبة إلى أئمتهم الذين يصفونهم بالعصمة.

أما أدلتهم من القرآن الكريم فهي قسمان :

- قسم يصرح بالتقية ويرخص بها ، وهي الايات الكريمة التي سبق ذكرها في الباب الاول من هذا البحث ، والتي استدل بها أهل السنة على جواز التقية في حالة الاكراه (١) ولكن هؤلاء لم يستدلوا بها لاثبات الجواز ، وانما استدلوا بها لتأكيد مذهبهم في وجوب التقية وكونها من الأصول لا من الرخص العارضة.

- وقسم آخر ليس فيه تصريح أو ذكر للتقية ، وانما هي آيات قرآنية عامة تتحدث في موضوعات أخرى فقام الشيعة بتأويلها وإخراجها عن ظواهرها وصرفها عن المعاني المرادة منها لجعلوها أدلة على مذهبهم في التقية.

وأما الأحاديث النبوية فهي قسمان أيضاً : قسم ورد من طريق أهل السنة وقد سبق ذكره (٢) وقسم آخر ورد من طريقهم ، وهي الروايات التي نسبوها لأئمتهم ، وكلها تأكيد على منزلة التقية وفرضيتها وأنها أصل من أصول الدين عندهم وعقيدة من أبرز عقائدهم . ولذلك نجد شيخهم الكليني الذي يلقبونه (ثقة الاسلام) وضع باباً خاصاً للتقية من أبواب كتاب الايمان والكفر ضمن كتابه المعروف (الأصول من الكافي) الذي هو أصح كتب الحديث عندهم وأهمها .

(١) وهي قوله تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة . .) آل عمران / آية ٢٨

وقوله سبحانه : (من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان . .)

النحل / آية ١٠٦

وقوله : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون

سبيلاً . .) النساء / آية ٩٨

(٢) راجع ص / ٦٦ من هذا البحث

وجعله التقية باباً في كتاب الايمان والكفر يؤكّد نظرتهم واعتبارهم لها ، وأنهما
عندهم أصل من أصول العقيدة والدين ، وليست فرعاً من الفروع .
ولو تأمل الباحث في روايات الباب الذي عقده الكليني في فضائل التقية لاصيب
بالدهشة ، وهو يرى هذه الهالة العظيمة من الفضائل والتقدّيس التي يضعها للتقية
حتى كأن الاسلام لم يأت الا لتأكيد التقية ، أو كأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبعث
الا للحض عليها والامر بها والتحذير من تركها !!

وسنستعرض في هذا المبحث إن شاء الله هذه الروايات التي رويت في الكافي ، وغيره
من عشرات الكتب الشيعية الاخرى فيما يتعلق بأهمية التقية ومنزلتها ، وهناك روايات
كثيرة أخرى لها صلة بالمباحث القادمة ولذلك رأينا عدم ذكرها هنا مع أنها تصلح أدلة
من وجه آخر على أهمية التقية ، ولكنها وثيقة الصلة أكثر بما سيرد من مباحث قادمة .
وحدّثنا في هذا المبحث ينحصر في نقطتين :

١ - تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم في التقية .

٢ - رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها .

(١) ذكر الكليني في هذا الباب ٢٣ حديثاً عن أئمتهم ، ثم أرفده بباب آخر له صلة
بالتقية وهو (الكتان) ذكر فيه ١٦ حديثاً ، وذكر أحاديث كثيرة قبلها في باب
المدارة وباب الرفق ، وبعد أبواب كثيرة رجع الكليني ثانية للحديث عن التقية
في باب خاص سماه (باب الإنذاعة) ج ٢ ص ٣٦٩ - ٣٧٢ وفيه الأمر بكتمان
عقائدهم والتحذير من إزاعتها .

١ - تأويلهم بعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على مذهبهم فى التقية :

لم يكف الشيعة بالاستدلال بما ورد من آيات القرآن الكريم الصريحة فى جواز التقية لعلمهم أن هذه الآيات الكريمة لا تكفى فى إظهار غلوهم بالتقية ، ولا تدل على الوجوب أو الفرضية الذى يريدون تأكيده وإنما تدل على الجواز والرخصة .
ولذلك قاموا بتأويل بعض الآيات القرآنية الأخرى وصرفها عن معانيها الظاهرة البينة الى معان أخرى لا يحتملها المعنى ، ولم يبالوا بخروج اللفظ القرآنى عن معناه الذى وُضع له وسبق من أجله .

والباطنية (غلاة الشيعة) هم الذين اشتهروا بهذا العمل وتميزوا به حتى وصلوا الى الادعاء بأن لظواهر القرآن الكريم بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر .^(١)
فالمعاني الظاهرة لآيات القرآن الكريم هى كالقشر عند الباطنية ، أما الحقائق فأنما توجد فى اللب الذى هو بواطن المعنى ، ويقولون (إن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والاسرار ، والباطن والاعوار ، وقنع بظواهرها سارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال)^(٢)

ويقصدون بالاغلال التكاليف الشرعية ، إذ أن غرضهم من التأويل الباطنى اسقاط التكاليف ، والانسلاخ عن قواعد الدين ، وإذا سقطت الثقة بالالفاظ الصريحة لآيات القرآن الكريم لم يبقَ للشرع عصام يرجع اليه ويُعَوَّل عليه .^(٣)

والشيعة الامامية الاثنا عشرية تأثروا بهذا المنهج الباطنى ، فأخذوا ينزلون نصوص القرآن الكريم على ما قرروا من عقائد حرصاً منهم على ايجاد المستند لما يعتقدونه ، وذلك باستخدام التأويل الكلامي أحياناً والتأويل الباطنى فى أحيان أخرى^(٤)

(١) فضائح الباطنية للفرزالي ص/ ١١

(٢) ، (٣) المرجع السابق ص/ ١٢

(٤) راجع تفصيل ذلك فى كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى

المجلد الثانى صفحة (١٢ - ٢٣) وقد خصص قسماً كبيراً من المجلد الثانى للحديث

عن تفاسير الشيعة ومنهجهم فى التفسير بما يوافق عقائدهم .

والعجب في ذلك أنهم نسبوا هذا التفسير الفاسد الى أئمتهم ونقلوا ذلك بروايات
ذكرها كشيء من علماء الشيعة^(١).

وأهم ما نقلوه ونسبوه للائمة في هذا المجال الروايات التالية:

الرواية الاولى - روى الكليني بسنده (عن هشام بن سالم وغيره عن أبي عبد الله (ع) في
قول الله عز وجل " أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا " قال : بما صبروا على التقية.

" ويدرون بالحسنة السيئة " قال : الحسنة التقية والسيئة الانذاعة^(٢).

الرواية الثانية - روى أيضاً بسنده (عن حريز عن أخبره عن أبي عبد الله (ع) في قول
الله عز وجل " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة " قال : الحسنة التقية والسيئة الانذاعة. وقوله

عز وجل " ادفع بالتي هي أحسن " قال : التي هي أحسن التقية

" فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " ^(٣).

والملاحظ في هاتين الروايتين أنهما تفسران معنى الايتين الكريمتين في التقيّة
وتُخرجان كلام الله تعالى عن ظاهره المراد منه، وأن الشيعة يلوون أعناق النصوص ليألبسوها
ويدعوا آراءهم .

ولذلك لابد من الوقف هنا قليلاً لايضاح الأمر:

بقوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم^{مرتين} بما صبروا ويدرون بالحسنة السيئة وما رزقناهم ينفقون)^(٤)

وقوله سبحانه: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين .

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه

ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)^(٥).

هذه الايات ليس فيها ما يدل على التقية أبداً ، بل إن السياق واضح في أن المراد بقوله

(١) أمثال الكليني والمياشي والقمي وغيرهم .

(٢) الاصل من الكافي ٢ / ٢١٧ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢١٨ وأورد هذه الرواية الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص)

ص / ٢٥

(٤) سورة القصص / آية ٥٤

(٥) سورة فصلت / الايات ٣٢ - ٣٥

تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) أي: ادفع السيئة والاساءة التى تنالك بالعفو والحلم والصبر ومخاصة فى مجال الدعوة الى الله، لأن الآية التى قبلها تذكر فضل ومنزلة من دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين^(١).

فالدعوة الى الله والصدع بالحق هو الذى يحتاج الى صبر ويتطلب الحكمة ودفع السيئة بالحسنة، ولكن الشيعة قلبوا مفهوم هذه الآيات وجعلوا المراد منها الأمر بالتقية وكتان الحق .

ولو كانت الحسنة فى التقية، والسيئة فى الاذاعة لما امتدح الله الذين يدعون الى دينه ويعتزون بالاسلام فى الآية السابقة لها .

والروايتان السابقتان تحصران معنى الصبر فى الايتين بأنه الصبر على التقية. وهذه زيادة فى المعنى لا يحتملها النص، بل إن الذى يستخدم التقية ليعبد الخطر عنه وليخفي عقيدته لا حاجة له بالصبر فى هذا المجال، إذ الصبر يكون على ما يصيب المسلم من أذى ولا من جراً تمسكه بعقيدته ودعوته الى دينه، وهذا من أهم مجالات الصبر .

ولا يمكن أن نصف من يستعمل التقية إثارة للسلامة وابتعاداً عن الاخطار بأنه صابر، لأن هذه التقية ستؤدي به الى النجاة من المخاوف والبعد عن الاخطار، ولكن الأولى بصفة الصبر من يدعوا الى الله ويجاهد فى سبيله ويضحى بنفسه لاعلاء كلمة الله .

والعجيب أن معظم مفسري الشيعة لم يلتفتوا إلى الروايتين السابقتين فى تفسير الحسنة والسيئة، وإنما أبقوا المعنى على ظاهره المراد منه، وفسروا المراد من الصبر بأنه الصبر على فعل الطاعة والامتناع عن المعصية والصبر على الأذى فى جنب الله^(٢).

والفيض الكاشاني فى تفسيره (الصافي)^(٣) ذكر ذلك أيضاً وأكد العموم فى معنى الآيتين، ولكنه عاد لينقل لنا رواية الكافي بأن الحسنة هى التقية والسيئة هى الاذاعة مخالفاً بذلك ما ذهب اليه المفسرون الآخرون من الشيعة.

(١) راجع تفسير ابن كثير ١٠١/٤

(٢) راجع تفسير التبيان للطوسي ١٤٣/٨ ، ١٢٤/٨ - مجمع البيان للطبرسي

٣٠٤/٢ ، ٢٢/٢٤ التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنیه ٧٤/٦ ، ٩٢٢/٦

(٣) راجع : تفسير الصافي ٢٦٧/٢ ، ٥٠٠/٢

والواقع أن عدم التفات معظم المفسرين الى هاتين الرويتين وعدم استخدامهما في بيان المعنى يدل على أحد احتمالين :

١ - أن يكون ذلك اعتقاداً منهم بأن المعنى عام ، ولا دليل على تخصيصه أو تأويله بالتقية ، فكانهم بإغفال هذه الروايات ينكرونها ، ويكون موقفهم هذا كاف للرد على الذين أخذوا بها أو أشاروا إليها ، بل هو كاف لإبطال هاتين الرويتين من أساسهما .

٢ - ولما أنهم يعتقدون بصحة هاتين الرويتين ومثالهما سنداً ومعنى ، ولكنهم لم يشيروا إليها بسبب التقية لئلا يظهروا أمام أهل السنة أنهم ينحرفون في تفسير آيات القرآن ^{وهذا هو الأرجح} ولينتقل بعد ذلك إلى الرواية الثالثة في تفسير بعض آيات القرآن الكريم بما يوافق ويؤيد مذهبهم في التقية .

الرواية الثالثة :

روى ابن بابويه القمي بسنده عن أبي بصير قال :

(سألت أبا عبد الله - ع - عن قول الله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا " قال : اصبروا على المصائب ، وصابروهم على التقية ، وابطوا على من تقتدون به واتقوا الله لعلكم تفلحون) (١)

ويكي للرد على هذه الرواية أن نذكر قول الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية

فقد أورد في معناها ثلاثة أقوال نعرضها بإيجاز وهي :

١ - اصبروا على دينكم ، أي اثبتوا عليه وقاتلوا العدو وصابروا على قتالهم كما يصبرون على قتالكم في الباطل .

٢ - اصبروا على دينكم ، وصابروا ودي إياكم ، وابطوا عدي وعدوكم .

٣ - اصبروا على الجهاد ، وابطوا على الصلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة .

ثم قال : (وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف ، لأن قول اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات ، وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس ، وابطوا

(١) وسائل الشيعة ٦/٤٦٣ راجع تفسير الصافي ١/٣٢٣ - والآية في سورة آل

يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين ، واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والائثار بجميع الأوامر ، ثم يتبع ذلك الفلاح والنجاح (١)

وكذلك الشيخ الطوسي - الذي هو شيخ الطائفة عندهم - لم يتعرض لذكر التقية في تفسير هذه الآية وإنما قال : (المصابرة صبر على جهاد العدو ويقابل صبره لأن المفاعلة بين اثنين) (٢) ولكنه ذكر الرواية بطريقة أخرى ليس فيها أي إشارة إلى التقية.

فقال : (روى عن أبي جعفر - ع - أنه قال : اصبروا على المصائب ، وصابروا على عدوكم وابطأوا عدوكم) (٣) . وهي رواية تختلف تماماً عن رواية ابن بابويه القمي وليس فيها تحديد معنى المصابرة بالتقية كما في الرواية السابقة.

نعوذ فنقول : يكفي إعراض مفسري الشيعة عن هذه الرواية لاثبات بطلانها وتهافتها لاسيما وأنها جعلت معنى الآية معكوساً ، فالآية تأمر بجهاد الأعداء والصبر على كل ما ينال المسلم في سبيل ذلك مهما اشتدت قوتهم . ولكن الرواية السابقة قلبت المعنى ليدل على التخفي والتكتم والتقية !! ثم أين المصابرة في التقية وهي تؤدي - كما يقولون - إلى السلامة وإلى الصديق الحميم ؟!

الرواية الرابعة :

روى البرقي في (المحاسن) بسنده (عن عبد الله بن حبيب عن أبي الحسن - ع - في قول الله عز وجل " إن أكرمكم عند الله أتقاكم ") (٤) قال : أشدكم تقية) (٥)

والآية الكريمة تتحدث عن مقياس التفاضل بين البشر عند الله سبحانه وأن الإنسان كلما ازداد في التقوى والخشية من ربه كلما زادت كرامته ومنزله عند الله تعالى .

(١) مجمع البيان للطبرسي ٣١٣/٤ - ٣١٤

وقد قال أحمد مغنية - وهو أحد كتاب الشيعة المعاصرين - ممتدحاً تفسير الطبرسي : (إن الشيعة الإمامية تثق وشوقاً كاملاً بتفسير مجمع البيان للشيخ أبو علي الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس) راجع كتابه : الجبهان سليل الشيطان ص/٧٩ وانظر ترجمة الطبرسي ص/٣١٢ من هذا البحث

(٢) (٣) تفسير التبيان للطوسي ٩٦/٣

(٤) سورة الحجرات آية ١٣

(٥) وسائل الشيعة ٤٦٦/٦

فالمراد بالتقوى الخشية من الله ، وليس التقية التي هي الخشية والخوف من البشر، لكن هذه الرواية قلبت المعنى رأساً على عقب، وهذا تحريف خطير للمراد من الآية الكريمة وكأنهم يقصدون بذلك أن الانسان كلما توسع في التقية وتمسك بها وزاد في الكتمان والسرية كان أعلى منزلة عند الله وأرفع شأنًا !! هذا هو إنداً مقياسهم للتفاضل !

وتفسير الصافي مع غلو وانحرافات ذكر أن المراد بالتقوى هنا الخشية من الله تعالى وبعد كلام طويل عن فضيلة التقوى ومنزلة المتقين عقب صاحب تفسير الصافي بنقل الرواية السابقة التي تجعل المقصود بكلمة (أتقاكم) أشدكم تقية^(١)

أما الطوسي والطبرسي وغيرهما من مفسري الشيعة فانهم لم يلتفتوا إلى هذه الرواية^(٢) وهذا كما قلنا مراراً أبلغ رد عليها .

الرواية الخامسة :

روى العياشي عن حذيفة عن أبي عبد الله قال :

(" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " قال : هذا في التقية)^(٣)

والملاحظ في هذه الرواية التي ينسبها العياشي إلى الامام الصادق أنها تجعل الاقبال على الجهاد والصدع بالحق وترك التقية إهلاك للنفس، وقد نهى الله عن ذلك، وحرّم على الانسان أن يرمي بنفسه في المهالك ، فيكون هذا نهياً عن ترك التقية وتأكيد على أهميتها. ولكي نناقش هذا التفسير المنحرف للآية الكريمة لابد من معرفة سبب نزولها كما ورد في كتب أهل السنة :

روى الامام الترمذي عن أسلم أبي عمران قال :

(كنا بمدينة الروم ، فأخرجوا إلينا صفّاً عظيماً من الروم . . . فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم ، فصاح الناس وقالوا سبحان الله ، يُلقى بيده إلى التهلكة ،

فقام أبو أيوب الانصاري فقال :

(١) تفسير الصافي ٥٩٥ / ٢

(٢) تفسير التبيان للطوسي ٣٥٠ / ٩ - مجمع البيان للطبرسي ٩٧ / ٢٦ التفسير

الكاشف لمغنية ١٢٤ / ٧

(٣) وسائل الشيعة ٤٦٧ / ٦

يا أيها الناس إنكم لتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر
الانصار لما أعز الله الاسلام وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض . . : إن أموالنا قد ضاعت
وان الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه فلو أقمتنا في أموالنا فأصلحنا منها ، فأنزل الله تبارك
وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : " وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة " (١)
فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في
سبيل الله حتى دفن بأرض الروم (٢)

ولو تركنا سبب نزول الآية جانباً ونظرنا الى عموم لفظها نجد أنها لا تدل على التقية
بحال من الاحوال ، بل إن صدر الآية الكريمة يأمر بالانفاق في سبيل الله وهذا نوع من
الجهاد ، والتهلكة تكون إذا ألتف الانسان نفسه بدون مبرر ، أما من يُقدّم روحه في سبيل
الله مجاهداً وثابتاً على الحق فإنه قد باع نفسه بأعلى ثمن ، كما قال تعالى :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيُقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٣)

فليست التهلكة في الجهاد وإعلان الحق وبذل التقية وإنما هي في التخاذل والركون
إلى الدنيا وترك الانفاق في سبيل الله .

وهذا المعنى هو الذي أكدّه مفسرو الشيعة أنفسهم ، (٤) حتى الكاشاني في تفسيره .
الصافي لم يلتفت الى رواية العياشي هذه المرة ، وإنما أبقى الآية على عمومها وإطلاقها (٥) .

(١) سورة البقرة . آية / ١٩٥

(٢) رواه الترمذي في سننه ٢٨٠ / ٤ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح ، رواه أبو

داود في سننه ٢٧ / ٣ ، والحاكم في مستدركه ٢٧٥ / ٢ وقال : هذا حديث صحيح

على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) سورة التوبة . آية / ١١١

(٤) تفسير الطوسي ٥٣ / ٢ الطبرسي ٥٣ / ٢

(٥) تفسير الصافي ١٧٣ / ١

الرواية السادسة :

أورد الحسن بن علي العسكري - الامام الحادي عشر عند هم - في تفسيره في قوله تعالى (وعلوا الصالحات) قال : (قضا الفرائض كلها بعد التوحيد واعتقاد النبوة والامامة ، قال : وأعظمها فرضان :

(١) قضاء حقوق الاخوان في الله ، واستعمال التقية من أعداء الله عز وجل (

وأورد كذلك في قوله تعالى " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " (٢)

قال : (الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ، وسَّع لهم في التقية ، يجاهرون

بإظهار موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدروا ، ويسرون بها إذا عجزوا) (٣)

وأهم ما يلاحظ على الكلام السابق المنسوب للامام الحسن العسكري أنه يحاول أن يشد

معاني الايات الكريمة بتعنت ظاهر لتؤيد عقائد الشيعة ، وذلك عن طريق تحميل النصوص

القرآنية ما لا يمكن أن تتحملة من المعاني .

فالذي يستحق وصف القيام بالعمل الصالح - على رأي هذه الرواية - هو المتمسك

بفرض التقية ، والذين تشملهم رحمة الله هم الشيعة المتمسكون بالتقية ، وهكذا تقتصر رحمة

الله الواسعة عليهم - كما تزعم الرواية - وتصبح قاصرة على أمور الدنيا ومختصة بأهل

التقية . . فالرحمة تنال شيعتهم ويحرم منها غيرهم لانهم لا يختصون بإتقان فن التقية !

ولا يخفى تهافت وطلان هذا الادعاء ، وشابته لدعوى اليهود من قبل الذين زعموا

أنهم أبناء الله وأحباؤه . والتالي لاحاجة للاطالة في مناقشته والرد عليه .

الرواية السابعة :

روى العياشي في تفسيره عن جابر عن أبي عبد الله قال :

(اجعل بيننا وبينهم سداً ، فما استطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا له نقباً .

(١) وسائل الشيعة ٤٧٣/٦

(٢) سورة البقرة . آية / ١٦٣

(٣) وسائل الشيعة ٤٧٥/٦

قال : هو التقية . (١)

وروي أيضاً عن الفضل قال : (سألت الصادق - ع - عن قوله : " اجعل بينكم وبينهم ردماً " قال : هو التقية .

" فما استطاعوا أن يظهرهوا وما استطاعوا له نقباً "

قال : إذا عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة ، وهو الحصن الحصين ، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً .

قال : وسألته عن قوله " فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء " قال : رفع التقية عند الكشف فانتقم من أعداء الله (٢) . ويقصدون بالكشف قيام قائمهم الذي هو الامام الغائب .

وهذا نوع جديد من انحرافهم في التفسير ، فالروايات السابقة جاءت بزيادات في معاني الايات دون أن تلغي ظواهرها .

أما هذه الرواية فهي داخلية في التفسير الباطني الذي يلغي المعنى الظاهري للآية ويحول ألفاظها الى رموز وكنايات لمعاني خفية لا تفهم من الظاهر .

فالسد الذي بناه ذو القرنين هو التقية كما تقول الرواية السابقة ، وكذلك الردم الذي أقامه ليحجز هؤلاء القوم عن أعدائهم .

فليس المراد بالسد - على حسب هذه الرواية - سداً حقيقياً من حجارة ونحاس وإنما هو سد معنوي يُبعد الانسان عن المخاطر ، ويستر ما يعتقده ويحجزه عن أذى أعدائه وهذا السد هو التقية التي اذا تمسك بها الانسان سداً على أعدائه المنافذ ، ولم يقدروا على النيل منه مهما بذلوا من الحيل وصار في حصن آمن من حصن الحجارة والحديد .

لانه حصن لا يمكن نقبه واختراقه فضلاً عن تهديمه !

ويبقى سد التقية قائماً حتى عودة الامام المنتظر الذي تنتهي التقية بعودته وعندها

يفصح الشيعة عن خبايا نفوسهم ، وهذا هو تفسيرهم لقوله تعالى : (فاذا جاء وعد ربي

جعل له دكاء وكان وعد ربي حقاً) . (٣)

(١) (٢) وسائل الشيعة ٦ / ٤٦٧

(٣) سورة الكهف . الآية / ٩٨

فانظر - أخى القارىء - كيف وصل بهم الغلو والانحراف الى هذا التفسير الباطنى وكيف ينسبون الى ذى القرنين استعمال التقية والامربها وهو الفاتح المنتصر !

ثم ما الذى يجعل هذا القائد يدعوهم للتمسك بالتقية وقد آتاه الله القوة والتمكين؟! قال تعالى مخبراً عنه : (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سبباً)^(١)

ثم ان الايات الكريمة التى تتحدث عن السد تصف كيفية البناء والمادة التى بُني منها هذا السد ، وتذكر الردم والحديد والنحاس ، وكل هذه الالفاظ لا يمكن إخراجها عن حقيقتها وتأويلها تأويلاً باطنياً يلغى معانيها الظاهرة .

قال تعالى وهو يصور بناء هذا السد ومراحل عمله والهدف منه :

(قالوا ياذا القرنين إن يأجج ومأجج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً .

آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً)^(٢)

وأول ما نلاحظ فى الرواية السابقة الخطأ فى إيراد الآية وهى قوله تعالى (على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) فقد أوردها الراوى بقوله (اجعل بيننا وبينهم سداً) وهذا يدل على أن واضع الرواية قليل الدراية بكلام الله تعالى ثم إن الهدف من السد أن يحجز قوم يأجج ومأجج الذين اعتدوا على من حولهم بالسلب والنهب وسائر وجوه الشر ، فتطوع ذى القرنين ببناء هذا السد بما آتاه الله من مال .

وتم البناء بدقة فقد جمع قطع الحديد ووضع بعضها على بعض حتى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين ثم سخن ذلك الحديد بالنار وصب فوقه النحاس المذاب حتى صار كتلة واحدة وسداً منيعاً . هذا هو وصف الايات الكريمة لبناء السد فهل يمكن تأويل كل هذه

(١) سورة الكهف . الايتان / ٨٣ - ٨٤

(٢) سورة الكهف . الايات / ٩٤ - ٩٧

المراحل بالتقية؟!

إنه بناء حقيقي وليس كما تزعم الرواية السابقة التي رواها العياشي في تفسيره. ولقد خالف كثير من مفسري الشيعة رواية العياشي وأكدوا أن المراد بالسد بناء حقيقي وليس رمزاً للتقية (١)

وتفسير الصافي أيضاً - وهو من التفاسير الشيعية المؤلفة في الغلو والتأويل الباطني - أكد في شرحه لمعاني الآيات على ظاهر اللفظ وحقيقته ، ولكنه بعد شرح طويل عاد ليناقض نفسه وينقل عن العياشي مانسبه للامام الصادق من التأويل الباطني لهذه الآيات. (٢)

(١) راجع التبيان للطوسي ٧٦/٧ - مجمع البيان للطبرسي ٢٠٨/١٦ - التفسير

الكاشف لمغنية ١٥٧/٥

(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٣٠/٢ - ٣١

٢ - رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها :

١- التقية تسعة أعشار الدين :

أول ما ينسبونه لأئمتهم أن التقية تسعة أعشار الدين وأنه لا دين لمن لا تقية له

روى الكليني بسنده عن أبي عمر الأعرجي قال : قال لي أبو عبد الله (جعفر الصادق) :

(يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له)^(١)

فالذي يترك التقية ويجهر بما يعتقد أنه الحق يُعد على رأيهم مضيعاً تسعة أعشار الدين

فماذا يبقى له من الدين لقاء جرأته في حقه وصبره على ما يناله من أذى في سبيل ذلك ؟

بل ما هي القيمة التي بقيت لركان الدين وفرائضه بعد أن أخذت التقية تسعة أعشاره ؟!

٢- التقية أحب شيء عندنا منهم :
هذه التقية هي أحب شيء عند أئمتهم - كما يزعمون - وليس فوق منزلتها منزلة بل

هي الميزان الذي يتفاضل به الناس عند الله ، فمن كانت له تقية رفعه الله وأعلى منزلته ،

ومن ترك التقية وأبرز مكنونات عقيدته فهو عند الله مهين ذليل ، وكأنه اقترف جريمة كبيرة

وأتى عملاً فاحشاً !

روى الكليني أيضاً بسنده عن حبيب بن بشر قال : قال أبو عبد الله : سمعت أبا

(الباقر) يقول : (لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقية ، يا حبيب إنه من

كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب مَنْ لم تكن له تقية وضعه الله)^(٢)

٣- التقية حجاب لعقائدهم أمام مخالفيهم : المصروف من الحضر على التقية أن لا يطلع

غير الشيعة على ما يخفيه الشيعة من عقائد وبيادئ مخالفة لعقيدة أهل السنة .

روى الكليني بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله قال :

(اتقوا على دينكم فاحجبوا بالتقية ، فانه لا إيمان لمن لا تقية له ، انما أنتم في الناس

كالنحل في الطير ، لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته ،

ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بالسنتهم ولنحلوكم^(٣) في

(١) (٢) الاصول من الكافي ٢١٧/٢

(٣) نَحْلَةُ القَوْل : نسبة إليه ، وَنَحَلَ فلاناً : سابه ، وفي بعض النسخ (نجلوكم)

بالجيم ، أصلها من : نجل فلانا ضربه بمقدم رجله . (من التعليق على الكافي)

(١) السر والعلانية ، رحم الله عبداً منكم كان على ولا يتنا)

ولاندري ما الحاجة الى اخفاء حب أهل البيت في قلوبهم فأهل السنة أشد حباً لأهل البيت منهم ، فالذى يخفونه إذاً هو ما يخالفون فيه أهل السنة ، مما يعتقدونه من ضلالات وخاصة تكفيرهم لكثير من الصحابة الكرام وزعمهم وقوع التحريف في القرآن الكريم وأمثال ذلك (٢) من أجل تلك الاختلافات يصرون على كتمان عقائدهم وعلى التظاهر بتقية بخلافها إنجاءً لانفسهم من سيف العدل ولكي يُتاح لهم المجال بنشر ضلالاتهم سرّاً بين بسطاء الناس في خفية وتستر ، ولذلك نجدهم يُكثرون من نسبة الروايات لائمةتهم وهم بريئون من ذلك - في الحضر على التقية والتأكيد على الالتزام بها ، فمن استجاب لذلك وكنم عقيدته فله الجنة ومن أذاع تلك العقيدة فعقوبته الذلُّ في الدنيا والعص في الآخرة ، ويدعون أن الله يحب أن يُعبد في السر كما يحب أن يُعبد في العلانية .

روى الكليني بسنده عن معلّى بن خنيس قال : قال أبو عبد الله :

(يا معلّى اكنم أمرنا ولا تُذعه ، فإنه من كنم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا ، وجعله نوراً بين عينيهِ في الآخرة ، يقوده الى الجنة ، يا معلّى من أذاع أمرنا ولم يكتنه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيهِ في الآخرة وجعله ظلمة تقوده الى النار ، يا معلّى إن التقية من ديني ودين آبائي ، ولادين لمن لا تقية له ، يا معلّى إن الله يحب أن يُعبد في السر كما يحب أن يُعبد في العلانية ، يا معلّى إن المذيع لأمرنا كالجاهد لـه) (٣) وهكذا يصبح صاحب التقية رفيع القدر ، سامي الدرجات ، ينال الاجر العظيم !!

٤- التقية رين النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده :

رواياتهم التي يزعمون فيها أن التقية دين النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة

من بعده كثيرة جداً أهمها : ما رواه الكليني بسنده عن معمر بن خلاد قال :

(١) الاصول من الكافي ٢ / ٢١٨

وذكر المفيد في كتابه الامالي ص / ١٣١ رواية أخرى مشابهة لرواية الكليني .

(٢) راجع ذلك تفصيلاً ص / ٣٤١ من هذا البحث .

(٣) الاصول من الكافي ٢ / ٢٢٣

(سألت أبا الحسن - علي الرضا - عن القيام للوالة فقال : قال أبو جعفر - محمد الباقر -
التقية من ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له) (١)

وروى البرقي في المحاسن بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله - جعفر الصادق -

قال : (لا خير فيمن لا تقية له ، ولا إيمان لمن لا تقية له) (٢)

وليست هذه الرواية منسوبة عندهم للائمة فحسب بل نسبوها أيضاً للرسول صلى الله

عليه وسلم فقد روى العياشي في تفسيره عن الحسن بن زيد بن علي ، عن جعفر بن محمد

عن أبيه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا إيمان لمن لا تقية له ، ويقول

قال الله : الآن تتقوا منهم تقاه .) (٣) !!

فالرسول صلى الله عليه وسلم - على حسب زعمهم - ينبغي الايمان عن ترك التقية وجهر

بالحق وضخ بنفسه صابراً محتسباً فهذا عندهم لا إيمان له !!.

٥- التقية أفضل عمل تقر له أعين أئمتهم : ولذا لا يستعملونها عن

حب ورغبة لا عن خوف ورهبة.

وروى الكليني بسنده عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله - جعفر الصادق - قال :

(كان أبي عليه السلام يقول : وأي شيء أقرّ لعيني من التقية ، إن التقية جنة المؤمن) (٤)

وروى الصدوق القمي بسنده عن أبي عبد الله قال : كان أبي يقول :

(يا بني ما خلق الله شيئاً أقرّ لعيني أباك من التقية) (٥) !!

وهكذا يوصي الائمة بعضهم بعضاً بالتقية - كما يزعم الشيعة - مع أنهم من أشجع الناس

وأجرأهم في الحق (٦)

(١) المرجع السابق ٢/٢١٩

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ٦/٤٦٦

(٣) وسائل الشيعة ٦/٤٦٧

(٤) الاصول من الكافي ٢/٢٢٠

(٥) الخصال للصدوق ابن بابويه القمي ص/٢٢

(٦) سبق أن تحدثنا في بداية هذا الباب عن توثيق علماء أهل السنة لهؤلاء الائمة

وثناهم على دينهم وعلمهم وخلقهم . راجع ص/ ٢٠٣

بل إن اعتزازهم بالتقية وظلّوهم فيها جعلهم ينسبون الى جعفر الصادق قوله (ليس منّا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية) (١)

٦- التقية - جهد في سبيل الله : والوقت أنها الصورة العكسية

للجهاد لكن اجتماع المتناقضات سهل عندهم

روى الكليني بسنده عن عيسى بن منصور قال : سمعت أبا عبد الله يقول :

(نفس السهم لنا المفتّم لظلمنا تسبيح ، وهُمّ لأمرنا عبادة ، وكتمانه لسرّنا جهاد فسي سبيل الله ، قال لي محمد بن سعيد - وهو أحد الرواة - : اكتب هذا بالذهب ، فما كتبت شيئاً أحسن منه) (٢) !!

وحقا ليس هناك أحسن لراحة النفس وعدّها عن الاخطار من جعل التقية التي هي أمر سلبي جهاداً في سبيل الله ، فيجلس الانسان في بيته ويفلق عليه بابه وقد نال شرف الجهاد وحظي بأجره !

وروى الصدوق القى بسنده عن محمد بن عمار قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول :
(المؤمن مجاهد ، لانه يجاهد أعداء الله عزوجل في دولة الباطل بالتقية ، وفي دولة الحق بالسيف) (٣)

فالمؤمن - أي الشيعي في قصدهم - مجاهد في كل أحواله لانه مجاهد بالتقية في دولة الباطل - أي دولة أهل السنة - وهكذا تصبح التقية والجهاد مترادفتان في نظر الشيعة ويبقى فرض الجهاد الذي شرعه الاسلام معطلاً وقد حلت محله التقية حتى يرجع القائم - وهو الامام الفائب - فتقوم دولة الحق ويجاهدون معه أعداءهم (٤)

٧- التقية بمنزلة الصلاة :
لزيادة أهمية التقية عندهم وشغفهم بإيجاد الفضائل لها بكل ما يخطر على

عقولهم خطوا بها خطوة أخرى حتى صارت بمنزلة الصلاة التي هي عماد الدين من تركها فقد ترك الدين ، والتي هي بمنزلة الرأس من الجسد .

(١) وسائل الشيعة ٤٦٦/٦

(٢) الاصول من الكافي ٢٢٦/٢

(٣) وسائل الشيعة ٤٦٤/٦

(٤) راجع تفصيل ذلك ص/ ٣٣٥ عند الحديث عن دار التقية.

روى الحسن العسكري - وهو الامام الحادي عشر عندهم - في تفسيره . فقال :
(مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له)^(١)

روى محمد بن ادريس في كتاب (السرائر) عن علي بن محمد (وهو الامام العاشر عندهم)
أنه قال لداود الصرمي :

(يا داود لو قلت إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً)^(٢) !!

وهكذا حازت التقية الشرف كله فهي من دين الله ، وتسعة أعشار الدين وهي جهاد في سبيل الله ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة !! وهل بقي من فضائل التقية أكثر

من ذلك ؟! ٨- تاريخ التقية يعرض نفسه لعذاب الله :

ما دام شأن التقية ومنزلتها قد وصلت الى هذا الحد فيا ويل من تركها وكان

جريئاً في الدعوة إلى الحق مجاهراً بما يعتقد ، إنه بذلك يعرض نفسه لعذاب الله !!

روى الكليني بسنده عن حريز عن أبي عبد الله قال : (التقية ترس الله بينه وبين خلقه)^(٣)

وقد شرح هذه الرواية المعلق على الكافي فقال : (أي تمنع الخلق من عذاب الله أو من البلاء النازلة)^(٤)

روى الكليني أيضاً عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله يقول :

(التقية ترس المؤمن ، والتقية حرز المؤمن ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، إن العبد ليقع

إليه الحديث من حديثنا فيدين الله عز وجل به فيما بينه وبينه ، فيكون له عزاً في الدنيا

ونوراً في الآخرة ، وإن العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيذيعه فيكون له ذلاً في

^(٥)

الدنيا ، وينزع الله عز وجل ذلك النور منه)

فمن جهر بعقائده الشيعية أذاقه الله ذل الدنيا وعذاب الآخرة ، ومن كتمها أعزه الله

(١) وسائل الشيعة ٤٧٣/٦

(٢) المرجع السابق ٤٦٦/٦

(٣) (٤) الاصول من الكافي ٢٢٠/٢ والمعلق على الكافي هو (علي أكبر الغفاري)

(٥) الاصول من الكافي ٢٢١/٢

في الدنيا والاخرة.

٩-التقية بمنزلة الشهداءتين:

لم يبق لهم بعد كل هذا الفلو والتقدير للتقية الا أن يجعلوها بمنزلة

الشهادتين وتوحيد الله الذي لا يُقبل عمل بدونه ويجعلوا تركها كالشرك لا يُغفر (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١)

وقد ارتفعوا بالتقية فعلاً الى هذه المنزلة واعتبروا تاركها كالشرك لا يُغفر له!

روى الحسن العسكري في تفسيره (وهو إمامهم الحادي عشر) عن علي بن الحسين

(الامام الرابع) أنه قال : (يغفر الله للمؤمن كل ذنب ، ويظهره منه في الدنيا والاخرة

ما خلا ذنبتين : ترك التقية ، وتضييع حقوق الاخوان) (٢) وهذا معارض ومخالف للآية

الكريمة سالفة الذكر. ويرون أن التقية أشرف خلق يتحلى به أئمتهم (كما ينسبون اليهم)

فقد روى الحسن العسكري عن محمد بن علي (الامام التاسع) أنه قال :

(أشرف أخلاق الائمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية ، وأخذ النفس بحقوق

الاخوان) (٣) وإذا ترك أحد أتباعهم التقية أضيع حق إخوانه فهي جريمة عقوبتها أن

يُضرب بالسياط حتى يتوب ، فيقام عليه الحد مائة سوط كأنه زان!

قال الحسن العسكري : (قيل لمحمد بن علي : إن فلانا أخذ بتهمة فضرب مائة سوط

فقال محمد بن علي : إنه ضيع حق أخ مؤمن ، وترك التقية ، فوجه إليه فتاب) (٤)

وتتوالى التأكيدات على فرضية التقية وعقوبة من تركها ، فنجد أن التفسير

المنسوب للحسن العسكري هو أكثر كتبهم امتلاءً بأمثال هذه الروايات التي ينسبها

الحسن العسكري بدوه إلى آبائه من الائمة - إذا صحت نسبة هذا التفسير للحسن

العسكري - حتى إن بعض رواياته منسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولنستمع الى هذه

الرواية :

قال الحسن العسكري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة النساء / آية ٤٨ ، آية ١١٦

(٢) ، (٣) ، (٤) وسائل الشيعة ٦ / ٤٧٤

(٥) أورد الشيخ الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) ٢ / ٧٩ - ٩٨ أدلة كثيرة

على أن هذا التفسير لا تصح نسبته للامام الصالح الحسن العسكري ، وإنما هو

مفتري عليه .

(ولو شاء لحرم عليكم التقية ، وأمركم بالصبر على ما ينالكم من أعدائكم عند إظهاركم الحق)
ثم قال : (ألا فأعظم فرائض الله عليكم بعد فرض مولاتنا ومعاذاة أعدائكم استعمال التقية
على أنفسكم وأموالكم ، ومعارفكم ، وقضاء حقوق إخوانكم ، وإن الله يغفر كل ذنب ولا
يستقصي ، وأما هذان فقل من ينجو منهما إلا بعد من عذاب شديد)

ثم قال : (فاتقوا الله ولا تتعرضوا لمقت الله بترك التقية ، والتقصير في حقوق إخوانكم
المؤمنين) !! (١)

المقصود باستخدامهم التقية أهل السنة : ١-

روى الكليني بسنده عن هشام الكندي قال : سمعت أبا عبد الله يقول :

(إياكم أن تعملوا عملاً يعيروننا به ، فإن ولد السوء يعير والده بعمله ، كونوا لمن
انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً ، صلوا في عشائهم ، وعودوا مرضاهم ، واشهدوا
جنازهم ، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم ، والله ما عبد الله بشيء أحب
إليه من الخبء . قلت : وما الخبء؟ قال : التقية .) !! (٢)

فالامام جعفر الصادق يأمرهم أن يشاركوا أهل السنة في صلاتهم وعودوا مرضاهم
ويشهدوا جنازهم ويتظاهروا أمامهم بكل ما يوافقهم، وهذا هو قصدهم من التقية، بل هذا
مجال التقية عندهم ، أما التقية مع أعداء الله من الكفار وأهل الكتاب عند الإكراه فهذه
لا يتحدثون عنها إلا نادراً ، والعجيب أن نجد المعلق على الكافي يتجاهل ذلك
فيعلق على معنى (صلوا في عشائهم) بقوله : (يعني عشائر المخالفين لكم في الدين) !! (٣)
وكلامه هذا يحتمل أحد معنيين :

١- إما أنه يقصد بالمخالفين في الدين : الكفار . ولكن كيف يصلي الشيعة في عشائر
الكفار ويعدون هذا تقية؟ إنهم إن فعلوا ذلك كان جهاداً وتضحية لا تقية، لان الكفار

(١) وسائل الشيعة ٤٧٥/٦ وفي كتاب الأمل للنفيد ص/ ١٠٠ رواية مشابهة
منسوبة للامام الصادق وهي : (اتقوا الله وصونوا دينكم بالوع، وقووا بالتقية)

(٢) الاصول من الكافي ٢١٩/٢ والخبء هو الإخفاء والستر

(٣) حاشية الكافي ٢١٩/٢ والمعلق هو: علي أكبر الففاري

لن يتركوهم يعلنوا شعائرهم ويجهروا بصلاتهم أمامهم متحدّين لهم . والتالي لا يمكن أن يكون المقصود بذلك الكفار أبداً .

٢- واما أنه يقصد بالمخالفين في الدين : أهل السنة ، وهذا ما يُفهم من الرواية فعلاً فأهل السنة عندهم مخالفون في الدين . تلك هي حقيقة موقف الشيعة ، إنهم لا ينظرون إلى أهل السنة كمخالفين لهم في المذهب بل يعتبرونهم مخالفين لهم في قواعد الدين وأصوله^(١) . ويذكر الكليني في (الروضة) رواية أخرى ينسبها للإمام الصادق قريية من الرواية السابقة ، ويدعي أنها رسالة خرجت من أبي عبد الله الصادق إلى أصحابه ، منها : (عليكم بمجاملة أهل الباطل ، تحمّلوا الضيم منهم ، وإياكم وما ظنّتهم ،^(٢) دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستوهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام . . . بالتقية السقي أمركم الله أن تأخذوا بها . . . لا تحبونهم أبداً ولا يحبونكم ، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصّركم ولم يجعلهم من أهله فتجاملونهم وتصبرون عليهم)^(٣) .

وبما أنهم لم يتركوا طريقاً يزيد في أهمية التقية إلا سلكو فقد عبّروا عن هذه التقية بأسلوب غريب طريف مسجوع ، ونسبوا ذلك إلى أحد أئمتهم .

روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر (الباقر) :
(خالطوهم بالبرّانية وخالطوهم بالجّوانية إذا كانت الإمرة صبيانية)^(٤)

وينسبون إلى علي (رضى الله عنه) أنه كان يأمر أصحابه بالتقية ويحذّره من تركها ويوصيهم بالحرص عليها لإخفاء تلك العلوم التي تلقوها منه ومن أبنائه الأئمة - كما يزعمون - روى الطبرسي في الاحتجاج (عن أمير المؤمنين (ع) قال :

(١) مع ذلك نجد صيحات بعضهم تنادي بالتقارب مع أهل السنة لأن الرب واحد والدين واحد ولا خلاف إلا في الفروع !! . ولكي تعرف حقيقة هذه الدعوى راجع ص ٥٦٧ من هذا البحث .

(٢) المأظة : شدة المنازعة والمخاصمة .

(٣) الروضة من الكافي ص ٢ / ٣ -

(٤) الأصول من الكافي ٢ / ٢٢٠ . قال المعلق على الكافي : (البرانية : العلانية ، والالف والنون من زيادات النسب ، كما قالوا في صنعاء صنعاني ، وأصله من =

وَأَمْرُكَ أَنْ تَصُونَ دِينَكَ ، وَعِلْمُنَا الَّذِي أَوْدَعْنَاكَ ، فَلَا تُبَدِّدْ عَلَيْنَا لِمَنْ يِقَابِلُهُمَا
بِالْعِنَادِ ، وَلَا تُفْشِرْ سِرَّنَا إِلَى مَنْ يُشْنَعُ عَلَيْنَا ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ التَّقِيَّةَ فِي دِينِكَ . .
وَأَيُّكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَتْرَكَ التَّقِيَّةَ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِهَا فَإِنَّكَ شَائِطٌ بِدَمِكَ وَدَمَاءِ إِخْوَانِكَ
مَعْرُوضٌ لِنَعْمَتِكَ وَنَعْمَتِهِمْ لِلزَّوَالِ ، مُذَلٌّ لَهُمْ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ دِينِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ
بِإِعْزَازِهِمْ فَإِنَّكَ إِنْ خَالَفْتَ وَصِيَّتِي كَانَ ضَرْرُكَ عَلَى إِخْوَانِكَ وَنَفْسُكَ أَشَدَّ مِنْ ضَرْرِ النَّاصِبِ
لَنَا الْكَافِرِينَ (١)

وهناك روايات أخرى في كتبهم في الأمر بالتقية وبيان أهميتها ومنزلتها ، لكن ما
ذكرنا من روايات يغني عنها ، ولذلك أغفلنا ذكرها تجنباً للتكرار ، كما أن هناك الكثير
من الروايات التي سنذكرها في الفقرات والمباحث القادمة لاتصالها بما سيرد من
موضوعات .

= قولهم خرج فلان براً ، أي خرج إلى البر والصحراء . والجوانية : الباطن ، منسوبة
إلى جؤال البيت وهو داخله ، وزيادة الألف والنون للتأكيد (١) . هـ ملخصاً .

مناقشة هذه الروايات :

بعد أن استعرضنا الروايات الشيعية المنسوبة لأئمتهم في تأكيد فضائل التقية ومنزلتها ، وفي تأويل بعض آيات القرآن الكريم لتأييد غلوهم وانحرافهم في التقية ، ومعد أن رأينا أن هذه الروايات لم يكف الشيعة بنسبتها للائمة وإنما نسبوا بعضها للرسول صلى الله عليه وسلم . . نتساءل هل يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وذوي^{الفضل} من أئمة أهل البيت ؟

وهل يمكن لهؤلاء أن يصلوا بالتقية الى هذا الحد ، حتى تصبح بمنزلة الصلاة والشهادتين وتكون أفضل أعمال المؤمنين ويصبح تاركها تاركاً لدين الله ؟!

إن القارئ سيدرك بلا شك كذب هذه الروايات ، وأنها ما افتراه الشيعة وأن الائمة من ذلك براء ، وأنه لا يمكن أن يصح من هذه الروايات شيء أبداً .

مع أن الحكم بكذب هذه الروايات واضح لا يحتاج الى برهان لأنها تخالف صريح القرآن الكريم ، وتتناقض مع روح الشريعة الاسلامية التي تدعو للمعزة وتؤكد على الدعوة إلى هذا الدين ونشره والجهاد في سبيله والتضحية من أجله ، إلا أننا سنذكر بإيجاز أبرز الأدلة التي تثبت بطلان الروايات السابقة وتؤكد كذبها :

١- رواياتهم المزعومة تتعارض مع صريح آيات القرآن الكريم :

استدلّ لهم بآيات القرآن الكريم لتأكيد غلوهم في التقية ، وقولهم بوجوبها وفرضيتها لا يصح أبداً ، لأن ما ورد في القرآن الكريم في ذلك يدل على إباحة التقية كـ رخصة عارضة في حالة الضرورة ، ولا يدل على الوجوب .

ولذلك جاءت هذه الرخصة في قوله تعالى : (إلا أن تتقوا منهم فقاء) وقوله سبحانه : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) على طريقة الاستثناء من الأمر العام وهو عدم جواز اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، والتحذير من الردة .

ولو كانت التقية واجبة وأصلاً من أصول الدين لأمر الله بها في القرآن الكريم ، ولم يذكرها في معرض الاستثناء الذي لا يباح إلا في حالة الإكراه .

وقد ذكرنا في الباب الأول أن الاستثناء من الخطر يقتضي الإباحة ، الذي هو

رفع الخطر عن الشيء المنوع في حالة خاصة ، وهي حالة الاكراه .

فكيف يكون الاستثناء في هذه الحالة تسعة أعشار الدين ؟!

وكيف يجعل الشيعة من هذه الرخصة العارضة أصلاً من أصول الدين ؟!

إن استدلال الشيعة على غلوهم في التقية بآيات القرآن الكريم مغالطة واضحة ، يعتمدون فعلها لتلمس المبررات لانحرافهم هذا .

ولذلك نجد أحد علمائهم المعاصرين يتجج قائلاً :

(التقية على ما عليه الشيعة . . هي عين ما أمر الله به في كتابه وعلى لسان نبيه وأوصيائه)^(١) !

ويدعي أن الشيعة لا تتبع إلا مارسه لها الدليل في أمر التقية ، وأنهم قالوا سمعنا

وأطعنا ، سمعوا قول الله تعالى " الا من اكره " وأطاعوه ، أما المخالفون لهم من أهل

السنة الذين ينتقدون التقية الشيعية فانهم - كما يزعمون - قالوا سمعنا وعصينا !^(٢)

وهكذا يحاول علماء الشيعة المعاصرون أن يجدوا لانحرافهم في مفهوم التقية الصبغة

الشرعية فهل التقية الشيعية هي عين ما أمر الله به ؟

وهل أمر الله في القرآن الكريم بأن يكتم الانسان دينه ويخفي معتقده ويتظاهر في

معظم أحواله بموافقة المخالفين ، وإذا لم يفعل ذلك بل جهر وصدع بما يعتقد ، فهو

آثم خارج عن دين الله ؟!

إن الذي أمر به الله سبحانه في القرآن الكريم عكس ذلك تماماً ، فقد أمر بالحض

على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى دين الله والصبر على ما يصيب

الداعية في سبيل ذلك ، وبيان فضل ومنزلة من يدعو إلى الله ويضي في سبيل عقيدته .

- قال تعالى : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)^(٣)

ولكن روايات الشيعة جعلت من يجهر بعقيدته ويظهر دعوته آثماً تاركاً لتسعة أعشار

الدين .

(١) الشيعة بين الحقائق والاهام لمحسن الامين - ص / ٢٠١

(٢) المرجع السابق ص / ٢٠٢

(٣) سورة فصلت / آية ٣٤

- وقال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ولده :

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ^(١)

فالصبر على ما يصيب المسلم من أذى أثناء دعوته ، وما يناله من مشقة واضطهاد من أجل ذلك هو من عزم الأمور أي من الأمور الواجبة التي أمر بها الله سبحانه .

ولكن روايات الشيعة في التقية جعلت ذلك من أكبر الكبائر وأعظم المواقف !!

- وقال تعالى مخبراً عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام ، وما نالوا من الفضل لأنهم أصروا على الجهر بالآيمان رغم تهديد فرعون لهم بالقتل :

(قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلست تعلمون لقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين . قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) ^(٢)

(قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) ^(٣)

لقد أظهر هؤلاء إيمانهم ، ولم يخطر ببالهم أن يتظاهروا أمام فرعون بكلمة ترضيه وصدعوا بالحق وهم يعلمون أن ذلك سيؤدي بهم إلى القتل ، وأصروا على ذلك دون أن يحفلوا بتهديدات فرعون وهو الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول . فهل غفل هؤلاء عن فضائل التقية حتى يسارعوا إليها وينالوا الأجر العظيم بالتمسك بها !!

- والمؤمنون الذين حكى لنا الله سبحانه قصتهم في سورة البرج هل غفلوا كذلك عن

فضائل التقية ؟ وهل هم في نظر الشيعة آثمون لأنهم ضحوا بأنفسهم في سبيل عقيدتهم ولم يرضوا باستخدام التقية والتظاهر أمام ملكهم الجبار بما يبعد عنهم الموت ؟

لقد ذكر لنا الله سبحانه خبرهم وأثنى عليهم وإن أن جزاءهم على صبرهم وتضحياتهم

(١) سورة لقمان / آية ١٧

(٢) سورة الشعراء / الايات ٤٧ - ٥٠

(٣) سورة طه آية ٧٢

هو الجنة وسماهم المؤمنين : فقال تعالى :

(قتل أصحاب الاخذ والنار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون

(١)

بالمؤمنين شهد)

إلى قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها

(٢)

الأنهار ذلك الفوز الكبير)

لقد نال هؤلاء هذه البشارة واستحقوا هذا الثناء لتخليهم عن التقية وهم في أشد

الحاجة إليها ، والاصرار على الجهر بالحق وعدم كتمانهم حتى أُلقي بهم في أخاديد

النار. والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر في قصتهم أن امرأة كانت تحمل ابناً لها ترضعه

فكأنما تقاعست أن تقع في النار فأنطق الله الصبي فقال لأمه : اصبرى يا أماء فإنك على الحق (٣)

وهذا يدل على فضل ترك التقية والأخذ بالعزيمة ، ويظل كل ما أورده الشيعة من

روايات مكذوبة على أئمة أهل البيت في بيان وجوب التقية والتحذير من تركها ، لأنها

تعارض مع ثناء الله عز وجل على هؤلاء المؤمنين الذين ضحوا بأنفسهم وتركوا العمل

بالتقية .

٢ - رواياتهم تتعارض مع واقع حياة الرسل عليهم السلام وتضحيات الصحابة الكرام :

لو تمسك الانبياء والرسل عليهم السلام بالتقية وجعلوها أصلاً في حياتهم لما قام للدين

قائمة على هذه الأرض ، ولاستحكم الكفر واستبد .

ولكنهم عليهم السلام كانوا أبعد الناس عن التقية ، (٤) فقد بذلوا وضحوا وصبروا على الأذى

وتحملوا المشاق في سبيل دعوتهم ، فلم يتظاهروا أحدهم بموافقة الكفار مهما اشتد به

الأذى فلو كان للتقية كل هذه المنزلة التي يدعيها الشيعة لما أعرض عنها الانبياء

(١) سورة البرج . الايات / ٤ - ٧

(٢) سورة البرج . آية / ١١

(٣) راجع تفصيل القصة في تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٣ ، وانظر : مسلم مع النووي ١٨ / ١٣٠

(٤) سوف نرى في المبحث القادم دعوى جديدة يدعيها الشيعة وهي نسبة التقية للرسل

عليهم السلام ، حاشاهم من ذلك . راجع ص / ٢٦٦

والرسل وهم في أحلك الظروف ؟ وسارعوا اليها ليحظوا بشرف التمسك بها وينالوا تسعة أعشار الدين ؟ ولا فلماذا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار ، وقُتل كثير من أنبياء بني إسرائيل ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ؟ وهل غفل هؤلاء بصبرهم وجهادهم وتضحياتهم عن فضائل التقية ؟ وهل نسوا أنها أفضل أعمال المؤمنين وأن تاركها بمنزلة من ترك الصلاة وأنه لا دين لمن لا تقية له ؟! - والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي كانت حياته حافلة بالتضحية والصبر والصدع بالدعوة وكان يفتي المشركين في مجالسهم يدعوهم إلى الله تعالى ويتحمل في سبيل ذلك الأذى والابتلاء، هل غفل أيضاً عن فضائل التقية التي ينسبها الشيعة كذباً إليه وإلى أئمة آل بيته ؟!

- والصحابة الكرام رضی الله عنهم الذين تحملوا الشدائد والأذى وصبروا على التعذيب هل هم آثمون في نظر الشيعة لانهم تركوا العمل بالتقية.

وما هو حال الكثيرين منهم ^(١) كبلال الذي كانوا يُخرجونه إذا حميت الظهيرة ومطرحونه على ظهره في بطحاء مكة ويضعون الصخرة العظيمة على صدره وهو مع كل هذا النبلاء يقول أحد أحد ولا يتظاهر بكلمة ترضي المشركين وتبعد عنه بطشهم.

وخباب بن الارت الذي أوقد له المشركون ناراً ثم ألقوه فيها فما أطفأها الا شحم ظهره ، بل ما هو حال والدي عمار اللذين قضيا شهيدين تحت التعذيب ولم ينل المشركون منهما كلمة واحدة . هل هما آثمان لا دين لهما ولا ايمان ؟!

وماذا يفعل الشيعة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لآل ياسر وهو يراهم يُعذَّبون : (أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) ^(٢)

أنصدق قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ييشرهم بالجنة إذا صبروا أم نصدق روايات الشيعة التي تجعل من صبر وترك العمل بالتقية آثماً وهو بمنزلة من ترك الصلاة ؟!

(١) تحدثنا سابقاً عن صبر الصحابة الكرام وثباتهم رغم ما تعرضوا له من تعذيب

راجع ص / ٣٤ من هذا البحث.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث . راجع ص / ٣٥

وكيف يبشر الرسول صلى الله عليه وسلم ياسراً وسمية بالجنة وقد تركا تسعة أعشار الدين ، وخالفا الله ورسوله بترك التقية وهما في أشد الحاجة إليها ليتخلصا من عذاب المشركين ؟! وعمار رضي الله عنه الذي يقول عنه الشيعة (إنه بطل التقية الأول)^(١) لم يسارع الى التقية بمجرد أنه توقع حصول الاذى له .

بل لقد صبر على أشد أنواع التعذيب ، فكانوا يحرقونه بالنار ويغطونه في الماء^(٢) ورأى أمامه استشهاد أبيه وأمه تحت التعذيب ، وكل ذلك لم يغيّر من موقفه ، وخاصة أنه كان يسمع بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يبشر آل ياسر بالجنة . . لكنه بعد طول التعذيب ومحشيتة وجد نفسه مضطراً الى التقية ، فلما خلّوا عنه سارع الى الرسول صلى الله عليه وسلم باكياً خشية أن تكون هذه الكلمة التي قالها قد أخرجته من الاسلام أو أوقعت في الإثم ، فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم وجعل يمسح عينيه ويخفف عنه ويقول : (فان عاد واعد)^(٣) .

ولو كان عمار رضي الله عنه يدرك أنه بكلمته هذه أصبح بطلاً - كما يقول الشيعة - وأنه نال تسعة أعشار الدين وتقرب الى الله بأحب شيء اليه وقام بأعظم الفرائض ، لما جزع وكى ، ولما تأخر عن استعمال التقية ولما صبر على التعذيب ، وإنما كان يسارع اليها ويحضر أبويه عليها ويفرح بما أكرمه الله من فضل ومنزلة لاستخدام التقية ! وهكذا تبطل مزاعم الشيعة ، وتنتهي رواياتهم المكذوبة ، وتظهر التقية على حقيقتها رخصة عارضة يجوز استخدامها في حالة الاكراه ومن تركها وأخذ بالعزيمة فهو أفضل عند الله .

٣- رواياتهم في فضائل التقية تتعارض مع روايات أخرى نسبوها لائمهم :

كيف يمكن التوفيق بين هذا الحشد الكبير من الروايات التي ترفع من شأن التقية

(١) يقول محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف ٢ / ٤١ : (يبتدئ تاريخ التقية بتاريخ

الاسلام يوم كان هذا الدين ضعيفاً ومطلبها الأول الصحابي الشهير عمار بن ياسر) !

(٢) راجع : تفسير التبيان للطوسي ٦ / ٤٢٨

(٣) سبق تخريج هذا الحديث ص / ٦٦ من هذا البحث .

وتجعلها تسعة أعشار الدين ، وتحذر من تركها ، وتجعله بمنزلة من ترك الصلاة ، الى غير ذلك . .

مع ما يرويه الشيعة عن الامام علي رضي الله عنه أنه قال :

(١) (الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)

إن هذه الرواية تعني أن من علامات الايمان أن يلتزم الانسان بالصدق في أقواله وأفعاله ولو كان ذلك سيؤدي الى ضرر وأذى يلحق به ، وهذا ما يجعله روايات الشيعة السابقة من علامات التخلي عن الايمان لأنهم يروون أنه لا إيمان لمن لا تقية له . .

وهناك رواية أخرى ترونها كتب الشيعة عن الامام موسى الكاظم رحمه الله وهي قوله لأحد أتباعه : (أي فلان ، اتق الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك ، فإن فيه نجاتك .

أي فلان ، اتق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك ، فإن فيه هلاكك) (٢)

هذه الرواية وما قبلها بعض ما بقي من بصيص النور الخافت في كتب الشيعة بعد أن طفى السيل من الروايات المكذوبة عليها ، وضاع الحق من كلام الأئمة في لجة الباطل .

(١) نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - ص / ٢٦٢ - دار البلاغة بيروت - ط ١ -

١٤٠٥ هـ

(٢) تحف العقول عن آل الرسول للشيخ الحسن بن علي بن الحسين بن شعيب -

الحراني (توفي في القرن الرابع الهجري) - تقديم : محمد الحسين الاعلمي

ص / ٣٠١ - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت - ط ٥ - ١٣٩٤ هـ

مفالات الدكتور الشيبى في حديثه عن التقية:

تحدث الدكتور كامل الشيبى عن التقية كثيراً فى كتابيه (الصله بين التصوف والتشيع) و (الفكر الشيعى والنزعات الصوفية) ، كما أنه أفرد هذا الموضوع بمقالة خاصة بعنوان : (التقية أصولها وتطورها) نشرت فى مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية . (١)

وقد أبرز التقية على أنها مبدأ إسلامى قرره القرآن وأن الاسلام جاء ليدافع عنها ويرى الناس على قبولها . . إلى غير ذلك من الانحرافات الخطيرة فى مفهوم التقية.

مع أننا لانعرف شيئاً عن انتما الشيبى ، وهل هو شيعى أم لا ، الا أننا آثرنا أن نجعل الرد عليه ومناقشة انحرافات هذه ضمن الحديث عن أهمية التقية ومنزلتها عند الشيعة لان أفكاره توافق الشيعة وتؤيد غلوهم وتبرر شذوذهم وانحرافهم فى مفهوم التقية.

ولنستعرض أبرز دعاوى الشيبى فى هذا المجال :

- يقول وهو يذكر فضائل عمار بن ياسر : (إنه كان السابقة الشيعية للتقية) (٢)
- ثم يقول : (وهكذا يقرر الرسول بنفسه مبدأ التقية التي بدأت بعمار وصارت تقليداً للشيعة فيما بعد) . (٣)
- ويقول : (إن التقية مبدأ إسلامى ظهر أول ما ظهر من عمار بن ياسر . . ولكن فرسية العرب على العموم أبت على كثير منهم أن ينزلوا على حكم التقية ، فضلوا أن يعرضوا أنفسهم للمكروه لأنهم اعتبروا إخفاء ما فى نفوسهم نفاقاً يأباه الطبع العربى والكرامة الانسانية عموماً . مهما يكن من أمر التقية ومدى تقبل العرب لها فقد نادى الاسلام بها ، وكان أحد السابقين إلى الاسلام مثلاً واضحاً لها) (٤) !!

(١) العدد / ١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ م

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص / ٤٤

(٣) المرجع السابق ص / ٤٥

(٤) المرجع السابق ص / ٤٠٢

- يقول : (إن تخيير الكفار المقهورين بين الاسلام أو السيف أو الجزية تدخل في باب إقرار التقية . - لأن الدخول في الدين الجديد على هذه الصورة تحت حد السيف أو مالا يمكن تأخير من مال ، يعني دفع كلا الضررين يتحمل أهون الثلاثة وهو الدخول في دين القاهرين ، فلا يمكن أحد أن يتصور أن معتنق الاسلام على هذه الصورة جاد في إسلامه . . . فالاسلام من هذه الناحية يغرى بالتقية ، ويقدمها إلى الجاهلين به ثقة منه في كسبهم متى آمنوا واطمأنوا . . فهذه تقية لا جدال فيها كما
(١)
يبدو (١)

- ثم يحاول أن يتلمس المبررات لتمسك الشيعة بالتقية ، ويذكر بعض الأمثلة يستنتج منها رسوخ التقية في العالم السني أيضاً وأن بعضهم كان يتقي على صورة فيها ازراء بالانسانية والخلق النبيل .
(٢)

ويصل في النتيجة أن التقية لا تختص بالشيعة فقط بل هي دين القرآن فعلاً (٣)
وأن المجتمع السني - الذي كان ينعي على الشيعة تمسكهم بالتقية - يلتزم بها (٤)
ويختم حديثه بقوله : (هذه هي التقية في بدئها وتطورها عقيدة اسلامية انسانية طبقتها المذاهب الاسلامية على اختلافها . . ولم تكن عقيدة شيعية) (٥)
مناقشة هذه الدعاوى :

- يستند الشيعي في مزاعمه إلى الرخصة التي فعلها عمار رض الله عنه مضطراً إليها كارهاً لها فتلفظ بكلمة الكفر بعد عذاب شديد لم يعد يطيقه ، ثم سارع حزينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل قوله تعالى : (من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٦)

(١) التقية أصولها وتطورها ص/ ٢٣٧ - ٢٣٨

(٢) المرجع السابق ص/ ٢٤١

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٤٣

(٤) المرجع السابق ص/ ٢٦١

(٥) المرجع السابق ص/ ٢٦٧

(٦) سورة النحل آية/ ١٠٦ وراجع ما نقلته في تفسير هذه الآية وسبب نزولها ص/ ٥٩ من هذا البحث.

ولكن الشئى جعل هذه الرخصة العارضة التى لم يوجبها الاسلام إلا فى حالة الضرورة، عقيدة إسلامية وبدأ دعا إليه الاسلام، وألبسها هالة من التعظيم حتى وصفها بأنها (دين القرآن) وكأن الاسلام لم يأت إلا ليدافع عنها ويفرسها فى النفوس!!

- ثم إنه يحاول بطريقة مبطنة أن يعلي من أخلاق العرب فى الجاهلية ويجعلها أسمى من قيم ومبادئ الاسلام فيدعي أن فروسية العرب أثبت على الكثير منهم أن ينزلوا على حكم التقية واعتبروها نفاقاً يأباه الطبع العربي ولكن الاسلام حَضَمَ عليها وروض طباعهم حتى قبلوها!!.

وهذا كذب صريح لا يُقدم عليه مسلم ، وقلب للحقائق لا يفعله مَنْ له أدنى معرفة بحقيقة هذا الدين، فما هو دليله على هذه الدعوى التى تريد أن تُعلي من شأن العروة الجاهلية وتشو حقيقة الاسلام ؟!

هل أكره الاسلام ياسراً وسمية - والدي عمار - على قبول التقية وأغراها بها ؟ أم أن العكس هو الصحيح ؟

لقد بشرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة إذا صبرا وتحملا العذاب ، كما بشر كثيراً من المستضعفين وأمرهما بالصبر والثبات على الاسلام.

وإذا كانت الدعوة للتقية أهم أهداف الاسلام فكيف انتشر وفتح العالم ؟ ولماذا كان موقف عمار - وهو مضطر إليه - موقفاً اسلامياً قرآنياً وبدأ دعا إليه الاسلام وأغرى الناس به .. ولم يكن موقف العشرات الآخرين الصابرين على التعذيب الثابتين على الرغم من كل ما أصابهم ^(١) أمثال بلال وصهيب وخباب وخبیب .. موقفاً اسلامياً أيضاً ؟ وهل نسي الشئى الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن الكريم فى الأمر بالصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الشدائد فى سبيل الدعوة الى الاسلام .. ^(٢) وغير ذلك.

إنها دعوى خطيرة لاتصدر الا من جاهل أو حاقد على الاسلام.

- ثم نجد الشئى يردد مزاعم المستشرقين الذين صَوَّروا الاسلام حركة قهر بالسيوف

(١) راجع ما ذكرته من مواقف . ص / ٣٤ من هذا البحث .

(٢) راجع ما أوردته ص / ٤١ من هذا البحث.

للاكره على العقيدة وهدفهم من ذلك تشويه صورة الجهاد في الاسلام ووزعة العقيدة الاسلامية في نفوس أبنائها وتشويه التاريخ الاسلامي المجيد .

واذا بالشيعي يكرر هذه المزاعم ويربطها بالتقية مدعياً أن الاسلام يضطر الناس الى الدخول فيه هرباً من السيف ومن الجزية ، وأن هؤلاء سيعلمون الاسلام تقية وتظاهراً فقط وهكذا يفرى الاسلام بالتقية !!

وهذه مغالطة واضحة ليس الهدف منها أن يُعَلِّي من شأن التقية فحسب وإنما الهدف منها تشويه صورة الاسلام .

ألم يقرأ الشيبي قوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (١)

وقوله تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تُكروه الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ (٢)

فلاسلام لا يُكره أحداً على الدخول فيه ، ولكنه يأمر بالجهاد لازالة الحواجز والعقبات التي تمنع الناس من حرية التفكير ، ومحارب الطواغيت الذين يتسلطون على رقاب العباد وينعنونهم من الايمان ويقنون في وجه دعاة الاسلام الفاتحين .

فإذا أصبح الناس أحراراً فإنهم يختارون بمحض إرادتهم العقيدة التي يريدونها . (٣)

والتاريخ الاسلامي يشهد كيف كان الناس يدخلون في دين الله أفواجاً عن رضى وقناعة وكيف كانت الشعوب المحكومة من قبل الفرس والرومان ينتظرون المسلمين الفاتحين بلهفة ويقولون : أنتم أرحم بنا من أبناء جلدتنا .

بل إن كثيراً من البلاد التي دخلها الاسلام لم يصل اليها جيش المسلمين وإنما دخلها عن طريق التجار المسلمين الذي كانوا دعاة إلى الله بأقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم .

(١) سورة البقرة . آية / ٢٥٦

(٢) سورة يونس . آية / ٩٩

(٣) راجع ماكتبه الشهيد سيد قطب في هذا الموضوع في كتابه : معالم في الطريق

والجزية التي يدفعها مَنْ لا يدخل في الاسلام ويميش في دولة المسلمين ليست عبثاً
ثقيلاً حتى يندفع الناس إلى الاسلام تخلصاً منها - كما يقول الشيبى -
فهي من ناحية القيمة تقارب الزكاة التي يدفعها المسلم ، ^(١) وهذه الجزية ينال الذمي
بها حماية الدولة الاسلامية له واعترافها بحقوقه ، وهو بنفس الوقت لا يشارك بأعمال
الجهاد لصدّ الهجمات ضد أمن هذه الدولة .
فما الذي يدفعه الى التظاهر بالاسلام تقية ليتخلص من هذه الجزية مادام سيدفع
الزكاة عندما يتظاهر بالاسلام ؟

وهكذا تبطل مزاعم الشيبى ، وتظهر دعاواه على حقيقتها .
- ثم انه لا يكتفى بذلك بل نجده يتهم على كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فتارة يطعن
في عثمان رضي الله عنه ، ^(٢) وتارة يطعن في معاوية ^{رضي الله عنه} ^(٣) مستغلاً استبعاد عرش أبيه
وتارة يشنع على من يطالب بتجنب البحث في هفوات الصحابة وما بدر منهم ، ويدّعي أن
ذلك يشبه الميثولوجيا اليونانية التي تسرد قصص الخلاف بين الآلهة وتطلب إلى الناس
أن يعبدوها . ^(٤)

فما هو هدفه من وراء ذلك ؟
ألم يجد في التاريخ الاسلامي الحافل إلا هذه الأحداث التي هي مواقف اجتهد يـة
اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم ؟

إن دعوة الشيبى الى إبراز ما حصل بين الصحابة الكرام وتجليته للصغير والكبير
والحديث عنه في كل محفل . . دعوة خطيرة هدامة هدفها تشويه صورة التاريخ الاسلامي
ومحو اعتزاز المسلمين به ، وإشعار الناشئة أن تاريخهم أسود ليس فيه إلا الخلافات

-
- (١) اختلف العلماء في تحديد مقدار الجزية ، فقال بعضهم هي دينار ، وان صلحوا على
أكثر منه جاز ، وقال بعضهم لا توقيت فيها ، وهي تؤخذ من الرجال المقاتلين دون
النساء والأطفال والشيخ الفاني . (راجع تفصيل ذلك في تفسير القرطبي ٨ / ١١١)
(٢) التقية أصولها وتطورها ص / ٢٤٩ والصلة بين التصوف والتشيع ص / ٤٤
(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص / ٤٤
(٤) التقية أصولها وتطورها ص / ٢٥٤

والدء منذ بداية الاسلام .

وكأنى أراها دعوة مبطنة إلى نبذ التشريع الاسلامى ، وأنه ليس صالحاً لقيادة الناس من جد يد مادام القرن الاول وهم خير القرون كانوا على هذه الصورة .
ولهذا يتلمس الشيى بعض الأحداث ثم يستنتج أن هذا هو حال العالم الاسلامى فى أواخر القرن الاول الهجرى .

وهكذا يظهر تأثر الشيى بالأفكار العلمانية ، وترويجة لمزاعم المستشرقين الحاقدين على الاسلام التى تهدف الى زعزعة الاسلام فى نفوس أهله حتى يسهل عليهم اقتلاع جذوره من القلوب " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١)

- وأما ادعاء الشيى أن التقية لا تختص بالشيعة فقط ، وأن أهل السنة تمسكوا بها فهذه دعوة سيظهر للقارئ بطلانها وهو يتصفح مباحث هذا الموضوع ، حيث يتبين أن التقية التى استعملها الشيعة لها مدلول خاص ومعنى متميز ومجالات تختلف تماماً عما رخص به الاسلام فى أمر التقية .

بل لقد ذكرنا فى بداية هذا المبحث ما تميز به الشيعة من الغلو فى التقية واعتبارها أصلاً من أصول الدين ، وفرضاً من الفروض اللازمة ، وأنها تسعة أعشار الدين ، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة . . . إلى غير ذلك .

وهذا الانحراف والغلو الخطير فى التقية تميز به الشيعة حتى أصبحت تلك التقية عقيدة شيعية ، أما التقية التى رخص بها الاسلام وأباحها عند الضرورة فهى التى أخذ بها بعض أهل السنة عندما اضطروا اليها واعتبروها باب رخصة لا باب فضلٍ وأجرٍ ومشوة .

المبحث الثالث

نسبتهم التقية للرسول

والأئمة وبعض إصالحين

أولاً : نسبة التقية للرسول عليهم السلام

نسب الشيعة التقية - على مذهبهم فيها - الى الرسول (عليهم الصلاة والسلام) تدعيماً لفلوهم في التقية وتأصيلاً له ، ولم يكتفوا بذلك بل اعتبروا التقية سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأبرز ما تمسكوا به وجعلوه مستنداً لهم في إثبات التقية للانبياء (عليهم الصلاة والسلام) قول ابراهيم لقومه : (إني سقيم) ، ولم يكن كذلك ، وقوله لهم بعد أن حطّم الأصنام : (بل فعله كبيرهم هذا) ، وقوله عن زوجته : (هي أختي) وكذلك ما فعله يوسف عليه السلام من إخفاء صواع الملك واتهام اخوته بسرقة وهو يعلم براءتهم من هذه التهمة .

ولنستعرض نصوصهم في ذلك بشيء من التفصيل والمناقشة :

١ - نسبة التقية لابراهيم عليه السلام :

- روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال : (قال أبو عبد الله (ع)

التقية من دين الله . قلت : من دين الله ؟ قال : إني والله من دين الله .

ولقد قال يوسف " أيتها العير إنكم لسارقون " والله ما كانوا سرقوا شيئاً .

ولقد قال ابراهيم " إني سقيم " والله ما كان سقيماً (١)

- روى ابن بابويه في (معاني الاخبار) بسنده عن سفيان بن سعيد قال :

(سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول : عليك بالتقية فإنها سنة ابراهيم الخليل

عليه السلام) (٢)

ونلاحظ من هاتين الروايتين أن الشيعة استندوا على قول ابراهيم لقومه (إني سقيم)

(١) الأصول من الكافي ٢/ ٢١٧ ، روى ذلك أيضاً ابن بابويه القمي في (علل الشرائع)

ص/ ٥١

(٢) معاني الأخبار ص/ ١٠٩ نقلاً عن وسائل الشيعة للحر العاملي ٦/ ٤٦٣

وجعلوا ذلك دليلاً على وجوب التقية ، وأنها من دين الله وهدى الأنبياء .
وهذه مغالطة خطيرة وتغيير للحقائق ، لأن هذا القول من ابراهيم عليه السلام
لا يُعد تقية وإنما هو من المعارض الجائزة .
فقوله عليه السلام : (إني سقيم) يحتمل عدة معانٍ كلها حق وصدق ، وأبرزها
كما قال المفسرون :^(١)

- ١ - أنه سقيم القلب لكفر قومه وإصرارهم على الشرك .
 - ٢ - أنه مستعد للسقم ، لأن الانسان لا ينفك في أكثر أحواله عن حصول حالة
مكروهة ، إما في بدنه وإما في قلبه ، وكل ذلك سقم .
 - ٣ - أنه سيسقم ، لأن الانسان لا بد أن يأتيه السقم في يوم ما ، وذلك كقولـه
تعالى : " انك ميت " أى ستموت .
- ثم إن ابراهيم عليه السلام لم يكن قصده من هذه التورية النجاة من أذى قومه
والتخلص من بطشهم ، وإنما كان يهدف إلى أن يخلو وحده بعد أن يذهب قومه
إلى عيدهم ، وعندئذ يتمكن من تحطيم الأصنام .
- ولو لم يقتنع قومه باعتذاره عن التخلف لشكوا في سبب بقاءه ، وخافوا من أن يقصد
الاهتهم بسوء ، وخاصة أنه كان يطعن فيها ويسفّه أحلامهم في عبادتهم لها .
- وبالتالي لم يكونوا يسمحوا له بالبقاء ، وهذا يفوّت المصلحة العظيمة التي جناها
إبراهيم لدعوته من تحطيم الأصنام وإظهار عجزها .

ولو كان ابراهيم عليه السلام يقصد بقوله (إني سقيم) التقية ودفّع الأذى عن نفسه ،
وأن التقية هي سنته وهدى به - كما يزعمون - . . فما الذى يدعو للتخلف عن قومه ؟
لقد كان بإمكانه أن يشاركهم في عيدهم ، وتلك أعظم تقية !!

ولو كان ابراهيم عليه السلام خائفاً من قومه ، يستخدم التقية لينجو من شرهم ،
لقعد في بيته بعد ذهابهم ، ولما ضحّى بنفسه وقام بتحطيم الأصنام ، وهو عمل يمكن
أن يؤدى به الى القتل ، وهذا ما حاول قومه أن يقوموا به فعلاً .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٦/١٤٧ - ١٤٨ روح المعاني للألوسي ٢٣/١٠١
والآية هي قوله تعالى : (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) سورة الصافات/
آية ٨٩

فالمعارض التي استخدّمها ابراهيم عليه السلام بقوله (إني سقيم) كانت تدبيراً حسناً وطريقاً لجلب مصلحة هامة للدعوة ، وإفحام قومه بدليل عملي يحطم قدسيّة الأصنام في نفوسهم ويزعزع عقائد هم الباطلة .

ولذلك قال (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) ^(١) . ولم يكن هدف ابراهيم عليه السلام الانتقام من الأصنام كحجارة ، وإنما كان هدفه إقامة الدليل العملي على بطلان مزاعم قومه الذين خوّفوا من بطش الآلهة به إذا أساء إليها ، فها هو ذا لم يكف بالأساءة الى تلك الآلهة بالكلام لكنه حطمها شر تحطيم فلم تنله بسوء أو تمنع عن نفسها السوء .

ولكى تقام الحجة ، وتكتمل صورة ذلك الدليل العملي ، قال لهم وهم مجتمعون حول الأصنام المحطمة وقد ذعروا ودهشوا وتساءلوا : (من فعل هذا بالهتتا ؟)
(قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) ^(٢) ولم يقصد من هـذـه الاجابة درء الخطر عن نفسه لأنه يعرف أنهم ينكرون أن يفعل هذا الفعل حجر أصم ويعلمون أن ابراهيم هو الذي تخلف عن الذهاب معهم وهو الذي كان يذكر آلهتهم بسوء .

إذن قبل ابراهيم : (بل فعله كبيرهم هذا) لم يكن تقية أيضاً ، بل كان لإقامة الحجة عليهم وجبارهم على الاعتراف بأن آلهتهم حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تضر ولا تنفع .

وهذا ما اعترفوا به فعلاً فقالوا : (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) ^(٣) .

وكانت الحجة قوية ، والحق ناصعاً في يد ابراهيم بعد هذا الاعتراف منهم ، فقال لهم مهجاً : (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) ^(٤) .

(١) سورة الانبياء آية / ٥٧

(٢) الانبياء / آية ٦٣

(٣) الانبياء / آية ٦٥

(٤) الانبياء / آية ٦٦ - ٦٧

فأين موضع التقية هنا ؟ وكيف تكون التقية سنة ابراهيم الخليل ومنهجه وهو يقف هذا الموقف الذى يتحدى به جبروت قومه ويصدع بالحق أمامهم ولا يبالي بما يتهدده من قتل ؟ إن سنة ابراهيم وهديه هو الدعوة الى الحق ومجادلة أهل الباطل ودحض عقائدهم .

لقد كانت حياته عليه السلام سلسلة متلاحقة من الصبر على الاذى ومجاهدة الطفيان ، ولم يكن فى يوم من الأيام ليهادن أعداءه أو يتخلى عن دعوته حتى يدعى الشيعة أن سنته التقية !!

وكيف ينسب هؤلاء التقية الى ابراهيم الخليل؟ وهو يقول لقومه الذين هددوه وخوّوه : (ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئاً)^(١)

وأخيراً هل يصدق عاقل أن تخفى تلك المعانى عن الامام جعفر الصادق رحمه الله على جلالة قدره وعلمه ؟ وهل يمكن لمثل ذلك الامام أن يعتبر ما قام به ابراهيم تقية وخفا ؟

إن هذا يكفى لابطال نسبة تلك الرواية المتهافتة إلى الامام الصادق ، وأنها من وضع الشيعة كغيرها من الروايات التى تغصّبها كتبهم ، والصادق برئ منها .

٢ - نسبة التقية ليوسف عليه السلام

- ذكرنا رواية الكليني فى الفقرة السابقة ، وهى مانسبه للامام الصادق أنه قال :

(التقية من دين الله . قلت : من دين الله ؟ قال : أى والله من دين الله

ولقد قال يوسف " أيتها العير انكم لسارقون " والله ما كانوا سرقوا شيئاً)^(٢)

- روى ابن بابويه فى (علل الشرائع) بسنده (عن صالح بن سعيد عن رجل من أصحابنا

عن أبى عبد الله (ع) قال :

سألت عن قول الله عز وجل فى يوسف " أيتها العير انكم لسارقون "

(١) سورة الانعام / الآية ٨٠

(٢) الاصول من الكافي ٢/ ٢١٧ - وقوله تعالى : (ثم أذن مؤذن بينهم أيتها

العير انكم لسارقون) سورة يوسف / آية ٧٠

قال : إنهم سرقوا يوسف من أبيه ، ألا ترأه قال لهم حين قالوا : ماذا تفقدون ؟
قالوا : نفقد صواع الملك ، ولم يقلوا سرقتم صواع الملك ، إنما عني انكم سرقتم يوسف
من أبيه (١)

- روى أيضاً بسنده (عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر (ع) يقول : لا خير فيمن
لاتقية له ، ولقد قال يوسف أيتها العير إنكم لسارقون ، وما سرقوا (٢)

ولنفت قليلاً عند هذا الفعل من يوسف عليه السلام وهل يُعتبر تقية أو لا ؟

فلورجعنا الى كتب التفسير لوجدنا أن المفسرين قد ذكروا في معنى الآية قولين :
القول الاول : ذكره المفسرون من السنة والشيعة (٣) وهو أن المقصود بالسرقة أخذهم

ليوسف من أبيه على وجه الخيانة كالسراق ، ولذلك لما سألوا (ماذا
تفقدون ؟) قالوا (نفقد صواع الملك) ولم يقلوا سرقتمو أو سُرِق .

القول الثاني : ذكره صاحب البحر المحيط فقال :

(الذى يظهر أن هذا التحايل روي البراءة بالسرقة وإدخال الهم على
يعقوب عليه السلام بوحى من الله تعالى لما علم سبحانه في ذلك من
الصلاح ولما أراد من محتهم بذلك ، ويؤيده قوله سبحانه " كذلك كدنا
ليوسف " (٤) .

أما القول الاول : فالمقصود منه أن يوسف عليه السلام استعمل المعارض وذلك بكلام

يُقصد منه شيئاً يفهم منه المستمعون (وهم أخوته) معنى آخر ، وهذه المعارض
التي استعملها يوسف عليه السلام كانت لتحقيق منفعة وهي الاحتفاظ بأخيه عنده

(١) علل الشرائع ص/ ٥٢

(٢) المرجع السابق ص/ ٥١ وراجع وسائل الشيعة للحر العاملي ٤٦٤/٦

وقد قال المعلق على وسائل الشيعة (عبد الرحيم الرياني الشيرازي) عند هذا
الخبر المنسوب للإمام جعفر: (فيه تقية الأنبياء ، مثله كثير فتأمل منه) وهذا يدل
على أن علماء هم المعاصرين لا زالوا متمسكين بهذا الفلو.

(٣) راجع: أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٥/٣ ، تفسير ابن كثير ٤٨٥/٢ ر

المعاني للآلوس ٢٤/١٣ ومن تفاسير الشيعة: تفسير الصافي ٨٤٤/١

(٤) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ٣٢٩/٥

ولم يستل دفع الخوف ، ومن يخاف يوسف عليه السلام وهو على خزائن مصر يتصرف فيها كيف يشاء ؟ وهل يخاف ويحذر ويضطر للتقية أمام فقراء معدمين جاؤوا ويرجونه أكيالا من الطعام في زمن القحط الشديد ؟ وقد مسهم الضر والفاقة (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا) .^(١)

والقول الثاني : لا يُعتبر من المعارض بل هو تدبير حسن وفعل مباح لأنه بأمر الله ووحيه حتى يحتفظ يوسف بأخيه ويترتب على ذلك بتدبير الله تعالى مجيء والد يسه وأخوته من البد وإلى مصر (وجاء بكم من البدو)^(٢) ، وهي بداية انتقال بني اسرائيل الى مصر تمهيداً لتاريخ طويل كان لهم بعد ذلك الدور الأكبر فيه .

وعلى هذا القول في تأويل الآية لا يعد كلام يوسف من المعارض أبداً فضلاً عن أن يكون من التقية .

(١) سورة يوسف / آية ٨٨

(٢) سورة يوسف / جزء من الآية ١٠٠

٣ - نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم

وللزيادة من أهمية التقية ومنزلتها فإن الشيعة لم يكتفوا بجعلها سنة ابراهيم عليه السلام بل اعتبروها فرضاً من فرائض الاسلام أمر الله به رسوله كما أمره بسائر الفرائض ، وأدّبه ربه بالتقية حتى صارت خُلُقاً من أخلاق ذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم !! وليس هذا فقط بل إن التقية ارتفعت الى الذروة العليا من القرآن !!

وهذه هي روايتهم في ذلك منسوبة للامام جعفر الصادق :

- روى ابن بابويه القمي بسنده (عن سفيان بن سعيد قال سمعت أبا عبد الله جعفر

ابن محمد يقول : عليك بالتقية فإنها سنة ابراهيم الخليل عليه السلام .

إلى أن قال : وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً ورى بغيره

وقال صلى الله عليه وسلم : أمرني ربي بمداواة الناس كما أمرني باقامة الفرائض .

ولقد أدبه الله عزوجل بالتقية فقال : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) (١) . الآية

يا سفيان من استعمل التقية في دين الله فقد تسنم الذروة العليا من القرآن ، وإن

عزالمؤمن في حفظ لسانه ، ومن لم يملك لسانه ندم (٢) .

وما أن هذه الرواية تشمل عدة جوانب فلا بد من الرد على كل جانب منها ومناقشته

تفصيلاً من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الصحيحة .

فالملاحظ هنا أنهم استندوا الى بعض الاقوال والافعال الصادرة من رسول الله

صلى الله عليه وسلم واعتبروا ذلك دليلاً على تأكيد التقية وأهميتها .

- وأول شيء استدلوا به أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً ورى بغيره

وهذا الاطلاق لا يصح أبداً لأن السفر الذي كان يورى فيه هو سفر الحرب ، والحرب

خدعة ، ولم يكن يفعل ذلك في أسفاره كلها ، فعندما سافر لعمره القضاء مثلاً حدد

(١) سورة فصلت / آية ٣٤

(٢) معاني الاخبار لابن بابويه ص/٩٠ . نقلاً عن وسائل الشيعة للحر العاملي ٦/٤٦٣

وقد تقدم مخزنجي المرسى والإشارة إلى أنه ضعيف . راجع ص/١٥٢

جهته ، بل انه عندما سافر الى تبوك لغزو الروم بيّن مقصده أيضا .
 فالأمر يختلف بحسب ما يراه الرسول صلى الله عليه وسلم من مصلحة القتال وبأغية
 العدو .

ولا يمكن أن نستدل من ذلك على وجوب التقية ومنزلتها ، لأن هذا لا يعد تقية بل
 هو من قبيل إخفاء أسرار الحرب .
 - ثم ذكرت الرواية قولاً منسوحاً للرسول صلى الله عليه وسلم وهو : (أمرني ربي بمداواة
 الناس كما أمرني بأقامة الفرائض)
 ويقصد من ذلك أن استعمال التقية نزل الأمر به من قبل الله فهو كالفرائض وليس
 رخصة واستثناء .

(١)
 وهذا الحديث لا تصح نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم فهو حديث ضعيف
 ومع ذلك فالمداواة تختلف عن التقية ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يداري بعض
 الكبراء أحيانا طمعاً في إسلامهم أو إسلام من وراءهم من القبائل وليس خوفاً منهم .
 وهذه المداواة خلق حسن ، وحكمة في الدعوة ، ولين في الكلام وشاشة في الوجه .
 وأهم فرق^{بين} المداواة والتقية أن المداواة يبذل فيها الانسان شيئا من دنياه ، أما التقية
 فإنه يبذل فيها شيئا من دينه بقول أو فعل وشتان بينهما^(٢) .
 ولكن الشيعة جعلوا المداواة من التقية لكي يتوصلوا الى تأكيد نسبة التقية للرسول عليهم
 السلام .

- أما قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن . .)
 فليس في هذه الآية ما يدل على أنها خاصة في التقية ، ولكن الشيعة جعلوها
 - وآيات أخرى كثيرة - خاصة في الأمر بالتقية وألّوا ألفاظها بما لا تحتمله ظواهر تلك الآيات

(١) راجع تخريجه ص/ ١٥٢ من هذا البحث

(٢) راجع فصل : (المداواة والمداينة وصلتهما بالتقية) في الباب الأول من هذا
 البحث ص/ ١٤٥ لتجد الفرق تفصيلاً بين المداواة والتقية .

الكريمة مطلقاً . (١)

مع أن الآية الكريمة تحت على مقابلة السيئة بالحسنة ليكون ذلك أقرب الى التأثير فى قلوب الناس واستجابتهم لدعوة الاسلام .

ونلاحظ أن الشيعة استندوا على تأويلهم المنحرف لتلك الآية الكريمة - وأمثالها - لكى يقرروا قاعدتهم الخطيرة وهي : (من استعمل التقية فقد تسلم الذروة العليا من القرآن) !!

وهكذا يضيفون على تقيتهم هالة من التقديس ويجعلون منها ركناً أصيلاً من أركان هذا الدين بل هي رأس الدين وذروة سنام الاسلام ، والذروة العليا من القرآن ! لقد انقلبت المفاهيم عندهم وأصبحت التقية هي ذروة سنام الاسلام وليس الجهاد - كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - (٢)

وهذا تحظى التقية عندهم بمنزلة الصدارة ، وكأن القرآن الكريم ما نزل إلا ليدعو إليها ويحضر على التمسك بها ويحذر من تركها . . . وتصبح التقية من أبرز أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وشماثله - كما يزعمون -

وحاشاه أن يكون كذلك ، بل خلقه عليه الصلاة والسلام الصدع بالحق والجهاد فى سبيل الله والحرص على هداية الناس وإنقاذهم من الضلال .

لقد أدبه ربه بذلك فقال سبحانه (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٣)

وامتدحه ربه هو وصحابته الكرام بجهادهم وشدتهم على الأعداء .

فقال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (٤)

(١) تحدثنا عن ذلك فى مبحث سابق من هذا الفصل . راجع ص/ ٢٢٣

(٢) وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعان بن جبل : (رأس الامر الاسلام ، وعمدة الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، ورواه الامام أحمد فى المسند ، وابن ماجه فى سننه (راجع : جامع الاصول لابن

الأثير ٥٣٥/٩)

(٣) سورة الحجر / آية ٩٤

(٤) سورة الفتح / آية ٢٩

- والفلو اذا بدأ لا يقف عند حد ، لذلك نجد هم يُفرعون آخر سهم في جمعيتهم ،
ويُفصحون بحقيقة ما يَكُونُونه من عقائد فاسدة ، فينسبون التقية لمن بيده الملك ألا وهو
الله عزوجل !! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فالله سبحانه - على زعمهم - أسرَّ ولايته الى جبريل عليه السلام ، وأسرها جبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسرها محمد إلى علي . . وهكذا !! .

وهذه ليست تهمة نلصقها بهم ، بل هي عقيدة ثابتة عندهم وموجودة في أهم
كتبهم وأصحابها عندهم وهو الكافي . واليك روايتهم في ذلك :

روى الكليني بسنده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال :

(سألت أبا الحسن الرضا - ع - عن مسألة فأبى وأمسك ، ثم قال : لو أعطيناكم

كلما تريدون كان شراً لكم . . ثم قال : قال أبو جعفر - ع - :

ولاية الله أسرها إلى جبرائيل عليه السلام ، وأسرها جبرائيل إلى محمد صلى الله

عليه وسلم ، وأسرها محمد إلى علي ، وأسرها علي إلى من شاء الله ، ثم أنتم تذيعون
ذلك ؟ ثم قال : فاتقوا الله ولا تذيعوا حديثنا (١) !

ويقصد الشيعة بهذا النص - الذي يُعبّر عن مذهبهم في الإمامة - أن الصاوية

بالإمامة وتعيين الخليفة لا بد أن يكون منزلاً من السماء ، وأن الله هو الذي حدّد الائمة

بأسمائهم وأسرب ذلك الى جبريل ، ثم انتقلت منه عن طريق السرّ والخفية الى الرسول

صلى الله عليه وسلم ثم الى علي رضي الله عنه ومنه الى باقي أئمتهم الاثنى عشر واحداً

بعد واحد ، فعرف كل إمام نفسه بتعيين من السماء .

وإذا كان تعيين الائمة قد تم عن طريق السر والخفية فكيف يعرف الناس إمامة

هؤلاء حتى يتبعوهم ويستمعوا الى أقوالهم ؟ أليس هذا تناقضاً ؟

بل ما الحاجة الى الخفية في أمر لو عُرف جهراً بالنص لانتهى الخلاف وسار الجميع

على هداه ؟

وإذا كان الائمة يخفون ذلك خوفاً من الأذى فلماذا يخفي الله هذه الصاية ويسرُّ

بها الى جبريل ؟

من يخاف الله وهو مالك الملك حتى يكتم السر عن خلقه في أمر لو علم لكان فيه

صلاح الناس ؟ تعالى الله عما يقولون وتنزه سبحانه عما يفتريه الشيعة من أباطيل .

والواقع أن حب الشيعة للتقية وغرامهم بها هو الذي أوصلهم الى هذا المستوى

من الغلو ولم يبالوا بخطر ما توصلوا اليه عن طريق رواياتهم التي لم يحسنوا عرضها

ولم يحسنوا وضعها حتى أضحت عاراً يخجل كثيرون منهم من التصريح بها وإعلانها

أمام الناس .

وهذا مانجده واضحاً في كتابات علماء المعاصرين الذين بدأوا يتظاهرون

بانكار كثير من العقائد الثابتة في كتبهم والواردة في رواياتهم .

فها هو عبد الحسين الاميني النجفي ينكر أن تكون الشيعة تعتقد أن الرسول كتم

شيئاً على سبيل التقية ، ويعتبر ذلك فرية ويتحدى أن يكون لهذا الكلام أصل في

(١)

كتبهم ، ويعتبر أن هذا الافتراء هدفه تشويه سمعة الشيعة والاساءة اليهم .

ولكن القارئ المنصف الذي رأى روايتهم الصريحة في نسبة الكتمان والتقية الى

الرسول صلى الله عليه وسلم بل الى رب العزة . . يدرك حقيقة هذا الانكار من هذا

العالم الشيعي .

ولو أنه طعن في الرواية وأبطلها لكان خيراً له ولكنه تناسى وجودها وقام يتحدى

علماء أهل السنة أن يأتوه باسم عالم ذكرها أو مؤلف تضمنها .

ويكفي في رد كلامه أن هذه الرواية موجودة في أصح كتبهم وهو الكافي كما أشرنا ،

وأنها صريحة في نسبة الكتمان للرسول صلى الله عليه وسلم .

- وقبل أن نختم استعراضنا لروايات الشيعة التي تؤكد نسبة التقية للرسول عليهم

السلام نذكر الرواية التالية التي يدعون فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم حضر

جنازة زعيم المنافقين ابن سلول وتظاهر تقية بأنه يدعوه ولكنه كان في الحقيقة يدعو

عليه .

روى الكليني (عن الحلبي عن أبي عبد الله - ع - قال :

لما مات عبد الله بن أبي بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وسلم جنازته فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فسكت .

فقال : يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره ؟ فقال له ويلك وما يدريك ما قلت ، انى قلت : اللهم احش جوفه ناراً ، واملأ قبره ناراً ، وأصله ناراً) (١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم - على حسب زعمهم - يخادع أصحابه ويتظاهر أمامهم بأنه يدعو لهذا المنافق ويترحم عليه ولكنه يدعو عليه بصوت لم يسمعه أحد من أصحابه الذين كانوا يقتدون به فى أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم .

ولا أدري ما الذى يدعو الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه التقية التى يزعمون نسبتها اليه ؟ هل كان يخاف من هذا المنافق الذى هو أمامه جثة هامدة ؟ أم كان يخاف من أتباعه الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام رهبة من قوة المسلمين وطمعا فى المنافع .

لان المنافق فى أى زمان ومكان هو فى حقيقته كافر ، الا أنه يظهر الاسلام . ولا يفعل أحد ذلك الا اذا كان فى موقف الضعف بازاء المسلمين فى مجتمع مسلم تحكمه سلطة اسلامية .

فلا يعقل أن تتفق هذه السلطة القائمة اولئك المنافقين الضعفاء . فكيف يقال

هذا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

وما يكذب هذه الرواية ، ويرد على الافتراء ، ويظل ادعاءهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو على هذا المنافق ولم يكن يدعو له . . ما صرحت به الآية القرآنية من أن الرسول صلى الله عليه وسلم استغفر للمنافقين فعلاً ، حتى نهاه الله عن ذلك بقوله سبحانه : (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) (٢) .

(١) الفروع من الكافي - كتاب الجنائز - باب الصلاة على الناصب ١٨٨ / ٣

(٢) سورة التوبة / آية ٨٠

والرواية السابقة تشير الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم خالف أمره بالصلاة

على هذا المنافق والوقوف عند قبره ولذلك اعترض عمر رضى الله عنه على فعله .

وما يرد قولهم أن الآية الكريمة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على

قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ^(١) نزلت تعقيا على صلاة الرسول صلى

الله عليه وسلم على هذا المنافق ولم تنزل قبل ذلك، والتالى لم يكن هناك نهى سابق

من الله لرسوله أن يصلى على أحد من المنافقين فلما نزلت هذه الآية لم يصل رسول

الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق حتى قبضه الله ^(٢) .

فانظر الى هذه الجرأة من الشيعة على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا

الافتراء عليه والادعاء بأنه صلى الله عليه وسلم خالف أمره خوفا من بعض المنافقين

فصلى تقية على زعيمهم وتظاهر بالدعاء له !!.

ان هذه الرواية المتهاففة التى ينسبونها كذبا للامام الصادق ، تخالف صريح

القرآن الكريم ، وتطعن فى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتقص من قدره .

ان هذا لا يقوله عاقل فضلا عن أن يقوله مسلم ولكن هؤلاء لا يعرفون قدر هذا

النبي العظيم صلى الله عليه وسلم ولا يتورعون عن نسبة هذه الاباطيل اليه .

والآن وبعد أن ناقشنا رواياتهم فى نسبة التقية للرسول وقمنا بابطالها وردّها

واحدة واحدة نريد أن نطرح على بساط البحث التساؤل التالى :

هل تصح نسبة التقية للرسول عليهم السلام ؟

سنتناول هذا الموضوع بالبحث والمناقشة من خلال استعراضنا لانواع التقية وجوانبها

ثم نصل بعد مناقشتنا لهذه الجزئية الى حكم عام نستنتج من خلاله حقيقة ادعاءات

الأمم

الشيعة فى هذا المجال :

١ - الصدق سجية وخلق للانبياء والمرسلين جميعا ، ولقد وصفهم بذلك ربهم فى

(١) سورة التوبة / آية ٨٤

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٧٨ - ٣٧٩ راجع: تفسير الطبري ١٠ / ٢٠٤ والقرطبي ٨ / ٢١٨

القرآن الكريم .

(١) فقال في ادريس عليه السلام (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا)

(٢) وقال في ابراهيم عليه السلام (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا)

(٣) في اسماعيل عليه السلام (انه كان صادق الوعد)

(٤) وقال في الرسول صلى الله عليه وسلم (والذي جاء بالصدق وصدق به)

(٥) وقال في رسله جميعا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)

وهذا ما كان اعداؤهم يعترفون به حتى لقب الرسول صلى الله عليه وسلم بالصادق الامين .

(٦) وقد اعترف أبوسفيان قبل اسلامه أمام هرقل بذلك فقال : ماجربنا عليه كذبا قط .

فالانبياء معصومون من التقول وقول الكذب والبهتان مطلقا عمدا كان أو سهوا ، قبل

النبوة أو بعدها ، ^(٧) ولو جاز على الانبياء التقية في الاخبار بشئ على خلاف الحقيقة لم

ييق هناك من يثق بأقوالهم ويستمع لما ييلفونه عن الله عزوجل ، ولما أمكن تبليغ أحكام

الله تعالى للناس ، لان الاحتياج الى التقية في أول الامر الذي لا يكون لهم فيه مُمد

وناصر أكثر وأمس ، ولو أظهرنا في ذلك الوقت خلاف حكم الله تعالى مخافة ايداء القوم ،

متى يُعلم حكم الله بعد ذلك ؟ وكيف يتصور علمه ؟ ^(٨)

(١) سورة مريم / آية ٥٦

(٢) سورة مريم / آية ٤١

(٣) سورة مريم / آية ٥٤

(٤) سورة الزمر / آية ٣٣

(٥) سورة يس / آية ٥٢

(٦) راجع قصه أبي سفيان مع هرقل في صحيح البخاري ١٦٠ / ٢

(٧) وهذا ما أكده أحد علماء الشيعة وهو الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان ٢٣٠ / ٧

ان يقول : (الكذب قبيح لكونه كذبا ، فلا يحسن على وجه . فلا يجوز للانبياء

القبايح ، ولا يجوز أيضا عليهم التعمية في الاخبار ، ولا التقية في أخبارهم ،

لانه يؤدي الى التشكيك في أخبارهم)

(٨) راجع مختصر الاثنى عشرية للالوسي - تحقيق محب الدين الخطيب ص / ١٠٥

٢ - التقية في كتمان شئ من الدين لا تصح نسبتها للرسول أيضا ، لان من أهم صفاتهم عليهم السلام تبليغ شرع الله وعدم كتمان شئ منه ، وهذا ما كان يحرس عليه الرسول جميعا كما أخبر عنهم . فذكر عن نوح عليه السلام قوله (أبلغكم رسالات ربي) (١) .

(٢) وأخبر عن هود أنه قال (أبلغكم رسالات ربي) .

(٣) وعن صالح (لقد أبلغتكم رسالة ربي) .

(٤) وعن شعيب (لقد أبلغتكم رسالات ربي) .

ويتبين سبحانه أن مهمة الرسول جميعاً تبليغ رسالات الله الى خلقه ، فقال تعالى :

(٥) (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) .

وقال سبحانه : (عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) (٦) .

وسهما أصاب الانبياء والمرسلين من مشقة وإذاء ، فلا يمكن لأحدهم أن يتهاون فـسـو تبليغ شئ من دين الله ، أو يُخفي أمراً منه .

وهذا ما وصفهم به ربهم فقال : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون

(٧) أحداً الا الله) .

وقد أمر الله سبحانه رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذا الدين وتكفل

سبحانه بحمايته من أن يُقتل ، فقال عز وجل :

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله

(٨) يعصمك من الناس) .

(١) سورة الاعراف / آية ٦٢

(٢) سورة الاعراف / آية ٦٨

(٣) سورة الاعراف / آية ٧٩

(٤) سورة الاعراف / آية ٩٣

(٥) سورة النحل / آية ٣٥

(٦) سورة الجن / آية ٢٦ - ٢٧ وجزء من الآية ٢٨

(٧) سورة الاحزاب / آية ٣٩

(٨) سورة المائدة / آية ٦٧

وهذا ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في كل أحواله ، فقد كان يحرص حرصاً شديداً على تبليغ أحكام الدين في كل موقف ومناسبة ولذلك كان يقول وهو يخطب في حجة الوداع :
(أأهل بلغت ، اللهم فاشهد) (١)

ومع كل هذه الأدلة الصريحة تصرُّ روايات الشيعة على نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة في مجال كتمان بعض هذا الدين وإظهار خلاف ما يرضي الله كما رأينا في الصفحات السابقة .

بل إن أحد علماء الشيعة المعاصرين يؤكد أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتم جزءاً من الدين ، ويزعم أن الداعي لهذا الكتمان هو حكمة التدرج في التشريع وهذا ما اقتضى من النبي صلى الله عليه وسلم أن يُظهر جملة من الأحكام ويكتم جملة أخرى منها ليوذعها عند أوصيائه الذين ينشرونها في الوقت المناسب لها : (٢)
وهذه الدعوى الخطيرة معناها أن الدين لم يتم ب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن أحكامه لم يطلع عليها الناس ولم يعلموا بها إلا بعد مدة ، وهذا يناقض قوله تعالى :
(اليوم أكملت لكم دينكم) (٣) .

كما يناقض الأمر الجازم من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ جميع ما أنزل إليه من ربه : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) .

والأخطر من ذلك أن هذه الدعوى تفتح الباب لدعاة التشيع أن يُدخلوا في الدين ما ليس منه وينسبوا لائماتهم ، ويدَّعون أن هذا مما كتبه الرسول وأودعه عند أوصيائه .

٣ - التقية في إجراء كلمة الكفر على اللسان أو التظاهر بمشاركة الكفار بطقوسهم وشعائيرهم لا يُنسب للرسول أبداً ولا يجوز لأحد هم أن يفعل ذلك مهما أُكِّره عليه

(١) صحيح البخاري ٨٤ / ٣ كتاب المغازي ، باب حجة الوداع

(٢) أصل الشيعة وأصولها / لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص / ١١٨

(٣) سورة المائدة آية / ٣

لان ذلك يشوِّ صورة الدعوة التي يدعون اليها ، ولا يُعرف بعدها الحق من الباطل فكل ما يقوله أو يفعله الرسول شريعة يُحتمل أن يكون للتقية ، والقول بهذا محال .^(١)
ثم كيف يطلب الرسول من قومه الاقلاع عن شركهم وكفرهم ثم يشاركهم - ولو تظاهراً - بما كان بينها هم عنه من قبل ؟!

ولذلك لما طلب المشركون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتهم يوماً ويعبدون إلهه يوماً رفض ذلك بقوة ، وأنزل الله قوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين)^(٢)

٤ - مدارة الأشرار والتلطف بهم ولاحسان اليهم ومقابلة اساءتهم بالصفح لئلا يحسن عن جبن وتقية من الرسل عليهم السلام ، ولا يدخل هذا في باب التقية ابداً لان الهدف منه استمالة قلوبهم للإيمان واستجلابهم للدعوة ، والشرط الأساسي في التقية أن تكون بسبب الخوف .

ومن أمثلة ذلك ما مرَّ بنا في الباب الأول أثناء الحديث عن المدارة وصلت بها بالتقية^(٣) وقد رأينا أن تبسم الرسول صلى الله عليه وسلم في وجه الأعرابي الذي قال عنه بئس أخو العشيرة ليس من التقية ولا بسبب الخوف منه وإنما لكي يستجلبه للإسلام رغبة في إسلام قومه باعتباره سيداً منهم .

٥ - اعتماد الرسول صلى الله عليه وسلم على أسلوب الدعوة الفردية في بداية الأمر وعدم اعلان دعوته أمام الناس هليصح أن يسمى تقية ؟
إن الشيعة يستدلون بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا على نسبة التقية إليه . يقول محمد الحسين المظفرى :

(١) راجع المبسوط للسرخسي ٢٤ / ٤٥

(٢) سورة الكافرون

(٣) راجع ص / ١٤٤ من هذا البحث

(لو استعرضت تاريخ الاسلام من البدء لوجدت أن التقية كانت ضرورة يُلتجأ اليها
فقد أخفى النبي صلى الله عليه وسلم في بدء الدعوة أمره حتى دعا بني هاشم وأمره
الله سبحانه أن يصدع بأمره ، وتكتم المسلمون في اسلامهم قبل ظهوره وانتشاره (١) .

ونتساءل: لماذا يستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التقية في بدء الدعوة ؟
فهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاف على نفسه ، لانه موقن بأن الله الذي
ابتعثه قادر على أن يحميه ويعصمه من الناس ، ولم يكن خائفاً على دعوته أن تؤاد
في مهدها لأنه موقن بنصر الله وحمايته لهذا الدين ولهذه الرسالة التي هي خاتمة
الرسالات، ولكن ذلك كان بأمر الله وحكمته ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يختار
لدعوته من يتوقع منهم الاستجابة له وخاصة ممن كانت تشده اليه صلة قرابة أو معرفة
سابقة، وهذا تعليم للدعاة من بعده وإرشاد لهم الى مشروعية الأخذ بالحيطة
والاسباب الظاهرة (٢) ، لان طريقة عرض الدعوة على الافراد بروية وحكمة في بدايتها
الدعوة أمر أساسي في نجاحها .

أما ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من اتخاذ دار الأرقم بن أبي الأرقم
مقرّاً لدعوته فليس الهدف منه أن يستخفي عن أعين قريش بل لكي يتمكن الضعفاء
والعبيد من الاجتماع به بعيداً عن المشركين ، الذين لا يعلمون باسلامهم ودخولهم
في هذا الدين الجديد ، فالسرية اذا ليست في إخفاء الدعوة عن قريش التي كانت
تعلم بها منذ أول وهلة - وخاصة عنه أبولهب - وإنما هي سرية للضعفاء الذين
يخشون الأذى (٤)

(١) الامام الصادق لمظفرى ٩١ / ١

(٢) (٣) راجع فقه السيرة للبوطى ص ٩ / ٩٤

(٤) وما يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخفي دعوته عن قريش، أنه
كان يصلي عند الكعبة في بعض الاحيان ويراه المشركون . وقد ذكر الامام
ابن الاثير في كتابه الكامل (٣٧ / ٢) قصة في ذلك فقال :
(قال عفيف الكندي : كنت امراً تاجراً ، فقد مت مكة أيام الحج ، فأثيت =

ومذلك لا يمكن اعتبار هذا العمل دليلاً على نسبة التقية للرسول لانه لا يدخل
في تقية الرسول أصلاً ، ولم يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة
ما يدل على نسبة التقية اليه .

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يجاهد المشركين بالحجة والبيان منذ بداية
بعثته ولم يكن يتقن منهم ، ولما فرض الجهاد القتالي على المسلمين كان ذلك مرحلة
جديدة في حياتهم ، ولكن هذا لا يعني أن ما قبلها كان عهد تقية بالنسبة للرسول
صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وكيف يستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التقية خوفاً على نفسه .

وقد قال الله سبحانه مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم :

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ،

(١)

والله يعصمك من الناس) .

ولكن علماء الشيعة يثبتون خوف الرسول على أنفسهم ليتمكنوا بعد ذلك من إثبات .

استخدامهم للتقية .

يقول محسن الامين في معرض حديثه عن التقية :

(لو كان في خوف نبي أو إمام عيب عليه لكان في فرار رسول الله صلى الله عليه

وسلم من مكة ليلة الفار خوفاً على نفسه من قريش ، وفرار موسى من فرعون وقومه

العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلي ، ثم خرجت

امراًة تصلي معه ، ثم خرج غلام فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟

فقال : هذا محمد بن عبد الله ، ابن أخي ، زعم أن الله أرسله ، وأن كنوز كسرى

وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة آمنت به ، وهذا الغلام علي بن أبي

طالب آمن به . وايم الله ما أعلم على ظهر الارض أحداً على هذا الدين الا

هؤلاء الثلاثة) .

(١) المائدة / آية ٦٧

لما خافهم وخروجه من مصر خائفا يترقب ، وقول لوط : (لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد)

وقول هارون : (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى " . . عبياً عليهم ، وحاشاهم)^(١) .
ويقول فى موضع آخر رداً على موسى جارا لله الذي قال انه يجلس ائمة أهل البيت عن هذا الغلو فى التقية .

يقول رداً عليه : (هل كان الائمة أعظم عنده من موسى كليم الله وهو نبي من أولي العزم حين قال : ففررت منكم لما خفتكم ، وحين خرج من مصر خائفاً يترقب ؟
وأعظم من نبي الله شعيب حين قال : لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ؟^(٢)
وأعظم من هارون وزير موسى وشريكه فى الرسالة حين قال : إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى ؟ لماذا لم يكلفوا أن يجاهدوا أعداءهم ولا يخافوهم ، ويخشوا الله ولا يخشوا أحداً الا هو ؟
وأعظم من محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يعبد ربه سرا فى أول الرسالة وحين اختفى ثلاثاً فى الغار ثم فر هارباً الى المدينة مستخفياً ؟ فلماذا لم يكف أن يجاهد المشركين يومئذ ولا يخافهم ويخشى الله ولا يخشى غيره ؟^(٣)
فانظر كيف ينسب هؤلاء للرسول عليهم السلام^{عليه} الخوف منهم ؟
إن كلامهم هذا مردود لأن الرسل أقوى الناس ايماناً برسبهم ، وأشد هم خوفاً منه لا من سواه ، وهم أعلى الناس درجات يوم القيامة .

وإذا كان هناك من المؤمنين من لا يخاف فى الله لومة لائم ، ومن يبذل نفسه فى سبيل الله ويتمنى الشهادة ، فالرسل أولى بذلك من سائر المؤمنين ، وأجدراً أن يضحوا بأنفسهم بلا خوف ولا وجل .

(١) الشيعة بين الحقائق والاهام ص / ٣٣

(٢) هذا لم يقله نبي الله شعيب ، وإنما قاله لوط كما ذكر الأمين فى النص السابق ويبدو أنه خطأ غير مقصود .

(٣) المرجع السابق ص / ١٩٥ - ١٩٦

ومعلوم ان الخوف طبيعة من طبائع البشر ، والرسول بشر فيهم صفات البشر وغرائزهم لكن الله يمنح رسله من القوة والتثبيت ما يُذهب اي خاطر من خواطر الخوف التسي قد ترد على قلوبهم .

ويظهر هذا جليا في قوله تعالى :

(١) فأوحى في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف انك أنت الاعلى ()

فالله سبحانه يشبث رسله في مواطن الشدة ويبدل خوفهم أمنا فلا يستقر الخوف في قلوبهم ولا يحتاجون ابدا لاستخدام التقية أو مداهنة اعدائهم بل هم اقوى الناس ايمانا واكثرهم صبرا وثباتا وجرأة في الحق .

وما اكرر الادلة والشواهد على شجاعتهم وجرأتهم وتضحياتهم في سبيل دعوتهم ولكن محسن الأمين تغاضى عن ذلك كله وتلمس بعض الأدلة التي يظن أنها تؤيد مذهبه ومذهب فرقته في إثبات خوف الرسول على أنفسهم، غير أن ما ذكره لا يؤيد ذلك بل هو دليل على عكس ما يرمي اليه ، وهذا ما سنراه من خلال مناقشة أدلته :

١ - تسمية انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم^{الى المدينة} فرارا هو قلة أدب وافتراء باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان هجرة الرسول كانت بأمر الله تعالى لإقامة المجتمع الاسلامي الاول في المدينة المنورة، والهجرة بهذه الصفة عمل ايجابي وجهاد وليست هروبا ولا خفا، إنها أمر رباني بتغيير منهج الدعوة واسلوبها وتدبير إلهي لنصرة دينه .

وكيف يخاف الرسول صلى الله عليه وسلم من هؤلاء المشركين الذين اجتمعوا حول داره ليقتلوه وقد خرج أمامهم من بيته بأمر الله عز وجل واخترق صفوفهم فلم يمسروا وهو موقن بحماية الله له من بطشهم وأنهم لن يمسوه بسوء .

ولذلك قال لصاحبه ابي بكر الصديق وهما في الفار (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا (٢) فهل يقول هذا القول رجل خائف

على نفسه ؟

(١) سورة طه آية / ٦٦ - ٦٧

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٢٨٨ باب مناقب المهاجرين وفضلهم

مع كل هذا يأبى الشيعة الا ان ينسبوا الخوف والتقية للرسول صلى الله عليه وسلم وأن هجرته كانت فراراً وهزيمة !! وحاشاه ذلك .

٢ - واستدل كذلك لاثبات خوف الرسل عليهم السلام على أنفسهم ، وأن الخوف من طبيعتهم ، بقصة خروج موسى خائفاً يترقب بعد ان وقع منه القتل الخطأ وهذا ايضا لادليل فيه على ما يريد اثباته .

لان من الطبيعي لأي بشر أن يفرّ من يأتمر به ليقبله ، ولذلك خرج موسى خائفاً بصفته بشراً عادياً وليس بصفته نبياً ، ولم يكن ذلك في أمر من أمور الدعوة ، بل انه فعل ذلك قبل أن يوحى اليه بالرسالة (١)

٣ - وقول لوط عليه السلام (لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد) (٢)

لا يدل على الخوف ابدأً بل هو دليل على جرأته عليه السلام وتحديه لقومه ، وبيان لحاله الذي ينطوي على الضعف عن منعهم ما يفعلونه ، ولكنه مع ضعفه هذا لم يكن خائفاً بدليل قوله : لو أن لي بكم قوة ، حيث يتضمن هذا القول الانكار عليهم والتحدي لهم كما يقول القائل لخصمه : لو قدرت عليك لقتلتك ، فهذه غاية في الشجاعة حتى في حالة الضعف

وهذا ينفي ما يزعمه محسن الأمين من خوف لوط عليه السلام على نفسه ، ويدل بوضوح على بطلان ادعائه ، ويبين كيف أن هؤلاء يستخدمون النصوص ليستدلوا بها على عكس المعاني المرادة منها إيهاماً وتضليلاً :

٤ - وهارون عليه السلام ايضا لم يكن خائفاً على نفسه - كما يزعم محسن الأمين - بل لقد كان جريئاً في إنكاره على قومه عبادتهم للعجل وبيان ضلالهم حتى كادوا يقتلوه ولكنه اكتفى بالانكار ولم يمنعهم بالقوة خشية وقوع الفتنة والحرب والفرقة بينهم فاجتهد ان ينتظر عودة موسى عليه السلام حفاظاً على وحدة بني اسرائيل .

(١) وذلك لانه بعد أن خرج من مصر تزوج ابنة شعيب عليه السلام ، وعمل عند والدها عشر سنوات راعياً وبعد ذلك سار بأهله عائداً فأوحى الله اليه بالنبوة .
قال تعالى : (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) الى قوله (فلما أتاه نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين) سورة القصص / ٢٩ - ٣٠ (راجع تفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٧)
(٢) سورة هود / آية ٨٠

ولذلك لما عاتبه موسى أبدي وجهة نظره بقوله : (انى خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) (١)

وقال مبيناً حقيقة الامر لأخيه موسى وموضحاً انه لم يسكت بل أنكر عليهم فعلهم حتى أنهم كادوا يقتلوه بسبب هذا الانكار :

(إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) (٢)

ولم يقل هذا القول ليظهر خوفه وجبنه، بل لتبرئه ساحته أمام موسى عليه السلام لانه كان في موضع المسألة والعتاب .

فأين خوف هارون على نفسه في هذه القصة ؟ وهو الذي أخبر عنه الله سبحانه أنه أنكر على قومه ووقف بينهم وحده معترضاً على عبادتهم العجل . قال تعالى :

(ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فُتنتم به وإن راكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) (٣)

وهكذا نجد كيف تحولت جرأة هارون عليه السلام الى خوف في نظر الشيعة ، وكيف انهم يقومون مرة اخرى بتحويل معانى الآيات القرآنية عن حقيقتها ليتخذوا من ذلك مستنداً ودليلاً على نسبة التقية للرسول عليهم السلام ، وهذا أمرهم في نظرهم لانه يجعل للتقية أصولاً منذ عهد الانبياء والمرسلين ، ويغيّر حقيقتها من رخصة لا يُقدم عليها الا مضطراً الى أصل ثابت من أصول الدين ، وسنة من سنن الانبياء وهدى بهم ! وعند ذلك يجدون لأنفسهم المبررات في غلوهم بالتقية وتوسعهم في مجالاتها

وإنحرافهم في فهمها وتطبيقها .

وقد كان الشيخ الطوسي قريباً من أهل السنة في هذا المجال حينما نفى نسبة التقية للرسول فيما لا يُعرف الا من جهتهم من الأحكام التي ييلفونها عن الله سبحانه . يقول الطوسي في تفسيره :

(انا لانجوز على الامام التقية فيما لا يُعرف الا من جهته ، كالنبي ، وانما تجوز

(١) سورة طه آية / ٩٤

(٢) الاعراف آية / ١٥٠

(٣) سورة طه آية / ٩٠

التقية عليه فيما يكون عليه دلالة قاطعة موصلة الى العلم وأما ما لا يُعرف الا من جهته فهو والامام فيه سواء لا يجوز فيها التقية في شيء من الأحكام (١)

فالشيخ الطوسي يعتبر أقوال النبي والائمة وأفعالهم قسمين :

- قسم لا يُعرف فيه الحكم الا من جهتهم واستنادا الى أقوالهم وأفعالهم .

- وقسم آخر يُعرف منه الحكم بدلائل قاطعة توصل الى العلم به - كما يقول -

وهو يُجيز تقية الرسل والائمة في القسم الثاني ويمنعها في القسم الاول .

ولكننا لا نعرف ما يقصده في القسم الثاني الذي لا تحتاج فيه الأحكام الى بيان من الرسول

صلى الله عليه وسلم لأن الدلالة عليها قاطعة موصلة الى العلم !

وعلى كل فالطوسي هنا يخالف الشيعة الذين نسبوا التقية للرسول بشكل عام حتى في مجال

تبليغ أحكام الله وتعليم الناس أمور الدين كما رأينا في روايتهم عن صلاة الرسول

صلى الله عليه وسلم على المنافق ابن سلول ، وادعاء الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم

خالف أمر ربه فحصى عليه تقية ! وغير ذلك من الروايات التي استعرضناها في بدايئة

هذا الموضوع .

- ونريد هنا أن نتساءل بعد ان ناقشنا النصوص التي يتخذها الشيعة ذريعة

في نسبة التقية للرسول ، وقد استدلو بها لتأييد غلوهم في التقية

نقول : اذا نفينا عن الرسل التقية بأشكالها واحتمالاتها السابقة فماذا بقي ممن

الاحتمالات التي قد يتلمسها من يريد المجادلة في الباطل ؟

ان الحق الذي لا مرأى فيه أن الأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون عن كل نوع ممن

أنواع التقية فيما يخص دعوتهم ، فلا يجوز لاحد منهم كتمان شيء من الدين تقية ولا التظاهر

بموافقة الكفار تقية ، ولا الإخبار بخلاف ما يرضي الله أو فعل ما ينهى الله عنه تقية . سواء

كان ذلك الفعل أو القول دلالة قاطعة وحكمة بيّن لا يختلط الحق فيه بالتقية . أو كان

لا يُعرف حكمه الا من جهة ذلك النبي .

فلا تجوز نسبة التقية للرسول اهدأ فيما يتصل بدعوتهم ، وليس هناك أي حادثة فُُُُُ

حياتهم تدل على نسبة التقية اليهم في الدعوة .

أما قول ابراهيم عليه السلام عن زوجته سارة : (هي أختي) فهذا في أمر خاص فيه وليعن في شأن من شؤون الدعوة ، ومع ذلك ليست هذه الكلمة تقية بل هي من المعارض المباحة ، وأن في المعارض لمنذوحة عن الكذب ^(١) أما فيما يتعلق بدعوتهم فقد جاهد الكفار بالحجة والبيان وصبروا على أذاهم حتى ألقوا به في النار . (ولو كان الانبياء يستعملون التقية لما عاداهم الكفار وكذبوهم وآذوهم ، وقد جادلوا قومهم ليلاً ونهاراً ، صبروا على ما أصابهم من القتل والضرب والشتيم وغير ذلك ، فثبت ان التقية ليست جائزة لهم أصلاً) ^(٢)

(١) تحدثنا في الباب الاول عن المعارض وصلت بها بالتقية . راجع ص / ١٥٣

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية للالوسي ص / ١٠٦ .

ثانيا - نسبة التقية للأئمة المعصومين عندهم .

للأئمة عند الشيعة منزلة ومكانة عالية تكاد أن تصل الى منزلة الرسل عليهم السلام ، وأهم ما يعتقدونه فيهم العصمة عن الخطأ وأنهم يعلمون كثيراً من الغيب ويعلمون متى يموتون ، ولا يموتون الا باختيارهم الى غير ذلك من أوصاف الغلو والتقدّيس (١)

(ويعتقدون أن أقوال الامام في الشريعة هي عين أقوال جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أسندها اليه أم أرسلها بدون إسناد وأن الكذب والخطأ محال في حقه) (٢) ومع ذلك فقد نسبوا التقية لأئمتهم بل اعتبروها خُلُقاً من أخلاقهم وأدباً من الآداب التي تمسكوا بها ودعوا اليها أتباعهم وحذروهم من تركها .

وقد مر بنا في أثناء استعراض رواياتهم كيف نسبوا لأئمتهم الأمر بالتقية وأنها من دين الله ودين الأئمة وأنه لا دين لمن لا تقية له .

وسيمر بنا تباعاً أمثلة كثيرة يتضح من خلالها كيف نسب الشيعة للأئمة العمل بالتقية في كل المجالات بما في ذلك مجال الفقه والفتوى ومجال العبادة ، وأهم من ذلك مجال رواية الاخبار ونسبتها لتقية الرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم بكذب تلك النسبة وبطلانها .

وسنناقش ذلك في موضعه عند الحديث عن مجالات التقية عندهم إن شاء الله . والواقع أن الذي دعاني لإفراد هذا الموضوع في فقرة خاصة - مع أن شواهد متغلغله وموزعة على فقرات البحث ومنتشرة في ثناياه - هو أن يدرك القارئ ما قام به الشيعة من تأصيل التقية ودعائها بما يزيد من أهميتها ولذلك نسبوا للرسل العمل بها ثم نسبوا ذلك للأئمة الذين هم عندهم بعد الرسل في المنزلة ، وفوق الصحابة وباقي علماء الأئمة والصالحين ، بل جعلهم بعض الشيعة بمنزلة أعلى من منزلة الرسل والانبياء . ولذلك جعلت الحديث عنهم في فقرة خاصة لابراز هذا الجانب ولحرصى على تسلسل

أفكار وفقرات البحث

(١) سوف أتحدث تفصيلاً عن غلوهم في أئمتهم وتناقضاتهم في ذلك ودور التقية في اخفاء

هذا الغلو راجع ص/ ٤٤٤

(٢) الشيعة في الميزان . لمحمد جواد مغنية ص/ ٨١

وإذا كان الشيعة قد نسبوا للرسول العمل بالتقية في بعض حالاتهم ، فانهم بالنسبة للائمة زادوا على ذلك حتى جعلوا حياتهم كلها سلسلة متلاحقة من المخاوف والتسوتر والتخفي وإظهار خلاف ما يعتقدونه والثناء على من يعاديهم ^(١) وإلزام أتباعهم بذلك في سلوكهم وأعمالهم مع أنهم في مقام القدوة ، بل هم كما يقولون حجج الله على خلقه والمتأمل للروايات التي سبق ذكرها عند الحديث عن أهمية التقية ومنزلتها عندهم يجد أن التقية من أبرز الصفات والخصال التي يتصف بها أئمتهم - فيما يزعمون -

ولذلك ينسبون إلى محمد بن علي (الإمام التاسع عندهم) قوله :
(أشرف أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية) ^(٢)

وإذا كنا سابقاً قد أبطلنا نسبة التقية للرسول عليهم السلام بكل مجالاتها ، لأنها تتنافى مع عصمتهم ومهمتهم التي شرفهم الله بها ، فإننا هنا لا ننفي أن يضطر الإمام إلى شيء من التقية - بضوابطها الشرعية - فيستخدمها ويأخذ بها ، لأنه بشر كسائر البشر وليس نبياً معصوماً مهما بلغت منزلته وسما قدره . ولكننا هنا نركز على جانبين :

١ - إن ما ينسبه الشيعة لأئمتهم من العصمة وما يدعونه لهم من علم كثير من المفاهيم يتعارض مع ما ينسبونه اليهم من التقية والكتمان والخوف على حياتهم

إن كيف يخاف المعصوم الذي يعلم متى يموت ولا يموت إلا باختياره ؟

وكيف يخفي أقواله وعلمه وقد أمر بارشاد الناس وهدايتهم ؟

٢ - إن الشيعة ^{لم يكتفوا} بنسبة جوانب التقية المعروفة لأئمتهم بل توسعوا في ذلك حتى

شملت تقيتهم مجالات كثيرة أخرى ليست من موارد التقية أصلاً ولا تجوز فيها التقية لمن هم ورثة الأنبياء وحملة العلم ، كالتقية في الفقه والفتوى ورواية الأخبار وغير ذلك .

وسوف يرى القارئ هذين الجانبين بارزين أثناء مناقشتنا لروايات الشيعة ونصوصهم في المباحث القادمة ، والتي يؤكدون فيها على نسبة التقية لأئمتهم ويجعلونها أصلاً من أصولهم .

(١) أفردت فصلاً خاصاً للحديث عن مواقف أئمتهم وأقوالهم التي فسرها الشيعة على أساس التقية . راجع ص/٥٠٦ من هذا البحث .

(٢) وسائل الشيعة ٦ / ٤٧٤

والواقع أن هذا الغلو في التقية أصبح عندهم جزءاً في النظرية التي بُني عليها التشيع ، وهي القول بعصمة الأئمة والنص عليهم ، فإذا ما ظهر في أقوالهم وأفعالهم شيء مما يخالف العصمة نسبه إلى التقية ، وإذا ما ظهر في فتاواهم من الاختلاف والتناقض نسبه إلى التقية لئلا تُنقض نظرية العصمة عندهم والتي من مستلزماتها اتفاق أقوال الأئمة وانسجامها لأنها ليست عن اجتهاد منهم بل عن إلهام وتلق عن آبائهم المعصومين ، وأقوالهم كالقرآن يدور الحق معها حيث دار ، والحديث عندهم هو عين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصراحة والوضوح — كما يقول محمد جواد مغنية (١) — إذاً فماذا يفعلون وهم يواجهون الكثير من أقوال أئمتهم تخالف هذه النظرية ، وتحمل في طياتها ما ينقض نظرية العصمة ؟ لقد وجدوا الحل في التقية لأنه يسقط دعوى العصمة يسقط مذهب الشيعة كله. ولهذا قال سليمان بن جرير : (إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهر من معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما القول بالبداة (٢) واجازة التقية (٣))

(١) راجع الشيعة في الميزان ص / ٤٥

(٢) سبق الحديث عن البداء عند التعريف بعقائد الشيعة - راجع ص / ٢٠٩

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص / ٦٤

ثالثاً : نسبة التقية لبعض الصالحين :

١ - نسبة التقية لأصحاب الكهف :

ولزيادة التأكيد على وجوب التقية وعظم منزلتها نسب الشيعة الى أصحاب الكهف أنهم استعملوا التقية فأخفوا ايمانهم عن قومهم ، بل كانوا يشهدون أعيادهم ويشاركونهم في طقوسهم .

وبسبب هذه التقية ضاعف الله أجرهم مرتين ، ولو جهروا بالحق لما كان لهم هذا الأجر الكبير، ولقد بلغت تقيتهم مبلغاً كبيراً لم يبلغه أحد غيرهم ومن أهم روايات الشيعة في ذلك الروايات التالية التي نسبوها الى الامام جعفر الصادق (أبو عبد الله) :

١ - روى الكليني بسنده عن درست الواسطي قال : قال أبو عبد الله :

(ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف ، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدُّون الزناير ^(١) فأعطاهم الله أجرهم مرتين) ^(٢)

٢ - وعن عبد الله بن يحيى عن أبي عبد الله أنه ذكر أصحاب الكهف فقال :

(لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم ، فقليل له : وما كلفهم قومهم ؟ فقال : كلفوهم الشرك بالله العظيم ، فأظهروا لهم الشرك ، وأسروا الايمان حتى جاءهم الفرج) ^(٣)

٣ - وعن الكاهلي عن أبي عبد الله قال :

(إن أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الكفر ، وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجراً منهم على إسرار الايمان) ^(٤)

ولمناقشة هذه الروايات لابد لنا أن نعود إلى قصة أصحاب الكهف كما وردت في

القرآن الكريم :

(١) الزناير : ج زنار وهو ما يُشد على الوسط

(٢) أصول الكافي ٢ / ٢١٨

(٣) (٤) وسائل الشيعة ٦ / ٤٨٠

قال تعالى :

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) (١)

فهل فى هذه الآيات ما يدل على أن أصحاب الكهف استعملوا التقية فأسروا الايمان وأظهروا الكفر ؟ وهل فيها ما يدل على أنهم شاركوا قومهم فى طقوسهم فضاعف الله لهم الأجر ؟ إن الآيات الكريمة تدل على عكس ذلك تماماً ، فقد صدع أصحاب الكهف بالحق وجهروا بعبقيدتهم أمام الملك الجبار ، وهذا هو معنى قوله تعالى :

(وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها)
إن الثبات على الحق والتمسك به أمام تهديدات هذا الطاغية يحتاج إلى قوة وصبر وعزيمة ولكن أصحاب الكهف قوّاهم الله وربط على قلوبهم فلم يزعجها الخوف من ملكهم الجبار (وربطنا على قلوبهم) وعند ذلك قويت نفوسهم فقاموا بين يديه أقوياء مؤمنين لا يخافون فى الله لومة لائم ورفضوا دعوته لهم ليرجعوا عن دينهم قائلين :

(لن ندعو من دونه إلهاً) . والنفي بـ (لن) أبلغ من النفي بغيرها لأنها تنفي المستقبل أيضاً ، فالمقصود : لا نعبد أبداً من دونه معبوداً آخر ، ولو عبدنا غيره لضللنا (لقد قلنا إذا شططاً)

وفى هذا دلالة على أن الفتية دُعا لعبادة الأصنام فرفضوا ، وهُددوا إن لم يرجعوا عن دينهم فأبوا ، ولذلك توعدهم الملك بأشد العقوبات ففروا بدينهم وهاجروا الى كهف مظلم لئلا يقعوا فى مشاركة قومهم بعبادة الأصنام . (٢)

ولو أنهم استعملوا التقية ، وعبدوا الأصنام ، وتظاهروا بالكفر ، لما كان هناك حاجة لتهديدهم بالعقاب ، ولما اضطروا الى اللجوء للكهف المظلم وترك بلدهم وأهليهم وبيوتهم .

(١) سورة الكهف / الآيات ١٣ - ١٥

(٢) راجع : روح المعانى للألوسى ١٥ / ٢١٦ - ٢١٩

وبذلك يظهر جليا أن أصحاب الكهف أبعد الناس عن استعمال التقية ، وأنهم لما هُددوا بالقتل لم يتراجعوا عن عقيدتهم ولم يصرّحوا بما يرضي ذلك الطاغية وقد ذكر المفسرون ^(١) أن هؤلاء الفتية كانوا من خواص الملك ولذلك لم يعجل في قتلهم بل هددهم وأمهلهم ليروا رأيهم ففروا بدینهم الى الكهف تاركين وراءهم الجاه والمال والأوطان

فلو كان استعمال هؤلاء الفتية للتقية يضاعف أجرهم لما ترددوا لحظة في إظهار الكفر والتظاهر أمام ملكهم بما يريد والبقاء في أوطانهم وبين أهليهم ابتغاء مرضات الله !! ولما كانوا بحاجة إلى هذا الموقف الصعب الذي وقفوا فيه بين يدي الطاغية ، بل لا حاجة لهجرتهم أصلاً ما داموا يستخدمون التقية ويشاركون الكفار في أعمالهم .

فهل يستطيع الشيعة أن ينكروا هجرة أصحاب الكهف ؟

إن لم نأهاجروا ؟

لقد علموا أن الهجرة واجبة عليهم وأن التقية لا تجوز إلا إذا اضطر المؤمن إليها وسدّت عليه المنافذ . ^(٢) ولكن الهجرة تيسرت لهم فخرجوا مهاجرين بدینهم

وهكذا نرى تهافت هذه الروايات التي جعلت أصحاب الكهف أكثر الناس استعمالاً للتقية، ونعلم كيف تنقلب الحقائق عند الشيعة لدعم ما يزعمونه من عقائد وبالتالي لا يمكن أن تكون تلك الروايات صحيحة النسبة للإمام الصادق لأنها تخالف صريح القرآن الكريم وتتنافى مع آياته .

ولذلك نجد أن بعض مفسري الشيعة قد أنكر نسبة التقية لأصحاب الكهف لأن ذلك يتعارض مع صريح الآيات الكريمة

فهذا الطوسي (شيخ الطائفة عندهم) يقول في تفسيره : ^(٣)

(إن قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) : (معناه حين قاموا بحضرة الملك

الجبار ، فقالوا هذا القول الذي أفصحوا فيه عن الحق في الديانة ولم يستعملوا التقية)

(١) جامع البيان للطبري ٢٠٧ / ١٥ تفسير ابن كثير ٣ / ٧٤ تفسير الفخر الرازي

(٢) راجع تفصيل ذلك في الباب الأول عند الحديث عن (الهجرة) ص / ٢٦ من هذا البحث

(٣) تفسير التبيان ٧ / ١٣ - ١٤

ثم قال : (وفى قصة أصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام فى دار الكفر
إذ إن لا يمكن المقام فيه إلا باظهار كلمة الكفر ، وأنه يجب الهجرة الى دار الاسلام أو
بحيث لا يحتاجون الى التلفظ بكلمة الكفر)

ولكنه بعد أن يصل الى هذه النتيجة يسكت عن الروايات المنسوبة لجعفر الصادق
مع أنها تتعارض مع قوله ، ولا يشير اليها أبداً . وهو بذلك يستعمل التقية .
وكذلك الطبرسي يؤكد أن أصحاب الكهف جهرؤا بدینهم بين يدي ملكهم ولم
يستعملوا التقية فيقول فى تفسيره : (١)

(" إذ قاموا " أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل
الايان عن دينهم . " فقالوا " بين يديه " ربنا رب السموات والارض ")

ثم يقول : (وفى هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة فى الدين ، وعلى قبح المقام
فى دار الكفر ، إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا باظهار كلمة الكفر)
ويقول تعليقا على قوله تعالى (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم فى ملتهم
ولن تفلحوا إذا أبدأ) :

(من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح ، فكيف تصح الآية ؟)

الجواب : يجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الاكراه ، ويجوز
أن يكون فى ذلك الوقت كان لا يجوز التقية فى إظهار الكفر (٢)

وهكذا يظهر جليا خطأ نسبة التقية لأصحاب الكهف ، وهذا ما أجمع عليه المفسرون
من علماء أهل السنة ، وقال به اثنان من أكبر مفسرى الشيعة وهما شيخ الطائفة الطوسى
، والشيخ الطبرسي . ولكن بعض مفسريهم الآخرين يصرون على نسبة التقية لأصحاب
الكهف ولو خالف ذلك آيات القرآن الكريم ، فإنهم بارعون فى صرف معاني الآيات عن
ظواهرها وحقيقتها لتتمشى مع آرائهم وعقائدهم .

(١) مجمع البيان ١٥ / ١٢٦ - ١٢٧

(٢) المرجع السابق ١٥ / ١٣٤

ولا حاجة لحمل الآية على هذين الاحتمالين إذ المقصود بقوله تعالى (يعيدوكم
فى ملتهم) ليس التظاهر بالكفر بل الدخول الحقيقى فيه ولو كان سبب ذلك ابتداء
الاكراه ، إذ التظاهر بالكفر قد يؤدى الى استحسانه والاستمرار عليه بسبب
استدراج الشيطان . (راجع : روح المعاني للأوسى ١٥ / ٢٣٢)

وهذا ما فعله (الفيض الكاشاني) في تفسيره ان اضطر لكي يوافق الروايات التي تنسب التقية لأصحاب الكهف، أن يصرف معنى الآية عن ظاهرها المتبادر الى الذهن ويأتي بمعنى جديد لا دليل عليه فقال في تفسير قوله تعالى (إن قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) :

(قالوه سرّاً من الكفار، ليس كما زعمه المفسرون أنهم جهرُوا به بين يدي دقيا نوس الجبار، وما فعلوه أعظم أجراً) !

ثم نقل الروايات التي تذكر نسبة التقية لأصحاب الكهف ، ولم يذكر لنا لماذا هاجر هؤلاء ما داموا في أمان واستقرار في ظل التقية ؟ ولا كيف استنتج أن هذا القول كان في السر والخفاء. وهكذا يظهر بطلان هذا الادعاء ، وتبقى قصة أصحاب الكهف مثلاً أعلى للجرأة في الحق والثبات على العقيدة وتحمل المشاق في سبيل الله، وتظهر من هذه القصة حقيقة الصراع بين الحق والباطل .

٢ - نسبة التقية لمؤمن آل فرعون :

قال تعالى مخبراً عن مؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه ، والذي وقف مدافعاً

عن موسى عليه السلام حينما تأمروا على قتله :

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم

بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم

إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا

من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (١)

وتتوالى الآيات القرآنية في عرض دفاع هذا المؤمن عن موسى عليه السلام ، وفي نصحه

لقومه أن يكفوا عن عداة موسى وأن يخشوا بأس الله وعذابه ، في تفصيل ذكر في ثماني عشرة

آية من سورة غافر .

والمشهور عند المفسرين من أهل السنة والشيعة أن هذا المؤمن كان من قوم فرعون

ومن المقربين إليه ، (٢) وقال السدّي : (هو ابن عم فرعون) (٣) وكان جارياً مجرى ولي

العهد ومجرى صاحب الشرطة . (٤)

والآيات الكريمة تشير إلى أن فرعون طلب من مساعديه في الحكم أن يؤيدوه بالموافقة على

قتل موسى عليه السلام . وهذا واضح من قوله تعالى (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدعُ

ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد) (٥)

ويبدو أن هذا المؤمن - الذي يكتُم إيمانه - كان حاضراً في هذا المجلس الذي استشار

فيه فرعون خواصه في قتل موسى .

فما كان منه إلا أن دافع ^{عنه} موسى واعترض على محاولة قتله وبالع في تسكين تلك الفتنة .

(١) سورة غافر آية / ٢٨-٢٩

(٢) راجع : الطبري ٥٩/٢٤ - ابن كثير ٧٧/٤ - الفخر الرازي ٥٨/٢٧

وراجع من تفاسير الشيعة : التبيان للطوسي ٧١/٩ مجمع البيان للطبرسي ١٩٤/٢

الصافي للفيض الكاشاني ٤٨٢/٢

(٤) الفخر الرازي ٥٨/٢٧

(٣) تفسير الطبري ٦٠/٢٤

(٥) سورة غافر آية / ٢٦

وانا كان واضحاً من نص الآية الكريمة أن هذا المؤمن كان يكتُم إيمانه فهل استمر على كتمان الايمان وهو يعترض على طلب فرعون أم أفصح عن إيمانه للدفاع عن موسى ؟
هناك قولان للمفسرين في ذلك : (١)

القول الأول :

أنه استمر على كتمان الايمان ، ولذلك كانت الأدلة التي ساقها لفرعون وقومه توحى بأنه مشفق عليهم وكأنه واحد منهم . وهذا واضح من قوله : (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟)

وعلى هذا القول يكون المعنى في الآيات السابقة التي تصوّر إنكار هذا المؤمن واعتراضه على فرعون . كما يلي :

قوله (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) أي انها كلمة لا تستحق القتل ، ولم يكن فرعون وقومه ينكرون وجود الله وانما كانوا مشركين يعبدون معه آلهة أخرى .
ومما استدل به على خطأ الإقدام على قتله بأن موسى جاء بالبينات والأدلة المؤيدة لدعواه، ثم ذكر حجة ثانية في أن الإقدام على قتله غير جائز ، وهي حجة مذكورة على طريقة التقسيم فقال : إن كان هذا الرجل كاذباً كان وبال كذبه عائداً عليه فاتركوه ، وإن كان صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ^(٢) ، فثبت أنه على كلا التقديرين كان الأولى إبقاؤه حياً .
ثم حكى الله تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في أنه لا يجوز إيذاء موسى عليه السلام فقال : (إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب) وتقدير هذا الدليل أنه يقال : إن الله هدى موسى الى الاتيان بهذه المعجزات الباهرة ، ومن هداه الله المسمى الاتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاً فهذا يدل على أن موسى ليس من الكذابين ، فهو إشارة الى علو شأن موسى عن طريق الرمز والتعريض .

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى ، كذاب في اقدامه على ادعاء الألوهية ، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٧ / ٦١

(٢) أي أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب ، وفي بعض ذلك هلاككم وهذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر . راجع زاد المسير لابن الجوزي ٢١٨ / ٧

وكل هذه الأدلة التي ساقها هذا المؤمن لا تصرح بأنه قد أظهر إيمانه بل تشير الى أنه يتظاهر بأنه مع فرعون لكن المصلحة تقتضي ترك قتل موسى ، لأن عمله لا يوجب القتل . وعلى هذا القول أوهم بقوله (إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب) أنه يريد موسى ، وهو إنما كان يقصد به فرعون .

وقد أيد أبو حيان في البحر المحيط هذا القول وبَيَّن أن هذا المؤمن أراد الانتصار لموسى عليه السلام بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب له وأنه من أتباعه ، فجاءهم من طريق النصح والملاطفة فقال : اتقتلون رجلاً . . . ولم يذكر اسمه ، بل قال : رجلاً يوهم أنه لا يعرفه . (١)

القول الثاني :

أن هذا المؤمن أظهر إيمانه حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فوقف مدافعاً عن موسى عليه السلام وقد أخذته غصبة لله عز وجل (٢)

وبذلك يكون هذا المؤمن قد أزال الكتمان وشأفه فرعون بالحق دفاعاً عن موسى عليه السلام ولذلك هدده فرعون بالقتل وأراد به السوء فنجاه الله تعالى وأهلك فرعون وقومه . وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله : (فوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) (٣)

وعليه يكون قول هذا المؤمن : (إن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب) أنه لو كان موسى كاذباً لما هداه الله بالمعجزات ولكنه صادق . وقد استمر هذا المؤمن في نصحه لقومه وهو يعرض عليهم الايمان بالله واتباع موسى ويخوِّفهم من عذاب الله ، قال تعالى وهو يقص علينا نصيحة هذا المؤمن لقومه :

(وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) إلى قوله تعالى مخبراً عنه : (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) (٤)

(١) راجع البحر المحيط ٦١ / ٧

(٢) تفسير ابن كثير ٧٧ / ٤

(٣) سورة غافر آية / ٤٥

(٤) سورة غافر الايات / ٣٨ - ٤٢

وهذه الآيات صريحة في أن هذا المؤمن أفصح عن إيمانه وأزال الكتمان لأنه يدعو قومه الى اتباع دعوة موسى ويحذره من الشرك بالله والاعراض عن دعوة الحق .
وعلى القول الأول تكون هذه الآيات تصويراً لمرحلة ثالثة من المراحل التي مر بها هذا المؤمن في موقفه من قومه حيث أفصح عن إيمانه بعد ما رأى إصرارهم على باطلهم وعدم استجابتهم لنصحه

فهو أولاً كان يكتُم إيمانه . وهذا بنص الآية ولا خلاف فيه

ثم دافع عن موسى عندما علم بقصد فرعون وعزمه على قتل موسى عليه السلام وفي هذا الدفاع قولان : إما أنه استمر على كتمان الايمان أو أزال الكتمان وصرح بإيمانه — وبعد ما قام بدور الداعي الى الايمان فانتقل من دفاعه عن موسى عليه السلام الى ارشادهم ودعوتهم للايمان به والتمسك بطريقته .
ونريد هنا أن نسأل : هل كان مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه خوفاً على نفسه ؟

وبالتالي هل يُعد هذا الكتمان تقية ؟

ذكر الطبري في تفسيره أن هذا المؤمن (كان يُسّر إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه) (١)

ولكننا من خلال استعراضنا السابق لمعنى الآيات الكريمة نلمح معنى آخر من هذا الكتمان ولعله هو الأرجح والله أعلم .

فالكتمان هنا لم يكن بسبب خوف هذا المؤمن على نفسه وإنما هو طريقة لا يصلح نصحه الى قومه على أنه واحد منهم وليس عدواً لهم وبذلك يحقق من المصالح ما يعجز غيره عنها (٢) فهو كتمان لمصلحة الدعوة وخاصة أنه واحد من الأسرة الحاكمة بحيث لا يشك أحد في ولائه لهم واهتمامه ببقائهم ، بل هو كما رأينا ابن عم فرعون وولي عهده .

(١) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٧

(٢) وأبرز ما يقاس على هذا قصة نعيم بن مسعود في غزوة الخندق حيث أسلم ولم يعلم المشركون بإسلامه فطلب من الرسول أن يكتُم إسلامه وقال له : خذْ لنا . فقام بدور مهم أدى الى التفريق بين الأحزاب المحاصرة للمدينة وإيقاع الخلاف بينهم وكان ذلك من أسباب هزيمتهم

وهذا ما بحثناه تفصيلاً في الباب الأول

وبينا أن هذه لا تسمى تقية وإنما خدعة في الحرب . راجع ص / ١٦٢

ولو كان هذا المؤمن خائفاً على نفسه من بطش فرعون لما وقف هذا الموقف الجريء في الاعتراض على طلب فرعون والدفاع عن موسى . هذا على القول الأول بأن هذا المؤمن استمر في كتمان .

أما على القول الثاني الذي يرى أنه أفصح عن إيمانه وأزال الكتمان ففيه دليل أيضاً، إن لو كان هذا المؤمن خائفاً على نفسه لاستمر في الكتمان وزاد فيه وهو يرى إصرار فرعون على قتل موسى وجزمه في التخلص منه وبالتالي يخشى أن يُقتل ويبتطش باتباعه . فهذه الوقفة الجريئة من هذا المؤمن في أشد لحظات الغضب عند فرعون تدل على أنه لم يكن يكتُم إيمانه خوفاً على نفسه إن إن الخوف في تلك اللحظة أولى ثم لا يكتفي هذا المؤمن بالاعتراض على قتل موسى بل يخوِّفهم من عذاب الله ويدعوهم إلى الإيمان به واتباع نبي الله موسى عليه السلام .

وبالتالي لا يمكن أن نستدل بهذه الآيات على جواز التقية لأنها ليست صريحة فسي استعمال هذا المؤمن للتقية ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال . حتى ولو كان يصلح دليلاً للتقية فهو ليس كما يقول الشيعة من جعل التقية أصلاً من أصول الدين وتأكيده وجوبها ومنزلتها ، بل هو دليل على جواز التقية على أنها رخصة . بل لو كان أول الآيات يحتمل التأويل على وجه التقية فإن آخرها ينقض هذا التأويل ، ويُظهر فضل الجهر بالحق والدعوة إليه .

فقد وقف يحذرهم من عذاب الله ويقول لهم : (فستذكرون ما أقول لكم) كما بيّن لهم أنه لا يخشى مكرهم وأنه فوّض أمره إلى الله : (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) ولكن الشيعة أضافوا على قصة هذا المؤمن إضافات تدعو للاستغراب : فقد روى الطبرسي في الاحتجاج عن الإمام الحسن العسكري أن الإمام الصادق قال : (لقد كان لحزقيل المؤمن مع قوم فرعون الذين وشوا به إلى فرعون هذه التورية . كان حزقيل يدعوهم إلى توحيد الله ، ونبوة موسى ، وتفضيل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع رسل الله وخلقته ، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين ، وإلى البراءة من فرعون .

فوشى به واشون الى فرعون ، وقالوا ان حزقيـل يدعو الى مخالفتك ، ويعين أعداءك على مضادتك .

فقال لهم فرعون : ابن عبي ، وخليفتي في ملكي ، وولي عهدي ، ان كان قد فعل ما قلت فقد استحق العذاب على كفره نعمتي ، وان كنتم عليه كاذبين فقد استحققتهم أشد العذاب لإيثاركـم الدخول في مسأـمته .

فجاء بحزقيـل وجاء بهم فكشفوه وقالوا : أنت تجحد ربوبية فرعون الملك ، وتكفر نعماءه فقال حزقيـل : أيها الملك هل جربت عليّ كذباً قط ؟ قال : لا

قال : فسلهم من ربهم ؟ قالوا : فرعون .

قال : ومن خلقكم ؟ قالوا : فرعون هذا

قال : ومن رازقكم الكافل لمعاشكم ، والدافع عنكم مكارهكم ؟ قالوا : فرعون هذا قال حزقيـل : أيها الملك فأشهدك وكل من حضرك ان ربهم هو ربي ، وخالقهم هو خالقي ورازقهم هو رازقي ، ومصلح معاشهم هو مصلح معاشي ، لا رب لي ولا خالق غير ربهم وخالقهم

يقول حزقيـل هذا وهو يعني أن ربهم هو الله ربي ولم يقل إن الذي قالوا هم إنه ربهم هو ربي . وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره ، وتوهموا أنه يقول : فرعون ربي وخالقي ورازقي .

فقال لهم : يا رجال السوء . . . أنتم المستحقون لعذابي ، لإرادتكم فساد أمري ، وهلاك ابن عبي والفت في عضدي .

ثم أمر بالأتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتد وفي صدره وتد ، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم ، فذلك ما قال الله تعالى : (فوقاه الله سيئات ما مكروا) لما وشوا به الى فرعون ليهلكوه (وحق بالفرعون سوء العذاب) وهم الذين وشوا بحزقيـل إليه لما أوتد فيهم الأتاد ، ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط (١) ومع وضوح بطلان هذه الرواية وكذب نسبتها إلى الامام الصادق فإننا سنشير إلى

بعض جوانب تناقضها الظاهر مع آيات القرآن الكريم .

فقد مرت بنا في الآيات الكريمة السابقة صورة الحوار الذي دار بين هذا المؤمن وبين فرعون وكيف كان موقف هذا المؤمن جريئاً في دعوة فرعون وقومه الى الايمان وتخويفهم من عذاب الله تعالى ولكن واضح هذه الرواية المتهاففة عدل عن هذه الصورة المشرقة التي أبرزتها الآيات الكريمة ، وجاءنا بصورة جديدة يظهر فيها هذا المؤمن بموقف ذليل مهين ، يداهن في دينه ويخشى على نفسه ، ويتظاهر أمام فرعون بالاقرار له بالربوبية والألوهية ، وشستان بين الموقفين .

وأعجب شيء في هذه الرواية أن واضعها أراد أن يحشرف فيها بتكلف شديد عقيدته الشيعية فنسب الى مؤمن آل فرعون أنه كان يدعو الى تفضيل علي بن أبي طالب والخيار من الأئمة على سائر أوصياء النبيين !!

وأيّن كان علي رضي الله عنه يومها ؟ وهل كان أئمة الشيعة الاثني عشر على قيد الحياة في زمن موسى عليه السلام ؟ ؟ لعل الطبرسي في روايته هذه يريد أن يبرز لنا عقيدة جديدة لم يقل بها أحد قبله ولا بعده !

وأمر آخر : وهو أن الله سبحانه أخبر عن العذاب الذي حل بآل فرعون ، بقوله تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً) (١)

فالعذاب الذي حل بهم هو عذاب القبر الذي يتعرضون له ليل نهار بعد أن أغرقهم الله سبحانه . ولكن هذه الرواية حوّلت معنى الآية لتجعل المقصود بالعذاب ما حل بالوشاة من عذاب على يد فرعون الذي شق لحومهم بأمشاط الحديد ، وأوتد فيهم الأوتاد .

ولا نملك حيال هذا التحريف الواضح لمعنى الآية الكريمة إلا أن نقول : لو كان هذا الراوي يحسن الوضع لما أقحم نفسه في هذه التناقضات الظاهرة مع كلام الله عز وجل ونحن نربأ بالامام الصادق أن تصدر عنه مثل هذه الرواية المتهاففة التي هي أقرب للأساطير .

ومعد أن اطلع القارئ على ما أورده الشيعة من روايات في التأكيد على أهمية التقية ووجوبها والتعظيم من شأنها ، واعتبارها أفضل أعمال المؤمنين ، والافتراء على الرسل عليهم السلام أنهم حرصوا عليها أشد الحرص حتى غدت من هديهم وسنتهم . . . بعد ذلك كله نتساءل :

ما هو موقف علماء الشيعة قديما وحديثا من هذه الروايات ، وما هي أحكام التقية عندهم ؟
وللاجابة على ذلك ننتقل بالقارئ الى المبحث الرابع من هذا الفصل .

المبحث الرابع أحكام التقية عند الشيعة

بعد أن استعرضنا ما أورده الشيعة من روايات في أهمية التقية وارتباطها بالعقيدة ، وجعلها من الأصول ، نريد أن نبحث في فتاوى علمائهم في حكم العمل بالتقية ، لنرى : هل وافقت تلك الفتاوى ما نسبوه الى أئمتهم من روايات في منزلة التقية ، أو اتجهت اتجاهها آخر ؟

ولقد رأينا أنهم أوردوا على السنة أئمتهم أن التقية تسعة أعشار الدين ، وأن من من لا تقية له لا دين له ، وأن من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، وأن تارك العمل بالتقية لا يغفر ذنبه ، الى غير ذلك من الروايات التي تؤكد وجوب العمل بالتقية وفرضية التسك بها .

ولكن الباحث يفاجأ أن فتاوى علماء الشيعة لم توافق تلك الروايات التي يعتقدون بصحة نسبتها لأئمتهم ، بل ان الكثير من تلك الفتاوى تجاهلتها تماما ، وسلكت سلكا آخر يجعل الباحث في حيرة واستغراب ، ونستطيع أن نميز بين أربع اتجاهات في أقوال علمائهم القدماء وفتاواهم في حكم التقية :

الاتجاه الأول : القول بفرضية التقية وخروج تاركها عن دين الله :

وهذا ما يوافق تماما ما نسبوه لأئمتهم من روايات في منزلة التقية وجعلها من الأصول وهو ما يتوقع كل باحث أن يراه من فتاوى علمائهم بعد أن يستعرض ذلك الحشد الهائل من الروايات والنصوص التي أوردوها في منزلة التقية وأهميتها .

ويمثل هذا الاتجاه الشيخ أبو جعفر ابن بابويه القمي ^(١) (ت ٣٨١ هـ) ، الذي

(١) هو صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) أحد الصحاح الأربعة عندهم ، وقد سبقت ترجمته ص / ٢١٣ من هذا البحث ، ونضيف هنا نصاً آخر في الشناء عليه ليعرف القارئ منزلته عند الشيعة .

يقول الحر العاملي في كتابه أمل الآمل - الذي هو أشهر كتبهم في التراجم - (٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤) يقول في الشناء على ابن بابويه : (كان جليلا حافظا =

يسمونه الشيخ الصدوق فقد قال : " اعتقادنا في التقية أنها واجبة ، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، لا يجوز رفعها الى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله ودين الامامية وخالف الله ورسوله " (١)

وهذه الفتوى من أكبر شيوخ الشيعة ورئيس محدثيهم تدلنا بوضوح على حقيقة اعتقادهم في التقية ، وهي موافقة تماماً لما أوردوه من روايات نسبوها للأئمة المعصومين عندهم . (٢)

وهكذا نجد أن شيخهم الصدوق جعل تارك العمل بالتقية خارجاً عن دين الله . وحكم بكفره لأن قوله (فقد خرج عن دين الله) يعني نسبة الكفر لمن ترك التقية . وبذلك ترتفع التقية عندهم من كونها إحدى الواجبات الى مستوى الشهادة تيسر اللتين لا يصح اسلام المرء الا بهما .

ولكن الشيخ الصدوق لم يلتزم بهذه الفتوى الخطيرة ، ولم يستخدم التقية في اخفاء آرائه وعقائده ، بل كانت له دروسه ومجالسه العامة وتصنيفاته الكثيرة التي كشف بها عن عقائده .

ولذلك نجد أن تلميذه المباشر (الشيخ المفيد) أنكر ذلك عليه واعتبر علمه مناقضاً لفتواه المطلقة بوجوب التقية دون أن يضع لذلك أى ضابط أو قيد ، ولو وضع القول في التقية موضعه لسلم من المناقضة . (٣)

= للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار ، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، له نحو من ثلاثمائة مصنف . .

(١) الصلة بين التصوف والتشييع للدكتور الشيباني (ص ٥٢٢) — عن : اعتقادات الصدوق / ص ٤٤ .

(٢) ذكرناها بالتفصيل في البحث السابق ومن أبرزها : (لا دين لمن لا تقية له) (لو قلت ان تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً) .

(٣) راجع : شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد ص ٦٧ .

الاتجاه الثاني : القول بوجوب التقية :

وهذا القول رجّحه مفسر الشيعة الشيخ (أبو جعفر الطوسي)^(١) فقال :
 " التقية - عندنا - واجبة عند الخوف على النفس ، وقد روي رخصة في جواز الافصاح
 بالحق عندها " .

ثم قال : " وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة ، وخلافها خطأ " .^(٢)
 وهكذا نجد أن الطوسي الذي يسمونه (شيخ الطائفة) يؤكد القول بوجوب
 التقية ، ويرد القول بأنها رخصة جائزة استدلالاً بالأخبار التي وردت عندهم والتي
 تؤكد وجوب التقية كما أننا نلاحظ فرقا واضحا بين هذا الاتجاه والاتجاه الأول، حيث
 خفف الطوسي الحكم على تارك التقية فاكتمى بالوجوب واعتبر خلاف هذا الحكم خطأ
 ولم يوصل تارك التقية الى مرتبة الكفر كما فعل الصدوق صاحب الاتجاه الأول .
 ثم إن الطوسي جعل وجوب التقية مقيداً في حالة الخوف على النفس بينما أطلق
 الصدوق حكمه وجعله عاماً في كل الحالات والازمان حتى يخرج القائم المنتظر .

الاتجاه الثالث : القول بأن للتقية أحكامها الثلاثة : الوجوب والجواز والحرمة .

فالتقية على هذا القول واجبة في بعض الحالات وجائزة في حالات أخرى ومحرمّة
 أحيانا .

ويمثل هذا الاتجاه الشيخ المفيد^(٣) وهو أحد أئمة الشيعة الكبار ومرجع من
 مراجعهم المعتمدة وسنستعرض أقواله في التقية من خلال النصوص الثلاثة التالية :-
النص الاول :-

" وأقول إن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقد تجوز في حال
 دون حال للخوف على المال ولضروب من الاستصلاح ، وأقول إنها قد تجب ويكون

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٤ من هذا البحث .

(٢) تفسير التبيان ٢ / ٤٣٥ .

(٣) سبقت ترجمته ص / ٢١٨ من هذا البحث .

فرضا ، وتجوز أحيانا من غير وجوب ، وتكون في وقت أفضل من تركها ، ويكون تركها أفضل وان كان فاعلها معذورا أو معفوًا عنه مُتَفَضِّلًا عليه بترك اللوم عليها^(١) .

النص الثاني :-

" وأقول إنها جائزة في الأقوال كلها عند الضرورة ، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح ، وليس يجوز من الأفعال في قتل المؤمنين ولا فيما يعلم أو يغلب أنه استفساد في الدين " .

وانا كان النص الثاني ذكر ثلاثة أحكام للتقية وهي : الجواز والوجوب والحرمة فان النص الاول أضاف الى هذه الأحكام الثلاثة حكما رابعا هو الندب وذلك بقول الشيخ المفيد في حكم التقية : " تكون في وقت أفضل من تركها " .^(٢)

والملاحظ لهذه الفتوى يجد أنها لا تعطي حكماً واضحاً للتقية وتجعل الباحث في حيرة إذ إنه لا يعرف من هذا النص الحالات التي تكون فيها التقية واجبة أو جائزة أو محرمة .

وكل ما يمكن معرفته من هذه الفتوى أن التقية تتبع الأحكام الثلاثة دون تحديد لمجالات كل حكم ، وأنها محرمة في إحدى حالتين : في قتل المؤمنين - وفيما يؤدي الى فساد في الدين .

النص الثالث :

يقول الشيخ المفيد بعد أن عرف التقية :

" وفرض ذلك - أي العمل بالتقية - اذا علم بالضرورة أو قوى في الظن ، فمتى لم يعلم ضررا باظهار الحق ، ولا قوى في الظن ذلك لم يجب فرض التقية ، وقد أمر الصادقون (ع) جماعة من أشياعهم بالكف والامساك عن اظهار الحق والباطنة والستر له عن أعداء الدين والمظاهرة لهم بما يزيل الريب عنهم في خلافهم ، وكان ذلك هو الأصلح لهم .

وأمرُوا طائفة أخرى من شيعتهم بمكالمة الخصوم ومظاهرتهم ودعائهم الى الحق

لعلمهم بأنه لا ضرر عليهم^(١). اهـ.

وهذا النص يحدد لنا الحالة التي تكون فيها التقية فرضاً ، وهو اذا علم بوجود الضرر أو قوي ذلك في ظنه ، فاذا انتفى الضرر لم تجب التقية ، أى أصبحت جائزة فالشيخ المفيد يعتبر التقية فرضاً وواجباً لمجرد وجود الضرر ، ويعتبرها جائزة في حالات الأمن وانتفاء الخوف والضرر.

وهذا يعني أن التقية عنده من المباحات في أحوال الناس العادية عند الأمن ، فاذا وقع الخوف أصبحت واجبة .

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو :

عند ما يكون الانسان في حالة الأمن فما الذى يبيح له أن يخفي ما يعتقد أنه حق ؟ وما الذى يتقيه بهذا الإخفاء ؟

إن من لوازم معنى التقية وجود الضرر الذى يُتقى ، فاذا لم يكن هناك ضرر ولجأ الانسان مع ذلك الى إخفاء ما يعتقد أنه حق ، واطهار موافقته للمخالفين واقاراره لهم فلا تفسير لذلك سوى أنه ضرب من النفاق .

وهذا أحد أوجه الخلاف الجوهرية بين الشيعة وأهل السنة في التقية ، إذ إن التقية لا تجوز أبداً في حالة الأمن عند أهل السنة ، وهذا ما يتفق مع نصوص الكتاب والسنة ، ومع وجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن قول الشيعة بجواز التقية في غير ضرورة يتعارض مع وجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويؤدي بالمسلمين إلى تركهما ، مما يدل على بطلان هذا الحكم. ثم إن الشيعة أنفسهم اعتبروا وجود الضرر عنصراً رئيساً في تعريفاتهم للتقية التي استعرضناها في البحث الاول من هذا الفصل ، فكيف يُدخلون هنا حالة الأمن في التقية ؟

وانا قمنا باجراء مقارنة بين هذه النصوص الثلاثة للشيخ المفيد في حكم التقية

فاننا نجد أنه في النص الاول يجعل التقية جائزة في حالة الضرورة وقد تجب ، وكذلك في النص الثاني ولكنه في النص الثالث يجعل التقية فرضاً واجباً عند الخوف والضرورة وجائزة في الأمن فقط وهكذا يتبين لنا حيرة الرجل واضطرابه وتناقضه مع أنه امام كبير عند الشيعة ومرجع معتمد من مراجعهم .

ومن ثم نجد أن العلامة الألوسي كان على حق عند ما قال في تفسيره وهو يستعرض أحكام التقية عند الشيعة : (أما الشيعة فكلهم مضطرب في هذا المقام ^(١)) ، وهل هناك أعظم من هذا الاضطراب ؟

وقد تابع الشيخ المفيد في هذا الاضطراب الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ^(٢) في تفسيره (مجمع البيان) ^(٣) حيث ذكر فتوى الشيخ المفيد في حكم التقية معتبراً أن التقية قد تجب وتكون فرضاً ، وتجاوز أحياناً من غير وجوب ، ولكنه بعدها نقل فتوى الشيخ أبي جعفر الطوسي الذي رجح الوجوب عند الخوف على النفس استدلالاً بظاهر الروايات الواردة عندهم .

الاتجاه الرابع : القول بأن التقية رخصة والأفضل تركها

وهذا القول موافق لقول أهل السنة في التقية وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب

(١) روح المعاني للألوسي ١ / ١٢٣ .

(٢) هو أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، توفي سنة ٥٤٨ هـ في سبزوار إحدى مدن خراسان ، ونقل إلى المشهد الرضوي ، له مصنفات عديدة أبرزها : (مجمع البيان) في التفسير ، و (جمع الجوامع) في التفسير أيضاً ، و (إعلام الوري بأعلام الهدى) .

قال عنه البحراني في لؤلؤة البحرين : (كان هذا الشيخ عالماً فاضلاً ثقة جليل القدر في أصحابنا) وقال عن تفسيره مجمع البيان : (هو تفسير حسن جامع لجميع الفنون من اللغة والنحو والتصريف والمعنى والنزول ، لأنه أكثر النقل فيه عن مفسري العامة ، ولم ينقل من تفسير أهل البيت عليهم السلام الا القليل) وقال عنه محمد كلانتر في تعليقه على اللعة الدمشقية : (كان عالماً من الاعلام ، وآيه من الآيات ، من وجوه الطائفة وأعيانهم ، ثقة جليلاً عظيم القدر رفيع المنزلة كثير العلم واسع الاطلاع) . راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين

ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، اللعة الدمشقية ٧ / ٣٥٢ - ٣٥٣ ، الاعلام ٥ / ١٤٨ .

(٣) صفحة ٥٦ - المجلد ٣ .

والسنة وأفعال الصحابة (رضي الله عنهم) .
وانفرد بهذا القول (الشريف الرضي)^(١) في كتابه (حقائق التأويل فـى

(١) الشريف الرضي : هو محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن الرضي . ولد في بغداد ٣٥٩ هـ وتوفي فيها سنة ٤٠٦ هـ ، كان أبوه يتولى نقابة الطالبيين ويحكم فيهم وينظر في مظالمهم ثم ردت هذه الأعمال الى ولده المذكور سنة ٣٨٣ هـ وأبوه حي فصار نقيب الطالبيين .
وهو شاعر مجيد ، ويقال انه أشعر قريش ، ومن كتبه : المجازات النبوية - مجاز القرآن - حقائق التأويل في مشابه التنزيل - خصائص أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - ديوان شعر

ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام القادر بالله من جملة قصيدة :
عطفاً أمير المؤمنين فأننا .. في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت .. أبداً كلانا في المعالي مغرق
الا الخلافة بيئتك فأنني .. أنا عاطل منها وأنت مطوّق
ولما توفي صلى عليه الوزير فخر الملك في جماعة كثيرة وولي أخوه المرتضى نقابة الطالبيين بعده .

أما بالنسبة لعقيدته فيذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنه كان شيعياً ، ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية انه قد نسب الى الرضي قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدي بمصر وأن الخليفة القادر لما بلغه أمر هذه القصيدة أنزعج وبعث الى أبيه الموسوي يعاتبه فأرسل الى ابنه الرضي فأنكر أن يكون قالها بالمرة ، ثم قال ابن كثير تعليقا على ذلك : " والروافض ممن شأنهم التزوير " وهذا يدل على أن الشريف الرضي من الروافض الشيعة ، وما يؤكد ذلك مقاله الامام الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) حيث وصفه بقوله :

" الشريف الرضي ، أبو الحسن ، شاعر بغداد ، رافضي جلد " .
وكذلك مقاله الامام ابن حجر في (لسان الميزان) حيث قال " كان مشهوراً بالرفض "

ووصفه ابن تغري في (النجوم الزاهرة) بقوله : " كان على مذهب القوم إماماً للشيعة هو وأبوه وأخوه " .

متشابه التنزيل^(١) ان يقول : " اعطاء التقية رخصة ، والأفضل ترك اظهارها " .
 واعتبر الشريف الرضي أن خبيب بن عدي حين قتل كان أفضل من عمار بن ياسر
 الذي استعمل التقية .

وقال أيضاً : (إقامة المرء عليه - على الاسلام - حتى يقتل أفضل من الأخذ بالرخصة
 في العدول عنه حتى يسلم) .

وقال : (التقية إنما تكون قولاً باللسان) ثم نقل قول أبي العالبيه (التقية باللسان
 لا بالعمل) . وإذا كان هذا الاتجاه في حكم التقية يوافق ما عليه أهل السنة فإن هذا
 لا يمثل نظرة الشيعة للتقية بل هو رأي خاص انفرد به (الشريف الرضي) ولم يتابعه
 عليه أحد بعده .

ولذلك نجد الدكتور الشيباني يؤكد أن هذا الرأي لا يمثل الشيعة وأن الشريف
 الرضي لما أصدر هذه الفتوى لم يكن ذهنه متجهاً الى الظروف الصعبة التي تمر بالشيعة
 بل عبّر عن أفقه الواسع ونفسه المطمئنة، أي أنه لم يتعرض لما تعرض له الشيعة —
 أنى وضغوط بل كان على صلة طيبة مع الخلفاء .

= وقد اعتبره الشيعة أحد شيوخهم وأئمتهم في العلم ووصفه الخوانساري في كتابه
 (روضات الجنات) بقوله : (لم يصرب مثله إلى الآن عين الزمان) وذكر
 أن الشريف الرضي كان شيخاً في الرواية، ومن روى عنه الشيخ الطوسي ، واعتبره
 تلميذاً للشيخ المفيد في الرواية .

راجع : شذرات الذهب ٣ / ١٨٢ ، البداية والنهاية ١٢ / ٣ ، ميزان الاعتدال
 ٣ / ٥٢٣ ، لسان الميزان ٥ / ١٤١ ، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٤٠ ، تاريخ بغداد
 ٢ / ٢٤٦ ، الأعلام ٦ / ٩٩ .

ومن كتب التراجم الشيعية : روضات الجنات للخوانساري ٦ / ١٩٠ ، جامع
 الرواة للحائري ٢ / ٩٩ ، الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٢ / ٢٧٢ .

(١) صفحة ٧٥ نقلا عن الدكتور الشيباني في مقالته (التقية أصولها وتطورها) مجلة
 كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ -

وسبب آخر يضيفه الشيبى وهو أن الشريف الرضى كان بمعزل عن شؤون الشيعة وأن نقابته للطالبين كانت تتصل بأرحامه وذوي قرباه دون سواد الشيعة وأمتهم في العراق ، وأن ذلك كله كان موكولاً بالشيخ المفيد وبالطوسي من بعده وغيرهما ممن كان الشيعة يتلقون منهم النصح والارشاد يأخذون عنهم أمور دينهم ودنياهم^(١) بل إن الدكتور الشيبى يعتبر أن الشريف الرضى فى فتواه هذه لم يشأ أن يحاول الوصل بين ما فى القرآن وما تأتى به الظروف ، ولا أدرى كيف يكون الوصل بينهما فى رأى الشيبى^(٢) ؟ أليكون ذلك بأن يفتي الشريف الرضى بوجوب التقية مثلاً فعمل سائر علماء الشيعة ؟ وأن من يأبى التقية ويضحى بنفسه فى سبيل الله آثم عاص ! وهل هناك ظروف أقسى مما مر بخبيب رضى الله عنه وقد أحاط به المشركون يذيقونه من العذاب ألوانا لكي ينطق بكلمة تُرضي أهواءهم وهو مصرٌّ على النطق بالحق حتى لا يقربه شهيداً ؟ .

إن لا يمكن للظروف أن تغير من أحكام الاسلام الثابتة شيئاً ، ولا يمكن للتقية أن تصبح فرضاً يأثم تاركها بسبب ظرف من الظروف مهما كان شأنه . وبهذا نستنتج أن فتوى الشريف الرضى هذه لا تمثل الشيعة ولا تعدو أن تكون رأياً شخصياً يظاھر به موافقة أهل السنة^(٣) ، والظاهر أن هذا القول صدر منه تقيّة

(١) التقية أصولها وتطورها للدكتور الشيبى - ص / ٢٤٨ - مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

(٢) تحدثنا تفصيلاً عن شذوذ الدكتور الشيبى فى مجال التقية وما يتصل بها . راجع ص / ٢٦٠ من هذا البحث

(٣) وقد اغتر الاستاذ أحمد شاكر بفتوى الشريف الرضى فقال فى تعليقه على دائرة المعارف الاسلامية : (أما مانسب إلى الشيعة الامامية من الغلو فى التقية ، فما نظن كله صحيحاً) ثم قال معلقاً على الفتوى : (هذا وغيره يؤيد ما ذهبنا اليه من تبرئة الائمة من الشيعة من عار هذه التهمة التى ألصقت بهم وأن خطأ من أخطأ من علمائهم أو من عاينهم لا يجيز أن ينسب الى فرقهم وشيعتهم)

والخلاصة ان في حكم التقية عند الشيعة أنها واجبة يأثم من ترك العمل بها قبل قيام القائم وعودته من غيبته .

وهذا الحكم هو الذي أطلقه شيخهم الصدوق ، ومن بعده شيخ الطائفة الطوسي ، وقيد شيخهم المفيد ، واستثنى منه بعض حالات تعتبر التقية فيها جائزة لا واجبة .

ولكنه لم يحدد لنا تلك الحالات بدقة فبقي حكمه مبهماً ، أو حدد لها تحديدات يظهر منها الاضطراب ، ولا يفهم منها الا أنه يقصد بالجواز حالة الأمن من الخوف والضرر ، فاذا وجد الضرر وجبت التقية .

أما حالات تحريم التقية فهي حالتان عند الشيخ المفيد :

١ - في قتل المؤمنين : وهذه الحالة لا أظن أن الشيخ الصدوق يخالفها ، لأن فتواه اقتصر على بيان حكم التقية دون التطرق الى الأفعال التي يمكن فعلها تقية ، والأفعال التي يحرم فعلها حتى في حالة التقية ، ولأنه ورد بتحريم القتل تقية أكثر من رواية صريحة عندهم أوردوا الحر العاطلي تحت عنوان (باب عدم جواز التقية في الدم)^(١) وأهم ما ذكر : روى الكليني بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال :

(إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فاذا بلغ الدم فليس تقية)

= دائرة المعارف الاسلامية - المجلد العاشر - صفحة ٩٠ .

ولعل الاستاذ أحمد شاکر لم يطلع على روايات الكليني في تأكيد فرضية التقية وفتاوى الصدوق والطوسي والمفيد وغيرهم . وكلها تؤكد صحة ما ينسب الى الشيعة في هذا المجال وتناقض فتوى الشريف الرضي الذي لا يعد وقوله أن يكون رأياً خاصاً به خالف فيه جمهور علماء الشيعة .

(١) وسائل الشيعة ٤٨٣ / ٦ .

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أنه قال :

(انما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فاذا بلغت التقية الدم فلا تقية) .

ولذلك قال الشيخ زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ)

(ولو اضطره السلطان الى اقامة حد ، أو قصاص ظلماً ، أو اضطره لحكم

مخالف للمشروع جاز لمكان الضرورة ، الا القتل فلا تقية فيه)^(١) وهذا ما قاله

أيضاً من قبل أبوالقاسم الحلبي (ت ٦٢٦ هـ)^(٢)

٢ - فيما يعلم أو يغلب أنه استفساد في الدين : ولكن هذا الاستثناء بقي

حكماً نظرياً عندهم ولم يعطوا به ، فقد وسَّعوا العمل بالتقية حتى في مجال

رواية الاخبار الكاذبة التي يعتقدون عدم صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه

وسلم وللائمة الاطهار ، وحتى في مجال الفتوى بما يعتقدون عدم صحته ،

ولكن العوام يأخذون هذه الاقوال وهم لا يعلمون أنها قيلت للتقية فيعطون

بها ، فهل هناك أكبر من هذا الفساد في الدين ؟!

(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية . لزين الدين الجبعي العاملي ٢ / ٤٢٠

(٢) راجع : المختصر النافع في فقه الامامية . للحلي ص / ١٤٣ .

حكم التقية عند علماء الشيعة المتأخرين١ - الحر العاملي - (ت ١٠٤ هـ)

برز عند بعض علماء الشيعة في القرن الثاني عشر تفريق جديد بين حالات وجوب التقية وحالات جوازها من غير وجوب.

فقام هؤلاء بحصر حالات الجواز اذا كانت التقية بإزاء الكفار المخالفين في الدين أما إذا كانت لا خفاء غلوهم واعتقاد اتهم المنحرفة أمام أهل السنة فالتقية هنا واجبة، ولذلك نرى شيخهم الحر العاملي^(١) الذي جمع في كتابه (وسائل الشيعة) أمهات كتبهم المعتمدة عندهم، قد عقد في كتابه هذا عناوين كثيرة نرى منها بوضوح تمييزه بين حالات وجوب التقية وجوازها .

والأبواب التالية تبين حالات التقية الواجبة عنده :

- ١ - باب وجوب التقية مع الخوف الى خروج صاحب الزمان عليه السلام^(٢)
- ٢ - باب وجوب التقية في كل ضرورة بقدرها .^(٣)
- ٣ - باب وجوب عشرة العامة بالتقية^(٤) - ويقصد بالعامة أهل السنة -
- ٤ - باب وجوب طاعة السلطان للتقية^(٥)
- ٥ - باب وجوب الاعتناء والاهتمام بالتقية وقضاء حقوق الاخوان المؤمنين .^(٦)
- ٦ - باب وجوب التقية في الفتوى مع الضرورة .^(٧)
- ٧ - باب وجوب كتم الدين عن غير أهله مع التقية^(٨)

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٥ من هذا البحث .

(٢) وسائل الشيعة ٤٥٩ / ٦ (٣) المرجع السابق ٤٦٧ / ٦

(٤) المرجع السابق ٤٧٠ / ٦ (٥) المرجع السابق ٤٧١ / ٦

(٦) نفسه ٤٧٢ / ٦ (٧) نفسه ٤٨٢ / ٦

(٨) نفسه ٤٨٣ / ٦

- ويقصد بالدين مذهب الشيعة ، وغير أهله هم أهل السنة على الخصوص -

٨ - باب تحريم تسمية المهدي وسائر الائمة وذكرهم وقت التقية ، وجواز ذلك مع عدم الخوف (١)

٩ - باب تحريم اذاعة الحق مع الخوف به (٢) - ويقصد بالحق مذهبهم وآراءهم -
١٠ - باب وجوب كف اللسان عن المخالفين وعن أئمتهم مع التقية (٣)

وهكذا نجد أن عشرة أبواب عقدتها شيخهم الحر العاملي في كتابه لتأكيد وجوب التقية وأورد خلالها عشرات الروايات - وقد سبق ذكرها في البحوث الماضية - وكلها تؤكد أن استعمال التقية لإخفاء عقائدهم وما يميزهم من عبادات وأعمال واجب لا يجوز التخلي عنه ، وهذا لا يكون إلا مع أهل السنة ، والذين يطلقون عليهم ألقاباً عديدة مثل : العامة - المخالفون - النواصب .

أما اليهود والنصارى وسائر الكفار فالتقية في إخفاء المعتقد أمامهم جائزة مهما بلغت الضرورة ولا تصبح واجبة حتى وإن تيقن القتل .

وقد خصص الحر العاملي لهذا الموضوع باباً خاصاً من أبواب التقية في كتابه - وجعله تحت عنوان : (باب جواز التقية في إظهار كلمة الكفر كسب الانبياء والائمة عليهم السلام والبراءة منهم ، وعدم وجوب التقية في ذلك ، وإن تيقن القتل) (٤)

فهما بلغت الضرورة في هذه الحالة فالتقية ليست واجبة ، والسبب في اعتبارهم أن هذا المجال تجوز فيه التقية دون وجوب لأنه لا يصدر من أحد من أهل السنه إكراه على سبّ نبي أو إمام ، فأئمة أهل البيت لهم فضلهم ومنزلتهم عند أهل السنة ولا يكون الإكراه في هذا المجال إلا من كافر .

وجعل التقية رخصة جائزة مع المخالفين في الدين والكافرين بالاسلام ، وفرضاً

(١) وسائل الشيعة ٤٨٥/٦

(٢) نفسه ٤٩٢/٦

(٣) نفسه ٤٩٨/٦

(٤) نفسه ٤٧٥/٦

واجباً مع أهل السنة المخالفين في المذهب . . هذا يدل على أنهم يعدُّون أهل السنة أكثر بعداً عنهم من اليهود والنصارى وسائر الكفار ، وينظرون إلى أهل السنة نظرة عداوة أكثر من نظرتهم للكفار .

ثم إن هذا الباب الذي عقده الحر العاملي وخصه لحالات جواز التقية من غير وجوب آورد فيه روايات تؤكد الوجوب وتحذر من ترك التقية ، وهذا يدل على التخيُّط والتناقض فمن الروايات التي أوردها في هذا الباب :

(١) (إن التقية ترس المؤمن ، ولا إيمان لمن لا تقية له)

(٢) (وأمر أن تستعمل التقية في دينك . . وإياك ثم إياك أن تترك التقية . .)

وغير ذلك من الروايات وكلها صريحة في التأكيد على وجوب التقية والتحذير من تركها فكيف يستدل بها على عدم الوجوب الذي أبرزه الحر العاملي هنا ؟
ولنتنقل إلى عالم شيعي آخر لنجده ينص بصراحة على التفريق بين حالات الوجوب والجواز . وهو :

٢ - أحمد الجزائري (٣) (ت ١١٥١ هـ)

وقد ذكر في كتابه (قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالآثر) أن التقية ثلاثة أقسام فقال : (وأصحابنا قسموا التقية إلى ثلاثة أقسام :

الاول : حرام ، وهو في الدماء فإنه لا تقية فيها ، فكل ما يستلزم إباحة دم لا يجوز قتله شرعاً لا يجوز التقية فيه ، لأنها إنما وضعت لحقن الدم فلا تكون سبباً لإباحته

(١) وسائل الشيعة ٤٧٧/٦ الرواية رقم ٠٦

(٢) نفسه ٤٧٨/٦ - ٤٧٩ الرواية رقم ٠١١

(٣) هو أحمد بن اسماعيل الجزائري النجفي ، أصله من جزائر خوزستان ، يقول عنه البحراني : (كان فاضلاً محققاً مدققاً له جملة من التصانيف ، منها كتاب آيات الأحكام ، جيد نفيس راعى فيه الأخذ بالروايات ، وكتاب شرح التهذيب) راجع ترجمته في : لؤلؤة البحرين للبحراني ص ١١١ - ١١٢ ، الأعلام للزركلي

الثاني : اباحتها ، وهو في اظهار كلمة الكفر .

الثالث : وجوبها ، وهو ما عدا القسمين المذكورين ، والادلة الدالة على ذلك كثيرة . .

ونقل على ذلك إجماع الطائفة المحقة ، وهذا مع تحقق الضرر بتركها وأما مع عدمه فقد تكون مستحبة (١) .

ولنناقش هذا النص من خلال النقاط التالية :

١ - التقية عند الجزأى تتردد بين الأحكام الأربعة التالية :

فهى محرمة : اذا كانت ستؤدي الى قتل النفس بغير الحق

ومباحة : في اظهار كلمة الكفر عند الاكراه (وهو اكراه لا يصدر الا من كافر) .

وواجبة : فيما عدا هذين القسمين عند تحقق الضرر (أى من جهة أهل السنة .

ومستحبة : اذا انتفى الضرر (٢) .

ويلاحظ على الاحكام السابقة أن حالات التحريم والاباحة محددة بدقة ومستثناء من الوجوب الذى يعتبر حالة عامة فى نظرهم .

٢ - ادعاه اجماع الشيعة (الذين يسميهم الطائفة المحقة) على هذه الأحكام ادعاء لا أساس له من الصحة ، فقد ثبت لنا اختلاف علمائهم المتقدمين فى أحكام التقية وعدم اتفاقهم على قول واحد فيها من خلال ما استعرضناه من فتاوى .

(١) قلائد الدرر ٢ / ١٩٧ .

(٢) سوف نتعرض لقولهم باستحباب أو جواز التقية فى حالات الأمن ونناقش ذلك تفصيلىا . راجع الفقرة القادمة : حد الضرورة فى استخدام التقية عند هم . ص ٣٣١ / من هذا البحث .

٣ - ان ايجابه للتقية مع أهل السنة وجعلها جائزة من غير وجوب مع الكفار ولو
تيقن القتل تفريق لادليل عليه أبداً ، فالأدلة تدل على جواز التقية وأنها
رخصة فقط.

وليس هناك من الأدلة الصحيحة ما يدل على الوجوب أبداً^(١)، الا ما اخترعوه
من روايات امتلأت بها كتبهم وادعوا نسبتها لأئمة أهل البيت.
وانا قال قائل منهم ان هذا التفريق سببه أن الشيعة تعرضوا للاضطهاد
على يد أهل السنة أكثر مما تعرضوا له من جهة الكفار ، فهذا ليس بحجة
تدعوهم للتفريق بين الجواز والوجوب في حكم التقية ، لأن الذي يؤمن بأن
ما يعتقد، هو الحق حرياً به أن يتحمل في سبيله الأذى ولا يثنيه عن دعوته
أنواع الاضطهاد مهما كان سببه ومصدره سواء كان من أعدائه في المذهب
أو أعدائه في الدين .

والامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعرض للايذاء الشديد ليرجع عن عقيدته
في القرآن الكريم وكان هذا الاضطهاد بتحريك وكيد من المعتزلة أعدائه في المذهب،
ومع ذلك لم يتراجع عما يعتقد بل ثبت، وكانوا يطلبون منه كلمة واحدة^(٢) ولكنه أثار
رضاء الله على رضاء الناس وأثر عذاب الدنيا على أن يضل الناس بقول فينا له عذاب
الآخرة .

نعود فنقول : يكفي لاثبات التناقض والتضارب بين أحكامهم أنهم يفرقون بين
الوجوب والجواز دون سبب لهذا التفريق مادام الجامع لكل ذلك الخوف .
وهكذا يتبين لنا أن القول بوجوب التقية هو الأصل في أحكامها عند علماء

(١) راجع ذلك عند الحديث عن أدلة جواز التقية عند أهل السنة ص / ٥٥

(٢) تعرضنا للقصة تفصيلاً . وهي محنة القول بخلق القرآن الكريم . راجع ص / ١١٢

من هذا البحث .

الشيعة وبهذا قال كثير من علمائهم القدماء ، كما قال بذلك اثنان من أبرز علمائهم
 المتأخرين وهما الحر العاملي والجزائري ، وكل الحالات الأخرى ما هي الا حالات
 مستثناة من الوجوب الذي يوافق رواياتهم الكثيرة في ذلك .
 والآن لنرى ما هو موقف علمائهم المعاصرين من هذه الفتاوى التي نص عليها
 اسلافهم ؟

حكم التقية عند علماء الشيعة المعاصرين :

علماء الشيعة المعاصرون واجهوا انتقادات كثيرة من علماء أهل السنة فيما يتعلق بعقائدهم وآرائهم ووجدوا أنفسهم أمام موروثات كبيرة من عقائد سطرها أسلافهم ونادوا بها ولكنها اليوم مرفوضة لا يقبلها عاقل، فماذا يفعلون وهم تابعون لمن قبلهم لا يستطيعون أن ينكروا ما أورده أسلافهم من روايات على السنة الأئمة وما نسجوه من عقائد ميزت الشيعة على مر العصور، ومن هذه العقائد قولهم بوجوب التقية وأنها من الأصول وأنه لا دين لمن لا تقية له وأنها تسعة أعشار الدين وغير ذلك . . .

اذن فماذا فعلوا ؟ وكيف كانت فتاواهم في حكم التقية ؟

لقد تعددت مسالكهم في ذلك وبرزت تناقضاتهم في محاولة إخفاء حقيقة غلوهم بالتقية .

ولم نجد أحدا منهم وهو يتحدث عن التقية ذكر لنا ذلك الحشد الضخم من الروايات التي كان يذكرها أسلافهم في فضل التقية ومنزلتها ومكانتها السامية ، وإنما كان جهدهم الأكبر هو محاولة إظهار التقية مبدأً متفقاً عليه إسلامياً ، وتجميع ما عند أهل السنة من نصوص في هذا المجال مع التوفيق قدر المستطاع بين تلك النصوص عند أهل السنة وبين قولهم بوجوب التقية ، وقد تعددت مسالكهم في هذا المجال وأبرزها :

المسلك الأول : القول بوجوب التقية عند الخوف

وقد سلك هذا المسلك الشيخ (محسن الأمين) حين رأى أن التقية واجبة عند حصول الخوف محرمة عند عدمه فقال :

(حكم التقية أنها واجبة عند حصول الخوف محرمة عند عدمه)

ثم قال : (والدليل عليها : العقل والنقل ، فقد قضى العقل بجواز دفع الضرر بها بل بلزومه واتفق عليها جميع العقلاء ، ونص عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة)^(١) .

(١) الشيعة بين الحقائق والالوهام ص / ١٨٦ .

ثم أورد بعض الأدلة التي سبق ذكرها عند الحديث عن موقف أهل السنة من التقية وأورد أقوال علماء أهل السنة بجواز التقية عند الإكراه محاولاً إظهار التوافق بين أهل السنة والشيعة في حكم التقية. إلى أن قال : (ظهر بما تلوناه عليك أن التقية مما قضى به العقل وفعله كافة العقلاء واجازه وأمر به النقل حتى في أظلم الأفعال والأقوال وأشنعها - يقصد التلغظ بكلمة الكفر عند الإكراه - وأن في تركها مخالفة لقوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)^(١) وأنها نوع من أنواع الضرورات التي تباح لأجلها المحظورات)^(٢).

ونلاحظ أن الشيخ محسن الأمين يورد الأدلة على جواز التقية في معرض دفاعه عن الشيعة وكأنه يريد على من ينكر جوازها كلية ، ثم يستخدم هذه الأدلة للوصول إلى النتيجة التي توافق مذهبه وهو وجوب التقية ، وبذلك يوافق أسلافه من علماء الشيعة القدماء الذين أطلقوا القول بوجوب التقية وخاصة الشيخان الصدوق والطوسي لكنه يعرض هذا الوجوب بأسلوب آخر مع إخفاء الحشد الكبير من الروايات التي ترفع من شأن التقية وتعلي من قدرها ومنزلتها .^(٣)

المسلك الثاني : تقييد وجوب التقية :

وهو مسلك يشابه ما سار عليه الشيخ المفيد من قبل حيث اعتبر أن للتقية أحكاماً ثلاثة الوجوب والجواز والحرمة .

-
- (١) سورة البقرة آية / ١٩٥ - وانظر ص / ٢٣٨ لابطال الاستدلال بهذه الآية على وجوب التقية
- (٢) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٨٦ .
- (٣) يهدف محسن الأمين من ذلك إلى التخفيف من حقيقة غلوهم بالتقية وإظهارها بلباس إسلامي يوافق أهل السنة ، لأنه في معرض الرد على موسى جبار الله الذي كشف الحقائق الخفية من عقائد الشيعة وألف كتاباً أسماه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة) . فجاء كتاب (الشيعة بين الحقائق والأوهام) لمحسن الأمين رداً عليه .

وأبرز من قال بذلك من علماء الشيعة المعاصرين الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، والشيخ محمد رضا المظفر مع اختلافات طفيفة في الفتوى بينهما .
فالشيخ كاشف الغطاء^(١) يذكر الأحكام الثلاثة للتقية دون أن يرجح حكماً على غيره، أما المظفر فانه يجعل الوجوب هو الأصل كما سنرى .
يقول الشيخ كاشف الغطاء :

(العمل بالتقية له أحكامه الثلاثة : فتارة يجب ، كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة . وأخرى : يكون رخصة كما لو كان في تركها والتظاهرها بالحق نوع تقوية له فله أن يضحي بنفسه وله أن يحافظ عليها . وثالثة : يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل واضلال الخلق واحياء الظلم والجور^(٢))
ثم يقول :

(لا يغيبن عنك ذكر الحسين وأصحابه . . هؤلاء وجدوا العمل بالتقية حراماً عليهم ، وقد يجد غيرهم العمل بها واجبا ، ويجد الآخرون العمل بها رخصة وجوازاً ، حسب اختلاف المقامات وخصوصيات الموارد^(٣)) .
وأهم ما يلاحظ على هذه الفتوى محاولة عدم ترجيح حكم على آخر ، حيث اعتبر الوجوب أحد أحكام التقية وليس هو الأصل في حكمها، وهذا لم يفعله أحد من علماء الشيعة القدماء لأن الشيخ المفيد الذي ذكر للتقية أحكاماً ثلاثة جعل الأصل في حكمها الوجوب عند خوف الضرر فاذا انتفى الضرر صارت جائزة .

(١) محمد حسين بن علي كاشف الغطاء فقيه إمامي عراقي من أهل النجف ، ولد عام ١٢٩٤ هـ . وتوفي ١٣٧٣ هـ ، انتهت اليه الرئاسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة أخيه أحمد بن علي . صنف كتباً كثيرة منها : الدين والاسلام - الآيات البينات - التوضيح في بيان ما هو الانجيل ومن هو المسيح - أصل الشيعة وأصولها - وله ديوان شعر . (الاعلام للزركلي ١٠٦ / ١) .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص / ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص / ١٩٥ .

والظاهر أن هذا القول من كاشف الغطاء صدر تقية وليس اجتهداً تميز

به عن باقي علماء الشيعة .

ولذلك لا نجد كاشف الغطاء يعرج على شيء من الروايات التي تتحدث عن منزلة التقية وجوبها ولا نجده يذكر شيئاً من فتاوى أسلافه الذين هم عمدة المذهب عند الشيعة .

أما الشيخ محمد رضا المظفر^(١) فإنه فتح باب الربط بالقديم من رواياتهم وفتاواهم كما سنرى من خلال فتواه التالية :

(للتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر . وليست هي بواجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال ، كما إذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام وجهاد في سبيله فإنه عند ذلك يُستهان بالأموال ولا تعز النفوس .

وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة ، أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين باضلالهم أو افشاء الظلم والجور فيهم)^(٢) .

وبعد أن ذكر الأحكام الثلاثة للتقية رجّح وجوبها وفرضيتها إتباعاً لأوامر الأئمة فقال : (وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند الى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية فإننا نقول له :

(١) محمد رضا المظفر : فقيه إمامي من أهل النجف ، ولد عام ١٣٢٢ هـ ، وتوفي

عام ١٣٨٤ هـ وله كتب كثيرة منها : أصول الفقه - السقيفة - عقائد الامامية -

كتاب في المنطق . (راجع الأعلام للزركلي ٦ / ١٢٧) .

وله أخوان من علماء النجف أيضاً هما : محمد حسن ، محمد حسين

(الأعلام ٦ / ١٠٧) .

(٢) عقائد الامامية ص / ٨٧

إننا متبعون لأئمتنا عليهم السلام ، ونحن نهتدى بهداهم ، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة ، وهى عندهم من الدين ، وقد سمعت قول الصادق عليه السلام "من لا تقية له لا دين له" (١)

فالنتيجة التى توصل اليها إنذاً أن التقية واجبة وأن الشيعة متبعون فى ذلك للأئمة الذين أمروهم بها وفرضوها عليهم وجعلوها من الدين .

أما الجواز والحرمة فهى بعض حالات مستثناه من الوجوب ، وفى غير هذه الحالات تعتبر التقية عندهم من الفرائض التى لا يتم دين المرء إلا بالأخذ بها والحرص عليها .

المسلك الثالث :

التفاضي الكامل عن روايات اسلافهم وفتاواهم وكأنها غير موجودة ، والادعاء بأن

حكم التقية هو الجواز وأن هذا يتفق عليه السنة والشيعة .

والذى سلك هذا المسلك هو : (محمد جواد مغنية) (٢) فى (التفسير الكاشف) فقد قال :

(استناداً الى كتاب الله وسنة نبيه المتواترة أجمع السنة والشيعة قولاً واحداً على جواز التقية) (٣)

وبعد أن نقل أقوال أئمة أهل السنة فى حكم التقية أراد أن يبرز أن فقهاء الشيعة لم يشذوا فى ذلك ، وانما وافقوا أهل السنة فى حكم التقية . فقال :

(خلاصة ما قالوه - أى فقهاء الشيعة - أنها تجوز لرفع الضرر عن النفس ، ولا تجوز لجلب المنفعة ولا لإدخال الضرر على الغير) (٤)

وفى كتابه (الشيعة فى الميزان) نقل حكم التقية من كتب أهل السنة ثم قال معلقاً على ذلك : (وهذا الذى قالوه هو بعينه ما تقوله الامامية) (٥)

(١) المرجع السابق ص / ٨٨

(٢) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث

(٣) التفسير الكاشف ٤٢/٢

(٤) المرجع السابق ٤٢/٢

(٥) الشيعة فى الميزان / ص ٥١

ولا يدري الباحث كيف سيعلق على هذا الكلام ويردُّ على هذا الكذب المفحوق^(١) الذي

يصدر ممن ينصب نفسه مفسراً لكتاب الله وناشراً لعلوم أهل البيت

ولو نسب هذا القول لنفسه لكان الأمر هيناً ، ولقلنا لعله اجتهد في ذلك الحكم

بما يوافق أهل السنة ويخالف مذهب الشيعة ،

ولكنه لم يعتبر هذه الفتوى اجتهاداً خاصاً به بل جعلها قولاً وعقيدة للشيعة الإمامية

وكأنهم اتفقوا على ذلك منذ أقدم عصورهم لم يشذ منهم أحد !!

ولو كان مغنية يريد أن يُظهر لأهل السنة عدم غلو الشيعة في التقية ، ليـزـداد

التقارب بينهما وتزول الجفوة ، فالواجب أن لا يسلك سبيل الخداع الذي لا يخفى على

أى باحث يطلع على روايات الشيعة في منزلة التقية ، ويرى فتاواهم في وجوبها وأهميتها

وهذا إنما يدلُّ على أن علماء الشيعة المعاصرين قد تقهقروا كثيراً

أمام كتابات علماء أهل السنة وكشفهم لخفايا العقائد الشيعية ، مما جعلهم يشعرون

بالخطر على مستقبل التشيع من خلال تهافت عقائد هم ، وخاصة غلوهم بالتقية

والأغرب من ذلك أن مغنية الذى يستخدم هذه التقية لاختفاء شذوذ الشيعة في التقية

هو نفسه الذى يدّعي في أكثر من موضع في كتبه أن عهد التقية اليوم قد ولّى ، ولم يعد

الشيعة بحاجة الى استخدامها ، حيث لا خوف عليهم ولا هم يرهبون !!^(٢)

(١) لعل القارئ يستنكر هذه الكلمة التى لا تليق بطبيعة البحث العلمي الجاد ،

ولكنني في الواقع لم أجد كلمة غيرها تليق بوصف هذا الخداع الذى يقوم به مغنية

ظناً منه بأن القراء والباحثين لن يتعرفوا على عقائد الشيعة الا من خلال كتاباته ،

وأظن أن القارئ لم يغيب عن ذهنه ما ذكرناه عن التقية الشيعية في المباحث

السابقة وان من تركها فهو بمنزلة من ترك الصلاة ، كما اننا سنذكر استخدامهم

التقية في مجال الرواية والفقه والفتوى ، وغير ذلك مما يؤدي الى تهديم الدين

وتضييع أحكامه .

فهل يبقى بعد ذلك شك في أن التقية الشيعية شيء آخر يختلف تماماً عن قول أهل

السنة فيها ؟

ويبلغ التناقض أشده إذا قارنا قول مغنية الذي يدّعي فيه التوافق بين أهل السنة والشيعة في حكم التقية — أي أنها عند الشيعة رخصة جائزة وليست واجبة — بقول عالم آخر من علماء الشيعة المعاصرين الذي يؤكد على أن الشيعة أجمعوا قولاً واحداً على وجوب التقية ولزومها. يقول محمد حسين المظفري :

(أما إجماع الشيعة على المشروعية ، بل الوجوب فلا نقاش فيه لنذكر مصادره ، لأن أمر التقية ولزومها عند أهل البيت وشيعتهم لا يختلف فيه اثنان) (١) .
وليحكم القارئ بعدئذ بنفسه على مزاعم مغنية .

حد الضرورة في استخدام التقية عندهم

الروايات التي ذكرناها في المبحث الثاني الخاص بأهمية التقية والحض عليها والتحذير من تركها . . . كل هذه الروايات لا نجد فيها تحديداً للحالات التي تسوّغ للشيعي استخدام التقية والتمسك بها ، وهل هي حالة الضرورة والشدة أم في كل الحالات والظروف ؟

ثم بعد أن استعرضنا رواياتهم في التقية انتقلنا الى فتاواهم ، وهي كما قلنا مضطربة فبعضها لا يتكلم عن الضرورة إطلاقاً وبعضها يتكلم عنها بدون تحديد .
والذي استوقفنا في هذه الفتاوى قول الشيخ المفيد :

" فمتى لم يعلم ضرراً باظهار الحق ، ولا قوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية " (١)
أى أن التقية واجبة عند الضرورة مباحة في حالات الأمن وانتفاء الضرر
فاستخدام التقية عندهم ليس قاصراً على حالات الضرورة ، بل هو عام حتى في الحالات العادية .

ومما يؤكد ذلك الرواية التالية التي ينسبونها للإمام جعفر الصادق :
روى الحسن بن محمد الطوسي في (مجالسه) بسنده عن الامام الصادق أنه قال :
(عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع مَنْ يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره) (٢)
وهذه رواية صريحة في التأكيد والحث على استخدام التقية حتى في حالات الأمن وانتفاء الخطر .

وما هذا الذي ينسبونه الى الامام الصادق - وحاشاه من ذلك - إلا الأمر بالكذب والتدريب على النفاق حتى يصير ذلك الكذب سجية وطبيعة عند الشيعي ولو مع أهل مذهبه لكي يعتاد على التقية ويألفها ولا ينفر منها ، فاذا فوجئ بخوف وانتقل الى حالة الضرورة تحول حكم التقية بالنسبة له من الاباحة والندب الى الوجوب ، فلم يجد عناء من استعمالها لأنه اعتاد عليها وصارت طبيعة من طبائعه وسجية من سجايه !!

(١) شرح عقائد الصدوق ص / ٦٦ وقد ذكرنا سابقاً نص الفتوى مع مناقشتها والتعليق

عليها . راجع ص / ٣١٠ من هذا البحث .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ٦ / ٤٦٦ .

وهذا ما ذكره فعلاً أحد علمائهم في مطلع القرن الثاني عشر الهجري وهو الشيخ أحمد الجزائري (ت ١١٥١ هـ) في فتواه التي مرت بنا قبل صفحات ، والتي نص فيها على اجماع الطائفة عندهم على وجوب التقية - فيما عدا القتل و اظهار كلمة الكفر - عند تحقق الضرر ، وأما مع عدمه فقد تكون مستحبة (١)

ولكن الغريب حقاً أن الحر العاملي (ت ١٠٤٠ هـ) بعد أن ينقل لنا الرواية السابقة عن الصادق والتي فيها الحث على استعمال التقية في حالة الأمن ، نجده في الصفحة المقابلة لها تماماً يضع عنواناً لباب جديد وهو (باب وجوب التقية في كل ضرورة بقدرها ، وتحريم التقية مع عدمها) (٢) ثم يذكر بعض الروايات التي ليس فيها أي نص على تحريم التقية عند عدم الضرر، فماذا يكون موقف الباحث تجاه هذا التناقض الذي يثير الدهشة ؟!

كيف ينقل لنا هذا الشيخ قول الصادق في الحث على التقية عند الأمن ثم يضع بجانب هذه الرواية عنواناً بارزاً بتحريم التقية عند الأمن ؟!

وهل هناك تفسير لهذا التناقض الا أنه يريد استخدام هذه التقية في إخفاء حقيقة حكمهم فيها حتى اذا رجع أي باحث الى كتابه هذا استخلص من هذه العناوين البارزة حكمهم في التقية وخفي عليه حقيقة غلوهم فيها !! فهي تقية على التقية .

حتى الروايات التي أتى بها ونسبها الى الأئمة في تقدير الضرورة ، ليس فيها أي تقدير لحد الضرورة التي تصبح من أجله التقية واجبة

فقد نقل عن الكليني الذي روى بسنده عن أبي جعفر (ع) أنه قال :

" التقية في كل ضرورة ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به " (٣)

وروى الكليني أيضاً عن أبي جعفر قال :

" التقية في كل شيء يضطر اليه ابن آدم فقد أحله الله له " (٤)

(١) قلائد الدرر للجزائري ١٩٧ / ٢ وراجع نص فتواه ص ٣٢٠ في هذا البحث

(٢) وسائل الشيعة ٤٦٧ / ٦

(٣) (٤) المرجع السابق ٤٦٨ / ٦ وراجع الكافي للكليني ٢ / ٢١٩ - ٢٢٠

وهاتان الروايتان لا تذكران للضرورة أى ضابط بل هى متروكة لمزاج الأفراد وتقديرهم الشخصى وهذا ما صرح به محمد جواد مغنية - وهو أحد علماء الشيعة المعاصرين حين قال :

(ليس للاضطرار ضابط خاص يرجع اليه الفقيه ، وانما يختلف باختلاف الاشخاص والعوامل الخارجية ، والدوافع النفسية ، فرب حالة تعد اضطراراً بالقياس إلى انسان دون غيره ، بل رب حالة تكون اضطراراً لانسان فى مورد ولا تكون اضطراراً له فى مورد آخر ، ولذا قيل : لكل مقام مقال ، ولكل سؤال جواب ، ولكل حادث حديث) (١)

ثم عرف لنا الاضطرار بتعريف لا يزيده إلا إبهاماً وخفاء فقال :

(وعلى أى الاحوال فليس معنى الاضطرار أن يكون الانسان مجبراً على الفعل ، على نحو لا يكون له معه مندوحة الى الترك ، فان الفعل - والحالة هذه - لا يتصف بحسن أو قبح ، ولا يحكم عليه بحل أو تحریم ، لأنه خارج عن القدرة والاختبار . وانما المقصود من الاضطرار أن يكون الانسان قادراً على الفعل والترك معا ، لكنه يختار الفعل لعامل خارجي أو دافع نفسي) (٢) !!

والمأمل لهذا التعريف يجد أن الضرورة عند هم ليس لها ضوابط شرعية وانما تخضع للعوامل الخارجية والدوافع النفسية والرغبات الشخصية ، ويستقل كل انسان بتقديرها لنفسه دون أن نجد عند فقهاءهم تحديداً لحالات الضرورة الرئيسية بحيث يقيس كل مضطر حالته عليها ، كما هى مفصلة عند أهل السنة . (٣)

وهكذا ينتهى المذهب الشيعى الى تفويض الأفراد لأنفسهم وأهوائهم فى أخطر مسائل الشريعة وهى قضية الحلال والحرام ، إذ ان الضرورات تبيح المحظورات ، وما داموا قد تركوا للفرد تقدير الضرورة التى يحل له فيها فعل المحرمات ، فانهم يكونون بذلك قد

(١) (٢) الشيعة فى الميزان ، لمحمد جواد مغنية ص / ٣٦١ - ٣٦٢

(٣) رأينا فى الباب الأول - عند الكلام على موقف أهل السنة من التقية كيف

فصل أهل السنة البحث فى حالات الاضطرار وأحكامها ، ووضعوا لها

ضوابط دقيقة حتى لا يصبح أمر الحلال والحرام تبعاً لأهواء الناس .

أباحوا لأتباعهم فعلها بناءً على تقديراتهم الشخصية التي غالباً ما تكون خاضعة للأهواء ،
ولا شك أن في هذا هدماً للشريعة .

ولا يقدح في هذه النتيجة التي توصلنا إليها ذكر محمد جواد مغنية للمثال التالي
عقب تعريفه للضرورة حيث يقول : (كمن لا يملك الا ثوباً واحداً يستتر به ، فاضطره
الجوع الى بيعه ليشتري بثمانه رغيفاً يسد رمقه ، ويقيم أوده) (١)

فلا يعدو أن يكون هذا القول مثلاً من أمثلة الضرورة ، وليس فيه تحديداً لمعنى
الدوافع النفسية التي أطلق لفظها دون تحديد أو تقييد .
ولا شك أن هذا المثل مما يدخل في حالات الضرورة التي حددها أهل السنة ،
مع أن الخلاف الجوهرى الذي يبرز من أقوال مغنية هو ترك الضرورة لتقدير الأفراد بحسب
العوامل الخارجية والدوافع النفسية على حد تعبيره

ولعل تفاضليهم عن تفصيل حالات الضرورة ، والبحث فيها ، وبيان أحوالها ، يرجع
الى أن ذلك سيؤدى الى جعل استخدام التقية استثناءً في حياة الانسان ، وليست
أصلاً . وبذلك تخرج التقية من كونها أصلاً من أصول الدين الى حالة استثنائية
ورخصة وهذا ما يخالف الحكم الذى قرروه ابتداءً بالنسبة للتقية حيث جعلوها تسعة
أعشار الدين ، وأنه لا دين لمن لا تقية له !

دار التقية وأحكامها :

ويقصدون بدار التقية كل دار قبل قيام القائم ، الذي هو إمامهم الغائب (محمد بن الحسن) فالواجب على كل شيعي أن يلتزم بالتقية حتى يرجع هذا الغائب فيملاً الأرض عدلاً ، ويدافع عن الشيعة (كما يزعمون) وينتصر لهم ويقتص من أعدائهم . ولا يجوز للشيعي أبداً أن يترك التقية قبل خروج القائم وعودته من غيبته

(روى علي بن الحسين بن خالد قال : قال الرضا (ع) :

لا دين لمن لا ورع له ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم وأعملكم بالتقية ، فقليل له : يا ابن رسول الله الى متى ؟

قال : إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم خروج قائمنا ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا (١)

فلا يجوز عندهم ترك التقية حتى يخرج القائم ، وهناك روايات أخرى صرحت بذلك

وأكدت على ضرورة الالتزام بالتقية في دار التقية ، ومنها :

ما رواه الكليني بسنده (عن حبيب بن بشر قال : قال أبو عبد الله (ع) :

سمعت أبي يقول : لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب الى من التقية الى أن قال : يا حبيب إن الناس إنما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا (٢)

أي فلو كان ظهور القائم كان ترك التقية والاستغناء عنها لأن الهدنة تنتهي ويرفع الشيعة السلاح في وجه مخالفيهم .

والعمل بالتقية في دار التقية تشتد الحاجة اليه كلما اقترب وقت ظهور القائم

وهذا ما رواه الكليني بسنده (عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) قال :

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى ، للفضل بن الحسن الطبرسي ص / ٤٠٨

ورواه أيضاً شيخهم الصدوق ابن بابويه القمي في كتابه : إكمال الدين واتمام

النعمة في إثبات الرجعة ص / ٢١٠

(٢) الأصول من الكافي ٢ / ٢١٧

(كلما تقارب هذا الأمر كان أشد للتقية) ^(١) ويقصدون بهذا الأمر ظهور القائم وعودته من غيبته .

ومادام الشيعة في دار التقية فهناك أحكام لهذه الدار يجب عليهم أن يتقيدوا بها لأن أئمتهم المعصومين (في نظرهم) أمروهم بها ، ومن هذه الأحكام :

١- عدم رفع راية قتال ضد عدو في دار التقية :

بل يجب عليهم الخضوع والطاعة لمن يحكمهم من أعدائهم ، ويعتبرون هذا الخضوع مؤقتاً لأنهم يأملون في رجعة الامام الحق الذي سيسترد لهم حقهم المسلوب وكل من يرفض هذا الخضوع ويرفع راية للقتال قبل خروج القائم فهو عندهم طاغوت يُعبد من دون الله . ولنستمع إلى روايتهم في ذلك :

عن أبي عبد الله جعفر الصادق قال : (كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله) ^(٢) !!

(١) الأصول من الكافي ٢٢٠ / ٢

(٢) وسائل الشيعة ٣٧ / ٦

وإذا كانت كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله فما ندري كيف يرفع الشيعة الامامية اليوم في إيران بقيادة الخميني رايتهم وقيمون ثورة ودولة ؟

فهل يئس الخميني وأتباعه من قيام القائم بعد أن طال انتظارهم له ؟ أو أن تحولوا في عقيدة الشيعة حدث اليوم على يد الخميني الذي تخلى عن هذا المبدأ الهام والعقيدة الأساسية من عقائد الشيعة ؟ أم أن هذه العقيدة - وهي عدم رفع السلاح حتى يقوم القائم - يُظهرونها تقية أمام مخالفيهم ليأمنوا جانبهم ، والشيعة في أثناء ذلك يُعدون العدة ليكونوا على أتم الاستعداد كلما واتتهم الظروف للقيام بثورتهم والتمكين لفرقتهم .

ولعل الذي يشهد على هذا الاحتمال الأخير الدول الشيوعية العديدة التي قامت عبر التاريخ ومنها الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة الحمدانية في حلب ، والدولة البويهية والصفوية وكلها دول قامت قبل عودة القائم في أثناء الفترة التي =

فلا بد لكل شيعي من اتخاذ التقية شعاراً له حتى يرجع القائم فتزول الشدة ويأتي
الفرج . وانتظار هذا الفرج هو أفضل الأعمال عندهم

روى عبد العظيم الحسيني قال : (دخلت على سيدي محمد بن علي - وهو الامام
التاسع عندهم - . . فقال :

إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنتظر في غيبته ، ويُطاع في ظهوره ، وهو الثالث
من ولدي . . ثم قال : أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج (١)

وهكذا يبقى فرض الجهاد معطلاً في عقيدة الشيعة حتى يرجع القائم فيجاهدون
معه أعداءهم ولا يبقى للتقية أثر ولا لدار التقية وجود

روى أبو بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر قال : (كَأَنِّي بِالْقَائِمِ عَلَى نَجْفِ الْكُوفَةِ ،
وقد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ،
والمؤمنون بين يديه ، وهو يفرق الجنود في الأمصار) (٢)

٢- حرمة الدماء والأموال في دار التقية :

روى الصدوق القمي باسناده عن جعفر بن محمد قال :

(لا يحل قتل أحد من الكفار والنصاب في التقية الا قاتل أو ساع في فساد ، وذلك اذا لم
تخف على نفسك ولا على أصحابك) (٣)

وعن الرضا في كتابه الى المأمون قال : (لا يحل قتل أحد من الكفار في دار التقية الا
قاتل أو باغ ، وذلك اذا لم تحذر على نفسك ، ولا أكل أموال الناس من المخالفين وغيرهم) (٤)
فالواجب على الشيعي أن لا يهدر دماً لأحد من أعدائه مادام في دار التقية الا اذا كان
قاتلاً فيقتل أو باغياً يريد الفساد في الأرض .

= يطلقون عليها دار التقية

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي . ص / ٤٠٨

(٢) المرجع السابق . ص / ٤٣٠

(٣) وسائل الشيعة ٦ / ٤٦٤

(٤) وسائل الشيعة ٦ / ٣٥ وراجع ٦ / ٤٦٤

ولذلك لا يحل للشيعة أخذ مال أحد من مخالفة بغير حق حتى ترفع التقية بعودة القائم: (عن العلا بن رزين أنه سأل أبا جعفر - ع - عن جمهور الناس فقال : هم اليوم أهل هدنة ، ترد ضالتهم ، وتؤدي أماناتهم وتحقق دماءهم) (١)

وبانتها هذه الهدنة تحل للشيعة دماء وأموال مخالفيهم لأنه بقيام القائم تنتهي التقية وتتحول ديار المخالفين لهم من المسلمين إلى ديار حرب .

روى الكليني بسنده عن أبي جعفر - الباقر - قال : (إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب فإن دخل فيه بحقيقته والا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها أهل الذمة) (٢)

٣ - لا حنث ولا كفارة في يمين التقية :

إذا حلف الشيعة كاذباً في دار التقية فلا يحنث ولا يكفر عن يمينه ، لأن هذا القسم كان تقية فيباح له أن يكذب في حلفه وقسمه ليدفع الأذى عن نفسه روى الصدوق القمي بإسناده عن جعفر بن محمد قال :

(استعمال التقية في دار التقية واجب ، ولا حنث ولا كفارة على من حلف تقية يدفع بذلك ظلماً عن نفسه) (٣)

والذي يعيش في دار التقية ويصبر على ما يناله من ظلم فأجره عظيم ومنزلته عند الله كبيرة ولذلك ارتفعت منزلة أئمتهم حتى أقسم الله ببعضهم في القرآن الكريم - كما يزعمون - في قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) (٤) فقد قال ابن حرب : (إن الله تعالى لم يكن ليضع التين المأكول ، والزيتون المعصور بهذا الوضع من الشرف والقدر ، فهما لا يعرفان الاحسان) ، ثم اعتبر أن المقصود بهذه الأسماء هم علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وقال : (إن الله

(١) وسائل الشيعة ٣٣ / ٧

(٢) البروضة من الكافي ٢٢٧ / ص

(٣) وسائل الشيعة ٣٥ / ٦ وراجع ٦ / ٤٦٤

(٤) سورة التين / الآيات ١ - ٣

أقسم بهم دون الرسول صلى الله عليه وسلم وإن كان أحق بالتعظيم منهم ، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان في دار العلانية ، وكانت كلمته هي العليا بينما كانوا هم في دار التقية وقد ظلموا ، وأخذت حقوقهم منهم) (١)

وهكذا يظهر أن استخدام الشيعي للتقية في دار التقية من أفضل القربات إلى الله ، وأنهم يتطلعون إلى اليوم الذي ينفضون فيه عن أنفسهم الخوف والتقية ويظهرون العداء السافر لأهل السنة بعد أن كانوا من قبل متظاهرين بالتقرب منهم وأنهم فرقة من فرق المسلمين ومذهب من مذاهبهم .

الفرق بين المداهنة والتقية عند هم :

ذكرنا في الباب الاول عند الحديث عن موقف أهل السنة من التقية أن المداهنة محرمة شرعا وأنها تعنى معاشرة الفاسق أو الكافر مع اظهار الرضا بما هو فيه واقراره على باطله وأن المسلم اذا اضطر الى شئ من ذلك بسبب الاكراه فأظهر للكافر الموافقة فهذه هى التقية .

أما المدارة فانها مشروعة بل مستحبة لانها تعنى الرفق بالجاهل فى التعليم والفاسق فى النهى عن فعله والتلطف به حتى يستخرج الحق منه أو يرد عنه باطله (١) .
لكن علماء الشيعة جعلوا التقية أقرب للمدارة ، وذلك لانها مشروعة فى الاصل عند هم وليست رخصة لحالة خاصة هى حالة الاكراه .

يقول الشيخ محمد بن مكي العاملى (ت ٧٨٦ هـ) المعروف عند هم بالشهيد الاول :
(المداهنة معصية والتقية غير معصية ، والفرق بينهما أن الاول تعظيم غير المستحق لاجتلاب نفعه أو لتحصيل صداقة ، كمن يثني على ظالم بسبب ظلمه ، ويصوره بصورة العدل أو مبتدع على بدعته ويصورها بصورة الحق .

والتقية : مجامله الناس بما يعرفون ، وترك ما يتكرون حذراً من غوائلهم (٢) .
ثم أورد بعض الادلة والروايات المنسوبة لأئمة أهل البيت فى التأكيد على مشروعية التقية وفضلها ومنزلتها عند هم .

وهكذا نجد أن التقية ليست عند هم باب رخصه مستثناه من أصل محرم ، وإنما هى أصل مشروع بذاته ، ولذلك نجد الشيخ العاملى يقسم التقية من حيث الحكم الى خمسة اقسام فهى واجبة فى حالة الضرر ، ومستحبة اذا كان الضرر سهلاً أو كانت تقية فى المستحب ، ومكروهة اذا خاف الالتباس على العوام ، وسحرمة فى القتل ، وسباحة فى المباحات التى ترجحها العامة (٣) .

(١) راجع ص / ١٤٥ من هذا البحث

(٢) القواعد والفوائد للعاملى ١٥٥/٢ تحقيق الدكتور عبد الهادى الحكيم - طبع

النجف ١٩٨٠ م .

(٣) المرجع السابق ١٥٨/٢

الفصل الثالث

تمسك السبعة بالتقية

في إخفاء عقائد هم المنحرف

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حرص السبعة على كتمان عقائد هم

المبحث الثاني : تمسك السبعة بالتقية لإخفاء قولهم بتحريف القرآن الكريم

المبحث الثالث : تمسك السبعة بالتقية لإخفاء طعنهم في الصحابة الكرام

المبحث الرابع : تمسك السبعة بالتقية لإخفاء غلوهم في أئمتهم

تَوْصِيَةٌ

تحدثنا في الفصل الماضي عن أهمية التقية عند الشيعة الإمامية ، وما أورد ومن روايات في منزلتها والحض على التمسك بها والتحذير من تركها ، كما ناقشنا افتراءاتهم على أنبياء الله عليهم السلام بنسبة التقيه اليهم ، ثم استعرضنا أقوال علمائهم فـسـ أحكام التقية وما يتصل بها .

وكل ما ذكرناه عن التقية عند الشيعة ، مع شدة ما فيه من غلو وانحراف ، إلا أنه لا يُبرز الصورة الحقيقية لمعتقدهم في التقية وانحرافاتهم في استخدامها ، لأن هناك جانباً آخر من هذه الصورة سيظهر للقارئ في هذا الفصل ، وابعده من فصل ، وهذا الجانب هو مجالات استخدام التقية عندهم .

ويمكن أن نحصر هذه المجالات في النقاط التالية :

- ١ - استخدامهم التقية في إخفاء عقائد هم المنحرفة .
 - ٢ - استخدامهم التقية في مجالي الرواية والفقـ
 - ٣ - استخدامهم التقية في تفسير بعض المواقف التاريخية التي تعارض انحرافاتهم .
- ولكل مجال من هذه المجالات أسلوب خاص في استخدام التقية عندهم ، كما أن لهم في كل مجال روايات منسوبة لأئمتهم يتخذونها مستنداً لانحرافاتهم وغلوهم .
- وسنتحدث في هذا الفصل عن المجال الأول ، وهو استخدامهم التقية في إخفاء تلك العقائد الشاذة التي تسربت إلى التشيع بفعل أيدي خفية حاكمة على الإسلام ، ثم انتشرت بين الشيعة وأصبحت ذات جذور ثابتة ، وتحولت إلى أصول لعقيدتهم ، وامتلات كتبهم بالروايات والنصوص المؤكدة لها والمدافعة عنها .
- وسنختار من هذه العقائد المنحرفة أخطرها وأكثرها شذوذاً وانحرافاً ، وهي :

- ١ - قولهم بتحريف القرآن الكريم .
- ٢ - طعنهم في الصحابة الكرام .
- ٣ - غلوهم في أئمتهم وتقديسهم لهم .

وإذا كان علماء الشيعة القدماء قد أخفوا هذه العقائد تقية في بعض المواطن ، فانهم كانوا في مواطن أخرى يظهرونها ويدعون إليها ويؤلفون الكتب في الحديث عنها وذلك لما كان هؤلاء يتمتعون به من تأييد الدول الشيعية وحمايتها لهم .

أما علماء الشيعة المعاصرون فانهم كانوا بارعين في إخفاء هذه العقائد والتظاهر بانكارها ولم يكن دافعهم في ذلك الخوف على أنفسهم فحسب ، وإنما كان لهم هدف أهم ، وهو الخوف على فرقته وعقائدهم ، لأن الكثيرين من السذج والبسطاء يلتفتون حولهم بدعوى محبة أهل البيت ، ولما طلعوا على الانحرافات الخطيرة في العقيدة الشيعية لما ترددوا لحظة في التخلي عن التشيع والابتعاد عنه .

ولكن تنجح خطتهم في إخفاء هذه العقائد المنحرفة والتظاهر بانكار وجودها ، ولا يساور أحداً أي شك في أن هذا الانكار منهم كان تقية ، طلعوا علينا بقول جديد ، وهو أن عهد التقية اليوم قد ولّى بعد أن ولّى زمن الخوف والاضطهاد ، وأنه لا أثر للتقية اليوم عند الشيعة حيث لا خوف عليهم ولا هم يرهبون !!^(١)

وأبرز من قام بهذا الدور محمد جواد مغنية ، الذي بذل كل ما في وسعه لإخفاء الوجه الحقيقي للفكر الشيعي ، والتظاهر بمطابقة هذا الفكر أو مقارنته لعقيدة أهل السنة .

ولذلك كان لزاماً علينا أن نميط اللثام عن هذا الدور الخطير الذي يهدف علماء الشيعة من ورائه الى إعادة ثقة الناس بهم ، بعد أن عرف الناس أن التقية الشيعية تبيح لكل فرد من الشيعة أن ينكر أي شيء وأن يقرب أي شيء دون حرج ولا تردد ، مادام هذا الإنكار أو الإقرار داخل في باب التقية ، بل إن هذا العمل عندهم عبادة جليلة يتقربون بها الى الله ، لانه لا دين لمن لا تقية له ! .

(١) راجع : التفسير الكاشف لمغنية ٢/ ٤٤ - الشيعة في الميزان لمغنية ص/ ٣٤٥ - الامام الصادق لمحمد حسين المظفري ص/ ٩٩ - أضواء على خطوط محيبي الدين العريضة لعبد الواحد الانصاري ص/ ١٦٨

ولكى يثبت للقارئ أن إنكار علماء الشيعة المعاصرين لهذه العقائد المنحرفة ليس على حقيقته بل هو للتقية ، لا بد لنا من إثبات رسوخ هذه العقائد الباطلة عند الشيعة ، والسير مع تاريخ انتشارها بينهم جيلاً بعد جيل حتى غدت عندهم من ضرورات التشيع وميزات .

ولعلنا لانكون قد خرجنا عن موضوع البحث ونحن نستعرض تأصل هذه الانحرافات عندهم ، لأن هذا أمر لا بد منه لإثبات استخدامهم التقية في هذا المجال .

وقبل أن أبدأ الحديث عن استخدامهم التقية في إخفاء عقائدهم المنحرفة ، لا بد من الحديث عن أهمية كتمان العقائد عندهم وحرصهم على التستر والتخفي ، وما نسبوا لأئمتهم من روايات في الحض على كتمان أسرار الدين عن غير الشيعة وعن لا تتحمله عقولهم من عامة الشيعة وهذا ما سنجده في المبحث الأول من هذا الفصل :

البحث الأول حرصهم على كتمان عقائدهم

يعرّف علماء الشيعة الكتمان بأنه (إخفاء أحاديث الأئمة وأسرارهم عن المخالفين عند خوف الضرر عليهم وعلى شيعتهم ، وكتمان أسرارهم وغوامض أخبارهم عن لا يحتمله عقله) (١)
فالكتمان نوعان : كتمان لأحاديث الأئمة عن المخالفين للشيعة ، وكتمان لغوامض أخبار الأئمة عن كل مَنْ لا يحتملها عقله من عامة الشيعة .
والبحر في كتمان روايات الأئمة سيرة عند الحديث عن التقية في مجال الرواية ولكننا هنا سنبرز ما يسمونه أسرار الأئمة وغوامض أخبارهم ، وهذه الأسرار والأخبار هي العقائد المنحرفة التي ينسبونها للأئمة ويحرصون على التستر عليها وإخفائها حتى عن عامة الشيعة ، وأمثال هذه العقائد والأسرار هي الدين الذي يتمسك به الشيعة .
ولذلك نجد الحر العاملي أفرد باباً خاصاً من أبواب التقية ، وجعله بعنوان :
(باب وجوب كتم الدين عن غير أهله) (٢) وقد سبقه الكليني إلى ذلك في كتابه الكافي حينما أفرد باباً خاصاً للكتمان (٣) ، أورد فيه ستة عشر رواية منسوبة لأئمتهم في الحث على كتمان الدين والتحذير من إذاعته .

فمن ذلك ما رواه بسنده عن سليمان بن خالد قال :

(قال أبو عبد الله - ع - : يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزّه الله ، ومن أذاعه أذلّه الله) (٤)

ولا يجيد المرء من تبرير لهذا الحرص الشديد على الكتمان إلا أن يكون عندهم من العقائد والأسرار ما لا يقدرون على إظهارها خشية افتضاح أمرهم ، ولذلك يسترونها حتى أمام العوام من أتباعهم لئلا ينغروا منهم ويتفرقوا عنهم ، ولأجل ذلك كان علماءهم يتقون عامتهم بهذا الكتمان أكثر من اتقائهم للمخالفين .

(١) ذكر هذا التعريف المعلق على أصول الكافي علي أكبر الغفاري ٢٢٢/٢

(٢) وسائل الشيعة ٤٨٣/٦

(٣) الأصول من الكافي ٢٢١/٢

(٤) المرجع السابق ٢٢٢/٢

والكتمان والتستر على الأخبار والعقائد المنسوبة للأئمة يعتبر فرضاً لازماً عندهم وهذا ما نجده واضحاً في كثير من الروايات التي يذكرها الكليني وغيره في الحظ على الكتمان والتحذير من تركه . ولنستعرض بعضها :

١ - روى الكليني بسنده عن خالد بن نجيع قال :

(قال أبو عبد الله - ع - : إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أن لسه الله) (١)

ويوضح المعلق على الكافي ما يقصده به بالميثاق فيقول :

(أي العهد الذي أخذ الله ورسوله والأئمة عليهم السلام أن يكتموه عن غير أهله) (٢)

ولا نملك حيال هذا النص إلا أن نتساءل :

أين هو هذا الميثاق والعهد المزعوم ؟ ومن أين جاءوا به ؟

إننا نجد في كتاب ربنا سبحانه ميثاقاً آخر يناقض ميثاقهم هذا ويُظهر كذبه وهو قوله تعالى : (وان أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتموه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) (٣)

فقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب أن يبينوا الدين وينشروه ولا يكتموه ، ولكنهم

خالفوا هذا الميثاق فاستحقوا غضب الله ولعنته .

وهذا ما أخبر عنه سبحانه بقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى

من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٤)

فالميثاق الذي يزعمه الشيعة هو ما حدّث منه الله سبحانه وتعالى وبين جرم من عمل به

٢ - وروى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال :

(سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط ،

من احتمال أمرنا ستره وصيانتها من غير أهله . . . حدشوم بما يعرفون واستروا عنهم ما

ينكرون ، ثم قال : والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره) (٥)

(١) الأصول من الكافي ٢ / ٢٢٦

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة . والمعلق هو على أكبر الغفاري

(٣) سورة عمران / آية ١٨٢

(٤) سورة البقرة / آية ١٥٩

(٥) الأصول من الكافي ٢ / ٢٢٩

وهذه الرواية تؤكد على ستر العقيدة وصيانتها وتجعل ذلك أهم من التصديق بها وترسم للشيعة طريقة في التعامل مع مخالفته بأن يُحدّث كلاً منهم على حسب ما يوافقهم ويظهر أمام كل مخالف بوجه يناسبه ، فإذا لم يفعل ذلك كان أشد ضرراً على الشيعة من أعدائهم ، وهذه فكرة باطنية انتقلت الى الامامية الاثني عشرية

٣ - وروى أيضاً بسنده (عن نصر بن صاعد مولى أبي عبد الله - ع - عن أبيه قال :

سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : مذيع السر شاك ، وقائله عند غير أهله كافر ، ومن تمسك بالعروة الوثقى فهو ناج . قلت : ماهو ؟ قال : التسليم) (١)

ويعلل شارح الكافي السبب في وصف مذيع السر بالشك لأن الموقن لا يخالف الامام في شيء ويحتاط في عدم إيصال الضرر إليه . ثم يقول : (ويمكن حمله على الأسرار التي لا تقبلها عقول عامة الخلق) (٢)

وهكذا نعود من جديد لما يُسمى الأسرار ، ويصبح الدين عندهم قسمان : قسم لعامة الخلق وقسم للخواص الذين يُطلب منهم الحفاظ على هذه الأسرار بعد أن أصبحوا أهلاً لحملها ، وإذا أفشى أحدهم شيئاً منها فهذا يدل على شكّه وعدم تسليمه بل يدل على كفره وهذا ما تؤكده روايات كثيرة أخرى ينسبونها للامام الصادق منها :

(من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقنا) (٣)

(من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان) (٤)

(المذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين) (٥)

(من استفتح نهاره باذاعة سرنا سلّط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس) (٦)

وهذه الأسرار تحتاج صنفاً خاصاً من الناس الذين يؤمنون بها وتتحملها عقولهم لأنها لا تصلح لعامة الناس ولا يطبقون تحملها . ولنستمع الى الرواية التالية التي يدّعون نسبتها

لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) المرجع السابق ٣٧١ / ٢

(٢) الشافي شرح أصول الكافي لعبد الحسين المظفر ٤٩٠ / ٥

(٣) الاصول من الكافي ٣٧٠ / ٢

(٤) المرجع السابق ٣٧٠ / ٢

(٥) (٦) المرجع السابق ٣٧٢ / ٢

روى الكليني بسنده عن جابر قال : (قال جعفر - ع - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به الا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو نبي مُرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان ، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتوه فاقبلوه ، وما اشأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد ، وانما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا ، والانكار هو الكفر) (١)

بل إن الكليني يذكر رواية أخرى أشد منها وأخطر فلنستمع إليها :

روى الكليني بسنده عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير قال : (قال أبو عبد الله - ع - : يا أبا محمد إن عندنا والله سرّاً من سر الله ، وعلماً من علم الله والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا) (٢)

فإذا كان أمر هؤلاء يثقل حتى على الانبياء والمرسلين والملائكة فما هو هذا العلم ومن الذي أوصل هذه العقيدة اليهم ؟!

إن هذا اعتراف خطير بأن ما عندهم من أسرار وعقائد لا صلة له أبداً بالدين الحق الذي نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام على الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم والذي أحياى الله به القلوب وشرح به الصدور وأنار به العقول

الدين الحق لا غموض فيه ولا أسرار ، بل هو دين الفطرة السليمة والطباع المستقيمة وقد أنزله الله لهداية جميع البشر ولم ينزله لطائفة خاصة ممن تتحمله عقولهم

وإذا كان حديث الشيعة صعب مستصعب فدين الله يسر لا صعوبة فيه ولا تعقيد

قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٣)

وقال سبحانه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (٤)

(١) الاصول من الكافي - باب فيما جاء أن حد يشهم صعب مستصعب ٤٠١ / ١

(٢) المرجع السابق ٤٠٢ / ١

(٣) سورة البقرة / آية ١٨٥

(٤) سورة الحج / آية ٧٨

وقال عز وجل مخبراً عن حقيقة هذا الدين وموافقته للفطرة :

(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

والفرق المنحرفة عن هذا الدين الحق يشملهم قوله سبحانه (ولكن أكثر الناس لا

يعلمون) لأنهم أبوا إلا مناهضة الفطرة ومخالفة العقول بما نسبوه لهذا الدين — من

عقائد وضلالات تشمئز منها النفوس وتنفر منها القلوب .

وقد اعترف المجلسي بذلك فأورد الرواية التالية :

(إن حديثنا تشمئز منه القلوب ، فمن عرف فزیدوهم ، ومن أنكر فذروهم) (٢)

وهذا يذكرنا بقوله تعالى : (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

بِآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (٣)

فالقلوب لا تشمئز إلا في إحدى حالتين :

— إذا كانت كافرة وذكراً أمامها الحق

— أو كانت مؤمنة وذكراً أمامها الباطل

وقد شهد المجلسي على نفسه بأن عقائدهم تشمئز منها القلوب ، فليختر لنفسه

إحدى الحالتين السابقتين .

لأن الدين الحق تميل إليه النفوس المؤمنة وتجدهم سكينة وراحته في تعاليمه وهو

مُعلن أمام كل الناس لمن يرغب الاستنارة بهديه ، وليس فيه سر وعلن ، وظاهر وباطن .

ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا

يزيغ عنها بعدي إلا هالك) (٤)

ولكن الفرق الضالة تخفي عقائدها وتحيلها إلى أسرار وألغاز ، وهذا الكتمان يفعله

كل من يدرك أن عقائده مليئة بالتناقضات والمنفردات ، فيحاول إخفاء حقيقتها ، وتغطيتها

بأقنعة بَرَّاقة ، حتى إذا أنسَ المذمورون بها واطمأنوا إليها ووثقوا بمروجيها الثقة العمياء

لم يضر بعد ذلك لو عرفوا حقيقتها .

(١) سورة الروم / آية ٣٠

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ١٩٢ / ٢ نقلاً عن رسالة التقريب للقاري ص / ٣٠٧

(٣) سورة الزمر / آية ٤٥

(٤) رواه الإمام أحمد عن العرياض بن سارية (مسند الإمام أحمد ٤ / ١٢٦)

وحسنه المنذري في تهذيب والترهيب ٨٨ / ١

فالحق أبلج ، والباطل لجلج ، ووضوح الحق دليل صدقه ، وغموض الباطل وتستره دليل تزعمه حتى فى نفوس أصحابه ، إذ لو كان فى قلوبهم يقيناً لما تحرّجوا من إظهاره .

— ولنتنقل بالقارئ إلى رواية أخرى من رواياتهم فى هذا المجال :

فقد روى الكليني بسنده (عن مسعدة بن صدقة عن أبى عبد الله - ع - قال :

ذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين - ع - فقال :

والله لو علم أبوذر ما فى قلب سلمان لقتله ، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب

إلى أن قال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرئ منا أهل البيت . . .) (١)

وما هذه الرواية المنكرة إلا محاولة من الشيعة لتمس الأدلة التى تصبغ تقيتهم

بالصبغة الشرعية وتجعل لها أصولاً وقواعد تطبيقية منذ صدر الاسلام .

فكانهم يريدون أن يقولوا إن فى قلب سلمان رضى الله عنه إيماناً يختلف عن الايمان الذى فى قلب أبى ذر رضى الله عنه ، وهذا الاختلاف كبير لدرجة تدعو الى أن يقتل أبوذر سلمان رضى الله عنهما إنكاراً لما يعتقد ، أو حسداً لما يحمله فى قلبه من علم ومعرفة وأسرار ليست عند أبى ذر رضى الله عنه !! وهذا العمل لا يقدم عليه مسلم . وكأنهم بذ لك يجيزون على هؤلاء الصحابة أفعالا لا تصدر من أي مسلم ، وخاصة أن أبا ذر وسلمان كليهما لا يطعن الشيعة فيهما ، بل يعدونهما من شيعة علي وأتباعه ، (٢) وهذا يدل على أن مذهبهم يؤدي بهم الى التناول على جميع الصحابة بلا استثناء .

والدكتور الشيبى يعقد صلة بين النزعات الصوفية المغالية والفكر الشيعي مستدلاً

بفكرة كتمان الأسرار التى توجد عند الطرفين

(١) الأصول فن الكافي ٤٠١ / ١

ومع ورود هذه الرواية فى أصح كتبهم وهو الكافي نجد أحد علمائهم المعاصرين

وهو : (محسن الأمين) يحاول التملص من نسبتها إليهم ، ثم يجد المبررات بأن

هذا الكلام يحمل على تفاوت درجات الايمان والمعرفة !! (راجع : الشيعة بين

الحقائق والأوهام ص / ٢١١)

(٢) راجع : موقف الشيعة من الصحابة الكرام ص ٩٩ من هذا البحث

ويشير الى أحد الشخصيات الشيعية وهو (رضي الدين علي بن طاووس) الذي ناقض الشيخ المفيد في إخراجهم (محمد بن سنان) الغالي من التشيع المعتدل ، ودافع عن الغلاة مدعياً أن الأئمة لشدة اختصاصهم بهؤلاء الغلاة أطلعوهم على الأسرار المصونة عن الأغيار ، وخاطبوهم بما لا يحتمله أكثر الشيعة (١)

وهكذا نجد أن الداعي إلى التقية في هذا المجال هو خشية خاصة الشيعة من افتضاح أمرهم وانكشاف حقيقة عقائدهم التي يحرصون على إبرازها للآخرين مغطاة بأثواب الخداع والتدليس .

فالهدف من التقية هنا صيانة التشيع أولاً وهذا أهم عندهم من صيانة النفوس لأن أسرار التشيع لو انكشفت فهذا إيذان بانهايار بنيانه وتفرق الجموع من حوله .

(١) طرائق الحقائق لمعصوم الشيرازي ١١٦/١ نقلا عن : الفكر الشيعي لكامل

المبحث الثاني

تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء قولهم بتحريف القرآن الكريم

البحث في هذا الموضوع هو البحث في الاصل الاول لجميع المسلمين ، والمصدر الاساسي لهذا الدين الخالد ، وكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد تكفل الله سبحانه بحفظه من كل تحريف أو تغيير، وسلامته من أي نقص أو زيادة فقال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .

وقال سبحانه : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٢) .

وقال عز وجل مبيناً لأهمية هذا الكتاب المجيد وأنه الحق من عند الله لا ريب فيه : (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٣) .

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك به والاعتصام بهديه فقال صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه) (٤) .

ومهما حاول البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن فلن يستطيعوا ولو اجتمعوا وتعاضدوا .

قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٥) .

ولذلك أجمعت الأمة على أن القرآن الكريم محفوظ بعناية الله لن ينال منه أي تحريف وأن من حاول أن يغير فيه شيئاً فلا بد أن تبوء محاولته بالفشل .

ويصفه هذا الحق الواقع المشاهد ، فالقرآن الكريم من شرق الأرض الى غربها محفوظ بعناية الله كلماته وحروفه .

ومن ادعى ان القرآن الكريم قد دخله أي تحريف بزيادة أو نقصان ، فهو كافر لأنه يناقض صريح القرآن الكريم وينكر معلوماً من الدين بالضرورة . (٦)

(١) سورة الحجر / آية ٩ .

(٢) سورة فصلت / آية ٤١ - ٤٢ .

(٣) سورة البقرة / آية ١ - ٢ . باب النهي عن القول بالقدر حديث (٢)

(٤) رواه مالك في الموطأ ٨٩٩/٢ في كتاب القدر بسند حسن (راجع : جامع الأصول

لابن الاثير بتحقيق عبد القادر الرناؤوط (٢٧٧ / ١) .

(٥) سورة الاسراء / آية ٨٨

(٦) راجع : الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ١٨٢ / ٤ ، الصارم المسلول =

قال الامام ابن تيمية رحمه الله : (من زعم ان القرآن نقص منه آيات وكتمت ،
أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الاعمال المشروعة ونحو ذلك . . لا خلاف في كفرهم)
(١)
ولقد برز اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم واعتزازهم به منذ عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن بعدهم فسادوا العالم وقادوه الى الخير .
وأعداء الاسلام يعلمون أن تمسك المسلمين بكتابهم هو طريق عزتهم وسيادتهم
ولذلك حاولوا ان ينالوا منه ويزعزعوا ثقة المسلمين به ، وما تركوا وسيلة تمكنهم من
ذلك الا سلكوها .

ومن ذلك أنهم استغلوا بعض الفرق المنحرفة عن الاسلام ليشوا عن طريقها
سمومهم وأحقادهم ومن هنا ظهر القول بتحريف القرآن الكريم بين صفوف الشيعة
مستغلين بذلك عقيدتهم في الامامة والنص على علي رضي الله عنه .
فالشيعية الامامية زعموا لتثبيت معتقدهم في الامامة أن القرآن جله أو كله وارد في
أئمتهم والاعلان بهم والأمر بموافقتهم والنهي عن مخالفتهم . (٢) وأخذوا ينزلون نصوص
القرآن الكريم على ماقرروه ، ولكنهم وجدوا مع هذا أن القرآن الكريم لم يأت بشيء من
ذلك صريحا ولم تنص آية واحدة منه بصراحة على الوصاية لعلي والنص عليه وعلى الأئمة
من بعده فكيف يكون القرآن جله أو كله وارداً في شأن الأئمة وشيعتهم وليس فيه شيء
صريح من ذلك ؟

ومن هنا وجدوا ان القول بتحريف القرآن وتبديله هو الطريق لتخلصهم من هذا
التناقض . فادعوا أن القرآن الصحيح هو الذي جمعه علي رضي الله عنه وتوارثه الأئمة

= على شاتم الرسول لابن تيمية ص / ٥٨٦ ، القوانين الفقهية لابن جزي ص / ٣٧٠
السيف الباتر لأقارب الشيعة الرافضة الكوافر - لعلي بن أحمد الهيتي ص /
٣١٠ - ٣١١ ، رسالة في الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص / ١٥٠ .

(١) الصارم السلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ص / ٥٨٦ ، تحقيق :
محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب - ١٤٠٣ هـ .

(٢) انظر : الروضة الكافي ص / ٣٦

من بعده ، أما ماعداء فمحرف ومبدل . .
 ووجدت هذه الغربة مكانها في الفكر الشيعي حتى سيطرت عليه منذ بواكيره وبدأت
 تنمو جيلا بعد جيل مقنعة بستار التقية .
 وانتشر بين صفوفهم الادعاء بأن القرآن الكريم ليس هو ما بين أيدي المسلمين
 لأنه قد دخله التحريف والنقص وأن الصحابة رضي الله عنهم بدلوا وغيروا . .
 وهذه الخرافة لم يقل بها أفراد قلائل منهم وإنما كانت منتشرة بين عامة
 علمائهم ومراجعهم الدينية على مر العصور ومدعمة بالروايات المنسوبة كذباً لأئمة
 أهل البيت .

بل لقد اتفقت كلمة علمائهم قبل ابن بابويه القمي (الذي يلقبونه بالصدوق)
 على القول بهذه الخرافة وتسطيرها في كتبهم بكل صراحة ووقاحة مما يدل على حقيقة
 هؤلاء ونواياهم .

ولنبداً بالكليني^(١) - (ت ٣٢٩ هـ) صاحب كتاب الكافي . والذي قالوا عنه : (ثقة
 الاسلام ، قدوة الأعلام واليدار التمام ، جامع السنن والآثار في حضور سفراء الامام
 عليه أفضل السلام . . محي طريقة أهل البيت على رأس المائة الثالثة ، المؤلف
 لجامع الكافي في مدة عشرين سنة ، المتوفى قبل وقوع الغيبة الكبرى ، رضي الله عنه^(٢))

(١) سبقت ترجمته ص / ٢١٢ من هذا البحث .

ونضيف هنا نبذة أخرى من ثنائهم عليه وتوثيقهم له . فقد قال فيه الخونساري :
 (انه امين الاسلام . . دليل الأعلام . . جليل مقدام ، ليس في وثاقته
 لأحد كلام ، ولا في مكانته عند أئمة الانام) . روضات الجنات ٦ / ١١٢ .
 (٢) يزعم الشيعة الامامية أن امامهم الثاني عشر محمد بن الحسن غاب غيبته
 الصفري وعمره خمس سنوات سنة ٢٦٠ هـ ولم يعد يظهر الا لنوابه ، ثم غاب
 غيبته الكبرى التي انقطع فيها عن الظهور سنة ٣٢٩ هـ .
 (راجع : كشف الاستار عن وجه الغائب عن الابصار / للميرزا حسين النوري
 الطبرسي) .

في الآخرة والأولى ، وكتابه مستغن عن الاطراء^(١) ، وقد عرض بزعمهم على امامهم الغائب فاستحسنه وقال : كاف لشيعتنا^(٢)

ولا نجد واحدا من علمائهم قديما أو حديثا الا ويثني عليه ويحشد في ذلك كل ما يمكنه حشده من أوصاف المدح والتبجيل والتعظيم مما يضيق المجال عن ذكره ، ويكفي أن كتابه الكافي يعتبر عندهم بمثابة صحيح البخاري عند أهل السنة بل ان له تميزا لاستحسان وتوثيق الامام الغائب - المزعوم - له وثناء عليه ، وبذلك أصبح - كما يقولون - القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ، وقد انتهت الى الكليني رئاسة فقهاء الامامية في أيام المقتدر .

ويكفي هنا ان نختار القول التالي من بين مئات أقوال الثناء التي يصونهاها جزافا على الكليني فقد قال عنه رضي الدين ابن طاوس :

(الشيخ المتفق على ثقته وأمانته . . أبلغ فيما يرويه ، وأصدق في الدراية)^(٣)

والآن وبعد أن عرف القارئ مكانة هذا الرجل وأهمية كتابه بين الشيعة ما علينا الا أن نلقي نظرة متجردة في صفحات ذلك الكتاب .

وأبرز ما يطالعنا الباب التالي الذي جعله بعنوان :

(باب : انه لم يجمع القرآن كله الا الائمة) وذكر فيه ست روايات ادعى نسبتها

للباقر والصادق وغيرهما . . أبرزها الرواية التالية :

- عن جابر قال : سمعت أبا جعفر - الباقر - يقول :

(ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذاب ، وما جمعه

وحفظه كما نزل الله تعالى الا علي بن أبي طالب - ع - والائمة من بعده - ع -)^(٤)

فالقرآن الكريم الذي جمعه الصحابة رضي الله عنهم بأمر أبي بكر رضي الله عنه

لا يعترف به الكليني وأمثاله بل يعدونه ناقضا لأنه لم يصرح بأسماء أئمتهم ولم ينص

(١) روضات الجنات للخونساري ١١٦/٦ ، ومقدمة الكافي ص / ١٣ - ١٤ .

(٢) مقدمة أصول الكافي ص / ٢٥ .

(٣) مقدمة الكافي ص / ٢٠ .

(٤) الاصول من الكافي ٢٢٨/١ .

على ما عندهم من عقائد منحرفة .

وفي المجلد الثاني من الكافي نجد عشرات الروايات المصروفة بهذه الغربة أبرزها

الروايات التالية :

- (عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن - ع - قال :

قلت له : جعلت فداك انا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها

ولاحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأثم ؟ فقال : لا ، اقرؤوا كما تعلمتم

فسيجيئكم من يعلمكم)^(١)

فالأئمة - في زعم الكليني - كانوا يعلمون اتباعهم آيات من القرآن ليست موجودة في

المصحف الذي بين يدي المسلمين ، ولكنهم كانوا يأمرونهم بالاكتماء بقراءة

المصحف الموجود دون زيادة عليه ماداموا في دار التقية قبل قيام قائمهم الذي

سيجبل معه قرآنهم المزعوم ويظهره للناس .

والرواية الثانية من الكافي تزيد الأمر وضوحا وتفصح عن وجود مصحف عندهم

يخالف مصحف المسلمين : (عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل علي أبي عبد الله - ع -

وأنا استمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبد الله - ع - كف عن

هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فإذا قام القائم - ع - قرأ كتاب الله

عز وجل على حده ، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ - ع - وقال : أخرجه عليّ - ع - إلى

الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم : هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد

صلى الله عليه وسلم وقد جمعته من اللوحين فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه

القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ماترونه بعد يومكم هذا أبدا ، إنما كان

علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه)^(٢)

ويدل هذا النص على أن الكليني يزعم أن هناك قرآن آخر لا يوجد عند الناس

(١) الاصول من الكافي ٦١٩/٢ .

(٢) المرجع السابق ٦٣٣/٢ .

لكنه محفوظ عند أئمتهم وأن هذا القرآن كان بعض خواصهم يطلعون عليه ويقرأون فيه وأن الذي جمعه كما يزعمون هو علي رضي الله عنه ويختلف عن القرآن الذي جمعه الصحابة الكرام برئاسة أبي بكر رضي الله عنه وأن قرآنهم المزعوم سيخرجه الامام الغائب للناس بعد عودته من غيبته .

كل هذه الأوهام توجد في عقل الكليني وأمثاله من شيوخ الشيعة وقد سطرورها في كتبهم ونسبوها الى أئمة أهل البيت الأطهار ، مع أن القرآن الكريم كتاب هداية للناس أجمعين ، فكيف يهتدى به الناس اذا كان مخفيا عند امامهم ، وما فائدة نزوله ؟ .

ولنتقل مع الكليني الى رواية أخرى من رواياته المزعومة :

- (عن أبي عبد الله - ع - قال : ان القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية) . (١)

أي أن القرآن الموجود بين يدي المسلمين قد حذف منه قريبا من ثلثه لأن آياته كما هو معلوم ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية .

فالحذف الذي يتصوره الكليني وأمثاله ليس في بعض آيات القرآن الكريم بل في معظم والذي يدعون حذفه هو ما يبينه الكليني في الرواية التالية المنسوبة كذبا الى الامام علي رضي الله عنه (عن الأصبح بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين - ع - يقول :

نزل القرآن اثلاثا : ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام) (٢) بل انه أورد رواية أخرى زعم نسبتها للامام الباقر وهي :

(عن أبي جعفر - ع - قال : نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام) . (٣)

(١) الاصول من الكافي ٢ / ٦٣٤ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٦٢٧ .

(٣) نفسه ٢ / ٦٢٨ .

واذا تذكرنا أنهم يقصدون بعدّ وهم أجلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين حملوا راية الاسلام وضحووا في سبيله فانظر الى قرآنهم المزعوم هذا الذى حوى هـذـه الاباطيل ، وليس في اثلاثه أو أرباعه أى اشارة الى التوحيد الذى يملأ سور القرآن .

وقد ذكر الكليني في رواياته بعض الأمثلة لما هو في قرآنهم من ألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان (عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله - ع - في قوله : ولقد عهدنا الى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي . هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم) .^(١)

وروى أيضا (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : دفع الى أبو الحسن - ع - مصحفا وقال : لا تنظر فيه ، ففتحته وقرأت فيه " لم يكن الذين كفروا " فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . قال : فبعث اليّ : ابعث إليّ بالمصحف) .^(٢)

فالكتاب الذى يزعمون أنه القرآن فيه ذكر لأسماء أئمتهم وفضح لأعدائهم بل إن الكثير من آيات القرآن الكريم التى نزلت فى الكفار أو المنافقين تزيد عليها رواياتهم بعض الألفاظ والأسماء لتكون خاصة بالشيخين أبي بكر وعمر وأجلاء الصحابة الذين ينقم الشيعة عليهم لأنهم حطموا عروش أسلافهم من الفرس .^(٣)

ولو أن الكليني وحده هو القائل بهذه الخرافة لكان ذلك أكبر وصمة عار للشيعة لعظيم منزلته عند هم وثقتهم بكتابه وتوثيق غائبهم له .

لكن ليس الكليني منفردا فى هذه المزاعم بل لقد سبقه الى ذلك علماء آخرون من الشيعة وجاء بعده الكثيرون بل ان معظم من جاء بعده تمسك بهذه الغرقة ودافع عنها .

(١) الاصول من الكافى ١ / ١٦٠ .

(٢) نفسه ٢ / ٦٣١ .

(٣) سوف نتحدث في أواخر هذا البحث عن موقف الشيعة من الصحابة الكرام .

- وأبرز من سبق الكليني الى ذلك شيخه علي بن ابراهيم القمي^(١) (توفي بعد ٣٠٧ هـ) في تفسيره الذي أورد فيه نماذج لما في أذهان القوم من تخيلات وافتراءات على القرآن الكريم فقال : (وأما ما هو محرف ، فهو قوله " لكن الله يشهد بما أنزل اليك / في علي / أنزله بعلمه والملائكة يشهدون " وقوله : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك / في علي / وان لم تفعل فما بلغت رسالته " وقوله : " ان الذين كفروا وظلموا / آل محمد حقهم / لم يكن الله ليغفر لهم " . . .)^(٢) الى غير ذلك من الخبط والضلال والافتراء على الله عز وجل .

وكان القرآن الكريم لم ينزل الا لرفع مكانة على رضى الله عنه وتبليغ وصايته واماته للخلق .

- ومن سبق الكليني الى هذه المزاعم : محمد بن الحسن بن فروخ الصفار^(٣)

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي شيخ مشايخ الشيعة في الحديث وفي التفسير ، ويعد الكليني تلميذا له . وقد قال عنه النجاشي : (ص ١٨٣) : " ثقة في الحديث ، ثبت معتمد صحيح المذهب ، سمع فأكثر " وقال عباس القمي في الكنى والألقاب (٦٨ / ٣) : " هو من أجل رواة أصحابنا ، ويروي عنه مشايخ أهل الحديث ، ولم نقف على تاريخ وفاته الا أنه كان حيا في سنة ٣٠٧ هـ " .
- (٢) نقل ذلك عنه المفسر الشيعي في تفسيره البرهان / ص / ٣١ - ٣٤ تحت عنوان (باب فيما ذكره الشيخ علي بن ابراهيم في مطلع تفسيره) وراجع تفسير القمي ١٠ / ١ نقلا عن : الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ٥٩ ، والشيعة والقرآن لاحسان الهي ظهير ص / ٣٥ - ٣٦ .
- (٣) يقولون عنه انه ثقة عظيم القدر راجحا قليل السقط في الرواية ، ومن أعظم المحدثين والعلماء ، ويذكرون له من المؤلفات حوالي ٣٨ كتابا ، أبرزها كتابه (بصائر الدرجات) المكون من عشرة أجزاء طبعت في ايران بمجلد واحد كبير - وقد اعتمد من جاء بعد الصفار على رواياته فمنهم من روى عنه مباشرة كالكليني ومنهم من روى عنه بالواسطة كالصدوق والطوسي ، وكل هذا يدل على توثيقهم له وثقتهم بما عنده ، توفي في قم سنة ٢٩٠ هـ . راجع مقدمة =

(ت ٢٩٠) الذى يقولون انه من أصحاب الامام الحسن العسكرى ^(١) - الامام الحادى عشر عندهم - فقد أورد فى كتابه (بصائر الدرجات) عدة روايات تفصح عن اعتقاده بتحريف القرآن منها (عن جابر قال : قال ابوجعفر - ع - : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمنى فقال : يا أيها الناس انى تارك فيكم حرمة الله كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام . ثم قال ابوجعفر : أما كتاب الله فحرفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا وكل ودايع الله فقد تبرؤا ^(٢))
- ومن طبقة الكليني : فرات بن ابراهيم الكوفي ^(٣) (توفي فى أوائل القرن الرابع) وقد سرد فى تفسيره روايات كثيرة تدل على اعتقاده بهذه المزاعم - حول القرآن الكريم .

- وكذلك : محمد بن مسعود العياشى السلمى ^(٤) (ت ٣٢٠ هـ) الذى يعدونه أكبر أهل المشرق علما وفضلا فى زمانه وأوحد دهره فى غزارة العلم . نجده أيضا يصر

= بصائر الدرجات ص ٥ - ١٩٠ . وراجع : رجال النجاشي ص ٢٥١ ، الكنى واللقاب ٣٧٩/٢ .

(١) رجال الطوسي ص ٤٣٦ .

(٢) بصائر الدرجات ص ٤٣٣ - ٤٣٤ بتعليق الحاج ميرزا محسن (كوجه باغي) منشورات مؤسسة الأعلي - طهران .

(٣) قال عنه الخوانسارى فى روضات الجنات (٣٥٤ - ٣٥٣/٥) : " فرات بن ابراهيم . المحدث العميد والمفسر الحميد ، صاحب كتاب التفسير الكبير . . . وهو مذكور فى عداد تفسيري العياشى وعلى بن ابراهيم القمي " ويروى هذا التفسير عن فرات والد الشيخ الصدوق المتوفى (٣٢٩ هـ) .

(٤) يقولون عن العياشى انه ثقة صدوق عين من عيون الطائفة بصير بالرواية مضطلع بها ، وهو من أهل سمرقند له كتب كثيرة تزيد على مئتي مصنف ذكر معظمها ابن النديم فى الفهرست ، وقد كانت داره مرتعا للشيعة ، وهو أحد شيوخ الكشي صاحب كتاب الرجال المشهور الذى هذب الطوسي (راجع : الفهرست لابن النديم ص ٢٧٥ ، الكنى واللقاب ٤٤٩/٢ ، روضات الجنات ١٢٩/٦ ، جامع الرواة ١٩٢/٢ ، الأعلام ٩٥/٧ .

فى تفسيره على ابراز هذه الأباطيل وتدعيمها بالروايات المكدومة .^(١)

- وكذلك : أبو القاسم الكوفى^(٢) (ت ٣٥٢ هـ) فقد ذكر فى كتابه (الاغاثة

فى بدع الثلاثة) : ما يؤكد اعتقاده الصريح بتحريف القرآن الكريم .^(٣)

ويقصد بالثلاثة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وقد وصفهم بأوصاف لا تليق بمسلم وهذا ما سنتعرض له بتفصيل أكثر عند الحديث عن موقف الشيعة من الصحابة الكرام رضى الله عنهم . فأبرز من روج لهذه الفرية من علماء الشيعة وسطرها فى كتبه هم :

الكلىنى - على القمى - الصفار - فرات الكوفى - العياشى - أبو القاسم الكوفى ، وبعد هؤلاء نرى أن علماء الشيعة راحوا يتناقلون هذه الضلالات جيلا بعد جيل وكثر عدد المدافعين عنها حتى كادت كلماتهم تتفق عليها وأصبحت ضرورة من ضرورات التشيع وإذا كنا فى هذه العجالة لا نستطيع أن نحصر أسماء علماء الشيعة الذين جاؤوا بعد هؤلاء الستة المعتقدين لهذه الفرية فاننا نذكر أبرزهم باجمال وهم :

- الشيخ المفيد^(٤) (ت ٤١٣ هـ) والذى يعدونه

(١) ذكر كثيرا من رواياته البحرانى فى تفسير البرهان ٢١ / ١ والفيفى الكاشانى

فى تفسير الصافى ١٤ / ١ ونقل بعضا منها عن تفسير العياشى مباشرة

احسان الهى ظهير فى كتابه : الشيعة والقرآن ص ٣٨ نقلا عن تفسير

العياش ج ١ ص ٩ - ١٣ .

(٢) هو أبو القاسم على بن أحمد بن موسى الكوفى ، أثنى عليه علماء الشيعة

ومنه الطوسى فى فهرسة حيث قال (كان اماميا مستقيما الطريقة وصنف

كتبا كثيرة سديدة) وقد ذكر النجاشى فى رجاله (ص ١٨٨) العديد من

كتبه ومؤلفاته .

(٣) راجع ص / ٢٥ من كتابه الاغاثة . وقد نقل بعضا منها محمد مال الله فى

كتاب (الشيعة وتحريف القرآن) ص / ٦٥ .

(٤) سبقت ترجمته ص / ٢١٨ من هذا البحث

واسمه محمد بن محمد بن النعمان المطقب بالمفيد ومن أشهر تلامذته =

مجدد القرن الخامس^(١) والذي انتهت اليه رئاسة الامامية في وقته ويقولون انه
أوثق أهل زمانه بالحديث وأعرفهم بالفقه والكلام وكل من تأخر عنه استفاد منه^(٢).

قال هذا الشيخ :

(اتفقوا - أي الامامية - على أن أئمة الضلال^(٣) خالفوا في كثير من تحريف
القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم)^(٤) .

وقال أيضا في رسائله ردا على سؤال : هل القرآن هو ما بين الدفتين ؟
فأجاب : (لاشك أن ما بين الدفتين من القرآن كلام الله تعالى وتنزيله ، وليس فيه
شيء من كلام البشر ، وهو جمهور المنزل ، والباقي مما أنزل الله تعالى
عند المستحفظ للشرعية - أي الامام الغائب - والتحريف الذي يزعمه هو بالنقصان فقط

ثم قال : (فلذلك قال مولانا الصادق عليه السلام : " أما والله لو قرئ القرآن كما
نزل لألفيتمونا فيه مسمون كما سمي من كان قبلنا " ...

غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا
يتعداه الى زيادة ولا نقصان منه حتى يقوم القائم عليه السلام فيقرأ القرآن
على ما أنزل الله عز وجل وجمعه أمير المؤمنين^(٥))

وفي كتاب آخر لشيخهم المفيد وهو (الارشاد) نجد رواية خطيرة ينسبها الى
أحد ائمتهم تدعو الى اهمال حفظ القرآن الكريم لأنه محرف يصعب حفظه (روى جابر
عن أبي جعفر - ع - أنه قال : اذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم ضرب
فساطيط ، ويعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل ، فأصعب ما يكون على من
حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف^(٦))

= الشريف المرض والمرضى والطوسى وغيرهم .

(١) ذكر ذلك المعلق على اللمعة الدمشقية السيد محمد كلانتر ٥٦/١ .

(٢) الكنى والألقاب لعباس القى ١٦٤/٣ .

(٣) يقصد بذلك الصحابة الكرام وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة .

(٤) أوائل المقالات للمفيد ص / ١٣ وراجع ص / ٥٤ - ٥٥ .

(٥) رسائل الشيخ المفيد ص / ٥٩ - ٦٠ .

(٦) الارشاد ص / ٣٦٥ .

وهذا الكلام الخطير الداعى الى هجر القرآن الكريم ينقله شيخهم المسمى
عندهم بالمفيد والذي يقولون ان امامهم الغائب خاطبه بالأخ السديد والمولى
الرشيد والناصر للحق الداعى اليه بكلمة الصدق . . ويقولون عنه أيضا انه فوق
مستوى البشر بعد الائمة المعصومين ^(١) . ومع كل هذه الشهرة وهذا المقام للمفيد
عندهم فان كتابه الارشاد الذى يحوى هذه الافتراءات اكثر شهرة من مؤلفه - كما
يقول المجلسي - ^(٢) .

- أبو منصور الطبرسي ^(٣) (توفي فى القرن السادس) صاحب كتاب الاحتجاج
الذى امتلأ بالأوهام والافتراءات على الصحابة الكرام ومن جملتها أنهم رضى الله عنهم
ردوا القرآن الذى جمعه علي لأنه يحمل فضائحهم ، وتواطأوا على تأليف قرآن
يسقطون فيه تلك الفضائح وخططوا لقتل علي والتخلص منه ^(٤) . الى غير ذلك من
الأوهام .

(١) مقدمة الارشاد ص / ٦ .

(٢) بحار الأنوار ٢٧ / ١ نقلا عن : فكرة التقریب للقارى ص / ١٨٧ .

(٣) هو أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، أبو منصور ، لم تحدد المصادر
سنة ولادته ولا وفاته لكنه من أدرك أوائل القرن السادس الهجرية . قال
عنه الحر العاملي فى أمل الأمل (١٧ / ٢) : انه عالم فقيه فاضل محدث
ثقة ، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج ، حسن كثير الفوائد ، وقد
اشتبه على كثير من كتاب التراجم التمييز بينه وبين أبي علي الطبرسي صاحب
(تفسير مجمع البيان) وسبب الاشتباه اشراكهما فى عصر واحد ولقب واحد ،
وقد نبه على ذلك الخوانسارى فى روضات الجنات (١٩ / ١) كما ذكر
المعلق على الاحتجاج أسماء سبعة من علماء الشيعة يشتركون بهذا اللقب
(الطبراسي) آخرهم الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب كتاب
(فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) والذي سنتحدث عنه بالتفصيل .
راجع : مقدمة الاحتجاج لمحمد السيد بحر العلوم .

(٤) الاحتجاج ٢٢٤ / ١ وراجع أيضا ٢٢٢ / ١ وكذلك ٣٧٠ / ١ ومواضع كثيرة
أخرى جمعها محمد مال الله فى كتابه (الشيعة وتحريف القرآن) ص / ٧١ -
٧٩ ولم نذكرها هنا خشية الاطالة ، ولأنها سفاضة لا يلتفت اليها . =

ويعد أن يسود عشرات الصفحات بهذه الأباطيل يقف غيورا على الاسلام فيقول :

(وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب ، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر ، والطل المنحرفة عن قبلتنا . . . ولأن أهل الباطل في القديم والحديث اكثر عددا من أهل الحق ، ولأن الصبر على ولاية الأمر مفروض . . . فحسبك من الجواب عن هذا الموضوع ما سميت فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه ^(١))

ثم يقول (ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل وما يجري في هذا المجال لطال ، وظهر ما تحظر التقية اظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء ^(٢))

فالقصر التي ملأها مئات الصفحات من كتابه بأسلوب خرافي سمج كلها في نظره قطرة من بحر علمه المتضارب . . . ولذلك أخفى باقى علومه تقية ، لأن للتقية ، عنده وعند أمثاله شريعة ونظاما ينبغي الوقوف عندها عندما تتعرض عقائد الشيعة للخطر .

ومع أن معظم ما ذكره من قصص وأوهام مرسل لا سند له وهذا يكفي للطعن في كتابه لكن علماء الشيعة الذين نال إعجابهم هذا المصنف الفريد دبروا لذلك المبررات . فقد قال مقدمه السيد بحر العلوم :

(ان الكتاب بمجموعه موضع اعتماد الأعلام والباحثين ، بالرغم من أن أكثر أحاديثه مراسيل الا أن الثقة الكبيرة التي يتمتع بها مؤلف الكتاب ، زعت في نفوس المؤلفين الاعتماد عليه والنقل عنه دون تمحيص وتحقيق وتدقيق في إسناد الأخبار والأحاديث ^(٣))

فالكتاب إزاء حجة عند الشيعة بل إنه عندهم بمنزلة الصدارة لما فيه من أقوال تؤيد عقائدهم ، وهي في الواقع جرأة على الاسلام والقرآن وحملته الأولون الى درجة لا يمكن لعدو مجاهر بعداوتة للاسلام أن يصل لمثلها .

= وراجع كذلك الشيعة والقرآن لاحسان الهى ظهير ص/ ٥٢ - ٥٧ .

(١) الاحتجاج ٣٧١/١ .

(٢) المرجع السابق ٣٧٧/١ .

(٣) مقدمة الاحتجاج / صفحة : و - ز .

- ثم جاء الأردبيلي^(١) (ت ٩٩٣ هـ) فردن مفتريات سابقه في كتابه
(حديقه الشيعة)^(٢) .

- وجاء بعده مفسر الشيعة المعروف الفيض الكاشاني^(٣) فأطال الحديث في
مقدمة تفسيره (الصافي) عن هذه الأباطيل وحشر كثيرا من الروايات المزعومة
للاستدلال على عقبتهم في تحريف القرآن وأن الصحابة حذفوا مناقب أهل البيت
منه . ثم قال بعد كلام طويل :

(يستفاد من جميع هذه الأخبار . . أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس يتامة
كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه
ما هو مغير محرف وأنه قد حذف عنه أشياء كثيرة^(٤) أي أنه تحريف بالزيادة والنقصان .
ثم قال :) لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن ، إذ على هذا يحتمل كل آية منه
أن يكون محرفا ومغيرا ويكون على خلاف ما أنزل الله ، فلم يبق لنا في القرآن حجة
أصلا فتتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتسك به الى غير ذلك)^(٥) .

(١) هو أحمد بن محمد الأردبيلي ، ذكره المجلسي في البحار من جملة من رأى
القائم عليه السلام وأنه انفتحت له أقفال الروضة المقدسة الغربية وكلمة الامام
عليه السلام .

وقال عنه الخوانساري : كان الشاه عباس الصفوي الموسوي يبالغ في تعظيمه
وتبجيله في غيابه ويرسل له بكل جميل ويستدعي في التوجه الى أرض إيران .
(روضات الجنات ٧٩ / ١) ولعل هذا يوضح السبب الذي دعا

هؤلاء للأفصاح عن عقائدهم المنحرفة استنادا منهم الى دعم الدولة الصفوية
لآرائهم وحمايتهم لعقائدهم . (وراجع ترجمته في أمل الآمل ٢ / ٢٣) .
(٢) حديقه الشيعة ص / ١١٨ - ١١٩ فارسي - نقلا عن : الشيعة والسنة
ص / ١٣٢ .

(٣) الفيض الكاشاني سبقت ترجمته ص / ٢١٦ من هذا البحث .

(٤) تفسير الصافي ٣٢ / ١ .

(٥) مقدمة تفسير الصافي ٣٣ / ١ .

ولكنه يحاول أن يوفق بين هذا القول الخطير وبين اعتماد الشيعة على آيات =

وهل يطمع أعداء الاسلام بأكثر من هذه النتيجة التي ينطق بها من يدعى الاسلام وينصب نفسه مفسراً لكتاب الله عز وجل ؟ وما الفرق بين هذا الكلام وبين أقوال المستشرقين في الطعن بالقرآن الكريم ولماذا إنزاً لا يعلن هو وأمثاله رفضه صراحة لكل ما في القرآن وارتداداً عن كل مبادئ الاسلام وعندئذ يكون خطرهم على الاسلام أقل مما هو عليه الآن .

- ومعد الفيض الكاشاني نجد أن الجرأة على كتاب الله ازدادت أكثر فأكثر وقد استغل هؤلاء ضعف السلطة الاسلامية وتفككها وتأييد الدولة الصفوية فأزاحوا عنهم ستار التقية وراحوا يصرحون بكل ما تمليه عليهم أهواؤهم من انحرافات عن عقيدة المسلمين . (١)

وقد كثرت الحديث في كتب القوم عن هذه الأباطيل مما يضيق مجال هذا البحث عن التعرض لها ، ولا يليق بالباحث أن يبرزها ، ولعل أشهر من تحدث عن تلك المزاعم واعتقد بها بعد الكاشاني :

- البحراني (٢) (ت ١١٠٨ هـ) في مقدمة تفسيره (البرهان) (٣)

= القرآن الكريم في العقائد والفقه وغير ذلك فيقول : (لعل التغيير انما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال . . مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل) ٣٤ / ١ .

(١) راجع ما ذكرناه عن الدولة الصفوية ص / ٢١٩ من هذا البحث .

(٢) هو هاشم بن سليمان الحسيني البحراني التولي مفسر امامي ، نسبته الى (تولي) من قرى البحرين ، وقبره فيها ، وشهرته البحراني . من كتبه :

(البرهان في تفسير القرآن) ، (الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد)

(سلاسل الحديد) منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . . .

قال عنه الخوئساري : (فاضل عالم ماهر مدقق فقيه عارف بالتفسير والعريضة

والرجال) . راجع : روضات الجنات ١٨١ / ٨ - الأعلام ٦٦ / ٨ .

(٣) ص / ١٥ تحت عنوان (باب في أن القرآن لم يجمعه كما أنزل الا الأئمة

عليهم السلام) .

- والمجلسي^(١) (ت ١١١١ هـ) في كتابه (حياة القلوب)^(٢)
- ونعمة الله الجزائري^(٣) (ت ١١١٢ هـ) في كتابه الأنوار النعمانية^(٤) .
- ولعل أشنع هؤلاء ، وأشد هم خطراً على الاسلام وحقداً على أهل السنة بل على الصحابة الكرام حملة الاسلام وحفاظ القرآن . هو (نعمة الله الجزائري) فقد أكد هذه الفرية في كتابه (الأنوار النعمانية) وأصر على دعوى سابقة في أن علياً هو الذي انفرد بجمع القرآن ثم قال : (ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من اظهار ذلك القرآن واخفاً هذا لما فيه من اظهار الشنعة على سابقه)^(٥)

(١) هو محمد بن باقر بن مقصور على الشهير بالمجلسي ، صاحب مؤلفات كثيرة منها بحار الأنوار ، وحياة القلوب ، ومرآة العقول ، وقد سبقت ترجمته ص / ٢١٥ من هذا البحث .

ولكننا نضيف هنا ما ذكره تلميذه الحر العاملي ، حيث أطنب في الشناء عليه فقال في أمل الآمل (٢ / ٢٤٨) : (عالم فاضل ، ماهر محقق ، مدقق علامة فهامة فقيه متكلم محدث ثقة ثقة جامع للمحاسن والفضائل جليل القدر عظيم الشأن) فانظر الى مكانة مروجى فرية التحريف في كتب التراجم الشيعة !

- (٢) ج ٢ ص / ٦٨١ نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن ص / ٨٣ .
- (٣) سبقت ترجمته ص / ٢٢٢ من هذا البحث .
- ونضيف هنا نصاً آخر في توثيقه والشناء عليه :
- يقول عنه الخوانساري : (كان من أعظم علمائنا المتأخرين ، وأفاخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث . . صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم ، ومؤلفات طيحة) . .

روضات الجنات ١٥٠ / ٨

- (٤) الجزء الثاني - الصفحات / ٣٦٠ - ٣٦٤ .
- (٥) الأنوار النعمانية ٣٦٢ / ٢ وقد سود عشرات الصفحات في اثبات هذه الفرية وتأكيدها .

- وهو تلفيق سمج سخيف ان لو كان علي يعلم أن كتاب الله قد دخله التغيير لما تردد لحظة بعد أن أصبح خليفة بل قبل أن يصبح خليفة في إظهار الحق ولكن ذلك أول عمل ينبغى أن يقوم به ولا عذر له في تركه لكنه رضى الله عنه بـريء من هذه الافتراءات ولعله لو سمع بمن يردد ها في عصره لسارع الى قتله واحرقه كما فعل بالفلاة أتباع ابن سبأ اليهودى (١) .

وقد ادعى الجزائرى أن أخبار التحريف مستفيضة بل متواترة وأن أصحابه قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها ، وكل هذه الدعاوى من الجزائرى تعد نـزراً يسيراً مما يحويه كتابه (الأنوار النعمانية) من انحرافات لا يليق نقلها والتقوّه بها . والعجب أن هذا الرافضى يتبجح في مقدمة كتابه بالتزامه الدقة والأمانة والصدق في النقل والبعد عن تواريخ اليهود فيقول :

(وقد التزمنا أن لا نذكر فيه الا ما أخذنا عن أرباب العصمة الطاهرين عليهم السلام وما صح عندنا من كتب الناقلين ، فإن كتب التواريخ أكثرها قد نقله الجمهور من تواريخ اليهود ، ولهذا كان أكثر ما فيها الأكاذيب الفاسدة ، والحكايات الباردة) (٢) - وأخيراً نعرض للقارئ المصّب الأخير عندهم في هذا الموضوع وهو (حسين

ابن محمد التقى النورى الطبرسى) (٣) (ت ١٣٢٠)

(١) يعترف الشيعة بهذه الحادثة وقد ذكرها الكشى في كتابه الرجال ص / ٧٢٠ .

(٢) الأنوار النعمانية ٣٥٧ / ٢ .

(٣) هو حسين بن الميرزا محمد تقى النورى الطبرسى ، ولد في ١٨ شوال

١٢٥٤ هـ في طبرستان ثم سافر الى النجف سنة ١٢٧٧ هـ . وقد اجمعت

كلمة علماء الشيعة حتى المعاصرين منهم على توثيقه والثناء عليه ولم نجد

أحدا منهم طعن فيه رغم تأليفه لهذا الكتاب (فصل الخطاب) .

فقد قال عباس القمى في (الكنى واللقاب) : ٤٠٥ / ٢ .

(شيخنا الأجل ثقة الاسلام . . شيخ الاسلام والمسلمين ، مروج علوم

الانبياء والمرسلين ، الثقة الجليل والعالم النبيل ، المتبحر الخبير ،

والمحدث الناقد البصير ، ناشر الآثار ، وجامع شمل الأخبار ، صاحب =

الذى استهوت به هذه الافتراءات على كتاب الله الكريم فراح يجمعها ويزيد عليها ويحتج على منكريها ويصول ويجول حتى اجتمع عنده في ذلك كتاب كبير مكون من أربع مائة صفحة الا صفحتين عنوانه : (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب

= التصانيف الكثيرة الشهيرة والعلوم الغزيرة . . وهو أشهر من أن يذكر ، وفوق ما تحوم حوله العبارة . .) ا هـ . وكذلك راجع مقدمة كتاب الطبرسي : (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) فقد حشد فيه مقدمة (على الحسيني الميلاني) أقوالا كثيرة في الشناء على مؤلفه بكل ما يخطر على البال من ألفاظ المدح والتبجيل ، كما يلاحظ أن معظم من ترجم للطبرسي لم يذكر اسم كتاب (فصل الخطاب) بكامله بل اكتفى بالجزء الأول من اسم الكتاب لئلا يلفت النظر الى عقيدة النوري الطبرسي في الطعن في القرآن الكريم . راجع مثلا : مقدمة كشف الاستار ص / ٢٥ - ٢٦ - الفوائد الرضوية لعباس القمي ص / ١٥١ .

ولنتعرض لنموذج آخر من نماذج تقديمهم لهذا المنحرف عن الاسلام (النوري الطبرسي) فقد قال آغا بزرك الطهراني في كتابه (أعلام الشيعة) قبل البدء في ترجمة النوري الطبرسي : (ارتعش القلم بيدي عند ما كتبت هذا الاسم ، واستوقفني عند ما رأيت نفسي عازماً على ترجمة استاذي النوري . ودعشت هيبه له ، ولا غرابة فلو كان المترجم له غيره لهان الأمر ، ولكن كيف بي وهو من أولئك الأبطال غير المحدودة حياتهم وأعمالهم . .) ثم قال : (كان الشيخ النوري أحد نماذج السلف الصالح التي ندر وجودها في هذا العصر ، فقد امتاز بعبقريه فذة ، وكان آية من آيات الله العجيبة حتى ليظن الناظر في تصانيفه أن الله شمله بخاصة ألطافه ومخصوص عنايته) ! ويدخل من جملة تلك التصانيف بالطبع كتابه (فصل الخطاب) وهذا يعنى أن لهذا الكتاب عند الشيعة منزلة عظيمة لا تقل عن منزلة مؤلفه المتبحر الخبير !

راجع (أعلام الشيعة) للطهراني - الجزء الأول - من القسم الثاني ص ٥٤٤ الى ٥٥٥ نقلا عن الشيعة والقرآن لاحسان الهى ظهر ص / ١١٨ - ١٣١ والشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ١١٣ - ١١٥ . وهناك نصوص أخرى لعلمائهم المعاصرين في الشناء على الطبرسي سوف نتعرض لها عند الحديث عن موقف علماء الشيعة المعاصرين من الطعن في القرآن الكريم .

رب الأرياب (١)

وقد ألفه سنة ١٢٩٢ هـ (وعند طبعه قامت حوله ضجة ، لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن الكريم محصورا بين خاصتهم ، ومتفرقا في مئات الكتب المعتمدة عندهم ، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ ويطلع عليه خصوصهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه ، وألف كتابا آخر سماه " رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب " وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين (٢)

و ادعى النورى أن الأخبار الدالة على التحريف تزيد على ألفي حديث (٣)

وكم فرح أعداء الاسلام بهذا الكتاب واستبشروا به بل لقد قاموا بترجمته ونشره وقد اعترف بذلك الأصفهاني أحد علماء الشيعة بقوله :

(١) وقد قسم هذا المدعي كتابه إلى ثلاث مقدمات وبابين وذكر في الباب الأول الأدلة المزعومة على وقوع التغير والنقصان في القرآن ، وأن كلما وقع في الأم السالفة يقع في هذه الأمة ، وأن القرآن كالنور والنجيل في وقوع التغير فيه ، وأنه كان لأئمة المؤمنين قرآنا مخصوصا . كما ذكر مئات الروايات تبين ما عند الشيعة من زيادات على القرآن الموجود عند المسلمين وهي زيادات في كلمات وآيات وسور . وذكر كل ذلك بحسب ترتيب سور القرآن الكريم . وفي الباب الثاني ذكر أدلة القائلين بعدم تطرق التغير من الآيات والأخبار وأجاب عنها ، واستفتح كتابه المظلم هذا بالشناء على الله سبحانه وتعالى وتضييلا للناس فقال : (الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابا جعله شفاء لما في الصدور . . . وبعد فيقول العبد المذنب المسئى حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى جعله الله تعالى من الواقفين ببابه المتسكين بكتابه : هذا كتاب لطيف وسفر شريف علمته في اثبات تحريف القرآن وفضايح أهل الجور والعدوان . . .)

(٢) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص / ١١ وراجع الشيعة والقرآن ص / ١٣٣ .

(٣) فصل الخطاب ص / ٢٢٧ .

(١) أخبرني بعض الثقات أن المسيحيين ترجموا هذا الكتاب بلغاتهم ونشروها (١)
وأبرز ما في كتاب (فصل الخطاب) من افتراء على كتاب الله عز وجل ما يسمونه
سورة الولاية ويدعون أنها من القرآن الكريم ، وقد أثبت النوري هذه السورة في
كتابه (٢) نقلا عن كتاب (دبستان مذاهب) باللغة الايرانية لمؤلفه محسن فاني
الكشميري .

كما أن الشيخ محب الدين الخطيب ذكر أن كبير خبراء وزارة العدل بمصر اطلع
على مصحف ايراني مخطوط عند المستشرق براين وفيه سورة الولاية المزعومة ، وفوق
سطورها العربية ترجمتها باللغة الايرانية فنقل منه تلك السورة بالفوتوغراف ، ونشرها
محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة) (٣) .

وقد اهتم المستشرقون كثيرا بها واعتبروها فرصة سانحة لهم للطعن بالاسلام
ولذلك نقلها المستشرق (نولدكه) في كتابه تاريخ المصاحف (١٠٢ / ٢) ونشرتها
الجريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ (ص ٤٣١ - ٤٣٩) (٤)

وهكذا يزرع في صفوف المسلمين من يحاول أن يطعنهم من الداخل ثم يتمسك
الأعداء بذلك الطعن الذي كان بتحريض منهم فيواجهون به المسلمين ليطعنوهم به
من جديد .

والنوري لم يؤلف هذا الكتاب الا بتحريض من أعداء الاسلام الذين يبذلون كل
ما لديهم من طاقة وامكانات للكيد لهذا الدين . ولست بهذا القول متجنيا عليه
بل إن أحد علماءهم قد اعترف بذلك أيضا وهو محمد علي القاضي الطباطبائي الذي
قال في محاولة لتبرير هذا الجرم الخطير .

(١) أحسن الوديعه للأصفهاني ص / ٩٠ .

(٢) فصل الخطاب ص / ١٨٠

وقد عرض احسان الهى ظهر في كتابه (الشيعة والقرآن) هذه السورة
المزعومة مصورة من صفحات كتاب (فصل الخطاب) فارجع اليها : صفحة /
٢٠ - ٢١ من كتاب الشيعة والقرآن .

(٣) الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية ص / ١٢ .

(٤) المرجع السابق ص / ١٣ .

(يقال إن بعض أعداء الدين وخصماء المذهب حرضه على تأليف ذلك الكتاب ، وهو رحمه الله لم يشعر بذلك الغرض الفاسد ، وليس هذا الحدس أو النقل ببعيد ^(١)) . . .
ومع أن هذا الاعتراف يعد في غاية الخطورة لكنه يحمل في طياته أيضا تخطيهم في محاولة ستر سواآت الطبرسي وأسلافه من علمائهم بأعداءه هي أقبح من الجرم الذي أقدموا عليه بطعنهم في القرآن الكريم وافترائهم على الله ورسوله .

ومفاد كلام الطباطبائي أن النوري الذي وصفوه بالعالم الكامل المتبحر الخبير والناقد البصير أصبح ألعوبة في أيدي الأعداء وأداة مسخرة للطعن في الإسلام وهو لم يشعر بذلك . . .

ويعتبر الطباطبائي على النوري لتأليفه هذا الكتاب الذي كشف فيه عما كانوا يخفونه تقية فيقول : (ما أجاد في تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه ، وليته لم يؤلفه ، وإن ألفه لم ينشره ، وقد صار ضرره أكثر من نفعه ، بل لا نفع يتصور في نشره ، فإنه جهّز السلاح للعدو وهيأه وأدّاه إلى أيدي خصماء الإسلام ^(٢)) . . .
فالطباطبائي لا ينكر على النوري اعتقاده بهذه الفرية المكفرة ، ولكنه ينكر عليه تأليفه لهذا الكتاب الذي جمع به شتات هذه الفرية من أمهات كتبهم ونشره له ولذلك عتب عليه بقوله : (ليته لم يؤلفه وإن ألفه لم ينشره) . . .

وبعد هذا الاستعراض المجل لأبرز من قال بهذه الفرية من علماء الشيعة يجد الباحث نفسه مضطرا للحكم بأن الطعن في القرآن الكريم فكرة أصيلة عند الشيعة وعقيدة من العقائد التي كادت كلمة علمائهم تتفق عليها ، وقد اعترف بذلك الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) كما أسلفنا بل لقد أكد البحراني (ت ١٠٨٠ هـ) وهو من أشهر مفسري الشيعة أن هذه العقيدة تعد من ضروريات مذهب التشيع فقال :
(وعندني من وضوح صحة هذا القول - أي القول بتحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع ^(٣)) . . .

(١) حاشية الأنوار النعمانية ٣٦٤ / ٢ .

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة .

(٣) تفسير البرهان ص ٤٩ / المصممة

ومع ذلك فانهم لم يجمعوا على هذا الرأى ، فقد خالف أربعة من علماء الشيعة القدماء وصرحوا بأن القرآن الكريم لم ينله أى نقص أو تغيير، ولئن تعرض أراء هؤلاء :
القائلون من علمائهم القدماء بعدم التحريف :

أشتهر هذا القول عن أربعة من علماء الشيعة القدماء وهم :
ابن بابويه القمى الصدوق ^(١) (ت ٣٨١) - السيد المرتضى ^(٢) (ت ٤٣٦ هـ)
وأبو جعفر الطوسى ^(٣) (ت ٤٦٠ هـ) - وأبو على الطبرسى ^(٤) (ت ٥٤٨ هـ)
ويعد ابن بابويه أول من برز فى علماء الشيعة بهذا القول ولم يستند فى انكاره
لهذه العقيدة الشيعية الى أى رواية من رواياتهم الصريحة فى ذلك بل اكتفى
بالانكار فقال :

(اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
هو ما بين الدفتين ، وهو ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك . . ومن نسب
إلينا أن نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب) ^(٥)

-
- (١) سبقت ترجمته ص / ٢١٣ من هذا البحث -
(٢) السيد المرتضى : هو أبو القاسم على بن الحسين بن موسى ، يصل نسبه الى
جعفر الصادق ، وقد كان أبوه عظيم المنزلة فى الدولة العباسية والدولة
البويهية ، ولد فى سنة ٣٥٥ هـ وقرأ هو وأخوه الشريف الرضى على الشيخ
المفيد ، وله مصنفات كثيرة منها : كتاب الشافى فى الامامة ، وكتاب الملخص
فى الأصول ، وكتاب الأمالى ، وله المسائل الطرابلسية ، والمسائل الحلبية
وله ديوان شعر وغير ذلك (لؤلؤة البحرين ص / ٣١٣ - ٣٢٣) .
(٣) سبقت ترجمته ص / ٢١٤
(٤) سبقت ترجمته ص / ٣١٢
(٥) الاعتقادات لابن بابويه - نقلا عن الشيعة والقرآن ص / ٦١ .

وكذلك الشيخ أبو جعفر الطوسي فقد قال :

(أما الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فلا يليق به ، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه الظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى (ره) ، وهو الظاهر في الروايات (١) .

أما الروايات التي امتلأت بها كتبهم وهي صريحة في القول بالتحريف ، فقد قال عنها الطوسي :

(الأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين ، فإن ذلك معلوم صحته ، ولا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه .

ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتسك بما فيه ، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع اليه ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم رواية لا يدفعها أحد أنه قال : " اني مخلف فيكم الثقيلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . . . " (٢)

وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالتسك بما لا نقدر على التسك به ، وإذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه (٢)

وذكر قريبا من هذا المعنى الشيخ أبو علي الطبرسي في تفسيره ، كما حكى عن المرتضى أنه استوفى الكلام في ذلك غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات (٣) .
ويلاحظ أن انكار ابن بابويه كان جزما ، أما الطوسي فإنه لم يجزم بتكذيب من ادعى النقص ، وغاية ما عنده تأكيد أن هذا الموجود هو من كلام الله تعالى ، وأن العمل به كاف لمن عمل .

(١) تفسير التبيان - المجلد الأول ص / ٣

(٢) المرجع السابق ص / ٣ - ٤

(٣) مجمع البيان للطبرسي ١٥ / ١ .

(*) ورد هذا الحديث من طرق أهل السنة ، وقد سبق تخريجه ص / ٢٥٢

أما الروايات التي ذكرت التحريف فلم يجزم الطوسي بتكذيبها وانكارها وإنما
بيّن أن الأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها .

- ونتساءل الآن : هل يُعد انكار هؤلاء العلماء الأربعة لتحريف القرآن إنكاراً
حقيقياً أم هو على سبيل التقية وخوفاً من بطش أهل الحق ونفرة الناس عنهم وتجنباً
عن العار والفضيحة ؟

- يرى نعمة الله الجزائري : وهو أحد علماء الشيعة القائلين بالتحريف بأن
إنكار هؤلاء الأربعة ليس على حقيقته بل هو للتقية .
فيقول :

(الظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة ، منها سد باب الطعن
عليهم بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق
التحريف لها ، وهؤلاء الأعلام رَوَوْا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك
الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا) (١)

- وهذا النوري الطبرسي يؤكد أن تفسير التبيان الذي ألفه أبو جعفر الطوسي
وَضَمَّنَه قوله بنفي التحريف لم يكن تأليفه له إلا على سبيل التقية والمماشاة مع أهل السنة
فيقول : (لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المدارة
والمماشاة مع المخالفين فانك تراه اقتصر في تفسير الآيات على نقل كلام الحسن وقتادة
والضحاك وأمثالهم ولم ينقل عن أحد من مفسري الإمامية ، ولم يذكر خبراً عن أحد من
الأئمة - ع - إلا قليلاً في بعض المواضع . . . وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على
وجه المماشاة .

فمن المحتمل أن يكون هذا القول - أي نفي التحريف - منه فيه على نحو ذلك ، وما
يؤكد كون وضع هذا الكتاب على التقية ما ذكره السيد الجليل علي بن طاوس في
(سعد السعود) وهذا لفظه : ونحن نذكر ما حكاه جدي أبو جعفر محمد بن الحسن

(١) الأنوار النعمانية ٢ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .

الطوسي في كتاب التبيان وحملته التقية على الاقتصار عليه من تفصيل المكي من
المدنى (١) .

- وكذلك صرح أحد علماء الشيعة في الهند وهو أحمد سلطان أن علماء الشيعة
الذين أنكروا التحريف في القرآن لا يحمل انكارهم الا على التقية (٢) .

ومع أن هذه النصوص من أقوال علماء الشيعة لهما أهمية بالغة في هذا المقام
لكننا لن نقول عليها كثيراً ولن نستند اليها في إثبات نسبة هذه العقيدة المنحرفة
لهؤلاء الأربعة من علماء الشيعة ، لأننا مطالبون شرعاً بأن نحاكم الناس الى ظاهر
أقوالهم ونكل سرائرهم الى الله عز وجل .

مع ذلك ينبغي ألا نخدع بتلك الظواهر بل لا بد من تمحيص أقوالهم ومقارنتها
بأقوال أخرى لهم وخاصة مع مثل هؤلاء الذين يعدون التقية دينهم ويجعلونها
فرضاً لازماً كالصلاة وقد ذكر النورى الطبرسى عدة روايات في كتابه (فصل الخطاب)
نقلها عن ابن بابويه القمي الذي رواها بسنده عن أئمة أهل البيت (٣) ، وهذه
الروايات صريحة في ذكر وقوع التحريف في القرآن الكريم ، واستند اليها النورى فى
الاستدلال على أن عقيدة ابن بابويه فى ذلك لا تخلف عن عقيدة عامة علماء الشيعة
ولكنه قال ما قاله تقيه .

(١) فصل الخطاب ص / ٣٤ .

(٢) ذكر ذلك احسان الهى ظهير فى كتابه الشيعة والقرآن ص / ٩١ نقلاً عن

كتاب : (تصحيح كاتيين) ص / ١٨ .

(٣) راجع فصل الخطاب ص / ٣٢ ، ١٤٥ ، ٢٨٢ .

كما أن احسان الهى ظهير ذكر تسع روايات لابن بابويه تؤكد اعتقاده بالتحريف

ونقلها من كتبه : من لا يحضره الفقيه ٣ / ٤٥٩ - الخصال ص / ١٢٤ -

معانى الأخبار ص / ٣١٣ - ٣١٤

راجع الشيعة والقرآن ص / ٦٨ - ٧٠ .

كما أن الطوسي قام بتهذيب كتاب (رجال الكشي) (١)

- الذي يحوي أخبارا صريحة في وقوع التحريف - فلم يحذفها بل أثبتها مع كونها لا تخفى عليه .

وأبرزها رواية (أنزل الله في القرآن سبعة بأسمائهم فمحت قريش ستة وتركوا أبا لهب) (٢)

فهل هذه قرينة على أن إنكاره للتحريف كان من قبيل التقية ؟
بيد وأن الأمر كذلك والله أعلم .

أما الآخرون (المرتضى وأبو علي الطبرسي) فمع أن بعض علماءهم عدوا نفيهم تقية لكننا نقبل منهم علانيتهم في نفي وقوع تحريف القرآن ونكل سرائرهم إلى الله ما لم نطلع على أقوال لهم تخالف ذلك .

موقف علماء الشيعة المعاصرين من طعن أسلافهم في القرآن الكريم :

وجد علماء الشيعة المعاصرون أنفسهم أمام سيل كبير من النصوص والروايات التي امتلأت بها كتب أسلافهم في تأكيد عقيدتهم في الطعن في القرآن الكريم واتهام الصحابة الكرام بتحريفه والحذف منه ، فحاولوا أن ينفخوا ذلك عن الشيعة .
ولكن كان بإمكان هؤلاء العلماء إن أرادوا الخير لأنفسهم ولطائفتهم ، وكانوا غيورين على الإسلام حريصين على تجنب سخط الله تعالى أن يعلنوا بصراحة عدم ثقتهم بكل من ثبت عنه القول بهذه الضلالة مهما كان شأنه ، وأن كل من سطر فسى كتبه مثل هذه المزاعم أقواله مردوده لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، بل يعلنوا ويصرحوا بكفر من اجترأ على ذلك .

(١) سيرد الحديث عن هذا الكتاب عند الكلام عن التقية في الرواية .

راجع ص / ٤٧٨ واسم الكتاب : (اختيار معرفة الرجال المعروف برجال

الكشي) لأبي جعفر الطوسي - تعليق : حسن المصطوفى .

(٢) رجال الكشي ص / ٢٩٠ .

كما أنه ينبغي عليهم أن يتوقفوا عن طبع كتب أولئك الأسلاف القائلين بهذا القول ويمنعوا نشرها لئلا تشوه عقيدة أتباعهم .

لكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك أبداً . وكيف يُقدِّرون على الطعن بأسلافهم الذين كانوا الأسس الأولى للعقائد الشيعية والدعائم التي قام عليها الفكر الشيعي عبر القرون، بل لقد فعلوا عكس ذلك تماماً فنشروا كتب هؤلاء الأسلاف وقدَّموها بمقدمات طويلة أشبعوا فيها مؤلفيها بالمدح والثناء ، ونشطت مطابع النجف وطهران وقم وميروت وغيرها في طباعة هذه الكتب ونشرها بإشراف وتحقيق أبرز علماء الشيعة المعاصرين .

ثم بعد ذلك قال لنا أولئك العلماء : إننا ننكر دعوى تحريف القرآن ولا نرضى أن تتهم بالقول بها طائفة الشيعة ، وقاموا بتوجيه سيل من السباب والشتائم لكل من ينسب هذا القول إليهم من علماء أهل السنة . (١)

(١) والمعاصرون من الشيعة نشيطون جداً في محاولات التصدي لكتابات أهل السنة التي تفضح عقائدهم ، ولا يملكون في الدفاع عن أنفسهم إلا التباكي على ما حل بآل البيت من ظلم والتحسر على تهدم وحدة المسلمين وشتتهم إلى فرق، وقد صدر في ذلك كتب كثيرة أذكر منها ما وقع تحت يدي أثناء كتابة هذه السطور منها كتاب : (أضواء على خطوط محب الدين) - تأليف : عبد الواحد الأنصاري . وكتاب (مع الخطوط العريضة) للخاقاني وكلاهما رد على كتاب (الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الاثني عشرية) لمحب الدين الخطيب . وكتاب : الشيعة بين الحقائق والأوهام / لمحسن الأمين رداً على كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جبار الله . وكتاب : الحصون النعمة في رد ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة / لمحسن الحسيني العاملي، رداً على ما أورده محمد رشيد رضا في مجلة (المنار) .

وكتاب : مع أحمد أمين في حديث المهدي والمهدية / لمحمد أمين زين الدين رداً على الدكتور أحمد أمين .

وقاموا بنفس الوقت بإبراز احترامهم واجلالهم لأسلافهم من القائلين بالتحريف،
وسطروا في كتبهم مئات الصفحات في التمجيد بأولئك الأسلاف واظهار الولاء لهم
والثقة بأقوالهم .

فماذا يكون موقف الباحث تجاه تلك التناقضات الخطيرة ؟

لقد اضطر كثير من الباحثين للقول بأن إنكار علماء الشيعة المعاصرين للتحريف
يُعد تقية والذي ألجأهم الى هذا الحكم ما رأوه من المواقف المتضاربة في إنكار
التحريف حيناً والثناء على المعتقدين^١ حيناً آخر ، فالعلماء المعاصرون من الشيعة
يمثلون دوراً مزدوجاً يرضون به جميع الأطراف دون التخلي عن شيء من موروثاتهم
السابقة .

هذا هو رأى كثير من الباحثين في موقف علماء الشيعة المعاصرين من قضية

التحريف .

= وكتاب : إلى مشيخه الأزهر / لعبد الله السبتي . رداً على كتاب : المهدوية
في الاسلام / لسعد محمد حسن ، وكتاب : الجبهان سليل الشيطان / لأحمد
مغنية رداً على كتاب : تبديد الظلام وتبويه النيام لابراهيم سليمان الجبهان .
وكتاب : عقيدة الشيعة في الامام الصادق / لحسين يوسف مكي العاملي
رداً على كتاب : الامام الصادق / للشيخ محمد أبوزهرة .
وكتاب : في ظلال الوحي / لعلي فضل الله الحسيني رداً على كتاب : لاسنة
ولاشيعة / لمحمد علي الزعبي .
وكتاب : صوت الحق ودعوة الصدق / لطف الله الصافي رداً على كتب إحسان
إلهي ظهير . . وغير ذلك كثير، وأهم من ذلك كتاب الغدير / لعبد الحسين
الأميني النجفي - ١١ مجلد -

وفيه ردود طويلة على الامام ابن تيمية وكتابه منهاج السنة ، وعلى الامام
ابن حزم وكتابه الفصل ، وعلى كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق
للبيهقي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبداية والنهاية لابن كثير،
ومحاضرات في تاريخ الامم الاسلامية للخضري ، وكتاب السنة والشيعة لمحمد
رشيد رضا ، وكتاب الصراع للقضيبي ولكن هذه الردود لا تزيد على كونها =

ومن أبرز القائلين بهذا الرأي : محب الدين الخطيب في (الخطوط العريضة)^(١)
واحسان الهي ظهير في كتبه : (الشيعة والسنة)^(٢) و (الشيعة والقرآن)^(٣) و
(الشيعة وأهل البيت)^(٤) ومحمد مال الله في كتابه (الشيعة وتحريف القرآن)^(٥)
ومحمد عبد الستار التونسي في كتابه (بطلان عقائد الشيعة)^(٦)

ولكن هناك رأى آخر في تفسير إنكار علماء الشيعة المعاصرين للطعن فى القرآن الكريم ومثّل هذا الرأى : ناصر عبد الله القفاري في بحثه عن فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة^(٧) .

فيقول :

(هذا الموقف من كبار علماء الشيعة فى ردّ وإنكار ما ورد فى كتبهم مما يمس كتاب الله سبحانه ، لانقول إنه تقية ، فلا سبيل الى معرفة ذلك على وجه اليقين ، وان كان البعض من السنة والشيعة قد ذهب إلى ذلك ، لكن أقول بأن من يتبرأ من هذا الكفر (بعد الايمان بالله ورسوله) نقبل ذلك منه والله يتولى السرائر ، وهذا الانكار - إن كان بصدق - خطوة يجب أن تتلوها خطوات ، وذلك بأن يعيدوا النظر فى سائر ما شذوا به عن جماعة المسلمين) .

= اتهامات فارغة لعلماء أهل السنة وتزييف لما أوردوه من حقائق عن الشيعة ومطالبة بعدم نبش الماضي .

أضف إلى ذلك مئات الشتائم التى أفرغوا عن طريقها ما فى نفوسهم على علماء أهل السنة قد تصل أحيانا الى القذف بأشنع الألفاظ التى لا يليق بأن ينطق بها مسلم - راجع مثلا ما أوردّه أحمد مغبة فى كتابه (الجبهان سليل الشيطان) ص / ١٩ ٤ ١٩٠ ...

(١) راجع ص / ١٠ - ١١

(٢) راجع ص / ١٢٤

(٣) راجع ص / ٥٨ - ٥٩

(٤) راجع ص / ٧

(٥) راجع ص / ٧٨ - ٧٩

(٦) راجع ص / ٤٣

(٧) هذا البحث عبارة عن رسالة ماجستير فى قسم العقيدة - جامعة الامام محمد =

ولعل القارئ لأول وهلة يوافق الباحث ناصر القفاري في موقفه هذا .
ولكن لا بد لنا قبل هذا الحكم أن ننظر نظرة متأنية نستعرض من خلالها نصوص أبرز
علماء الشيعة المعاصرين في هذه القضية ، ثم نحكم على كل واحد منهم حكماً
نستنتج من مناقشة تلك النصوص .
ومن خلال استعراض شامل لنصوص أولئك المعاصرين في هذه المسألة نجد أنه
من الممكن تقسيمها الى قسمين ، وكل منهما يعتبر سلكاً مستقلاً في طريقة إنكار
هؤلاء المعاصرين للتحريف :

= ابن سعود بالرياض بإشراف الدكتور : صالح الفوزان - والبحث لم يطبع
حتى الآن .

وقد عرض الباحث لفكرته هذه ص / ١٩١ - ١٩٢ من بحثه .

المسلك الأول :

النفي المطلق لوجود من يعتقد بالتحريف من الشيعة ، والحكم بالخطأ والضلال والشذوذ على كل من قال بهذا القول مع تبرئة الشيعة الامامية أن يكون أحد منهم قال بتحريف القرآن، ولنستعرض جانباً من أقوال من سلك هذا المسلك من علماء الشيعة المعاصرين :

وأولهم : محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١) : وقد قال في كتابه (أصل الشيعة وأصولها)^(٢) مانصه : (يعتقد الشيعة الامامية . . أن الكتاب الموجود بين أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليهم للعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتعيين الحلال من الحرام ، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة ، وعلى هذا إجماعهم ، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ)^(٣) ولتناقض هذا القول من خلال النقاط التالية :

١ - أول ما يلفت الأنظار في هذا القول أنه حكم بإجماع الشيعة على نفي التحريف وهذا الحكم مردود بدليل ما أوردناه من نصوص تكاد تجعلهم يتفقون قديماً على القول بالتحريف .

وقد وقع كاشف الغطاء بتناقض نتيجة محاولته إخفاء أقوال أسلافه فادعى الإجماع أولاً وهذا يعني عدم وجود من يخالف ثم قال : (ومن ذهب منهم أو من غيرهم . . الى وجود نقص) فاعترف بأن بعضاً من الشيعة ذهب الى القول بوجود النقص . فأين الإجماع إذا ؟

٢ - يلاحظ أنه حكم على القائل بالتحريف بأنه مخطئ ولم يزد على ذلك ، وكأنها مسألة اجتهادية قابلة للأخذ والرد وليست متعلقة بالأصل الأول من أصول المسلمين !!

(١) سبقت ترجمته ص / ٣٢٦ من هذا البحث

(٢) ص / ١٠٦

وإذا كان كاشف الفطاء قد حكم بعد أسطر من هذا النص بأن من ادعى نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله (١) فلماذا لم يحكم هذا الحكم أيضاً على من يدعي تحريف القرآن الكريم ؟ مع أن الايمان بصحة القرآن الكريم في عقيدة المسلمين لا يختلف عن الايمان بختم النبوة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أنكر أيهما فهو كافر بإجماع من يُعتد به من المسلمين لكنه اكتفى بلفظة (مخطئ) صيانة لمكانة أسلافه من علماء الشيعة كالكليني والصفار والعيثي والكاشاني وغيرهم بـل صيانة لشيخه المباشر صاحب كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وهو النوري الطبرسي الذي يَكُنُّ له كل محبة واحترام .

٣ - لا بد لنا من أن نقارن النص السابق لكاشف الفطاء مع نص آخر يشي فيه على شيخه النوري الطبرسي ، ويظهر فيه بوابل من كلمات التعظيم والتبجيل، فيقول عنه :

(علامة الفقهاء والمحدثين ، جامع أخبار الأئمة الطاهرين ، حائز علوم الأولين والآخرين حجة الله على اليقين ، من عقت النساء عن أن تلد مثله ، وتقاست أساطين الفضلاء فلا يُداني أحد فضله ونبله ، التقي الأواه ، المعجب ملائكة السماء بتقواه ، من لو تجلّى الله لخلقه لقال هذا نوري ، مولانا ثقة الاسلام الحاج ميرزا حسين النوري، أدام الله تعالى وجوده الشريف) (٢) .

هذه الألفاظ الرنانة والمسبوكة التي أشبع بها كاشف الفطاء شيخه النوري مدحاً وأوصله بها لدرجة تكاد تفوق درجة النبيين، ألا تدل على موافقته لدعواه في تحريف القرآن ؟

وكيف يجتمع في قلب واحد الايمان بصحة القرآن الكريم وسلامته من أي تغيير، وهذه المحبة العظيمة لمن يطعن فيه ويزدريه ؟ وكيف يصبح النوري في رأيه مظهراً لتجليات

(١) ص / ١٠٦

(٢) نقلاً عن مقدمة (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار) للنوري الطبرسي

نور الله وهو القائل بهذا القول الذى يناقض الاسلام فهل يلتقي الايمان والكفر معاً ؟
 وأخيراً ألا يرى القارىء معنا أن هذه التناقضات التى ظهرت من خلال نفي
 كاشف الغطاء لتحريف القرآن تدل - وللأسف - على أن نفيه وانكاره كان تقيّه ؟
 حتى ولو افترضنا أنه لا يعتقد بالتحريف بتاتا أفلا يدل اخفاؤه بل وانكاره لوجود
 هذا الانحراف عند الشيعة على أنه يستخدم التقية دفعاً لهذه التهمة الخطيرة
 عن قومه وخوفاً من أن يُطعن فى ايمانهم .
 إنها تقية بلاشك . . . وليس هذا الحكم ناتجاً من اطلعنا على خفايا نفسه ولكنها
 كلماته الناطقة بذلك ، وعباراته التى تجعل الباحث مضطراً للتوصل الى هذه
 النتيجة المؤسفة !! وأمره الى الله . .
 ولننتقل الى عالم شيعى آخر من سلك المسلك الأول فى الانكار المطلق لوجود
 من ادعى التحريف من علمائهم :

الثانى - محسن الأمين فى كتابه (الشيعة بين الحقائق والأوهام) ان يقول :

(كُتب المحققين ومن يعتنى بقولهم من علماء الشيعة مجمعة على عدم وقوع تحريف
 فى القرآن لا بزيادة ولا نقصان) (١)

وهذا النص كسابقه يحاول تعمية الأبصار عن عشرات النصوص ومثلت الروايات
 الواردة عندهم فى الطعن فى القرآن الكريم ، وادعائه اجماع من يعتنى بقولهم على
 عدم التحريف دعوى غير صحيحة ، وان استخدام التقية فيها واضح .
 إن كيف يعد من قال بالتحريف من لا يعتنى بقوله ، وهو نفسه قد اعتنى بأقوال
 الكليني وأمثاله من أسلاف الشيعة بل واعتنى أكثر بأقوال النوري صاحب (فصل الخطاب) ؟
 وهل يمكنه أن يزعم أن أقوال الكليني وروايته فى الكافي لا وزن لها عند الشيعة
 ولا مكانة وأن الكليني ليس من العلماء المحققين المعتمد بأقوالهم ؟

ولنفعل هنا مثل ما فعلنا فى مناقشتنا لنص كاشف الغطاء ، فالأمين أيضاً له كلام مهم
 فى الشفاء على الشيخ المفيد وعلى كتابه (أوائل المقالات) الذى ادعى فيه اتفاق

الامامية على القول بالتحريف .

يقول محسن الأمين في الشناء على المفيد :

(فقيه الامامية في عصره ، وعالمهم ومتكلمهم ، ومن امتاز في صناعة المناظرة) محمد

ابن النعمان الطلقب بالشيخ المفيد . . ومن مؤلفاته الممتعة (أوائل المقالات)^(١)

كما أن للأمين كلاما آخر أخطر من سابقه في تعظيم النوري الطبرسي والاشادة

بعلومه وهذا نصه :

(كان - أي النوري - عالما فاضلا محدثا متبحرا في علمي الحديث والرجال عارفا

بالسير والتاريخ منقبا فاحصا زاهدا عابدا لم تفته صلاة الليل ، وكان وحيد عصره

في الحاطة والاطلاع على الأخبار والآثار والكتب)^(٢)

فماذا يكون موقف الباحث تجاه هذا التناقض الذي أوجده التستر على مدعي

التحريف عندهم ؟

ففي النص الأول ينبغي أن يقول بهذه الفرية أحد الشيعة المحققين ومن يعتنى بقولهم

وفي النص الثاني الذي يثني فيه على أبرز القائلين بالتحريف (وهو الطبرسي) نجده

يصفه بالتبحر في العلوم والتنقيب والفحص والحاطة ويزيد على ذلك كله بأنه وحيد

عصره !!

إن أبا النوري ممن يعتنى بقولهم . ولكنه يخالف الاجماع الذي زعمه محسن الأمين بل

إن عشرات السابقين من أسلافه المعتمدين والأركان عند الشيعة قالوا قبله بهذه

الفرية .

فلماذا لم يكن محسن الأمين صريحا مع نفسه في انكاره لهذه المطاعن بكتاب الله

فيعترض على قائلها ويكف عن توثيقهم والثناء عليهم والاشادة بهم ؟

بيد وأنا سنضطر هنا أيضا - وللأسف - أن نحكم بأن هذا التناقض في كلام

(١) مقدمة أوائل المقالات - صفحة / ز

(٢) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٢٧ / ١٣٩ . نقلا عن مقدمة كشف الأستار

محسن الأمين يدل على أن إنكاره لهذه الفرية يعد تقيّه .
إن كيف ينكرها ثم يشني على قائلها ثناءً شديداً ، ويصفه بالزهد والفضل والصلاح
ويوثق أقواله وعلومه ؟

الثالث - محمد رضا المظفر (١)

يقول في كتابه (عقائد الإمامية) تحت عنوان (عقيدتنا في القرآن الكريم) :
(نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي . . لا يعترضه التبديل والتغيير والتحريف ،
وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبّه ، وكلهم على غير هدى ، فانه
كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٢)
ويلاحظ في هذا القول أنه لم يطلق كلمة الكفر على من ادعى تحريف القرآن من علماء
الشيعة ، واكتفى بأنهم على خطأ واشتباه وهذا تبرير لهم ، بل إنه لم يشر إلى
وجود من قال بالتحريف من الشيعة وتفاضى عن نصوص أسلافه ورواياتهم ، وهذا
ما فعله أيضاً كاشف الغطاء ومحسن الأمين كما رأينا .

(١) سبقت ترجمته ص / ٣٢٧ من هذا البحث

(٢) صفحة ٦٤

(١)

الرابع - عبد الحسين شرف الدين الموسوي

يقول في كتابه : (الفصول المهمة في تأليف الأمة) ما نصه :

(كل من نسب إليهم - أي الامامية - تحريف القرآن فانه مفتر عليهم ظالم لهم ، لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد باجماع الامامية . . والقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين اللفتين ، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ، ولا تبدل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف . . وهذا كله من الأمور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الامامية ولا عبرة بالحشوية فانهم لا يفقهون)

(٢)

ولننظر الى هذا النص الذي حاول فيه الموسوي أن يخفي مزاعم سابقة ويسترها تقية ، فنقول : كم نتمنى أن يكون كلام الموسوي صادقاً وأن تكون هذه هي عقيدة جميع علماء الشيعة منذ القدم في القرآن الكريم ، لكن الواقع عكس ذلك تماماً كما رأينا . والذين نسبوا ذلك الى الامامية ليسوا من أهل السنة بل هم من أبرز علماء الشيعة كالكليني الذي حشد الروايات لابرار هذه الغربة ، والمفيد الذي صرح بأن الامامية اتفقوا على ذلك ، والبحراني الذي عدّ هذه الغربة من ضروريات مذهب التشيع ، والجزائري الذي دافع عنها بقوة وحماس ، وغيرهم فهل هؤلاء في نظر عبد الحسين

(١) ولد عبد الحسين في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ ودرس في النجف وسامراً على يد أعلام الشيعة ، أقام في صور ورحل الى سورية وفلسطين ثم عاد الى صور وتوفي فيها سنة ١٣٧٧ هـ ودفن في النجف ومؤلفاته كثيرة أبرزها :
المراجعات - والفصول المهمة في تأليف الأمة - وأبوهريرة (يطعن فيه بالصحابي الجليل) وأجوبة مسائل جاز الله .

راجع: مقدمة المراجعات ص / ٣ - ٢٣ - الأعلام

٢٧٩ / ٣

(٢) صفحة ١٦٥ - ١٦٦

ظالمون للشيعة مفترون عليهم ؟

الجواب على ذلك نجده في كلام عبد الحسين نفسه حيث يصف الكليني

- وهو من أبرز القائلين بالتحريف - بأنه ثقة الاسلام ويصفه مع غيره من علماء

الشيعة بأنهم (أبطال العلم وأبدال الأرض الذين قصروا أعمارهم على النصح

لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين ولعلمائهم) (١)

ويصف كتبهم بأنها مقدسة وأنها مستودع علوم آل محمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

كما يصف المفيد أحد القائلين بالتحريف بقوله : (إمام الأمة ومثل أهل العصمة

شيخنا ومولانا . . المعروف بالشيخ المفيد ، أعلى الله مقامه . . ولو وجبت العصمة

لغير الانبياء وأوصيائهم لكان أول من وجبت له بعد هم عليهم السلام فكتبه كلها

(٣)

نور وهدى وشفاء لما في صدور) . .

وهذا الكلام يذكره الموسوي في تقريره لكتاب (أوائل المقالات) الذي ادعى

فيه المفيد اتفاق الامامية على القول بتحريف القرآن .

فانظر أيها القارئ الى هذا التلون والخداع ، حيث يشني كل هذا الشناء على

مروجي فرية التحريف ثم يدعي براءة الامامية من القول بالتحريف وأن من نسب ذلك

اليهم فهو مفتر عليهم ظالم لهم !!

صاحب

بل ان النوري الطبرسي / (فصل الخطاب) هو استاذ عبد الحسين (٤) الذي

نناقش دعواه هنا فهل يعد أستاذة أيضا مفترياً وظالماً ؟

(١) المراجعات ص / ٦٨

(٢) المراجعات ص / ٦٨

(٣) مقدمة أوائل المقالات - صفحة / هـ

(٤) راجع مقدمة علي الحسيني الميلاني لكتاب (كشف الاستار) تأليف النوري

الطبرسي . فقد ذكر ترجمة وافية للنوري في هذه المقدمة وعد كثيرا من

تلاميذه أمثال محمد حسين كاشف الغطاء وعبد الحسين شرف الدين - ومحمد

باقر الاصفهاني - عباس القمي . . وغيرهم - أنظر ص / ٢٣ / كشف الاستار

وهؤلاء كلهم مع علي القمي والصفار والعياشي وعشرات آخرين من أساطين علماءهم وأعمدة مذهبهم هل هم عند الشيعة حشوية لا يفقهون ؟ وإذا كانوا كذلك فلماذا لا يفصحون عن أسمائهم ويضعون في كتبهم ؟ بل لماذا لا يحكمون بكفرهم وردتهم طبقاً لقول عبد الحسين في كل من ادعى التحريف ؟
والعجيب هنا أن عبد الحسين الموسوي يطلق لألفاظه العنان حتى يتجراً على دعوى إجماع الإمامية على أمرهم على نقيضه تماماً فكيف نوفق بين قوله هذا وبين قول شيخهم المفيد بأن الإمامية اتفقوا على القول بالتحريف ؟
(١)
الخامس - إبراهيم الموسوي الزنجاني

يقول في كتابه (عقائد الإمامية الاثني عشرية) ما نصه :
(قد أجمع علماء الإمامية طراً على عدم وقوع التحريف في القرآن ، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم) (٢)
وفي هذا النص نجد أن الزنجاني أيضاً يتبجح بدعوى إجماع الإمامية مردداً ما سبقه إليه عبد الحسين الموسوي لا خفاءً أخطر عقيدة من عقائد الشيعة ، وهذه دعوى ظاهرة البطلان .
بل إنها أيضاً ظاهرة في استخفاف الزنجاني بالناس وتدليسهم عليهم ظناً منه أن براعته في استخدام التقية تخفي على الآخرين ما قاله أسلاف الشيعة في هذا المجال .

-
- (١) أحد علماء المعاصرين ، ولد في قصبة صائن قلعة أبهر زنجان ودرس في قم وهاجر إلى النجف سنة ١٣٦٤ هـ ، وكتابه هذا صدره بعض علماءهم بتقارير عديدة قالوا فيها إنه جمع العقائد والآراء المشهورة بل المسلّمة عند الإمامية ، وقال فيه مؤلفه بأنه : (تحقيقات شافية وتدقيقات وافية . . . بالبراهين القطعية والأدلة اليقينية . . .) راجع مقدمة الكتاب ص / ٤ وراجع كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلي . حيث علّق عليه الزنجاني وترجم فيه لنفسه ص / ١٠
- (٢) عقائد الإمامية الاثني عشرية - صفحة / ٥٤ - مؤسسة الأعلي للمطبوعات بيروت - ط ٢ - ١٣٩٣ هـ

السادس - حسين يوسف مكي العاملي (١)

يقول في كتابه (عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الأئمة) ما نصه :
 (نعتقد نحن الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي بأيدينا اليوم ، الذي يقرأه
 العالم الاسلامي على ما هو عليه الآن ، هو القرآن الذي أنزله الله تعالى شأنه
 على نبيه صلى الله عليه وسلم لا نقص فيه ولا زيادة . . وقد أجمعت كلمة علمائنا
 خصوصاً المحققين منهم على عدم النقص والزيادة فيه . . ولا عبرة بقول شاذ (٢)
 ثم يقول : (النقص لا يدعيه أحد من علماء الامامية حتى ثقة الاسلام الامام الكليني
 فانه يعتقد بنزاهة القرآن وصيافته عن النقص والزيادة) (٣)
 ويستدل على دعواه هذه بأن جميع الروايات التي ذكرها الامام الكليني في ذلك
 ضعيفة ولذلك جعلها تحت عنوان (باب النوادر) إشارة الى طعنه فيها . (٤)
 ونوجز الرد على هذه الدعاوى في النقاط التالية :

١ - ليست كل روايات القول بالتحريف مذكورة عند الكليني في باب النوادر بل لقد
 ذكر في المجلد الاول من كتابه الكافي روايات في ذلك تحت عنوان بارز
 يوضح قصده واعتقاده وهو : (باب أنه لم يجمع القرآن كله الا الأئمة عليهم
 السلام وأنهم يعلمون علمه كله) (٥) وذكر رواية أخرى في موضع آخر من كتابه
 تحت عنوان : (باب أن القرآن يرفع كما أنزل) (٦) وروايات أخرى كثيرة
 منتشرة في كتابه الأصول من الكافي، أما في كتابه روضة الكافي فقد استشهد

(١) لم أجد له ترجمة .

(٢) عقيدة الشيعة في الامام الصادق ص / ١٦١

(٣) المرجع السابق ص / ١٦٢

(٤) المرجع السابق ص / ١٦٣

(٥) الأصول من الكافي ١ / ٢٢٨

(٦) المرجع السابق ٢ / ٦١٩

بكثير من الآيات المحرفة زاعماً أنها حذفت من القرآن الكريم ^(١) وهذا تبطل دعوى العالمى بأن الكلينى ذكر روايات التحريف فى باب النوادر فقط إشارة الى ضعفها .

٢ - حتى باب النوادر ليس كل ما فيه ضعيف بل إن هناك روايات كثيرة ضمنه

حكم علماء الشيعة بصحتها ومنها روايات خاصة بموضوعنا أبرزها رواية (ان القرآن . . سبعة عشر ألف آية) ^(٢) فقد قال المجلسي : الخبر صحيح ^(٣) ،

وقال صاحب الشافي : إنه موثق كالصحيح ^(٤) وكذلك رواية (نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فيها وربع فى عهدنا . .) ^(٥)

٣ - ولو فرضنا جداً أن جميع الروايات التى أوردها الكلينى فى مزاعم التحريف ضعيفة فهل هذا التبرير يعفى الكلينى من مسئولية إيراد هذه الروايات الناطقة بهذه الغرابة التى تمس الأصل الأول لجميع المسلمين ، وليست فى أمور اجتهادية فرعية ، بل فى أمر أجمع المسلمون على أن من اعتقد به فهو كافر ؟

٤ - ثم إن الكلينى نفسه نص على أنه لم يورد فى كتابه إلا ما يعتقد صحته ، وقد قال الكاشانى - وهو من أشهر مفسريهم - : (الظاهر من ثقة الاسلام محمد ابن يعقوب الكلينى طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القرآن لأنه كان روى روايات فى هذا المعنى فى كتابه الكافي ، ولم يتعرض لـ قدح فيها ، مع أنه ذكر فى أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه) ^(٦)

(١) راجع مثلاً الصفحات / ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥

(٢) سبقت هذه الرواية ، وهى أبلغ رد على ما ادعاه العالمى أن روايات الكلينى محمولة على النقص فى التأويل .

(٣) مرآة العقول للمجلسي ٢/ ٥٣٦ ، نقلاً عن : التقريب بين السنة والشيعة للفقارى ص / ١٢٦ .

(٤) الشافي شرح أصول الكافي ٧ / ٢٢٧

(٥) سبقت هذه الرواية - راجع الشافي ٧ / ٢١٧

(٦) تفسير الصافي للكاشانى ١ / ٣٤

هـ - ليس الكليني وحده هو القائل بهذه الفرية حتى يتلمس له العاملي الأعذار والمبررات بل ان هناك علماء آخرين سبق ذكرهم نصوا على ذلك بصراحة ودافعوا عن هذه الأباطيل بحماس وهم من أبرز علماء الشيعة وأشهرهم على مر العصور ، ولكن حسين مكي العاملي أخفى أسماءهم ظناً منه بأنهم يخفون على الناس وادعى اجماع علمائهم على عدم النقص وما أضر لذكور الكليني الا لأنه في معرض الرد على الشيخ أبي زهرة ^(١) الذي طعن في الكليني وأظهر للناس حقيقته واعتقاداته الباطلة وخاصة قوله بتحريف

القرآن الكريم .

فهل يخفى خداع علماء الشيعة المعاصرين في ذلك ؟ وهل يستطيعون مهما أوتوا من براعة في استخدام التقية من التستر على فضائح أسلافهم التي تطبع وتنتشر الى يومنا هذا ؟

والعجيب أن العاملي يدعي الانصاف في دفاعه عن الكليني ويتهجم على الشيخ أبي زهرة بأشنع الألفاظ لانكاره هذه الفرية على الكليني ، ثم يقول :

(ولو كنا نعتقد أن الكليني يمتنع فكرة نقص القرآن لكنا نحمل عليه كما حمل عليه هو) ^(٢)

ونحن نطالبه الآن من منطق ادعائه الانصاف أن يعيد النظر من جديد مستأنساً بما أوردناه من ردود على أقواله في دفاعه عن الكليني وعندها سيجد نفسه وبدون تردد مقراً باتهام الكليني بهذا المعتقد الخطير ومعتزفاً بأن هذه الفرية اشترك في نشرها معظم علماء الشيعة منذ القدم ولا بدّ له بعد هذا أن يتخلى عن هذه التقية التي يستخدّمها في إخفاء أخطر عقيدة لازمت التشيع منذ بداياته .

(١) انظر كتاب (الامام الصادق) لا أبي زهرة ص / ٣٢٣

(٢) عقيدة الشيعة في الامام الصادق ص / ١٦٨ - ١٦٩

المسلك الثاني :

نفي وقوع التحريف مع الاعتراف بأن بعض علمائهم السابقين قال بغير ذلك ،
وبالتالي القيام بمحاولة تأويل هذه الأقوال واخراجها عن حقيقتها أو التهوُّين
من شأنها وأنها لا تمثل رأى علماء الشيعة . وأبرز من سلك هذا المسلك من
علمائهم المعاصرين :

— محمد جواد مغنیه (١)

يقول في كتابه (الشيعة في الميزان) :

(اتفق المسلمون بكلمة واحدة على أنه لا زيادة في القرآن . . ونحن لا نتردد
ولا نتوقف في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن ، وأن جحود البعض تماماً كجحود
الكل ، لأنه طعن صريح فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بضرورة الديـن
واتفاق المسلمين ، وأما النقصان . . فقد قال به افراد من السنة والشيعة فـسـى
العصر البائد ، وأنكر عليهم يومذاك المحققون وشيوخ الاسلام من الفريقين ، وجزموا
بكلمة قاطعة أن ما بين الدفتين هو القرآن المنزل دون زيادة أو نقصان (٢)
ولنقف عند هذا النص قليلاً :

— فأول ما يلفت الأنظار فيه ادعاؤه بأن أفراداً من السنة بجانب الشيعة قالوا
بالنقص في القرآن وهذه محاولة يائسة من مغنية لابعاد تلك التهمة عن علماء الشيعة
وتخفيف وطأتها من جانبيين وهما :

أ — الادعاء بأن القائلين بذلك أفراد قلائل من الشيعة لا يعتمد قولهم
وليسوا من علمائهم المحققين . وسنرى بطلان هذه الدعوى من كتاب
مغنية نفسه .

(١) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث .

(٢) الشيعة في الميزان ص / ٥٨ .

ب - الادعاء بأن هذا القول موجود عند أهل السنة ، وهذا لم يقله الا بعض المستشرقين الحاقدين وقد حاول تأييد رأيه بتلخيص نصوص من كتب أهل السنة فيها اشارة لآيات نسخت تلاوتها أو بيان لقراءة متواترة وغير ذلك . وهو بهذا الافتراء يوجد لأسلافه المبررات بأنهم لم ينفردوا بمزاعمهم ولكن خاب ظنه فأهل السنة لا يحيد أحد منهم عن الاعتصام بكتاب الله والدفاع عنه .

— القائلون بهذه الغيبة من علماء الشيعة وصفهم مغنية بأنهم أفراد وليسوا من

المحققين أو الشيوخ .

والقارئ لهذا الكلام يعتقد أن هؤلاء القائلين بالتحريف ليس لهم أى اعتبار عند الشيعة .

ولعل مغنية يظن أنه بقوله هذا يتمكن من خداع الناس ، بل لعله يتوقع أن الباحثين عن عقائد الشيعة لن يقرأوا الا كتبه ولن ينظروا فى مراجع الشيعة المعتمدة وأصولهم الموثقة !

ولذلك نجد في موضع آخر من كتابه يقول :

(ونسب الى الامامية افتراءً وتنكيلاً نقصان آيات من آى القرآن ، مع أن علماءهم المتقدمين والمتأخرين الذين هم الحجة والعمدة قد صرحوا بأن القرآن هو ما في أيدي الناس لا غيره) . .

إلى أن يقول : (إن القائلين بالنقصان هم أفراد من شذّان الشيعة) (١)

وقد سبق أن أطلعنا القراء على أسماء القائلين بهذه الغيبة من علماء الشيعة ، وتبين للجميع أنهم ليسوا كما يدعي مغنية بل هم أساس مذهب التشيع وواضعوا عقائده أمثال الكليني والصفار والعياشي والمفيد وغيرهم .

فهل هؤلاء أفراد من شذّان الشيعة لا يعتد بقولهم ؟

يجيبنا على ذلك مغنية وفي كتابه نفسه حيث يجعل الكليني - وهو أشهر القائلين

بالتحريف من علمائهم - أبرز وأول من ألف في علم الحديث عند الشيعة في كتابه
الكافي (١) .

فهل هذا من شذاز الشيعة ؟

ثم إن الشيخ المفيد - الذي امتلأ كتبه بغربة القول بالتحريف وخاصة كتابه
أوائل المقالات الذي ادعى فيه اتفاق الامامية على هذه الغربة .

يقول فيه مغنية :

(كتب العقائد المعتمدة عند الشيعة كثيرة ، ومطبوعة تتداولها الأيدي . . نذكر

منها على سبيل المثال : أوائل المقالات والنكت الاعتقادية للشيخ المفيد . .)

الى أن يقول : (نكرر هنا ما قلناه . . إن الشيعة لا يقرون ولا يعترفون بشيء مما

قيل عن عقيدتهم إذا لم تتفق مع ما جاء في الكتب المعتمدة عندهم . .) (٢)

وليضع القارئ هذا النص بجانب النص السابق وينظر اليهما ملياً ليرى حقيقة الدور

الذي يلعبه مغنية مستتراً بستار التقية مع أنه هو الذي نادى مراراً بأن عهد التقية

اليوم قد ولى !!

ها قد التزمنا بما يطلب مغنية فرجعنا إلى كتاب أوائل المقالات الذي وضعه في رأس

قائمة الكتب المعتمدة لناخذ منه عقيدة الشيعة في القرآن الكريم وإذا به يؤكد اتفاق

الامامية على وقوع التحريف في القرآن الكريم . (٣)

فهل هذا الكتاب أيضاً مردود أم أنه معتمد ؟

وهل مؤلفه الذي خاطبه إمامهم الغائب بالأخ السديد والمولى الرشيد (٤) هو فـ

نظر مغنية من شذاز الشيعة ؟

(١) المرجع السابق ص / ٣١٧

(٢) المرجع السابق ص / ١٤

(٣) أوائل المقالات ص / ١٣

(٤) راجع ما ذكرناه من نصوص في شنائهم على المفيد ص / ٢١٨ من هذا البحث

عجبا لهذا الافتراء ولهذه الدعوى العريضة المتلبسة بلباس التقية في اخفاء

وانكار عقيدة طفحت بها كتب القوم !!

وأظن ذلك كافيا في اظهار حقيقة هذا الرجل وتفننه في أساليب التقية .

— وهناك آخرون من علماء الشيعة المعاصرين سلكوا مسلك مغنية في الدفاع عمن قال بتحريف القرآن من علمائهم وتبرير هذا القول لهم وتلمس الأعذار لما أقدموا عليه .
ومن هؤلاء

— (الخاقاني) في كتابه (مع الخطوط العريضة) حيث وصف النوري بأنه مجتهد أخطأ ، وأن المجتهد إذا أخطأ له^{حسنة} وأجر على اجتهاده . . . (١)

وأبلغ أجابة على هذا التبرير الواهي أن نقول : لعل شيعة آخر ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيعدوه مجتهداً أخطأ في اجتهاده . . . وهل دعوى تحريف القرآن من المسائل الفرعية التي يصح فيها الخطأ والصواب ؟!

— (على أكبر الغفاري) في تعليقه على أصول الكافي . حيث حاول تأويل الروايات التي أوردها الكليني بأن المراد بالتحريف والتغيير إنما هو من حيث المعنى دون اللفظ . (٢)

وهو تبرير لا يقول به عاقل وهو يطلع على عشرات الروايات الصريحة عند الكليني والتي تنص على زيادة أو تغيير في كتاب الله عز وجل .

— (هبة الدين الشهرستاني) في تعليقه على أوائل المقالات للمفيد .
حيث ذكر أن هناك روايات ضعيفة وضع قسما منها ذروا الهواء من رؤساء الفرق في صدر الاسلام فاغتربها جماعة من الحشوية ونسك المحدثين فظنوا حدوث الزيادة والنقصان في أي القرآن . (٣)

(١) ص / ٣٣ نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص / ١١٥

(٢) التعليق على أصول الكافي ٦٣١ / ٢

(٣) حاشية أوائل المقالات ص / ٥٥ - ٥٦

ومع أن كلام هبة الدين الشهرستاني هنا صريح في اتهام عظماء المحدثين عند الشيعة بالخلط في الروايات والنقل عن الأعداء وأصحاب الأهواء إلا أنه لم يصرح بأنه يقصد بذلك أشياخه العظام أمثال الكليني والصفار والمفيد لأنه يكن لهم كل محبة وولا .

ولكنه أطلقها كلمة عامة لذكر الرماد في العيون وابعاد الشبهة عن الشيعة في القول بهذا المعتقد الخطير .

وهكذا نجد أن جميع من استعرضنا أقوالهم من علماء الشيعة المعاصرين ، وآخرين لم نستعرض أقوالهم (١) كل هؤلاء لم يفصحوا عن قول أسلافهم بهذه الفرية .

وتظاهروا بالبراءة من هذه التهمة مع أنها ثابتة ومتأصلة لديهم كما رأينا ، وهذا الإخفاء المتعمد لقول يجب فضح قائله والتبرؤ منه ، يعد تقية بلا شك . وقد زاد بعضهم على هذا الإخفاء بأن امتدحوا قائله تلك الفرية المكفرة وأمطروهم بسيل من ألفاظ الثناء والتبجيل مع علمهم بما يعتقدونه من ضلالات .

وهؤلاء يميل الباحث إلى القول بأنهم يشاركون من يمتدحونه في تلك الاعتقادات . لأنهم لو لم يكونوا مثلهم في اعتقادها لما امتدحوهم ، والجنس يألفه الجنس .

وبذلك يعد انكار هؤلاء للتحريف تقية أخرى لإخفاء ما في قلوبهم من اعتقاد بالاضافة إلى إخفاء معتقدات أسلافهم . ويعد هذا الحشد الكبير من علماء الشيعة الذين أجمعوا على التظاهر بانكار فرية التحريف نجد الخميني زعيم الثورة إيران يعود إلى التصريح ثانية بهذه الفرية .

فيقول مبرراً عدم نص القرآن الكريم على الوصاية لعلي صراحة :

(١) أمثال : لطف الله الصافي في كتابه : (صوت الحق) - وعبد الواحد الأنصاري في كتابه : (أضواء على خطوط محب الدين العريضة) - وأحمد مغنية في كتابه (الجبهان سليل الشيطان) - وعلي فضل الله الحسيني في كتابه (في ظلال الوحي)

(لو كانت مسألة الامامة قد تم تثبيتها في القرآن ، فإن أولئك الذين لا يعنون
بالاسلام والقرآن الا الأغراض الدنيا والرياسة ، كانوا يتخذون من القرآن وسيلة
لتنفيذ أغراضهم المشبوهة ، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته ^(١)
وهذا النص فيه اشارة واضحة إلى اتهام خير جيل وأفضل قرن بأنهم طمعاً في
الرياسة قد يُقدمون على حذف آيات من القرآن الكريم ، أو أنهم قد فعلوا ذلك !!

(١) كشف الأسرار للخميني ص / ١٣١

المبحث الثالث

تمسك السبعة بالنقية لإخفاء

طعنهم في الصحابة الكرام رضي الله عنهم

لقد سعد الصحابة الكرام بتربية الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، تلك التربية العملية التي غيرت سلوكهم وأخرجتهم من الظلمات الى النور ، فاستنارت عقولهم ، وأشرقت نفوسهم ، وزكت قلوبهم .

ولقد صوّر القرآن الكريم هذه التربية النبوية فقال تعالى :
(هو الذي بعث في الأميين رسلاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١)

وهذه التزكية كان لها أكبر الأثر في نفوسهم حتى أضحو مفخرة للمسلمين ، وشرفاً للبشرية بما أتاهاهم الله من إيمان راسخ وعلم عميق وقلوب صادقة وتواضع وخشية لله سبحانه وجهاد في سبيله وزهد في الدنيا وتحرر من سلطانها وزخارفها .

ولزاء هذه النقلة الإيمانية التي آل إليها حال الصحابة الكرام . . أثنى عليهم الله سبحانه في آيات عديدة من القرآن الكريم .

فقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدون فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (٢)

وقال سبحانه : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شئ عليم) (٣)

وقال سبحانه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (٤)

(١) سورة الجمعة / آية ٤

(٢) سورة التوبة / آية ١٠٠

(٣) سورة الانفال / آية ٧٤ - ٧٥

(٤) سورة الفتح / آية ٢٩

ولقد بشرهم الله سبحانه بالرحمة والرضوان فقال تعالى :

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله)
ولئك هم الفائزون . يبشرهم ويظهرهم رحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) (١)

ووردت آيات أخرى كثيرة في الثناء عليهم وبيان منزلتهم وفضلهم .

كما وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في امتداح أصحابه عموماً ، والثناء على أفراد كثيرين منهم على وجه الخصوص منهم العشرة المبشرين بالجنة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والمهاجرين والانصار وغير ذلك مما يضيق مجال البحث عن تفصيله .

وقد ذكر البخارى في صحيحه عشرات الاحاديث في ذلك (٢) تبرز فضائل الصحابة الكرام ومنزلتهم وامتداح الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وتنهى عن الاساءة اليهم أو التنقيص من قدرهم أو الطعن في أحد منهم .

منها ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه) (٣) . وما رواه أيضاً في فضل الانصار قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) بالاضافة الى أحاديث كثيرة أوردها عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة التوبة / آية ٢٠ - ٢١

(٢) صحيح البخارى - كتاب فضائل الصحابة ٢/ ٢٩٢

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٩٢ ومعنى الحديث كما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٣٤

(لا ينال أحدكم بانفاق مثل أحد ذهباً من الفضل ولا جرم ينال أحدكم بانفاق مدّ

طعام أو نصيفه) والنصيف هو النصف وقيل هو مكيال دون المد . وقال الامام

الخطابي في معالم السنن شرح مختصر سنن أبى داود في شرح هذا الحديث

(٧/ ٣٤) : (المعنى أن جهد المقلّ منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوا في

سبيل الله مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه ، أو في عند الله وأزكى من الكثير

الذى ينفقه من بعدهم)

فى الثناء على أفراد مخصصين من الصحابة الكرام
أبرزها: ما رواه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخى وصاحبي)

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب
رضى الله عنه : (إيهأ يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده مالىك الشيطان سالكاً فجاً قسـ
الاسلك فجاً غير فجك) (٢)

روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) (٣)

روى أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعثمان رضى الله عنه حين جهز جيش

العسرة : (ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم) (٤)

هذه هى مكانة الصحابة الكرام ، وهكذا كانت منزلتهم فى قلوب المسلمين جيلاً بعد جيل
حتى إن كثيراً من الاعداء والمؤرخين الغربيين شهدوا بفضلهم وتمسكهم بالاسلام وتضحياتهم
من أجله (٥) .

فماذا يقول الشيعة الامامية فى ذلك ؟

لقد كان موقف الشيعة على العكس تماماً حيث أبرزوا الصحابة الكرام فى صورة مشوهة ولم
يتركوا نقیصة الا واتهموهم بها ، وأجمعت رواياتهم ونصوصهم على إبراز الصحابة الذين هم
خير جيل فى صورة كالحة سوداء يظهر منها القدر والجفاء والخفاء الحق وحب الجفاء
والمؤامرات والافتراءات لتحقيق مآرب النفس . . . وغير ذلك من الاعمال الخسيسة !! . وحكموا
على معظمهم بالردة والكفر !!

(١) صحيح البخارى ٣١٠ / ٢

(٢) المرجع السابق ٢٩٤ / ٢

(٣) رواه الترمذى فى باب مناقب عمر رضى الله عنه ، وقال هذا حديث حسن (سنن

الترمذى ٦١٧ / ٥)

(٤) رواه الترمذى فى باب مناقب عثمان رضى الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن (سنن

الترمذى ٦٢٦ / ٥) رواه أحمد فى المسند ٦٣ / ٣

(٥) راجع تفصيل ذلك فى كتاب : صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول وسيرة الجيل
المثالى عند أهل السنة والشيعة والامامية / لأبى الحسن الندوى - ص / ٢٣ - ٣٦ .

ويذكر سعد القمي^(١) في كتابه (المقالات والفرق) وهو من أبرز كتّاب الفرق عند الشيعة أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وادعى أن علياً أمره بذلك . . وأنه كان يهودياً فأسلم والى علياً^(٢) . كما أقر بذلك الكشي وهو من مشاهير علماء الشيعة في التراجم في ترجمته لابن سبأ^(٣) . والدكتور الشيباني - مع ميله الشيعة - يذكر أن سبب انتشار سب الصحابة والحقد عليهم بين الشيعة مرجعه إلى أن التشيع قد حوى خليطاً من الناس صار ستاراً يختفي وراءه أصحاب الاطماع والاحقاد والبدع باعتباره أمراً يسهل جمع الناس حوله .^(٤)

ولكننا سوف نرى من خلال استعراض سريع لانتشار هذه الظاهرة الخطيرة بين الشيعة أنها لم تكن قاصرة على أناس من أدعياء التشيع بل لقد عمت علماء الشيعة قدماً وحديثاً وصارت سمة مميزة لكل عالم أو كتاب شيعي .

ولا يمكننا في هذه الصفحات استقصاء جميع المغتريات والباطيل التي يعف الإنسان عن ذكرها ولا يرضى أن يتصفبها مسلم عادي فضلاً عن أن يُتهم بها أجلاء الصحابة .

الا أننا سنذكر بعضها بإيجاز شديد مضطرين إلى ذلك لاثبات تأصل هذه الفريسة في صفوفهم وعدم تخليهم عنها منذ أقدم عهودهم حتى الآن ، وأنهم لا ينكرونها إلا تقيّةً وخداً .

وسنكتفي بالإشارة إلى أبرز علمائهم كمنهج لهذا الغلو:

١ - علي بن إبراهيم القمي^(٥) (توفي بعد ٣٠٧ هـ) وهو شيخ الكليني

- يتجرأ على الشيخين أبي بكر وعمر ويعتبرهما شيطانين كانا يؤذيان النبي صلى الله

عليه وسلم ويؤذيان الناس بعده^(٦) !!

(١) هو سعد بن عبد الله القمي ، فقيه إمامي من أهل قم ، توفي سنة ٣٠١ هـ . (الأعلام ٨٦/٣)

(٢) المقالات والفرق ص / ٢٠ تحقيق د . محمد جواد مشكور - طبع طهران - ١٩٦٣

(٣) راجع رجال الكشي ص / ١٠٨

(٤) التقيّة أصولها وتطورها للدكتور كامل الشيباني - ص / ٢٤٩ - ٢٥٠

وهي مقالة في مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٦ - سنة ١٩٦٢

١٩٦٣

(٥) سبقت ترجمته ص / ٣٥٩

(٦) تفسير القمي ٢١٤/١ نقلاً عن (الشيعة والسنة) ص / ٣٥

- يزعم أن أبا بكر وعمر وخالد بن الوليد^(١) تأمروا فيما بينهم ليقتلوا على بن أبي طالب^(٢) رضي الله عنهم أجمعين !.
- يزعم أن قوله تعالى (ويوم بعض الظالم على يد يه) يعنى به أبا بكر . وقوله تعالى : (ياليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) يعنى به عمر^(٣) .
- يزعم أن قوله تعالى : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)^(٤) أنها نزلت في طلحة^(٥) والزبير^(٦) رضي الله عنهما !.^(٧)

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وصفه الرسول بأنه سيف من سيف الله وهو أشهر من أن يُترجم له . أسلم سنة سبع بعد خير ثم شهد غزوة مؤتة وغزوة حنين وغيرها وكان له في كل هذه الغزوات مواقف مشهورة ، كما أبلى بلاءً حسناً في قتال أهل الردة ثم في حرب الروم ، واستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على الشام ، ولما حضرته الوفاة سنة إحدى وعشرين قال : (لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها - وافي جسمى موضع شبر إلا وفيه ضربه أو طعنه أو رميه ، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ٤١٣/١ والاستيعاب (بحاشية الإصابة) ٤٠٩/١

(٢) المرجع السابق ١٥٨/٢ نقلا عن (الشيعة والسنة) ص/٤٦

(٣) المرجع السابق ١١٣/٢ نقلا عن (الشيعة والسنة) ص/٣٤

(٤) سورة الاعراف / آية ٤٠

(٥) هو طلحة بن عبيد الله ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة الذين جعلهم عمر بن الخطاب أصحاب الشورى لاختيار الخليفة بعده ، توفي يوم الجمل سنة ٣٦ هـ متأثراً بجراحه . راجع ترجمته في الإصابة ٢٢٠/٢ - ٢٢٢

(٦) هو الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، أمه صفية بنت عبد المطلب ، أسلم وعمره اثنتا عشرة سنة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . راجع ترجمته في الإصابة ٥٢٦/١ - ٥٢٨

(٧) تفسير القبي ٢٣٠/١

هذا غيض من فيض ما حواه تفسير القمي من افتراءات على الصحابة الكرام ونسبة الكفر والضلال الى الكثيرين منهم، هذا مع أن القمي شيخ مشايخ الشيعة في الحديث والتفسير!!
 ٢ - الكليني^(١) (ت ٣٢٩ هـ)

يتهم الكليني كثيراً في كتابه الكافي - الذي هو أصح الكتب عندهم - على كبار الصحابة ، ويصفهم بالكفر والضلال ويطلق عليهم أسوأ الصفات مع كثير من السباب والشتائم واللعن والتجريح .

وأبرز من يفتري عليهم الكليني هذه الافتراءات الخلفاء الثلاثة وآخرون من كبار الصحابة الذين شهد القرآن الكريم بايمانهم واخلصهم .

- فيها هو يزعم أن علياً رضي الله عنه قال عن الشيخين رضي الله عنهما : (لئن تقصصها ربي الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما حق . . فلبئس ما عليه ودأ . . يتبرأ كل واحد منهما من صاحبه ويقول : ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، فيجيبه الأشقي : ياليتني لم ألتزم فلانا خليلاً) ويزعم أنهما على شفا حفرة من النار وأنهما يتصارخان باللعن^(٢) .

- كما يزعم أنهما ظلما حق آل البيت ، وأنه ما أهرق محجمة من دم ولا أخذ مال من غير حيلة ، ولا قلب حَجَر على حجر إلا ذاك في أعناقهما .^(٣)

- ويزعم أنهما (فارقا الدنيا ولم يتوا ولم يتذكرا ما صنعنا بأمر المؤمنين - ع - فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)^(٤) !

- ولا يكتفى بذلك بل يعمم حكم الكفر والردة على جميع الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة وهم :

(١) سبقت ترجمته ص/ ٢١٢ من هذا البحث

(٢) الروضة من الكافي ص/ ٢٧ - ٢٨

(٣) المرجع السابق ص/ ١٠٢ - ١٠٣

(٤) المرجع السابق ص/ ٢٤٦

المقداد^(١) و أبوذر^(٢) وسلمان^(٣) رضي الله عنهم^(٤)

ويكذب على علي رضي الله عنه فيزعم أنه قال عن الصحابة الكرام الذين شهد الله لهم بالمغفرة والرضوان انهم : (كَذَّبُوا اللَّهَ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَجحدوا كتاب الله الناطق بحقنا ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا ، والقي أهل بيت نبي من أمته مالمينا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم)^(٥) !

ولا يخفى أن هذه الافتراءات أسخف من أن يصدقها عاقل ، إذ كيف يرتد آلاف من خيرة الصحابة دفعة واحدة بمجرد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يبقى الا ثلاثة ! وما هو مصير علي وأولاده وزوجته فاطمة وغيرهم من آل بيت النبوة ؟ وكيف تضيع الجهد العظيمة التي بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم في طرفة عين ؟ إن هذه الفرية ومثات الافتراءات التي سبوا بها الشيعة وجوههم قبل أن يسودوا بها صفحات كتبهم . . . تقدم صورة مشوهة لذلك الجيل القرآني الفريد بل انها تتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أخفق في دعوته بشكل لم يواجهه أي مصلح أو مرب خبير فضلا عن أن يكون رسولا مؤيدا من السماء . وهذا التشويه المتعمد هدفه أن يملأ النفوس باليأس من صلاحية هذا الدين لسعادة البشر^(٦)

(١) هو المقداد بن الاسود ، كان من السابقين للاسلام ، وزوجته بنت الزبير بن عبد المطلب

ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، له مواقف مشهورة في غزواته مع رسول الله صلى الله

توفي سنة (٣٣هـ) راجع ترجمته في الاصابة ٤٣٣/٣ - ٤٣٤

(٢) هو أبوذر الغفاري ، اسمه جندب بن جنادة ، قصة اسلامه مشهورة ذكرها ابن حجر

في الاصابة ووردت في الصحيحين ، توفي بالريذة سنة (٣١هـ) راجع ترجمة في الاصابة

٦٥/٦٣/٤

(٣) هو سلمان أبو عبد الله الفارسي ، يقال له سلمان الخير ، أصله من رامهرمز وقيل من

أصبهان ، قصة خروجه من بلاده مشهورة ، توفي سنة (٣٦هـ) راجع ترجمته في الاصابة

٦١ - ٦٠/٢

(٤) الاصل من الكافي ٢٤٤/٢ والروضة ص/٢٤٥

(٥) الروضة ص/٦٣

(٦) راجع : صورتان متضادتان للندي ص/ ٥٢

قال الامام مالك رحمه الله : (انما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك ، فقد حوا في أصحابه حتى يقال : رجل سوء ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين)^(١)

هذا غيض من فيض ما سرف به الكيلى صفحات كتابه من الافتراءات على هذا الجيل القرآنى الفريد والانحرافات التى لا ينطق بها مسلم ، ولا تصدر من عاقل^(٢)

٣ - أبو القاسم الكوفى^(٣) (ت ٣٥٢ هـ) فى كتابه (الاغاثة فى بدع الثلاثة)

فى هذا الكتاب من الفظائع ما تقشعر منها الابدان ، وفيه حشد هائل من الاكاذيب والافتراءات على الكثير من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم ، وخاصة الخلفاء الثلاثة .
- وقد ادعى مؤلفه أن الفساد والضلال الذى حصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ينبع كله من بدع الثلاثة المستوليين على أحكام الدين !! . وأن كل واحد من الثلاثة قد ابتدع بدعاً على قدر طول عمره وتمكنه فى سلطانه ما يوجب على مبتدعه الهلاك والدمار^(٤) !
ولعله يقصد بذلك ما قام به الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم من فتوحات ونشر لهذا الدين وازالة للطواغيت وتحطيم لسلطانهم . وهذا ما يفيظ كل عدو للاسلام ومبلاً قلبه حقداً على هؤلاء الافاضل الاجلاء .

- ثم يتهم أبا بكر رضى الله عنه بالتآمر على الناس ومطالبة لهم بالبيعة وأن المرتدين هم قبائل امتنعوا عن بيعته فقاتلهم !^(٥) ويحكم عليه بالكفر والضلال^(٦) !!

- ويتهم عمر وعثمان رضى الله عنهما بتهم كثيرة أخرى ويصفهم بأسوأ الالفاظ وينكر كل ما ثبت فى فضائل الخلفاء الثلاثة بأسلوب يظهر منه الحقد الشديد والبغض الذى ملأ قلبه وأعمى بصيرته .

(١) الصارم المسلول لابن تيمية ص/ ٥٨٠

(٢) راجع مثلاً : الاصول من الكافى ٢/ ٣٧٩ ، ٣٩٨ الروضة ص/ ١٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ،

٥٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٨٠ ، ٢٩٦

(٣) راجع ترجمته ص/ ٣٦٠

(٤) مقدمة الاغاثة نقلاً عن : تبديد الظلام للجيهان ص/ ٢٢٥

(٥) الاغاثة ص/ ٥ نقلاً عن : تبديد الظلام ص/ ٢٢٧

(٦) المرجع السابق ص/ ٢٠ نقلاً عن : تبديد الظلام ص/ ٢٣٧

- ومن ذلك أنه يدعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تظاهر بالاسلام نفاقا بالاتفاق مع أبى جهل ليقوم بتهديم الاسلام...!!^(١)

- ويفترى على أمين الامة أبى عبيده^(٢) رضى الله عنه أنه سمى بذلك لأنه كان أمين القوم الذين تحالفوا فى الكعبة المشرفة على أن لا يصير هذا الامر بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته وكتبوا بذلك صحيفة ولذلك سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة على باطلها...!!^(٣)

وهكذا يظهر جليا حقيقة هذا العالم الشيعى، مع أن له المنزلة العظمى عند القوم، ومع أنهم يقولون عنه : (كان إماماً مستقيم الطريقة وصنف كتباً كثيرة سديدة)...^(٤)

٤ - ابن بابويه القمي^(٥) (ت ٣٨١ هـ)

وهو الملقب عند هم بالصدوق ، ويعد من أبرز علمائهم المحققين ، وقد أشرنا فى معرض حديثنا عن اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن أن الصدوق أول من أنكر دعوى التحريف ونص على سلامة القرآن من أى زيادة أو نقصان .

لكنه هنا لم يخالف سابقه من علماء الشيعة بل سار على طريقته فى الطعن والتجريح والاتهام والافتراء على كبار الصحابة .. وهذه أبرز ادعاءاته :

- يزعم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال حين حضره الموت : أتوب الى الله من اغتصابى هذا الامر أنا وأبو بكر من دون الناس^(٦)

(١) المرجع السابق ص/ ٧٤ نقلا عن تبيد الظلام ص/ ٣١٤

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح ، مشهور بكنيته ، هو أحد العشرة السابقين الى الاسلام ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : (لكل أمة أمين ، وأمين هذه الامة أبو عبيده) ، هاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها ، وكان قائد الجيش الاسلامى فى بلاد الروم توفى سنة (٨ هـ) بسبب الطاعون . راجع ترجمته فى الاصابة

٢٤٣/٢ - ٢٤٥

(٣) الاغاثة ص/ ٦٦

(٤) راجع ما ذكرناه فى ترجمته ص/ ٣٦٠ من هذا البحث

(٥) سبقت ترجمته ص/ ٢١٣

(٦) الخصال لابن بابويه ص/ ٨١

- يدعى أن من أنكر إمامة علي رضي الله عنه فهو كمن أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن من أطاع علياً ولائمة من بعده فقد أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ومن عاداهم فقد عاداه . (١)

وأبرز من يقصد هم بذلك الصحابة الكرام ابتداءً من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم .
- وينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (من أنكر إمامة علي - ع - بعدي كان كمن أنكر نبوتي في حياتي ، ومن أنكر نبوتي ، كان كمن أنكر ربوبية الله عز وجل) (٢) !!
ولا يخفى أن هذا النص الذي ينسبه القس للرسول صلى الله عليه وسلم يتضمن الحكم على معظم الصحابة بالكفر لانهم أنكروا^{إمامة} علي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايته .
- ويضيف ابن بابويه إلى زعمه بكفر معظم الصحابة . . . قولاً منسباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من خالف علياً . . من تقدم علي فقد تقدم علي ، ومن فارقه فقد فارقتي) (٣) !!

- وينسب إلى جعفر الصادق قوله : (ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو هريرة ، (٤) وأنس بن مالك ، (٥) وأمرأه) (٦) !!

(١) اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة - لابن بابويه ص / ٣٩١

(٢) أمالي الصدوق ص / ٥٨٦

(٣) المرجع السابق ص / ٥٨٩ ويذكر في كتاب الخصال ص / ٤٦٢ أن الامة لما بايعت أبا بكر رضي الله عنه تركت قول نبيها وكذبت على ربها !

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي وقد كناه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا هريرة ، أسلم عام خير ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أحفظ أصحابه لحرصه على العلم والحديث ومواظبته على حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم وقد دعا ربه أن يرزقه علماً لا ينسى وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً فقال : آمين ، فما نسي شيئاً سمعه بعد ذلك ، روى عنه أكثر من ثمانمائة صحابي وتابعي ، توفي سنة ٥٨ هـ .

راجع ترجمته في الاصابة ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٨

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الانصاري الخزرجي - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، وقد خدمه عشرين سنين وغزا معه ثمانين غزوة وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) يقول أنس : قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، توفي سنة ٩١ هـ وعمره مائة سنة الا سنة .

راجع ترجمته في الاصابة ١ / ٨٣ - ٨٥

(٦) الخصال لابن بابويه ص / ١٩٠

- (١) ويقصد بالمرأة السيدة عائشة أم المؤمنين رض الله عنها الصديقة بنت الصديق
 - ويزعم أن أبا سفيان^(٢) ركب بعيرا له معاوية^(٣) يقوده ويزيد^(٤) يسوق به فلمن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الراكب والقائد والسائق^(٥) !!
 ٥ - محمد بن محمد بن النعمان العكبري^(٦) الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)

وقد سبق الحديث عن مكانته عند الشيعة وأن رئاسة الامامية انتهت اليه في وقته
 وله مصنفات كثيرة لها منزلة الصدارة عند القوم ، ومن أبرزها (الافصاح في امامية

- (١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
 عنها : (عائشة زوجتي في الجنة) ، وهي من أفقه الصحابة وأعلمهم ، توفيت
 سنة ٥٨ هـ . راجع ترجمتها في الاصابة ٣٤٨/٤ - ٣٥٠
 (٢) هو صخر بن حرب بن أمية ، أمه صفية بنت حرب عمة ميمونة زوج النبي صلى الله
 عليه وسلم ، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف ، أصيب عينه يوم الطائف فأتى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذه عيني أصيب في سبيل الله ، قال : ان
 شئت دعوت فردت عليك وان شئت فالجنة ، قال : الجنة . وقد قاتل يوم
 اليرموك تحت راية ابنه يزيد وأبلى بلاءً حسناً ، توفي سنة ٣٤ هـ وعمره ٩٣ سنة .
 راجع ترجمته في الاصابة ١٧٢/٢ - ١٧٣
 (٣) هو معاوية بن أبي سفيان ، ولد قبل البعث بخمس سنين ، أسلم عام الفتح ،
 صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له وولاه عمر الشام ، وقد بايعه الناس
 بالخلافه بعد تنازل الحسن عنها سنة ٤١ هـ ، توفي سنة ٦٠ هـ . راجع
 ترجمته في الاصابة ٤١٢/٣ - ٤١٤
 (٤) يقصد به يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية كما أشار الى ذلك المعلق على
 الخصال . وهو من فضلاء الصحابة من مسلمة الفتح ، أمّره عمر على فلسطين
 ثم دمشق ، توفي سنة ١٨ هـ . راجع ترجمته في الاصابة ٦١٩/٣
 (٥) الخصال لابن بابويه ص/ ١٩١
 (٦) سبقت ترجمته ص/ ٢١٨

عليه السلام) وقد ملأه بالطعن في الخلفاء الثلاثة والتنقيص من منزلتهم وافتراء على الكثير من الصحابة بأشنع الأكاذيب،^(١) وأنهم كانوا يقاتلون طمعا في الفنائم والاموال ولم يكن لهم نية في نصره الاسلام^(٢) وأنهم كانوا ينتكسون العهد والرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرهم والوحي ينزل عليه بالتوجيه لهم والتعنيف ولا يزعجهم ذلك عن أمثال ما ارتكبو من الآثام...^(٣) !!

ولا يجد المفيد مستنداً لافتراءاته هذه إلا آيات القرآن الكريم التي نزلت في شأن المنافقين لجعلها حكما عاما على الصحابة الكرام بما فيهم الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم .

ثم يسرد الصفحات الطويلة من كتابه (الافصاح) لاثبات كون محاربى على رضى الله عنه كفار^(٤) وهو بهذا الحكم يقصد أجلاء الصحابة ، أمثال عائشة وطلحة والزبير وسعاوية رضى الله عنهم .

وليست هذه الافتراءات محصورة عند الشيخ المفيد في كتابه الافصاح بل في معظم كتبه الاخرى التي لها منزلة الصدارة عند القوم أمثال : الامالي^(٥) وأوائل المقالات^(٦) ، والاختصاص^(٧) ، وغيرها .

٦ - أبو جعفر الطوسي^(٨) (ت ٤٦٠ هـ)

ولا يفوت القارئ مكانة هذا الرجل عند الشيعة فهو الملقب بشيخ الطائفة، وله

(١) راجع الافصاح ص/ ١٢ - ١٣

(٢) المرجع السابق ص/ ٢٤

(٣) المرجع السابق ص/ ٢٥ - ٢٦

(٤) المرجع السابق ص/ ٧٠ - ٩٥

(٥) راجع الصفحات : ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٩

(٦) راجع الصفحات : ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٤

(٧) راجع الصفحه ٦ حيث يروى بسنده رواية : ارتد الناس بعد النبى صلى الله

عليه وسلم الا ثلاثة نفر ، وكذلك ص/ ١٠

(٨) سبقت ترجمته هـ/ ٢١٤

(١)

كتابان من الصحاح الاربعة في الحديث عندهم .

والطوسي صاحب تفسير التبيان الذي أظهر فيه مخالفته للشيعة في طعنهم في القرآن الكريم كما أسلفنا ، لكنه هنا سار على طريقة من سبقه من علماء الشيعة في الطعن والافتراء على الصحابة الكرام .

ويظهر هذا جليا في كتابه (اختيار معرفة الرجال) الذي هو تهذيب لكتاب رجال الكشي^(٢) وفاجأ الباحث أن الطوسي الذي كان يتظاهر بانكار دعوى تحريف القرآن هو نفسه الذي ينقل لنا في كتابه هذا الافتراءات الكبرى التي تقشعر لها الابدان ، ولا يمكن لمسلم أن يتصور كيف يجروا على ذلك من ينتسب للإسلام ، وهذه نماذج منها :

- فهو يردد مغتريات سلفه الكليني بأن الناس ارتدوا بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة هم أبوذر وسلمان والمقداد^(٣) .!!

- وتصل به الجرأة على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ليفترى على لسان ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لها - وحاشاء ذلك - : ما أنت الا حشية من تسع حشايا خلفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لست بأبيضهن لونا ولا بأحسنهن وجها ولا . . (الى غير ذلك من الالفاظ التي هي أكبر جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته) ثم يتهمها بأنها خرجت من بيتها ظالمة لنفسها ، عاتبه على ربها عاصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

- ويفترى على الامام الباقر أنه قال عن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (ما أهرق في الاسلام محجمة من دم ، ولا اكتسب من غير حله ، ولا نكح فرج حرام الا وذلك في أعناقهما الى يوم يقوم قائمنا ، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا

(١) وهما التهذيب والاستبصار ويضاف اليهما الكافي للكليني ، ومن لا يحضره الفقيه لابن بابويه .

(٢) سيرد الحديث عن هذا الكتاب في مبحث (التقية في الرواية) ص ٤٦٠ من هذا البحث .

(٣) اختيار معرفة الرجال للطوسي ص / ١١

(٤) المرجع السابق ص / ٥٩

صفارنا بسببهما والبراءة منهما (١)...

- ويتهم ابن عباس رضي الله عنهما أنه سرق بيت مال المسلمين في البصرة وهرب الى مكة وأن عليا رضي الله عنه لما علم بذلك صعد على المنبر وكى وقال : (هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه في علمه وقدره يفعل مثل هذا ، فكيف من كان دونه ، اللهم اني قد مللتهم ، فأرحني منهم) (٢)...

- كما يكذب علي الامام علي رضي الله عنه ويزعم أنه لعن ابني العباس - عبد الله وعبيد الله - (٣) ودعا عليهما بأن يعص الله أبصارهما ، وأن قوله تعالى (ومن كان فسى هذه أعى فهو في الآخرة أعى وأضل سبيلا) نزل في العباس (٤) وابنه عبد الله (٥)...

- ويزعم أن عليا رضي الله عنه دعا على البراء بن عازب (٦) وأنس بن مالك فاستجاب

(١) المرجع السابق ص/ ٢٠٧

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٧

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد دعا له رسول الله بقوله : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، ولذلك كان ابن عباس من أبرز علماء الصحابة حتى لقب بحبر الامه وترجمان القرآن ، توفي بالطاغ سنة ٦٨ هـ . (راجع ترجمته في الاصابة ٣٢٢/٢ - ٣٢٦) وأخوه عبيد الله أصغر منه بسنة وهو من فضلاء الصحابة أيضا (راجع ترجمته في الاصابة ٤٣٠/٢ - ٤٣١)

(٤) هو العباس بن عبد المطلب أبو الفضل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبله بسنتين ، حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل أن يسلم ، وشهد بدرا مع المشركين مكرها ، كان ممن يكتم اسلامه بمكة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من آذى العباس فقد آذاني) ، وكان الصحابة يعترفون بفضلته ويشاؤونه ويأخذون برأيه ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ (راجع ترجمته في الاصابة ٢٦٣/٢)

(٥) اختيار معرفة الرجال ص/ ٥٢

(٦) هو البراء بن الحارث الانصاري الاوسى يكنى أبا عماره ، وقد رده الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر لصغر سنه ، ولكنه غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أربعة عشرة غزوة ، وشهد مع علي الجمل صفين وقاتل الخوارج توفي سنة ٧٢ هـ (راجع ترجمته في الاصابة ١٤٧/١)

الله دعاءه فعَمِيَ البراء بن عازب ومرض قدما أنس بن مالك . . .^(١) !!

وهكذا تصبح الصورة المشرقة الوضوءة لجيل الصحابة الكرام في نظر الطوسي والكشي صورة مليئة بالتناحر والعداوات، ويتحول إيمان هؤلاء في رأى الشيعة الى نفاق وردة وكفر!!.

✱ واستمر هذا الغلو بين علماء الشيعة ، وزداد طعنهم في الصحابة وافتراءهم عليهم جيلا بعد جيل حتى أصبح من مميزات التشيع ومن أهم عقائد الشيعة ، ولم يخل من ذلك كتاب من كتبهم .

ومن أبرز كتبهم التي امتلأت بالافتراء على الصحابة الكرام ونسبة النقائص والزنائل اليهم كتاب الاحتجاج لابي منصور الطبرسي^(٢) ، وكتاب الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري^(٣) . وقد وصل الحقد بالطبرسي أن يدَّعي في كتاب الاحتجاج أن الصحابة الكرام بقيادة أبي بكر وعمر تأمروا لقتل علي رضي الله عنه وحاولوا تنفيذ ذلك^(٤) . . . !!

كما ادعى صاحب الانوار النعمانية أن اليوم الذي قُتل فيه عمر بن الخطاب يوم عند الائمة يوم عيد يأمرهم فيه جميع خدمهم أن يلبسوا الثياب الجدد ، وأن هذا اليوم أعظم الايام حرمة وأكثرها فرحا عندهم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عليا بذلك ، وقال للحسن والحسين : كلا هنيئاً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فانه اليوم الذي يقبض الله فيه عدو . . . !!

وأن الله أمر الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا يكتب عليهم شيئاً من خطاياهم ، وأن من وسَّع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه زاد الله في عمره وقاله وأعتقه من النار^(٥) . . . !!

(١) المرجع السابق ص/ ٤٥

(٢) سبقت الاشارة للكتاب ومؤلفه ص/ ٣٦٣

(٣) سبقت الاشارة اليه ص/ ٣٦٧

(٤) الاحتجاج ١/ ١١٤ - ١١٨

(٥) الانوار النعمانية ١/ ١٠٨ - ١١١

بل وصلت به الجرأة أن يدعى أن الخليفة الأول - وهو الصديق رضى الله عنه - كان فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يُظهر الاسلام ويبطن الكفر وكان يعلّق صنماً بخيط فى عنقه ويستتره بثيابه فإذا سجد يقصد أن سجوده لذلك الصنم . . . (١) !!

ويزعم أيضاً أن عثمان رضى الله عنه كان ممن أظهر اسلامه وأبطن النفاق ، وأن أغلب الصحابة كانوا على النفاق ، لكن كانت نار نفاقهم كامنة فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما انتقل الى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيه . . . (٢) !!

ويستمر هذا المدعى فى مزاعمه وافتراءاته وينسج روايات يتخيلها فيزعم أن الشيطان يُغلّ بسبعين غلاً من حديد جهنم بينما عمر بن الخطاب فإنه يغل بمائة وعشرين من أغلال جهنم حتى يدنو الشيطان منه ويقول : ما فعل هذا الشقى حتى زاد على فسى العذاب ؟!

ويعلل الجزائى افتراءاته هذه على الخليفة الراشد رضى الله عنه فيقول :
(إن كل ما وقع فى الدنيا الى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء أهل الجور والظلم إنما هو من فعلته هذه) (٣) !!

.. إلى غير ذلك من الكلام المتهاافت الذى هو صورة ناطقة عما فى قلب صاحبه من حقد على خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كرسوا كل حياتهم فى نشر هذا الدين والبذل فى سبيل الله حتى تهاوت فى عهد خلافتهم عروش الطففاة وانطلقت الجيوش الاسلاميه فى طول البلاد وعرضها فاتحة ظافرة .

ولقد صدق الشاعر (٤) وهو يصف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

يا من رأى عمر تكسو برده والزيت أدم له والكخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فزعاً من بأسه وملك الروم تخشاه

ولقد كان هؤلاء الصحابة الكرام مثالا للتضحية والزهد والتجرد عن الدنيا والتفانى فى

(١) المرجع السابق ١١١ / ٢

(٢) المرجع السابق ٨١ / ١ - ٨٢

(٤) الشاعر محمد غنيم

خدمة هذا الدين .

ولذلك فان الباحث الذي يطلع على هذا السيل المنتشر في كتب الشيعة من ألفاظ الاتهام والطعن والسب لهؤلاء الصحابة . . تمتلكه الدهشة ولا يجد سببا لما يقوم به الشيعة من قلب الحقائق وتشويهها بشكل خطير وامتلاء قلوبهم بالحقد على معظم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفهم بالكفر والنفاق ، لا يجد سببا لكل هذا الا أن يقل :
 ان النزعة المجوسية الحاكمة على من حطم عروش كسرى تأبى الا أن تظهر من هؤلاء الذين اتخذوا من محبة آل البيت ستاراً يخفون وراءه خبايا نفوسهم ، وخاصة عند ما وجدوا من الدولة الصفوية الشيعية درعاً يتربسون به .

ولقد ازداد هذا الغلو يوماً بعد يوم حتى صار لعن الشيخين وسبهما والطعن في كبار الصحابة يتردد على ألسنة الشيعة بلا حياء ولا خجل .
 وحتى صار دعاؤهم الذي يرددونه زاعمين التقرب الى الله به هولعن الشيخين .
 ويظهر هذا واضحاً في دعائهم المعروف باسم (تحفة العوام مقبول) والذي قالوا عنه إنه مطابق لفتاوى آياتهم ومراجعهم الدينية ومن أبرزهم روح الله خميني . ويستفتحون الدعاء بقولهم : (اللهم ألعن صني قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنتيهما . . . اللذين خالفاً أمرك وأنكراً وحيك وجحداً إنعامك وعصياً رسولك وقلبا دينك وحرفاً كتابك)
 إلى قولهم : (اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار . . آمين . .)^(١) !!

وما هذا الدعاء إلا صورة لما في قلوبهم من حقده متوارث على الصفوة المختارة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الذين أعز الله بهم الدين وأذل بهم كل عدو حاقده .
 ولذلك نجد الشيعة يتواصون بترديد هذا الدعاء ويجعلون من سب الشيخين ولعنهما عبادة جلييلة يزعمون أنها تكفر خطاياهم وترفع درجاتهم . .
 ومن رواياتهم في ذلك ما ينسبونه للباقر أنه قال :

(١) تحفة العوام مقبول ص/٤٢٢ نقل عن : الشيعة في التصور الاسلامي لعمر علي فريج ص/٧١-٧٢ وقد نقل نص الدعاء بكامله مع صورة لبعض صفحاته .

(كل من لعنهما كل غداة مرة واحدة لم يكتب عليه ذنب حتى يمسي ، ومن لعنهما في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى يصبح)^(١) .

وإذا كان هذا هو موقفهم من الشيخين أبي بكر وعمر رضی الله عنهما فلا تسل عن موقفهم من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضی الله عنه ولا عن موقفهم من الصحابي الجليل كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان فإن لهم منهما مواقف تقشعر لها الابدان وألفاظ تشيب لها لولها البلدان^(٢) وقد أعرضنا عنها صيانة لأبصار القراء وأسماهم أن ينالها الاذى من مثل هذه الالفاظ التي لا يليق بالمسلمين التلفظ بها حتى مع أشد أعدائهم .

ولقد وصف الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم أشداء على الكفار رحماً بينهم ، ولكن الشيعة أبوا ذلك فزعموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا إخواناً في الله ، ولم يكونوا رحماً بينهم ، وإنما كانوا أعداء يعلمون بعضهم بعضاً ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض^(٣) .

وليست هذه الروايات والافتراءات قاصرة على كتب القوم التي ألفها علماء وهم ، بل هي منتشرة بين القاصي والداني في بلاد الشيعة حيث يعدون الطعن في الصحابة عملاً يزعمون التقرب إلى الله به !!

وها هو موسى جار الله^(٤) يحدثنا عن مشاهداته في إيران بعد أن زارها سنة

(١) ضياء الصالحين ص/ ٥١٣ نقلاً عن : الشيعة في التصور الاسلامي ص/ ٧٤

(٢) راجع مثلاً الروايات التي نقلها احسان الهی ظهير عن كتب الشيعة وأهل البيت

ص/ ١٥٦ - ٢٠٧

(٣) راجع مقالة بحملة رسالة الاسلام الأملون وما كانوا عليه من المحبة والتعاون - لمحـب

الدين الخطيب ملحقه بكتاب : مختصر التحفة الاثني عشرية . ص/ ٣٠٨

(٤) سبقة ترجمته ص/ ٤٦

٩٣٤ م فيقول :

(جلت في بلاد الشيعة طولا وعرضا سبعة أشهر وزيادة . . . وأول شيء سمعته ، وأكره شيء أنكرته في بلاد الشيعة هو لعن الصديق والفارق وأمهاة المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة ، ولعن العصر الأول كافة في كل خطبة وفي كل حفلة ومجلس في البدء والنهاية ، وفي ديايج الكتب والرسائل ، وفي أدعية الزيارات كلها .

حتى في الاسقية ما كان يسقي ساق الا ويلعن ، وما كان يشرب شارب الا ويلعن . وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد وللعن على الصديق والفارق وعثمان الذين غضبوا حق أهل البيت وظلموهم . . وهو عندهم أعرف معروف يلتذ به الخطيب ويفرح عنده السامع ، وترتاح اليه الجماعة ، ولا ترى في مجلس أثر ارتياح الا اذا أخذ الخطيب فيه ، كأن الجماعة لا تسمع الا اياه ، ولا تفهم غيره) . . .^(١) !!

هذا هو حال القوم ، وهذه هي كتبهم ونصوص رواياتهم . وكلها شاهدة بما لا يدع مجالا للشك أنهم مؤمنون في الطعن والسب والحقن على خير قرن وأفضل جيل . ولو تأدب هؤلاء بأدب علي رضي الله عنه وتخلّقوا بأخلاقه لأقلعوا عن هذا المنكر ولا استجابوا لقوله رضي الله عنه عند ما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين فقال لهم ^{كما} ترويه كتب الشيعة نفسها :-

(١) الشيعة في نقد عقائد الشيعة . صفحة / ح - ط

(إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ، وقتلتم مكان سيِّكم إياهم : اللهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهد هم من ضلالهم . . .)^(١)

وقد روى الكليني أن رجلا قال لأمير المؤمنين صف لنا المؤمن فقال : (هو الكيس الفطن . . لا حقود ولا حسود . . ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب)^(٢)

كما روى أيضا أن جعفر الصادق قال لأحد أتباعه : (إياك أن تكون فحاشا أو صخابا أو لعانا)^(٣)

ولكن الشيعة الرافضة يأبون أن يستجيبوا لدعوة أئمتهم ، أو يتأدبوا بأدبهم وهم يزعمون أنهم معصومون وأن أقوالهم هي عين أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيمية حيث يقول :

(من أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين ، وصادات أولياء الله بعد النبيين)^(٤)

وهل هناك أعظم من هذا الافتراء والبهتان على أتقى جيل عرفته الإنسانية والذين لم ينتشر الاسلام في العالم الا على أيديهم وجهادهم وذلهم وتفانيهم ، وإذا بمصادر الشيعة تصورهم بأقبح صورة وكأنهم أشبه ما يكونون بعصابة من اللصوص وقطاع الطرق همهم التآمر والتهاك على الدنيا وحيازة أموالها ولذا نذها !!

ان هذا التشويه والقلب للحقائق لا يصدر من نور الله قلبه بالايان .

ويأبى الله الا أن يُظهر الحق مهما حاول علماء الشيعة أن يخفوه ويشوهوا صورته ولذلك نجد في أحد كتبهم المعتمدة والتي تطفح بالفلوروايتين تنفي ادعاءات الشيعة وافتراءاتهم على الشيخين وسائر الصحابة رضوان الله عليهم .

(١) نهج البلاغة ص/ ٤٦٣ - ٤٦٤

(٢) الاصول من الكافي ٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٢٦

(٤) منهاج السنة ١/ ٣ الطبعة المحققة .

فقد أورد الاربلي^(١) (ت ٦٩٣ هـ) في كتابه كشف الغم في معرفة الاثمة) الرواية

التالية :

- (عن عروة بن عبد الله قال :

سألت أبا جعفر محمد بن علي - الباقر - عليهما السلام عن حلية السيوف فقال :

لابأس به ، قد حلّى أبوبكر الصديق رضي الله عنه سيفه .

قلت : تقول الصديق ؟

قال : فوثب وثبة ، واستقبل القبلة ، وقال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، نعم الصديق ،

فمن لم يقل الصديق فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة^(٢)

وهذا نص صريح في إثبات فضائل الصديق رضي الله عنه ، وأن عقيدة أئمة أهل

البيت هي محبة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة وعدم الطعن في أحدهم ، وينفسي

ما افتراه الشيعة عليهم من روايات مكذوبة لتشويه عقيدة هؤلاء الأئمة الكرام .

إن الحق يأبى إلا أن يظهرهما علا صوت الباطل ، ولذلك ظهرت هذه الرواية

في أحد كتب الشيعة ولم نجد لهم أي تعليق عليها .

- بل إن الاربلي أورد رواية أخرى تبرز محبة علي زين العابدين رحمه الله لجميع

الصحابة وتبطل كل ما افتراه الشيعة على لسان هؤلاء الأئمة من مطاعن في الصحابة

الكرام فقد ذكر أن (نفرًا من أهل العراق قدم على الإمام علي بن الحسين فقالوا في

(١) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الاربلي ،

نسبة إلى أربل مدينة في شمال العراق ، أشنى عليه علماء الشيعة وقالوا إنه ثقة

محدث جامع للفضائل والمحاسن . كما قالوا عن كتابه (كشف الغم) بأنه خير

كتاب في خير موضوع ، فائق على كثير مما ألف قبله في هذا الموضوع في جودة السرد ،

وضوح العبادة ، وإلامانه في النقل . توفي الاربلي في بغداد عام ٦٩٣ هـ

(راجع مقدمة جعفر التبريزي للكتاب وتعريفه بمؤلفه)

(٢) كشف الغم ٢ / ٤٧ بتعليق هاشم الرسولي - نشر مكتبة بني هاشم بتبريز طبع

أبى بكر وثمان و عمر رض الله عنهم - أى طعنوا فيهم - فلما فرغوا من كلامهم قال لهم :
 ألا تخبروني، أنتم " المهاجرون الا ولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون
 فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " ؟ قالوا : لا
 قال : فأنتم " الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
 في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " ؟ قالوا : لا
 قال : أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ، وأنا أشهد أنكم لستم
 من الذين قال الله فيهم " والذين جاؤوا من بعد هم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
 الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا " . أخرجوا عني ، فعل الله
 بكم . (١)

فالامام على بن الحسين زين العابدين - وهو الامام الرابع عندهم - يقف هذا
 الموقف من يطعن في الخلفاء الثلاثة رض الله عنهم ، ثم يدعو عليهم ويخرجهم من
 مجلسه .

ولو أخذ الشيعة بهذه الرواية لطرحوا مئات الروايات التي نسبوها للائمة ، وحاولوا
 عن طريقها تشويه صورة الصحابة الكرام بل وتشويه الصورة النقية لائمة أهل البيت الذين
 هم أكثر الناس حباً وتقديراً لصحابة جد هم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 ولا يستطيع الشيعة أن يدّعوا أن الامام زين العابدين قال هذا الكلام تقيّة ،
 لان الذى يتقي بالكلام العام ولا يسوق الحجج والادلة القرآنية المؤيدة لكلامه
 هذا .

ولذلك نجد المعلق على كشف الغمة قد مر بهذه الرواية ولم ينبس ببنت شفة ، وتجاهل
 التعليق عليها ، مع أنها تنف مع الرواية السابقة لتعارض مئات النصوص والروايات التي أسلفنا
 ذكرها من أمهات كتبهم المعتمدة .

فكيف يتجاهل الشيعة هذه الرواية وسابقتها ؟ بل كيف يتجاهلون الحجج القرآنية

القطعية ويصرون على الطعن والتجريح والافتراء على خير القرون ؟ ان هذا عمل

خطير وجرم شنيع فما هو حكم الاسلام في ذلك ؟

حكم الاسلام في الطعن في الصحابة رض الله عنهم :

لا بد قبل أن نبرز دور التقية في هذه العقيدة الشيعية الخطيرة . . أن نستعرض أقوال بعض علماء أهل السنة في حكم من يسلك هذا المسلك الشاذ ويُقدم على لعن الصحابة والطعن فيهم واتهامهم بأسوأ التهم .

وقد فصل الامام ابن تيمية رحمه الله القول في ذلك ونقل عن كثير من علماء السلف الصالح نصوحاً في هذا المجال .

وما نقله عن الامام أحمد رحمه الله قوله فيمن سب أحداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال : يضرب ضرباً نكالاً ، وقال : ما أراه على الاسلام ^(١)

وقال اسحاق بن راهويه : من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعاقب ويحبس ^(٢)

وقال القاضي أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة : إن كان مستحلاً لذلك كفر وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر ^(٣) .

كما نقل عن كثير من أهل العلم أن من سب الشيخين سباً يقدح في دينهم — وعد التهم كفر بذلك وإن سبهم سباً لا يقدح في دينهم لم يكفر ^(٤)

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قريباً من هذا الحكم فقال : (من اعتقد فسقهم — أى الصحابة — أو فسق مجموعهم أو ارتدادهم ، أو ارتداد معظمهم عن الدين ، أو اعتقد حقية سبهم وابطاحه . . فقد كفر بالله تعالى ورسوله فيما أخبر من فضائلهم وكما لا تهم المستلزمه لبراءتهم عما يوجب الفسق والارتداد) ^(٥)

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم لابن تيمية ص/ ٥٦٧ تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٦٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٦٩

(٤) المرجع السابق ص/ ٥٧٠

(٥) رسالة في الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص/ ١٨ - ١٩

وما ذاك الا لان الطعن في إيمان جمهور الصحابة الكرام يعد طعنًا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أثنى الله تعالى على السابقين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، ورضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)^(١)

وأمرنا ربنا بالاستغفار للصحابة الكرام وعدم الخوض فيما بدر منهم .

فقال تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)^(٢)

قالت عائشة رضی الله عنها : (أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم)^(٣) . وقال ابن عباس رضی الله عنهما : (أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد وهو يعلم أن سيفتنون)^(٤) . وقال الشعبي : (تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة ، سئلت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى . وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسببواهم)^(٥) .

روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال : كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) حتى بلغ : (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)^(٦) فقال مالك : من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٨/١٦

(٢) سورة الحشر / آية ١٠

في كتاب التفسير

(٣) ، (٤) تفسير القرطبي ٣٣/١٨ وأخرج مسلم في صحيحه^(٢٤/٨) عن عروة قال :

قالت عائشة : (يا ابن أخي ، أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسببواهم)

(٥) تفسير القرطبي ٣٣/١٨ منهاج السنة لابن تيمية ١٧/١

(٦) سورة الفتح آية / ٢٩

صلى الله عليه وسلم فقد أصابت هذه الآية (١)

قال الامام القرطبي تعليقا على ذلك: (لقد أحسن مالك في مقالته ، وأصاب في تأويله . فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردَّ على الله رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين) (٢)

فالحكم الشرعي إذاً فيمن يقع في تلك المطاعن ويعتقد هذا المعتقد في الصحابة الكرام أن ذلك يؤدي الى كفره وقطعه ردة إذا كان يستبج سبهم ويعتقد القرية الى الله في ذلك وخاصة إذا كان ذلك السب والطعن ليس في أشخاص الصحابة وإنما في دينهم وإيمانهم وعدالتهم وتبليغهم للإسلام. قال الامام ابن تيميه : (من زعم أنهم - أي الصحابة الكرام - ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً ، أو أنهم فسقوا عامتهم ، فهذا لا ريب في كفره ، لانه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفاراً فساداً وأن سابقي هذه الامة هم شرارها ، وكفر هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الاسلام) (٣)

(١) ، (٢) تفسير القرطبي ٢٩٧/١٦ وراجع : ابن كثير ٢٠٥/٤ - اللوسى ١٢٨/٢٦

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/ ٥٨٦ - ٥٨٧

دور التقية في اخفاء طعنهم في الصحابة :

بعد أن ثبت لنا تأصل هذه العقيدة المنحرفة عند الشيعة ورسوخها عندهم ، وبعد أن عرفنا خطورة هذه الافتراءات والمطاعن التي لا تمس الصحابة الكرام فحسب وإنما تمس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتطعن في كفاءة تربيته، بل وتطعن في صحة ما حفظه لنا الصحابة الكرام من دين الله . .

بعد هذا كله نتساءل: هل كان الشيعة يدركون خطورة هذه المطاعن التي يلوكونها بالسنتهم ويسطرونها في كتبهم ؟

يبد وأن كثيرا منهم على علم بذلك ، وأنهم يعرفون أيضاً حكم الاسلام فيمن يطعن في إيمان الصحابة الكرام ويحكم على معظمهم بالردة والكفر وهو ما سبق أن أشرنا اليه وأنه قد يصل الى القتل ردة أو السجن والضرب والعقوبة الشديدة .

لذلك كانوا يلجأون الى التقية لاخفاء هذه العقيدة الخطيرة كلما هددتهم المخاطر أو خافوا من افتضاح أمرهم وتفرق الجموع من حولهم .

ولكن يدربوا أتباعهم على التقية في هذا المجال نسبوا للامام الصادق أنه استعمل الحيلة والتقية وتظاهر بالثناء على أبي بكر وعمر أمام رجل من المخالفين .

- ومن رواياتهم في ذلك : (أن رجلاً من المخالفين سأل الامام جعفر عن أبي بكر

وعمر .

فقال هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق وماتا عليه فعليهما رحمة الله يوم القيامة .

فلما انصرف الناس ، قال له رجل من خاصته : لقد تعجبت مما قلت في أبي بكر وعمر . فقال : نعم ، هما إماما أهل النار ، كما قال تعالى " وجعلناهم أئمة يدعون الى النار " وأما القاسطان ، فقد قال الله تعالى " وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً " وأما العادلان فلعدو لهما عن الحق ، كما قال تعالى " والذين كفروا بربهم يعدلون " والمراد من الحق هو حق أمير المؤمنين الذي كانا مستولين عليه بالاغتصاب .

والمراد من موتهما على الحق أنهما ماتا على عداوته من غير ندامة.

والمراد من رحمة الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان رحمة الله للعالمين

وسيكون خصماً لهما ساخطاً عليهما منتقماً منهما ^(١) ۝

- وهذه رواية أخرى ينسبونها لاحد أئمتهم في هذا المجال :

فقد أورد الطبرسي (عن أبي محمد الحسن العسكري - ع - قال : دخل على أبي الحسن

الرضا - ع - رجل فقال : يا ابن رسول الله لقد رأيت اليوم شيئاً عجيباً منه . قال : وما هو ؟

قال : رجل كان معنا يظهر لنا أنه من الموالين لآل محمد المتبرئين من أعدائهم فرأيت

اليوم وعليه ثياب قد خلعت عليه ، وهوذا يطاف به ببغداد ، وينادي المنادي بسين

يديه : معاشر المسلمين اسمعوا توبة هذا الرافضي . ثم يقول : قل

فقال : خير الناس بعد رسول الله أبا بكر .

فإذا قال ذلك ضجوا وقالوا : قد تاب ، وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب - ع - فقال

الرضا - ع - : إذا خلوت فأعد عليّ هذا الحديث .

فلما خلى أعاد عليه ، فقال له :

إنما لم أفسر معنى كلام الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس ، كراهة أن ينقل اليهم

فيعرفوه ويؤذوه . لم يقل الرجل خير الناس بعد رسول الله (أبوبكر) فيكون قد فضل

أبا بكر على علي - ع - ، ولكن قال : خير الناس بعد رسول الله (أبا بكر) فجعله نداً

لابي بكر ، ليُرَضِّي من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء الجهلة ، ليتوارى من شرورهم .

إن الله جعل هذه التورية ما رحم به شيعتنا ^(٢) .

- ولنذكر رواية ثالثة ليظهر جلياً كيف يدّرب علماء الشيعة أتباعهم على استعمال

التقية لا خفاء بغضهم للصحابة ، ثم ينسبون ذلك لائمة أهل البيت ، وحاشاهم .

(١) إحقاق الحق للقاضي نور الدين الشوشتری ص / ١٦ نقلاً عن تبديد الظلام للجبهان

ص / ٣٣٣ وقد ذكر الحر العاملي في أمل الآمل (٣٣٦ / ٢) أن القاضي نور الدين

قتل في الهند سنة (١٠٩٠ هـ) بسبب تأليف كتابه : إحقاق الحق ، وهذا يبرز لنا

ما فيه من غلو وانحراف .

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢ / ٢٣٦

فقد روى الطبرسي (عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري - ع - أنه قال :

قال بعض المخالفين بحضرة الصادق - ع - لرجل من الشيعة

ما تقول في العشرة من الصحابة ؟

قال : أقول فيهم القول الجميل الذي يحط الله به سيئاتي ، ويرفع به درجاتي

قال السائل : الحمد لله على ما أنقذني من بغضك ، كنت أظنك رافضياً تبغض الصحابة

فقال الرجل : ألا من أبغض واحداً من الصحابة فعليه لعنة الله .

قال : لعلك تتأول ما تقول ، فمن أبغض العشرة من الصحابة ؟

فقال : من أبغض العشرة من الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فوثب فقبل رأسه فقال : اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم .

قال : أنت في حل وأنت أخي . ثم انصرف السائل .

فقال له الصادق - ع - : جئوت لله درك ، لقد أعجبت الملائكة من حسن توريثك ، وتلفظك

بما خلصك ، ولم تثلم دينك ، زاد الله في قلوب مخالفينا غماً إلى غم وحجب عنهم مـراد

منتحلي مودتنا في تقيتهم !!

فقال أصحاب الصادق - ع - : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عقلنا من كلام

هذا الا موافقته لهذا المتعنت الناصب .

فقال الصادق - ع - : لئن كنتم لم تفهموا ما عني ، فقد فهمناه نحن ، فقد شكره الله له .

إن صاحبكم هذا قال : من عاب واحداً منهم فعليه لعنة الله ، والواحد منهم هو أمير

المؤمنين - ع -

وقال في الثانية : من عابهم وشتهم فعليه لعنة الله ، وقد صدق لأن من عابهم فقد عاب

علياً - ع - لأنه أحدهم ، فاذا لم يعب علياً ولم يذمه فلم يعيبهم جميعاً وإنما عاب بعضهم^(١) !!

- ولا يقتصر الامر في هذا المجال على الروايات المنسوبة للائمة وإنما هناك قصص

كثيرة امتلات بها كتبهم تصف استعمال بعض علمائهم للتقية في انكار طعنهم في الصحابة

عند ما يتعرض أحد هم للخطر .

ولعل أبرز هذه القصص ما ذكرته كتب التراجم عند هم عن الشيخ الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (ت ٤٦٠ هـ) صاحب الاستبصار والتهديب ، صاحب تفسير التبيان الذي هو أقرب تفاسير الشيعة الى الاعتدال .

فقد ذكروا أنه وُشي بالشيخ الى الخليفة العباسي (القائم بأمر الله) أنه وأصحابه يسبون الصحابة ، وكتابه المصباح يشهد بذلك ، فقد ذكر أن من دعا يوم عاشوراء : اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني ، وابدأ به أولا ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، اللهم العن يزيد بن معاوية خامساً .

فدعا الخليفة بالشيخ والكتاب ، فلما أحضر الشيخ ووقف على القصة ألهمه الله أن قال : ليس المراد من هذه الفقرات ما ظنه السعاه ، بل المراد بالاول قابيل قاتل هابيل ، وهو أول من سن الظلم والقتل ، والثاني قيدار عاقر ناقة صالح ، والثالث قاتل يحيى بن زكريا من أجل بغى من بغايا بني اسرائيل ، والرابع عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب . فلما سمع الخليفة من الشيخ تأويله وبانه قبل منه ذلك ، رفع منزلته ، وانتقم من الساعي وأهانته ^(١) .

وان صحت هذه القصة فهذا يدل على التسامح الشديد الذي كان يلقيه علماء الشيعة من الخلفاء عند ما تظهر منهم أدنى بادرة للتخلي عن الغلو والرفض .

ومع أن التأويل الذي أول به الطوسي كلامه ودافع به عن نفسه ، تأويل لا يقبله العقل إذ ما علاقة قاتل هابيل وعاقر الناقة وقاتل يحيى . . بدعا يوم عاشوراء ؟ مع هذا كله فقد أحسن الخليفة فيه الظن وقيل منه كلامه ، ولم يكف بذلك بل رفع منزلته وانتقم من الساعي وأهانته كما تذكر القصة .

(١) رضات الجنات للخوانساري ٢٢٦/٦ ، وذكرها المعلق على كتاب الاستبصار في مقدمة الكتاب نقلا عن القاضي في المجالس ، والطباطبائي في الرجال (راجع مقدمة الاستبصار - صفحة / ن)

- ونختم استعراضنا لهذه الروايات والقصاص بما ذكره الشيخ عبد الله السويدي (ت ١٧٤ هـ) الذي ناقش بعض علماء الشيعة في النجف بأمر من نادر شاه ^(١) (سنة ١١٥٦ هـ) وأعلن فيه هو " لا رجوعهم عن التشيع ثم حضروا صلاة الجمعة في جامع الكوفة وأمر أحدهم بالقاء الخطبة لاعلان تراجعهم عن التشيع على المنبر ، فقام فحمد الله وأثنى عليه صلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : (وعلى الخليفة الأول من بعده على التحقيق ، أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وعلى الخليفة الثاني الناطق بالصدق والصواب ، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . .) لكنه كسر الرأى من (عمر) ، مع أن الخطيب - كما يقول السويدي - إمام في العربية ، لكنه قصد دسيسه لا يفهمها إلا الفحول ، وهي أن منع صرف عمر إنما كان للعدل والمعرفة ، فصرفه هذا الخبيث قصداً إلى أنه لا عدل فيه ولا معرفة ^(٢))

وهكذا يحرص الشيعة على إخفاء غلوهم في سب الصحابة كلما داهمهم الخطر ، ويتظاهرون أمام أهل السنة بانكار هذه العقيدة الخطيرة . ويبدو أن علماءهم المعاصرين يسرون على قدم أسلافهم في هذا المجال وسنعرض بإيجاز لابرز علماء الشيعة المعاصرين لنرى براعتهم في استخدام التقية لإخفاء حقيقة ما في نفوسهم من غل وحقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولعل القارئ لكتب أولئك المعاصرين يظن لاول وهلة براءتهم من ذلك ، لما يجد من عبارات وأقوال تنكر ما يُنسب إليهم وتنفي هذا الغلو عنهم . ولكننا سندرس تلك الأقوال بدقة في ضوء أقوال أخرى لأولئك العلماء المعاصرين ليطلع القارئ بنفسه على تأصل تلك المزاعم والعقائد المنحرفة عند معاصريهم أيضاً وأنهم لم يتخلوا عنها أبداً .

وسنكتفي في هذه الدراسة بمجموعة من أبرز علماءهم المعاصرين ، وهم :

(١) انظر ترجمته ص / ٥٧٣ من هذا البحث .

(٢) مؤتمر النجف للشيخ عبد الله السويدي ص / ١٠٢ - ١٠٣ ملحق بكتاب الخطوط المعريضة للخطيب .

(١)

١ - عبد الحسين شرف الدين الموسوي :

يتظاهر بالثناء على الصحابة وعدم الطعن فيهم وينكر على من يقول ان الشيعة يسبون الشيخين فيقول : (لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الامر ، ولو حلفنا له برب الكعبة بل لا يلتفت الى نفيه عنهم ولو جئناه بكل آية . . ولا حول ولا قوة الا بالله) (٢)

ويقول رداً على من يتهم الشيعة بأنهم يطعنون في السيدة عائشة رضي الله عنها : (إنها - أى عائشة - عند الامامية أنقى جيباً وأطهر ثوباً وأعلى نفساً وأعلى عرضاً وأسما مقاماً من أن يجوز عليها غير النزاهة . . وكتب الامامية قديمها وحديثها شاهداً عدل بما أقول) (٣)

ثم يزداد جرأة فيزعم أن الشيعة لا تنكر خلافة الشيخين أبداً

فيقول : (إنه لا ينكر استخلاف الشيخين رضي الله عنهما ذو وشعر ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد امتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ ، وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجرائه) (٤)

ويحاول أن يتلمس المبررات والاسباب التي جعلت أعداء الشيعة ينسبون اليهم هذا الغلو. فيقول : (إن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة كالكلابية يتحاملون على الصحابة كافة رضي الله عنهم ، وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق للشيعة ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ويأخذ البرئ بذنب المسيء) (٥)

(١) سبقت ترجمته ص/ ٣٨٧

(٢) الفصول المهمة في تأليف الامة ص/ ١٤٧

(٣) المرجع السابق ص/ ١٤٥

(٤) المرجع السابق ص/ ١٤٢

(٥) المرجع السابق ص/ ١٧٨ - ١٧٩

ومع أن ظاهر هذه النصوص يؤكد براءة الشيعة من الطعن في الصحابة قدماً
وحديثاً لكننا سنناقشها من خلال النقاط التالية لنرى كيف أصبحت التقية وسيلة
للتخلص من عار هذه العقيدة الخطيرة :

١ - يلاحظ القارىء أن النص الأول ليس فيه تصريح بنفي تهمة السب عمن
الشيعة وإنما يكفي ببيان أن الخصم لن يصدق الشيعة مهما أعلنوا براءتهم
من ذلك. ويبد وأن مئات الكتب الشيعة المليئة بسب الصحابة كانت ماثلة أمام
هذا العالم الشيعي وهو يسطر هذا الكلام ولذلك اعترف أن الخصم لن يصدق
أقواله لأنه نفسه غير مصدق لها

٢ - يدّعي المؤلف أن التحامل على الصحابة مقتصر على الغلاة
ومعنى ذلك أن كل علماء الشيعة ومراجعهم الدينية ومؤسسي مذهبهم كالكليني
والصدوق والمفيد والطوسي . . هم في نظره من الغلاة، ويبقى هو وحده ممن
الشيعة الامامية !! فقد أثبتنا في بداية هذا الموضوع تأصل هذه الانحرافات
لديهم وامتلاء كتبهم بالحدیث عنها

٣ - ثم إن هذا المؤلف الذي يدّعي البراءة من سب الصحابة وينادي
بالتقريب . . هو نفسه الذي امتلأت صفحات كتبه بالطعن والسب والتجريح بالخلفاء
الراشدين وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم وهذه نماذج منها :

- في كتابه الفصول المهمة - وهو نفس الكتاب الذي نقلنا منه النصوص السابقة -
يطعن في الشيخين رضى الله عنهما ويصور الحالة بين الصحابة الكرام بعد وفاة
الرسول صلى الله عليه وسلم بأسوأ صورة ويدّعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم
أمر بتجهيز جيش أسامة رضى الله عنه وجعل فيه أبا بكر وعمر وهو في أيامه الأخيرة
لأنه (أراد أن تخلو منهم العاصمة فيصفو الأمر من بعده لأمر المؤمنين علي بن
أبي طالب على سكون وطأنيته فإذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعلي
عقد ها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد . . لكنهم فطنوا إلى كل ما دبّر صلى الله
عليه وسلم فطعنوا في تأمير أسامة وشاقلوا عن السير معه ولم يرحلوا حتى لحق

الرسول صلى الله عليه وسلم بره (١) .!!

فانظر كيف يصف هذا العالم الشيعي الرسول صلى الله عليه وسلم بالدهاء والمكر وتدبير الحيل لاستبعاد أبي بكر وعمر عن الخلافة بطريقة ملتوية ليخلو الأمر لابن عمه من بعده ، وكيف يشوّ صورة الشيخين رضي الله عنهما ويصفهما بالطمع في الرئاسة ومخادعة الرسول ورفض طاعته !

فهل يصدق الباحث المنصف بعد ذلك كلام هذا العالم الشيعي الذي ينفي فيه عن الشيعة سبهم للصحابة رضي الله عنهم ؟

وهل هناك أدنى شك في أن كلامه السابق في نفي سب الصحابة لم يكن على حقيقته بل هو للتقية والخداع والتضليل ؟

- ولزيادة التأكيد ننقل نصاً آخر لهذا الرافضي في الطعن في إيمان الصحابة عموماً والشيخين خصوصاً حيث يقول في تعليل عدم كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل موته بالصاوية لعلي رضي الله عنه :

(اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وسلم عن ذلك الكتاب صفحاً لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن في نبوته . . ومن تأمل أحوالهم زمن النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه) (٢) !!

وهذا النص أشد خطراً من سابقه ، فهو يتهم الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة أنهم رضي الله عنهم/ قد يطعنون في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا نص على الصاوية لعلي رضي الله عنه ، بل يزعم أنهم قد طعنوا فعلاً في نبوته قبل وفاته صلى الله عليه وسلم في أيام خلافتهم بعد وفاته .

ولشدة مكر هذا الرافضي فانه يدع آخر الكلام فيه شيء من الغموض ليدلس على القارئ حيث إنه يصف الخلفاء الثلاثة بقوله (كانوا كما نبهناك إليه) والرجوع إلى بداية النص

(١) المرجع السابق ص / ٩٠

(٢) المرجع السابق ص / ٩٥ - ٩٦

يتضح أنه يقصد بذلك اتهامهم بالطعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .
وهذا الافتراء خطير جداً ، وأخطر منه أن يصدر ممن يدعي التقريب بين السنة
والشيعة وينادي بوحدة الصف والتقاء الكلمة ويُقسِم أن الشيعة لا يطعنون في الصحابة
رضى الله عنهم .

- ولا عجب بعد ذلك أن يفترى هذا الرافضي كتاباً كاملاً على لسان الشيخ سليم
البشري شيخ الأزهر ، ويسميه (المراجعات) ، ويدعي أن شيخ الأزهر استأذنه
ليسأله عن عقائد الشيعة ويستوضح رأيهِ عن حقيقتهم ، وهكذا بدأ يسبك الحوارب دهاً
ويقلب الحقائق حتى وصل الى غايته وهو الزعم بأن شيخ الأزهر أعلن تشييعه وأعجابه
بعقيدة الشيعة وخرجه بما ساق الله اليه من فضل ونعمه وأن مذهب الشيعة أحق
بالاتباع^(٢) !!

- ولا عجب كذلك أن نرى هذا الرافضي الذي يدعي محبة الصحابة رضى الله عنهم
وينفي عن الشيعة تهمة الطعن فيهم ثم يؤلف كتاباً خطيراً آخر بعنوان (أبو هريرة)
يطعن فيه في ذلك الصحابي الجليل ويتهمه بالكذب .^(٣)

ثم يطعن في كتب الحديث عند أهل السنة ويأتى المستشرقون ليتخذوا من هذه
المطاعن حجة على الاسلام مع ذلك يعد الشيعة هذا الكتاب من أجل ما أخرجه
المطابع بحثاً وعمقاً وأسلوباً^(٤) !!

- (١) راجع كتاب البينات في الرد على كتاب المراجعات ، تأليف (محمود الزعبي)
ففيه اثبات براءة شيخ الأزهر من ذلك ، والرد الوافي على مفتريات صاحب المراجعات
وراجع كتاب: تبديد الظلام للجبهان ص/ ٣٦٤
- (٢) المراجعات ص/ ٣٢٢ - الطبعة الخامسة - ١٩٦٨ م - مطبعة النعمان - النجف .
- (٣) راجع كتاب: دفاع عن أبي هريرة للاستاذ عبد المنعم صالح العلي العزي ، وكتاب
أبو هريرة وأقلام الحاقدين للاستاذ عبد الرحمن الزعبي ، وكتاب السنة ومكانتها
في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي .
- (٤) ذكر ذلك الشيخ مرتضى آل ياسين في تقديمه لكتاب المراجعات ص / ١٥)

هذه هي حقيقة موقف هذا الرجل في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
وهذه هي التقية وقد برزت في أوضح صورها ستاراً للخداع والتضليل .
ولننتقل إلى عالم شيعي آخر لنسيط عن أقواله اللثام :

(١)

٢ - محسن الامين :

يقول في معرض دفاعه عن الشيعة :

(عمدة ما ينقعه غير الشيعة عليهم دعوى القدح في السلف أو أحد ممن يطلق عليه اسم الصحابي . والشيعة يقولون إن احترام أصحاب نبينا من احترام نبينا ، فنحن نحترمهم جميعاً لاحترامه ، وذلك لا يمنعنا من القول بتفاوت درجاتهم) (٢)
وللرد على هذه الدعوى نذكر القارئ بما نقلناه في بداية موضوعنا هذا من نماذج لافتراءات الشيعة على الصحابة الكرام واتهامهم لهم بالكفر والنفاق ووصفهم بما تشمئز منه النفوس .

فهل هذا هو ما يعنيه محسن الامين بأنه احترام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟!
ثم إن الشيعة تحكم على معظم الصحابة بالكفر سوى أفراد قلائل فهل هذا هو ما يسميه تفاوت درجات الايمان ؟!

وهل من الاحترام للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يوصفوا بالردة بعسده والتهاك على السلطة وإثارة الاحقاد والعدوات بينهم حتى وكأن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لم تؤت أي ثمرة من ثمارها .

ثم إن محسن الامين الذي يدّعي احترام الصحابة هو نفسه الذي يطعن فيهم وينتقص من فضائلهم، فهو ينفي عن أبي بكر رضي الله عنه سبقه للإسلام ومشاركته في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينفي عنه فضله جمع القرآن الكريم زاعماً أن الذي جمعه

(١) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩

(٢) أعيان الشيعة ص / ٩٢ - نقلاً عن : الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاشنوية عشرية تأليف : محمد حسن الاعظمي ص / ٢٠٤ - الهيئة المصرية العامة للتأليف

هو علي رضي الله عنه .

فها هو يقول : (الجهاد الكامل كان لعلي وحده في كل موقف ، ولم يُسمع عن الصديق أنه قتل أحداً في حرب ، وهجرته كانت في استخفاء مع النبي صلى الله عليه عليه وسلم . . والقرآن جمعه مع تأويله علي بن أبي طالب ^(١))

وهو بذلك يطعن في جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن الكريم ، ويلج بخفاه إلى أنه غير فيه مدل !

وهل هناك أعظم من هذا الطعن في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم شهدوا الجمع للقرآن الكريم وشاركوا فيه ! كما يكذب صريح القرآن الكريم فينفي أن يكون في هجرة أبي بكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم أي فضيلة ومنزلة لأبي بكر ^(٢) . وهو بذلك يرد على الله تعالى قوله : (إن يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) ^(٣)

وهكذا يظهر دور التقية في إنكار محسن الامين لدعوى القدح في الصحابة ، ونرى كيف أنه كان على طريقة سابقه في القدح والطعن بصحابة الرسول صلى الله عليه عليه وسلم ولكن بشيء من الخداع .

٣ - عبد الواحد الانصاري ^(٤)

يقول في معرض رده على الشيخ محب الدين الخطيب الذي ذكر في كتابه الخطوط

العريضة خطر عقيدة السب والطعن في الصحابة عند الشيعة .

يقول رداً عليه : (عبثاً يحاول الشيعة اقناع خصومهم المتعصبين - بداعي العصبية

لاغير - بالأدلة الصادقة والبراهين الساطعة بأن الشيعة الامامية لا يجوزون اللعن والسب مطلقاً للخليفين وغيرهما إلا لمن لعنه الله ورسوله ، ونص على لعنه القرآن المجيد

(١) الشيعة بين الحقائق والاهام لمحسن الامين ص / ١٤٧

(٢) المرجع السابق ص / ١٤٨

(٣) سورة التوبة / اية ٤٠

(٤) لم أجد له ترجمة .

ولا يزال المتعصبون يتمسكون بأقوال السفهاء والبسطاء ، وأفعال الجهلة والعموم
(١) من الشيعة)

ونرد عليه من خلال النقاط التالية :

- ١ - أين الأدلة الصادقة والبراهين الساطعة على نفي هذه التهمة عن الشيعة ؟
وهل الذى ينقل أقوال علماء الشيعة المحققين عند هم والمعتمدين لديهم والمؤسسين
لمذهبهم يُعد في نظر الانصاري من المتعصبين ؟
- ٢ - لقد مرت بالقارئ في الصفحات السابقة ما يثبت بكل تأكيد تأصل هذه الفريسة
عند الشيعة من خلال نصوص أبرز علماءهم المحققين كالكليني والصدوق والمفيد والطوسي
والجزائري وغيرهم . فهل هؤلاء هم الذين يعد هم الانصاري من السفهاء والبسطاء
والجهلة وعموم الشيعة ؟ وأين هم إذاً علماء الشيعة وعقلاؤهم !!
- ٣ - وإذا كان الانصاري من عقلاء الشيعة الذين لا يجيزون اللعن والطمع في
الصحابة فلنستمع الى أقواله التي أثبت الا أن تظهر حقيقة ما في قلبه حيث أورد في
مواضع أخرى من كتابه هذا الافتراءات التالية في الصحابة الكرام :
فادعى أن أبا هريرة وسمر بن جندب وعروة بن الزبير وعمرو بن العاص وأشباههم ضاعون
ومزورون وكذابين (٢) وأنهم أتقنوا صياغة التلفيق والدس والكذب على أحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم (٣) !!
- وصف الصحابي الجليل سمر بن جندب رضي الله عنه بأنه صعلوك وقح متصلب في
جهله وكفره ونفاقه وتعطشه لاراقة الدماء ، من عملاء معاوية (٤) !!
- وقال عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : إنه ولد سفاح وكافر ولحد (٥) !!

(١) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص/ ١٢٦ - ١٢٧

(٢) المرجع السابق ص/ ٤٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٦٥

(٤) أضواء على خطوط محب الدين ص/ ٨٩

(٥) المرجع السابق ص/ ٨١

- وقال عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه : إنه مجرم سارق . . . وأنه بطل الفدر والكيد والدس^(١) . ثم قال : (وحاشا الله تعالى أن يهدي أقولاً تتخذ من جيفة المغيرة وحفرته النتنة روضه من رياض الجنة)^(٢) !!

- وقال عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه : إنه كذاب وراوي قرآن سجاح ، الذي أخذ يخلط بين قرآن الله وقرآن سجاح بعد أن ذهب عقله ودينه في دومة الجندل^(٣) !!

فما رأي القارئ وهو يطلع على هذه المفتريات والقذف والسباب من هذا الرافضي الذي يتظاهر في جانب آخر بالبراءة من ذلك !!

إنه التلون والخداع الذي لا ينطلي إلا على البسطاء ، ويد وأن هذه المفتريات الخبيثة هي الأدلة والبراهين الساطعة التي يريد هذا الرافضي أن يقدمها لنا لاثبات براءة الشيعة من الطعن في الصحابة ؟

٤ - محمد جواد مغنية^(٤)

أورد في كتابه " التفسير الكاشف " قل زين العابدين علي بن الحسين في الصحيفة السجادية في دعائه : (اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة . .) ثم قال (إن هذا رد مفحم لمن قال إن الشيعة ينالون من مقام الصحابة)^(٥) ، كما ادعى في كتاب آخر له أن الشيعة الامامية لا يكرهون الصحابة^(٦) .

وأبلغ رد عملي على هذه الدعوى مانجده في كتب مغنية الأخرى من الطعن والافتراء على الصحابة الكرام ، وصفهم بأوصاف قبيحة ، والادعاء بأنهم يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه نبذ مما سطره مغنية في كتبه :

(١) المرجع السابق ص / ٨٦ - ٨٧

(٢) نفســـــــــــــــــه ص / ٩٠

(٣) نفســـــــــــــــــه ص / ٦٠

(٤) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث

(٥) التفسير الكاشف ١٠ / ٥١٥

(٦) الشيعة في الميزان ص / ٢٩٤

- فيها هو يطعن في عثمان رضي الله عنه ويفتري عليه ما هو برئ منه
فيقول : (إن عثمان انحرف عن سنة الرسل ، وخالف شريعة الاسلام ، واستأثر هو
بذره بأموال المسلمين)^(١) !

- ويطعن في الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ويتهمهم في المشاركة
بقتل عثمان رضي الله عنه .

فيقول : (كان الزبير وطلحة وعائشة وراء ما حدث لعثمان ، وعليهم تقع التبعة في ذلك)^(٢) !
- كما يطعن في أبي هريرة وسمره رضي الله عنهما ويفتري عليهما فرية عظيمة .

فيقول : (لقد وجد معاوية ، أبا هريرة ، وسمره بن جندب يضعان الأحاديث المكذوبة
على لسان رسول الله في مدح معاوية والظعن على علي)^(٣) !

وهكذا تذهب دعوى مغنية - في تبرئة الشيعة من بغض الصحابة - أدراج الرياح ،
ويتأكد للقارئ أن هذا الرافضي يتظاهر تقية بمحبة صحابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يطعن في خيارهم ويفتري عليهم الافتراءات الكاذبة ويصفهم بأوصاف تظهر
حقيقة ما في قلبه من كراهية لهم .

ه - أحمد مغنية^(٤)

يطلع علينا هذا الكاتب الشيوعي بنمط جديد من الخداع ، يستخدم التقية بأسلوب
عجيب لا خفاء مطاعن الشيعة في الصحابة الكرام وخاصة الخلفاء الثلاثة .

فيقول : (إن أعداء الشيعة لم يتركوا وسيلة من وسائل التشويه والايذاء إلا اتبعوها ،
وأنهم وجدوا في اتفاق الاسمين : عمر بن الخطاب الخليفة العظيم ، وعمر بن سعد قاتل

(١) في ظلال نهج البلاغة - لمغنية ٢ / ٢٦٤ نقلاً عن رسالة التقريب للقاري ص / ٤٦١

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٩٢

(٣) الشيعة والحاكمون - لمغنية ص / ٢٨ نقلاً عن مقدمة كتاب الامامة والرد على الرافضة

للأصبهاني - تحقيق وتقديم الدكتور علي بن محمد الفقيهي ص / ٤٧

(٤) لم أجد له ترجمة .

الحسين ، ميداناً واسعاً يتسابقون فيه في تشويه الحقيقة والدس على الشيعة بأحط أنواع الدس . . . وكان طبيعياً أن يكون لعنة اللعنات عمر بن سعد . . . ولكن أولئك الآثمين المفرقين استغلوا كلمة (عمر) وقالوا إن الشيعة تنال من خليفة النبي عمر بن الخطاب رضى الله عنه) !!

ثم قال : (لا أنكر وجود أفراد من سواد الشيعة وسطائهم لا يفرقون بين هذين الاسمين ، بل لا يعرفون أن في دنيا التاريخ الاسلامى عميرين : تقياً وشقياً)^(١) ونتساءل في عجب :

ألم يطلع هذا الرافضي على مئات النصوص والروايات المنتشرة في كتب الشيعة والمليئة بالسب والشتم والوصف بالكفر والنفاق للخلفاء الثلاثة ، والادعاء بأنهم غصبوا الخلافة من علي وظلموه حقه ؟!

فهل عمر بن سعد قاتل الحسين هو الذي غضب الخلافة من علي ؟! أليظن مغنية أن سداجة القراء تصل الى هذا الحد ، وأنهم لن يطلعوا على شيء مما يُطبع وينشر من كتب الشيعة المليئة بالطعن في أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام ؟

وهل الكليني والطوسي والقي والمفيد و . . . وجميع علماء الشيعة الذين طعنوا في الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . هم أفراد من سواد الشيعة وسطائهم لانهم لم يفرقوا بين الاسمين أم هم أعمدة التشيع وأسس وأركانه ؟!

وهكذا يظهر تهافت هذا الكلام ، ويتضح الخداع الذي يسلكه مغنية في إخفاء شيء لم يعد اخفاءً ممكناً ، لأنه أصبح عقيدة يدّين بها الشيعة قديماً وحديثاً ولا يستغنون عنها .

وقبل أن نختم الكلام في هذا الموضوع نعرض لطائفة من أبرز علماء الشيعة المعاصرين الذين سوّدوا صفحات كتبهم بالطعن في الصحابة الكرام واتهامهم بالكذب والنفاق ليتأكد القارئ أن هذه العقيدة التي أسسها أسلافهم لازالت تجد مكانها البارز

بينهم الى اليوم . وأن كل ما يتظاهرون به من نفي هذا الانحراف انما هو خداع وتقية - فهذا أحد علمائهم وهو محمد صادق الصدر يطعن بصراحة في خيرة أصحاب رسول الله " صلى الله عليه وسلم " ممن نقلوا لنا السنة ونذروا أنفسهم لخدمتها بأمانة وإخلاص .

فيفتري على الصحابي الجليل أبي هريرة رضى الله عنه بأنه وضع على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة وأنه كان كذاباً ولم يكن يحسن الوضع ، وأنه كان يضع السم بالدسم ويدس في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) كما يتهم الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بتهم ماثلة ^(٢) ثم يدعي ان عائشة رضى الله عنها كانت مؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم بأفعالها وأقوالها وسائر حركاتها وهذا ما يدعوا للتشكيك في رواياتها وعدم الاعتماد على أحاديثها ^(٣) ويزعم أن أبا موسى الأشعري وأنس بن مالك منا فقان كاذبان ^(٤) !

ثم يستنتج بعد ذلك نتيجة خطيرة لطالما انتظرها أعداء الاسلام وهم أن صحاح أهل السنة كلها ساقطة لأن أكثر الروايات فيها لهؤلاء الصحابة ولا نهسا مشتملة على الأكاذيب والخرافات ^(٥) ومن هنا ندرك الهدف الذي يرمى هؤلاء الوصول اليه وهو محاولة التشكيك في المصدر الثاني للتشريع الاسلامي وهي السنة النبوية بعد أن شكك كثير منهم في المصدر الاول وهو القرآن الكريم فهل يُقدم على هذا العمل الخطير من يخاف الله ؟!

(١) الشيعة لمحمد صادق الصدر ص/ ١٣٥ - ١٤٣ - طبع بغداد - ١٣٥٢ هـ

(٢) المرجع السابق ص/ ١٤٣ - ١٥٠

(٣) المرجع السابق ص/ ١٥٠ - ١٥٢

(٤) نفسه ص/ ١٥٢

(٥) نفسه ص/ ١٥٣ - ١٥٤

(٦) راجع كتاب (الذريعة لازالة شبه كتاب الشيعة) للشيخ محمد جمال الدين العاني طبع دمشق - ١٣٥٤ هـ فقد رد على كتاب (الشيعة) رداً وافياً وأبطل كل

شبهاته وأوهامه

- وهذا محمد رضا المظفر يدعي أن انقلاباً عظيماً حصل بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حيث انقلب المسلمون على أعقابهم وأن هؤلاء الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه لأنهم منعوا الزكاة ليسوا مرتدين (وإنما هؤلاء أنكروا بيعه أبي بكر السقي) كانت عن غير مشورة من المسلمين . . فلم يعترفوا له بإمامة ولا ولاية حتى يؤدوا له الزكاة ، ولعلمهم كانوا يطالبون بخلافة مَنْ كان النص من النبي على خلافته فأهمـل مطالبتهم التاريخ (١) !

وأن الصحابة خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من غير حياء ولا خجل وتواطؤوا على غضبه . . . (٢) !

وأن قلوبهم كانت مليئة بالتنافر والحسد والبغضاء الكامنة (٣) !

الى غير ذلك من الافتراءات والاهام التي نسجتها خيالات الشيعة لتشويه الصورة المشرقة للجيل القرآني الفريد ، والتي يعلم كل مسلم صادق بطلانها وتهافتها .

- وهذا عباس القمي من أشهر علمائهم المعاصرين في التراجم يثني على أبي الولوءة المجوسي قاتل عمر رضي الله عنه ، ويسميه (بابا شجاع الدين) (٤) !

(١) السقيفة لمحمد رضا المظفر ص / ١٠ - ١٣

(٢) المرجع السابق ص / ٥٤

(٣) المرجع السابق ص / ٦٢ - ٦٤

(٤) الكنى واللقاب . لعباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) - ٥٤ / ٢ مطلق المعلق على الكتاب ألقاباً كثيرة على مؤلفه منها : (شيخ المتتبعين في عصره ، واستبان المحدثين في دهره ، سلمان زمانه في الورع والتقوى ، ووحيده أوانه في نشر راية الهدى وهو شيخنا الأجل ركن الاسلام وغوث المسلمين حضرة الشيخ عباس القمي) !! .

كل هذه الالقاب ينالها عند هم من يرى مقتل عمر بن الخطاب شجاعة وظفراً !!
راجع الصفحة الاولى من الكتاب بتعليق حسن الحسيني النجفي (

(راجع ترجمة القمي في : الأعلام ٢٦٥ / ٣)

ولا يخفى السبب الذى جعل هذا المجوس المجرم شجاعاً فى نظر علماء الشيعة.

ومع هذا يتججج عبدالواحد الأنصاري فى إنكار ذلك مستتراً بالتقية فيقول :

(سبحانك اللهم لاعلم للشيعة بهذه الاسطورة ، ولا وجود لها فى دنيا الشيعة)^(١)

- وهذا الخميني يطعن فى الصحابة فى أكثر من موضع من كتابه الحكومة الاسلامية

وكشف الأسرار فيتهم الشيخين رضى الله عنهما بمخالفة القرآن والتلاعب بأحكام الإله^(٢) !

ويطعن فى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه بألفاظ قبيحة حيث يصفه بالمفتري ويدّعي

أن كلماته تابعة من أعمال الكفر والزندقة وأنه أحدث تغييرات فى الدين الاسلامي^(٣) !

ويزعم أن الصحابي سمرة بن جندب رضى الله عنه يفتري على لسان النبي صلى الله

عليه وسلم أحاديث لم يقلها^(٤) !

- وهناك آخرون من علماء الشيعة المعاصرين - زيادة على ما ذكرنا - أطلقوا لأقلامهم

العنان وسطروا الصفحات فى الطعن والقذح والافتراء على صحابة رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولكننا أعرضنا عن الحديث عنهم رغبة فى الاختصار .

فهل يبقى بعد ذلك شك فى تأصل هذا الانحراف الخطير عند هؤلاء القوم وأن

اللاحق منهم يسير على خطى السابق ؟

وهل هناك أبلغ من هذه الأقوال الخطيرة لتكون رداً عملياً على من يبرّئ الشيعة

من هذه الانحرافات ؟

ونتساءل قائلين : أي فائدة يجنيها هؤلاء من إصرارهم على سب الصحابة والطعن

فيهم ، وهم جيل قد مضى ؟ (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون

عما كانوا يعملون)^(٥) ؟

(١) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص / ١٣٣

(٢) كشف الاسرار للخميني ص / ١٢٦

(٣) المرجع السابق ص / ١٣٧ - ١٣٨

(٤) الحكومة الاسلامية ص / ٦٠

(٥) سورة البقرة / آية ١٣٤

ولا نجد أماناً إلا جواباً واحداً وهو أن هؤلاء الرافضة يهدفون إلى الطعن في القرآن والسنة عن طريق تشويه صورة حملته الأواثل ، والطعن في الاسلام وخصائصه صلاحيته للتطبيق ، عن طريق تشويه تاريخه المجيد .

ولخطورة هذا الهدف نجد هم بين الحين والآخر يتسترون بستار التقية ويدعون براءتهم من الطعن في الصحابة ، لكي يتم لهم ما يريدون في خفاء .

ويأبى الله ألا أن يتم نوره .

المبحث الرابع

تمسك الشيعة بالتقية لإخفاء

غلوهم في أئمتهم

يعتقد الشيعة الامامية أن الامامة أصل من أصول الايمان ، وانها استمرار للنبوّة ، وانها أمر الهى خصها الله فيمن ارتضاه ^(١) ، ومنصب الهى يختاره الله بسابق علمه بعباده ^(٢) .

والائمة عندهم يتصفون بصفات لا بد منها ، أبرزها ^(٣) :

١ - العصمة : لأن الامام حافظ للشرع قائم به ، فحاله كحال النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا تجوز عليه المعصية ولا الخطأ ولا النسيان ^(٤) .

٢ - ان يكون أفضل من جميع الأمة في صفات الكمال كلها ، من الصدق والعدل والامانة وكرم الخلق ، وأفضل الناس من حيث العقل والعلم والحكمة .

٣ - ان يكون منصوباً عليه ، لأن العصمة أمر خفى لا يعلمها الا الله فلا بد من النص على المعصوم كما يعتقدون (أن علم الائمة مأخوذ بالتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، كعلم علي والحسين ، وبواسطة تعليم بعضهم لبعض ، كعلم بقية الائمة الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالصداقة والاستيـداع لأن جميع علوم الشريعة المقدسة وكل ما أفاده النبي صلى الله عليه وسلم من العلوم قد تعلمها منه علي وأودع كتبها عنده ، ثم من بعده صارت الى بنيه الائمة المعصومين ، وأن بعض علومهم يكون بالالهام . . وأن علمهم ثابت لهم على هذه الكيفية ، لا بكسب وتعلم من الناس وشد الرحال الى الأساتذة ، ولا بالاختلاط مع أهل الحلقات والحوارات العلمية ^(٥))

(١) فى ظلال الوحي - علي فضل الله الحسنى ص ١٣ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء ص ١٠٧ .

(٣) عقائد الامامية للزنجاني ص ٧٧ - ٧٩ . وراجع أوائل المقالات للمفيد ص ٣٥ .

وكشف المراد فى تجريد الاعتقاد لابن المطهر الحلي ص ٣٩٠ - ٣٩٣ .

(٤) تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة - د . عبد الله فياض ص ١٥٤ .

(٥) عقيدة الشيعة فى الامام الصادق وسائر الائمة - حسين يوسف مكي العاطسى

هذا الذى ذكرناه من صفات الائمة عند الشيعة يكاد أن يكون متفقاً عليهم
 قديماً وحديثاً ، ولما نجد من علماء الشيعة المعاصرين من ينكر ذلك تقية ،
 أو يدعى براءة الامامية منه . (١)

هذا كله مع ما تنصف تلك الصفات من غلو وارتفاع بالائمة السنية
 مستوى الأنبياء . ولكن هناك غلواً أشد وأخطر ينكره المعاصرون ويستخدمون
 التقيه فى اخفائه .

ولنستعرض نماذج منه من خلال روايات ونصوص أسلافهم من أساطين التشيع ،
 الذين ارتفعوا بالائمة الى مرتبة تفوق مرتبة النبوة ، وتكاد تصل الى درجة التأليه .
 وأبرز ما نراه من غلوهم الافتراءات التالية :-
 ١ - الائمة يعلمون كثيراً من الغيب :

لقد نفى الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلم الغيب الا ما أطلع الله
 عليه ، وبين سبحانه أن الرسل لا يعلمون ما فى غد ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً
 ولا ضراً الا باذن الله .

فقال تعالى مخبراً عن حال رسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا
 ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
 إن أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٢)

وقال تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون
 أيا ن يبعثون) (٣) والرسول صلى الله عليه وسلم ينفي عن نفسه علم الغيب كما قال
 تعالى :

(١) الا محمد جوار مغنية الذى أنكر أن يكون تعلم الائمة بالالهام وسنناقش قوله
 بعد صفحات .

(٢) سورة الأعراف / آية ١٨٨ .

(٣) سورة النمل / آية ٦٥ .

(قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ،
ان اتبع الا ما يوحى الى) (١)

ولكن بعض علماء الشيعة القدماء يصفون أئمتهم بما نفاه الله عن رسله ،
فيجعلونهم فى منزلة أعلى من منزلة الرسل .

فهذا هو الكليني يعقد بابا فى كتابه أصول الكافي تحت عنوان :

(باب ان الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ماكان وما يكون وانه لا يخفى عليهم
الشيء صلوات الله عليهم) (٢)

وبابا آخر تحت عنوان : (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون ،
وانهم لا يموتون الا باختيار منهم) (٣)

وبابا ثالثا بعنوان : (باب أن الأئمة عليهم السلام لو ستر عليهم لأخبروا كل
امرى بما له وما عليه) (٤)

وأبرز ما يطاتعنا فى هذه الأبواب الروايات التالية :

(عن أبى بصير قال : قال أبوعبد الله - ع - : أى امام لا يعلم ما يصيبه والى ما
يصير ، فليس ذلك بحجة لله على خلقه) (٥)

(وعن سيف التمار قال : قال أبوعبد الله - ع - . . لو كنت بين موسى والخضر
لأخبرتهما أنى أعلم منهما ، ولأنبئتهما بما ليس فى أيديهما ، لان موسى والخضر
عليهما السلام أعطيا علم ماكان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ،

(١) سورة الأنعام / آية ٥٠ .

(٢) الأصول من الكافي ١ / ٢٦٠ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٥٨ .

(٤) المرجع السابق ١ / ٢٦٤ .

(٥) المرجع السابق ١ / ٢٥٨ .

وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثته^(١)

(وعن عبد الواحد بن المختار قال : قال ابو جعفر - ع - : لو كان لألسنتكم أوكيه^(٢) لحدثت كل امرئ بما له وعليه^(٣))

ونستخلص من الروايات السابقة الصفات التالية للأئمة :

- ١ - أنهم يعلمون ما يصيبهم والمصير الذى ينتظرهم
 - ٢ - أنهم أعلم من موسى والخضر ، لأن علمهم يشمل علم ما كان وما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، فهم يعلمون الغيب فى الماضى والحاضر والمستقبل .
 - ٣ - أنهم يعلمون أحوال جميع الناس وأخبارهم وكل ما يتعلق بهم من مغبيات . وهكذا يصف الكليني الأئمة بأنهم اطلعوا على الغيب الذى اختص الله بعلمه ، والذى لم يطلع عليه الأنبياء والرسل .
- وهناك عشرات الروايات الاخرى التى يصف فيها الأئمة بأنهم يعلمون أخبار السموات والأرض^(٤) ، وأن عندهم علوم الاولين والآخرين .
- كما أنه يدعى أن عند الأئمة الجامعة ، وهى صحيفة طولها سبعون ذراعاً ، أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج الناس اليه .

وعندهم الجفر ، وهو وعاء من آدم فيه زبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم وكتب الله الأولى .

وعندهم مصحف فاطمة ، وهو الذى كتبه علي رضي الله عنه من كلام جبريل عند ما كان ينزل على فاطمة فيحسن عزاءها على أبيها ، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها

(١) الأصول من الكافى ١ / ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) أوكيه : جمع وكاء وهو رباط القرية ونحوه .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٤ .

(٤) نفسه ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ .

وعندهم بالاضافة الى كل ماسبق الكثير من آثار الأنبياء وكتبهم ، فعندهم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه ، والواح موسى وعصاه ، وخاتم سليمان ، والطست الذى كان موسى يقرب بها القربان ، والتابوت الذى جاءت به الملائكة . . الى غير ذلك من الخيالات والافتراءات^(١)

- وقد سبق الكليني الى هذه الافتراءات شيخ آخر من اشهر شيوخهم ، وهو محمد ابن الحسن الصفار^(٢) (ت ٢٩٠ هـ) الذى يعدونه من أصحاب الإمام الحادى عشر الحسن العسكرى ، والذى قيل عنه انه المؤسس الحقيقى لفقه الامامية في بلاد العجم^(٣) . ويقولون عنه انه (ثقة ، عظيم القدر ، راجحاً ، قليل السقط في الرواية)^(٤) وهو من أساتذة الكليني ، وكتابه (بصائر الدرجات الكبرى) يعد من الكتب المهمة والمعتمدة عند الشيعة ، وقد امتلأ هذا الكتاب بأخبار وروايات كثيرة ، في ادعاء نزول الوحي على الائمة وأنهم يعلمون الغيب ، وغير ذلك من ألوان الغلو والانحراف ومن أبرز أبواب هذا الكتاب :

- (باب في الائمة أنهم يعرفون بالاخبار من هو غائب عنهم)^(٥)
- (باب في الامام بأنه ان شاء ان يعلم العلم لعلم)^(٦)
- (باب في الائمة أنهم يزادون في الليل والنهار . .)^(٧) الى غير ذلك .
- كما أن الحر العاملي^(٨) (ت ١٠٤٠ هـ) وهو من علمائهم المتأخرين يؤكد على

(١) راجع : أصول الكافي للكليني (١ / ٢٣٨ - ٢٤٢) ، الارشاد للمفيد ص ٢٧٤ -

٢٧٥ ، الاحتجاج للطبرسي (٢ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٢) سبقت ترجمته ص / ٢٥٩ من هذا البحث . (٣) تاريخ الأدب بالعربي لبروكلمان ٣٢٧/٣

(٤) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٣٧٩/٢

(٥) بصائر الدرجات - الباب الحادى عشر - ص / ٤١٦ .

(٦) المرجع السابق - الباب الثانى من الجزء السابع - ص / ٣٣٩ .

(٧) المرجع السابق - الباب العاشر من الجزء الثامن ص / ٤١٥ .

(٨) سبقت ترجمته ص / ٢١٥

هذه الافتراءات ، فينص في كتابه (الفصول المهمة) على : (ان الملائكة ينزلون في ليلة القدر الى الارض ويخبرون الائمة عليهم السلام بجميع ما يكون في تلك السنة من قضاء وقدر ، وانهم يعلمون كل علم الانبياء عليهم السلام)^(١)

وليلاحظ القارئ كلمة (جميع ما يكون) فهي تأكيد من الحر العاطلي بأن علم الائمة يشمل كل المغيبات في تلك السنة ولا يختص بجزء منها . وهو ادعاء خطير لا يمكن لمسلم أن يدعيه للرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يدعيه هؤلاء لأئمتهم ؟

فماذا يقول علماءهم المعاصرون في ذلك ؟

يقول مغنية :

(لقد ظلم الشيعة الامامية من نسب اليهم القول بأن الائمة يعلمون الغيب ، ولا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق)^(٢)
ونتساءل قائلين : هل الكليني والصفار وأمثالهما يعدون من الامامية أم من غيرهم؟ فكيف استجاز هؤلاء ان يصرحوا ويؤكدوا على نسبه علم الغيب للأئمة ؟
والجواب أن مغنية يخفي أقوال أسلافه تقية ، ويتظاهرها بنكارها وهو يدرك تماما أن كثيرا من علماء الشيعة القدماء نصوا عليها في كتبهم .

وكما قلنا في مناقشة المدافعين عن الشيعة في دعوى تحريف القرآن والطعن في الصحابة . . نقول هنا : لو كان إنكار مغنية صادقا لوجب عليه أن يعترف بان الكليني وغيره من أساطين التشيع قد نصوا على هذه الغريبة ونسبوا علم الغيب للأئمة ، ثم يرد ادعاءهم ويبطل أقوالهم ، أما الانكار المطلق والاخفاء المتعمد ، فلا تفسير له الا استخداما للتقية لتغطية الوجه الحقيقي لعقائد الشيعة .

(١) الفصول المهمة ص / ١٤٥ - نقلا عن كتاب الرد الكافي على مغالطات الدكتور

وافي - لاحسان الهي ظهير - ص / ١٤٦ .

(٢) الشيعة في الميزان ص / ٤٣ .

٢ - الأئمة يتلقون العلم عن طريق الملائكة :

أورد الكليني تحت عنوان : (باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام) روايات في ذلك أبرزها الرواية التالية :-

(عن أبي عبد الله - ع - قال : ان علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر فـ في الاسماع قال : أما الغابر فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور فما يأتينا ، وأما النكت في القلوب فالهـام وأما النقر في الاسماع فأمر الملك ^(١))

وذكر شيخهم المفيد تفصيلا في ذلك فنقل عن الامام الصادق أنه قال :

(أما الغابر فالعلم بما يكون ، وأما المزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت فـ في القلوب فهو الالهـام ، والنقر في الاسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نـرى أشخاصهم ^(٢)) !!

فالأئمة اذاً يتلقون العلم عن ثلاث جهات :

١ - التلقي عن آبائهم الأئمة وهذا ما سبقت الإشارة اليه

٢ - الالهـام ، وهو ما يسمونه النكت في القلوب

٣ - الملائكة الذين ينزلون عليهم فيسمعون أصواتهم ولا يرون أشخاصهم .

والجانب الثالث هو الذي يحرص علماء الشيعة المعاصرون على اخفائه ، ويصرون

على انكاره وهو في الواقع من أخطر العقائد الشيعية ان ان معناه اثبات استمرار

الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ولو سمي ذلك الوحي بغير اسمه .

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان الوحي ينزل عليه أحيانا فيرى الملك ويسمع صوته ،

وأحيانا كان يسمع صوته ولا يراه ، وكلاهما وحي من الله ، وكلاهما انقطع نزوله بعد

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وان كانت الرواية السابقة لا تذكر اسم الملك الذي

ينزل على أئمتهم ، فان هناك رواية أخرى تذكر ان جبريل كان ينزل على فاطمة

(١) الاصول من الكافي ١ / ٢٦٤ .

(٢) الارشاد للمفيد ص / ٢٧٤ .

رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ليحدثها ويواسيها .

فقد روى الكليني (عن أبي عبد الله - ع- قال : . . إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوما ، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ، ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام) (١)

ولا شك أن هذه الرواية تنص صراحة على نزول جبرئيل عليه السلام بالوحي على فاطمة رضي الله عنها ، إذ لو فرضنا أن كلام جبرئيل وهو يحسن عزاءها ويطيب نفسها لا يعد وحيًا ، فإن كلامه لها وهو يخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ليس له اسم إلا الوحي ، لأنه إخبار بشيء من المغيبات التي ستحصل في المستقبل ، وهذا أمر لا علم لجبرئيل به .

فكانهم يقولون إن الله أمر جبرئيل أن ينزل عليها ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها ، فماذا نسمي هذا النزول الذي يحمل فيه جبرئيل هذه الأخبار إلى فاطمة ؟ لا شك أنه الوحي وليس له اسم غير ذلك ، كما أن ادعاءهم نزول الملائكة بالعلوم على أئمتهم ليس له اسم إلا الوحي ، ولا يكون ذلك إلا لنبي .

ولذلك نجد الكليني يعقد بابا في أصول الكافي تحت عنوان : (باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث) يذكر فيه روايات عديدة أبرزها :

عن زرارة قال : (سألت أبا جعفر - ع- عن قول الله عز وجل " وكان رسولا نبيا " ما الرسول وما النبي ؟ قال :

النبي الذي يرى في منامه ، ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى المنام ويعاين الملك .

قلت : الامام مازنلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك (١)
 فالخلاف بين الرسول والنبي والامام - كما يزعم الكليني - ليس في نزول الوحي أو عدمه
 وانما في مسأله جزئية ، وهي رؤية الملك أو عدم رؤيته ، اى فى كيفية تلقى الوحي .
 وهذا أكبر دليل على أن الكليني - وهو شيخ الشيعة فى الحديث - يعتقد نزول
 الوحي على الأئمة ، وفى ذلك خروج صريح على عقيدة ختم النبوة فى الاسلام ، ولا خلاف
 بين العلماء فى تكفير من يبطلها. ولو أن الكليني كان وحده هو المعتقد به - هذه
 الافتراءات لكان ذلك كافيا فى ادانة التشيع ، لعظيم منزلته عند الشيعة ، وثقتهم
 به وقولهم عن كتابه بأنه كاف لشيعتهم .

ولكنه ليس وحده فى هذا المجال ، بل سبقه الى ذلك آخرون لعل أبرزهم
 شيخه الصفار الذى أورد عشرات الروايات المنسوبة للأئمة فى تأكيد نزول الوحي
 عليهم . وهذه عناوين بعض أبواب كتابه المشهور (بصائر الدرجات) .

(٢) (باب فى أمير المؤمنين أن الله ناجاه بالطائف وغيرها ونزل بينهما جبريل) .

(٣) (باب فى الأئمة عليهم السلام أن روح القدس يتلقاهم إذا احتاجوا اليه) .

(باب الروح التى قال الله " ويسألونك عن الروح " أنها فى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأهل بيته عليهم السلام يسدد هم ويوفقهم ويفقههم) (٤)

(باب الروح التى قال الله فى كتابه " وكذلك أوحينا/روحا من أمرنا " أنها فى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الأئمة يخبرهم ويسدد هم ويوفقهم) (٥)

وإذا كانت هذه هى عناوين الابواب فما بالك بالروايات المحشوة فى داخلها

والتي تؤكد وتصر على فرية نزول الوحي على أئمتهم بالعلوم واخبارهم عن المغيبات .

(١) المرجع السابق

(٢) بصائر الدرجات ص / ٤٣٠ .

(٣) المرجع السابق ص / ٤٧١ .

(٤) المرجع السابق ص / ٤٨١ .

(٥) المرجع السابق ص / ٤٧٥ .

ومادام هؤلاء الشيعة يزعمون نزول الوحي على الائمة ، فما هو الفرق في رأيهم بين الانبياء والائمة أليست هذه دعوة مبطنه لاستمرار النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ولذلك نجد هم ينصون على تفضيل أئمتهم على الرسل والانبياء بما فيهم أولوا العزم من الرسل .

وقد بَوَّبَ الصفار باباً في ذلك بعنوان : (باب في أمير المؤمنين عليه السلام وأولوا العزم أيهم أعلم)^(١)

وذكر ذلك ابن بابويه القمي بعنوان : (أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم والائمة على جميع الملائكة والانبياء عليهم السلام)^(٢)

كما نص عليه الحر العاملي بعنوان : (ان النبي والائمة الاثني عشر عليهم السلام أفضل من سائر المخلوقات من الانبياء والأوصياء السابقين)^(٣)

وأكد ذلك أحد معاصريهم بقوله : (إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وموجب مذهبنا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والائمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محققين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه الا الله . . . وقد ورد عنهم عليهم السلام : إن لنا مع الله حالات لا يسمعها ملك مقرب ولا نبي مرسل)^(٤)

وإذا كانت منزلة الائمة عند الشيعة تفوق منزلة الانبياء والرسل ، والائمة يتنزل عليهم الوحي كما يتنزل على الانبياء ، ويعلمون من الغيب أكثر مما يعلم الانبياء ، فماذا بقي إذا ؟ بقي أن يصرحوا بأن أئمتهم أنبياء وأن النبوة لم تختتم ببعثة الرسول

(١) بصائر الدرجات ص / ٢٤٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا ص / ٢٦٢ .

(٣) الفصول المهمة ص / ١٥١ نقلاً عن الرد الكافي لظهير ص / ١٥٤ .

(٤) الحكومة الاسلامية للخميني ص / ٥٢ .

صلى الله عليه وسلم وانما هي مستمرة في الائمة .
 والواقع ان الكليني والصفار وغيرهما وان لم يصرحوا بذلك الا ان ما أوردوه من
 روايات يزيد على التصريح بذلك ، إن يرفع الائمة فوق مستوى الانبياء .
 ولذلك نجد الكليني في إحدى رواياته يكاد يصرح باستمرار النبوة في علي رضي الله
 عنه ، فقد روى بسنده (عن أبي عبد الله - ع - أنه قال :
 كان أمير المؤمنين - ع - باب الله لا يؤتى الا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره
 هلك ، وكذلك يجري لائمة الهدى واحدا بعد واحد ، جعلهم الله أركان الارض
 أن تميد بأهلها ...

وكان أمير المؤمنين كثيرا ما يقول : أنا قسم الله بين الجنة والنار ، وأنا
 الفارق الأكبر ، وأنا صاحب العصا والميسم ، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح
 والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم . . ولقد أعطيت خلاصا ما سبقني
 اليها أحد قبلي ، علمت العناية والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما
 سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني (١) .

وليلاحظ القارىء جملة : (ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل
 ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم) فهل تعنى هذه العبارة الا ادعاء النبوة
 لعلي رضي الله عنه ؟ وحاشاه أن يدعي ذلك لنفسه ، أو يصف نفسه بأوصاف الغلو
 التي يصفه بها الكليني شيخ الشيعة وعمدتهم .

فماذا يقول علماءهم المعاصرون في ذلك ؟

يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء :

(يعتقد الامامية ان كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم
 أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله) (٢) .

(١) الاصول من الكافي ١ / ١٩٦ .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص / ١٠٦ .

ولو أخذنا قول كاشف الغطاء على ظاهره ، لكان أول من ينطبق عليهم هذا الحكم هو الكليني وشيخه الصفار وأمثالهما ممن أشرنا اليه من علماء الشيعة الذين صرحوا بنزول الملائكة على أئمتهم بالعلوم والمغيبات ، وهو كما قلنا لا يختلف عمن الوحي شيئاً . بل إن الكليني - كما رأينا - ألمح إلى ادعاء النبوة في علي رضي الله عنه . فهل هؤلاء - وهم مرتكز الشيعة - كفار يجب قتلهم ؟

إن هذا لا يقول به شيعي أبداً ، لكن كاشف الغطاء أراد باطلاقه لهذا الحكم أن يبعد الانظار عن دعاوى أسلافه ومفترياتهم صيانة لسمعة الشيعة وذراً للرماد في العيون ، تسليحاً بسلاح التقية التي يجب على الشيعي أن يتمسك بها في مثل هذه المواطن .

- وننتقل بعد كاشف الغطاء إلى مغنية الذي نجده يذهب في التقية إلى مدى أبعد فيقول : (بهذا يتبين الجهل أو الدس في قول من قال بأن الشيعة يزعمون أن علم الأئمة الهامي وليس بكسبي ، وترقى بعضهم فنسب إلى الشيعة القول بنزول الوحي على الأئمة) (٢)

وهذا الإنكار من مغنية يتضمن جانبين وهما :

- إنكار ما تدعيه الشيعة بأن علم الأئمة الهامي وليس بكسبي

- إنكار دعوى نزول الوحي على الأئمة .

والجانب الأول الذي يتظاهر مغنيه بانكاره أقرب به علماءهم من قبل ، كما مر بنا

بل إن المعاصرين أقروا به أيضاً ، فهذا حسين يوسف مكي يقول عن علوم الأئمة :

(أن بعض علومهم يكون بالالهام . . . وأن علمهم ثابت لهم على هذه الكيفية

لا بكسب وتعلم من الناس ، وشد الرحال إلى الأساتذة) (٣)

(١) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص / ٤٤ - ٤٥ .

(٢) عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الأئمة - حسين يوسف مكي العاملي

ويقول محمد الحسين المظفرى :

(علم الدين الهامى وكسبى ، والكسبى يقع فيه الخطأ والصواب والصحة والغلط . . فمن هنا كان حتما ان يكون علم الانبياء وأوصيائهم من العلم الايحائى أو الالهامى صونا لهم وللأم من الوقوع فى المخالفة خطأ) (١)

ثم يقول : (فالصادق كسائر الأئمة لم يكن علمه كسبياً وأخذاً من أفواه الرجال ومدارستهم ، ولو كان ، فمن أخذ وعلى من تخرج وليس فى تاريخ واحد من الأئمة عليهم السلام أنه تعلم أو قرأ على واحد من الناس حتى فى سن الطفولة) (٢)

وبهذا يظهر كذب مغنية الذى لا ينسب هذا الافكار لرأيه الخاص ، وانما يجعله عقيدة للشيعة عامة تظاهرها منه بموافقة أهل السنة .

أما الجانب الثانى وهو إنكار دعوى نزول الوحي على الأئمة ، فكم نتمنى أن يكون موقف مغنية هذا يمثل عقيدة علماء الشيعة قديماً وحديثاً .

لكن العكس هو الواقع ، فقد رأى القارىء ما ذكرناه فى اثبات تأصل هذه الغريبة عند كثير من علماء الشيعة الذين هم أركان مذهبهم ، كالكلينى والصفار والحرر العاملى وغيرهم .

وإذا كان بعض علماءهم القدماء قد أنكروا هذه الغريبة ، فلا يخفى أن البعض الآخر قد أثبتوها ودعموها بالروايات المنسوبة لأئمة أهل البيت .

وقد استدل مغنية بأقوال بعض المنكرين كالنفيد^(٣) وأبى على الطبرسى^(٤) ، وأخفى أقوال وروايات المثبتين الذين هم أبرز وأقدم كالكلينى وشيخه الصفار .

ثم ان النفيد الذى أنكر دعوى نزول الوحي على الأئمة فى كتابه (أوائل المقالات)

(١) الامام الصادق - لمحمد الحسين المظفرى ص / ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥١ .

(٣) ذكر النفيد إنكاره هذا فى كتابه (أوائل المقالات) ص ٣٩ تحت عنوان (القول فى الإيحاء الى الأئمة) .

(٤) ذكر ذلك فى تفسيره (مجمع البيان) ٢ / ٢٣٩ فى تفسير قوله تعالى من سورة هود آية ١٢٣ " ولله غيب السموات والأرض " .

هو نفسه الذى يؤكد هذه الغرابة فى كتاب آخر له فيروى عن الامام الصادق أنه قال :
(ان علمنا غابر ومزبور ونكت فى القلوب ونقر فى الاسماع ، أما الغابر فالعلم بما
يكون ، وأما المزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت فى القلوب فهو الالهام ، والنقر فى
الاسماع حديث الملائكة نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم) (١)

فموقف المفيد إذاً مضطرب فى هذا المجال ، ينبغي فى كتاب ما يثبت فى كتاب آخر ،
وهذه الرواية التى ينسبها للامام الصادق تؤكد نزول الوحي على الاثثة بالعلم —
وإخبارهم بالمفنيات ، فكيف نقبل قوله الآخر : (إن العقل لا يمنع من نزول الوحي
اليهم - أى الاثثة - . . . وانما منعت من نزول الوحي عليهم ، والا يحاء بالاشياء اليهم
للاجتماع على المنع من ذلك ، والاتفاق على أنه من يزعم أن أحدا بعد نبينا صلى الله
عليه وسلم يوحى اليه فقد أخطأ وكفر . . . والامامية جميعا على ما ذكرت ليس بينها فيه
على ما وصفت خلاف) (٢)

وليلاحظ القارئ الجملة الاخيرة من قول المفيد ، حيث يدعى اتفاق الامامية
جميعا على ما ذكره من منع الوحي على الاثثة .

وهذا الادعاء ظاهر البطلان بما ذكرناه من الروايات التى حشدتها الصفار
والكليني وغيرهما لتأكيد نزول الوحي على الاثثة وأنهم يسمعون صوت الملك ولا يرون
شخصه .

فكيف نفسر موقف المفيد هذا ؟ ان التناقض والاضطراب وادعاء اتفاق الامامية
على شىء لم يتفقوا عليه بل كادوا يتفقون على خلافه . . كل هذا يشكك فى صحة موقف
المفيد وصدق إنكاره لهذا الغلو .

ولا يبقى بعد ذلك أى مستند لمغنية فى نفى هذه التهمة عن جميع الشيعة مستدلا
بنص المفيد الذى أثبتنا اضطرابه .

(١) الارشاد للمفيد ص / ٢٧٤ .

(٢) اوائل المقالات ص / ٣٩ .

ولو كان مغنية صادقا في تبرئة الشيعة من هذا الغلو الخطير ، فإن الواجب عليه أن يسلك طريق الصراحة والوضوح ، فيقر بوجود كثير من علماء الشيعة البارزين الذين أثبتوا هذا الغلو في كتبهم ، وبالتالي يرد عليهم ويظعن في رواياتهم المنسوبة للائمة ، ويعلن تراجع الشيعة المعاصرين عن ذلك وبراءتهم منه .

أما الاخفاء المتعمد والتجاهل المقصود لهذه العقيدة الخطيرة المسطرة في أمهات كتبهم المطبوعة والمنتشرة بين الناس . . فلا تفسير له الا التقية .

- وأخيرا نقول :

كم نتمنى أن يسلك علماء الشيعة المعاصرون طريق الصراحة ، وأن يطرحوا جانباً هذه الحيل والأساليب الملتوية في التستر على عقائد أسلافهم التي لم تعد خافية عن الناس ، وأن يعلنوا بكل جرأة براءتهم منها ومن قائلها ، وأن يتوقفوا عن طبع ونشر هذه الكتب المشحونة بالغلو ، والمليئة بالانحرافات المخرجه عن دائرة الاسلام . ولا سبيل أمامهم الا أن يفعلوا ذلك ، إدراكا لخطر هذه الدعاوى المضلة والآراء المهلكة على فرقة الشيعة بل على المسلمين كلهم .

(١)
فليتهم يفعلون . .

(١) قام أحد أعلام الشيعة المعاصرين في الآونة الأخيرة بحمل لواء الدعوة السيـ تصحيح عقائد الشيعة ، وهو الدكتور موسى الموسوي المولود في النجف عام ١٩٣٠ م والحاصل على الدكتوراه في التشريع الاسلامي من جامعة طهران ، والدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون في باريس . وقد ألف الموسوي في ذلك كتبا عديدة أبرزها كتاب (الشيعة والتصحيح) الذي أعلن فيه عن ضرورة القيام بتصحيح عقائد الشيعة ، ولا سيما تلك العقائد التي سببت الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى ، والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم ، وكانت ولم تزل وبالا على المذهب الشيعي حيث أدت الى تشويه سمعته وسخ معالمة في العالم الاسلامي بل وفي العالم كله .

(راجع ص / ٦ من هذا الكتاب) .

الفصل الرابع

تمهيدك بالتقية في مجالي الرواية والفقه الشعبة وفية بمجان.

المبحث الاول : التقية في الرواية

- ١ - رد الروايات الثابتة عندهم والموافقة لأهل السنة
- ٢ - كتمان الروايات تقية
- ٣ - تعديل الرواة وتجريحهم على سبيل التقية

المبحث الثاني : التقية في الفقه والفتوى

- التأكيد على استخدام التقية في الفتوى
- بعض الأمثلة لاستخدامهم التقية في الفقه والفتوى
- أولا : نجاسة أهل الكتاب
- ثانيا : بعض أحكام الصلاة

المبحث الأول

التقية في الرواية

من المتفق عليه عند علماء أهل السنة أن الرواية أمانة ومسؤولية .
فالراوي مؤتمن لا يجوز له أبداً أن ينسب لأحد قولاً لم يقله ، فضلاً عن أن ينسب للرسول
صلى الله عليه وسلم أو للصحابة الكرام قولاً وهو يعلم كذب به ويطلانه .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال :

(من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)

وفي رواية : (لا تكذبوا علي فانه من كذب علي فليجلج النار) (١)

ولذلك حرص الصحابة الكرام على دقة الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونقل
ما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام بأمانة وصدق ، وكذلك كان حال علماء الأمة
ومحدثيها الثقات جيلاً بعد جيل ، حيث بذلوا كل جهودهم للنظر في عدالة من ينقلون
عنه والتأكد من أمانتهم .

وأئمة أهل البيت ابتداءً من علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين رضي الله
عنهم ومن بعدهم كانوا أحرص الناس على دقة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبعد الناس عن التقول في الرواية والخداع فيها .

ولذلك كان علي رضي الله عنه يقول : (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلا تخرن من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه) (٢)

وفي رواية (أحب إلي من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) .
ولكن علماء الشيعة ادعوا أن التقية في الرواية جائزة ونسبوا ذلك لأئمتهم وعلمائهم
ورواة الأحاديث عندهم . وهذا المجال من مجالات التقية يمثل أخطر انحراف عن
المفهوم الصحيح للتقية كما سنرى ، وأبرز ما استعملوا فيه التقية في مجال الرواية الجوانب
التالية :

(١) صحيح البخاري ٣١/١ باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده ١١٣/١ وابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٠/١٢

١- رد الروايات الثابتة عندهم والموافقة لأهل السنة بحجة أنها وردت للتقية وأنه يجوز للراوي أن يروي رواية ينسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد الأئمة وهو موقن ببطانها ولكنه يدعي نسبتها إلى قائلها تقية.

ويزعمون أن أئمتهم أمروهم بذلك ، وأن هؤلاء الأئمة كانوا يفعلون هذا أيضاً فيروي أحد الأئمة رواية عن إمام سابق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمع الناس إليها ويأخذون بها ثقةً بقائلها ، وهو يعلم بطلانها وكذبها، ولكن الذي دفعه إلى روايتها هو التقية.

لأنها توافق مذهب العامة - أي أهل السنة - والرواية الصحيحة المعتمدة عندهم هي ماخالف أهل السنة.

وبهذه الحيلة استطاع علماء الشيعة أن يردوا كل رواية وردت من طريقهم وفيها موافقة لمذهب أهل السنة في الأصول أو الفروع بحجة أن هذه الرواية قيلت للتقية.

روى الطبرسي في الاحتجاج عن سماعة بن مهران قال :

(سألت أبا عبد الله - جعفر الصادق - قلت : يرد علينا حديثان ، واحد يأمرنا بالأخذ به والآخر ينهانا عنه ؟

قال : لاتعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك فتسأله عنه

قال : قلت : لابد من أن نعمل بأحدهما

قال : خذ بما فيه خلاف العامة ، فقد أمر (عليه السلام) بترك ما وافق العامة لانه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقية ، وما خالفهم لايحتمل ذلك) (١)

ثم قال الطبرسي : (وروى عنهم عليهم السلام - أنهم قالوا : اذا اختلفت أحاديثنا عليكم فخذوا بما اجمعت عليه شيعتنا ، فانه لا ريب فيه) (٢)

وما يؤكدون عليه أنه ينبغي لمن يتبعهم أن يصدق بكل ما يسمع من الأئمة وما ينقل اليه من أحاديثهم مهما كان في هذه الأحاديث والروايات من تضارب وتناقض ، ولا يجوز له أن يكشف عن حقيقة الروايات المزيفة التي قيلت تقية لثلاث تضيع الفائدة من التقية وهي الدفاع عن الشيعة وابعاد الأخطار عنهم .

ولذلك ينسبون للإمام جعفر الصادق أنه قال :

(من عرف أنا لا نقول الا حقا فليكتف بما يعلم منا ، فان سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك دفاع منا عنه) (١)

والمطلوب من كل شيعي أن يسكت عن الروايات المتناقضة والمتضاربة التي تنقل عن الأئمة وتنسب اليهم ولو كان هذا التضارب يدعو للاشمئزاز والانكار .

روى الكليني بسنده عن أبي عبيدة الحذاء قال :

(سمعت أبا جعفر - ع - يقول : والله ان أحب أصحابي إليّ أروعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا ، وان أسوأهم عندي حالا وأمقتهم للذي اذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله اشأزمنه وجحدته وكفر من دان به ، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند ، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا) (٢)

وروى أيضا عن علي بن سويد أن أبا الحسن موسى كتب إليه رسالة . وكان ما قال له فيها :

(لا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا : هذا باطل ، وان كنت تعرف منا خلافه فانك لا تدري لم قلناه ، وعلى أى وجه وضعناه ، آمن بما أخبرتك ولا تُفشي ما استكتمت) (٣)

وبهذه الحيلة يتمكن علماء الشيعة من نسبة كل ما يريدونه الى الأئمة ولو أدى ذلك الى التناقض مع ما ثبت عنهم من أقوال لأن الأتباع ينبغي عليهم أن يصدقوا كل ما ينقل عن الأئمة بدون نقاش ولا تردد ، بحجة أن سبب هذا الاختلاف والتناقض هو التقية

ويعلل الدكتور كامل الشيبى هذا المنهج الشيعي في مجال الرواية فيقول :

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ٢٦ / ١٨

(٢) الأصول من الكافي ٢٢٣ / ٢

(٣) الروضة من الكافي ص / ١٢٥ - ١٢٦

(لم ينهج الشيعة منهج أهل السنة من تسجيل الصحاح من الأحاديث ، وإنما اختاروا أن يكسوا كل ما طرقت سمعهم فيما عدا الصريح منه في التأليه والحلول .
ثم يقول : وقد لاحظ الشيعة أنفسهم هذا المدى الواسع من الاختلاف والتناقض في عقائدهم

— أى بسبب تكديس الروايات وعدم التمييز بين صحيحها وسقيمها - فلم يحاولوا معالجته بالحد منه واسقاط ما يتسبب في ذلك ، وإنما نسبوه الى التقية ، ورووا عن الائمة أنهم قالوا : " نحن أوقعنا الخلاف بين شيعتنا فإنه أبقي لنا ولهم " . (١) (٢)

ثم يذكر أن هذا الاختلاف كان حافزاً إلى دخول قوم كان هدفهم من الانضمام الى التشيع تحقيق مطامحهم وبت أفكارهم عن طريق هذه العقيدة ، وكان ذلك أيضاً مشجعاً للشيعة من أصحاب التحرر من القيود أن يذهبوا الى المدى الذى يحلولهم .

وهذا كله بسبب اعتماد التشيع في تكوين عقيدته على الأخبار والأقوال المروية عن الائمة ونفوره من القياس العقلي والتناقض الشديد بين أخباره (٣) .

وبذلك لا يستغرب الباحث عندما يجد الشيعة قد اعتمدوا في الترجيح بين الروايات المختلفة بأن ما يوافق أهل السنة منها فهو مردود لأنه قيل تقية .

وهكذا تتم ازالة الروايات التى هى أقرب فى صحة نسبتها لائمة أهل البيت وتوضع عوضاً عنها روايات شاذة على أنها هى الروايات الصحيحة التى يجب تصديقها والعمل بها . ولكي يظهر للقارئ جلياً صحة ذلك ، وأنهم يجعلون المقياس فى قبول أو رد الرواية مدى موافقتها لأهل السنة ، ننقل ما ذكره شيخهم المفيد محمد بن النعمان فى شرحه لعقائد الصدوق تحت عنوان (الأحاديث المختلفة) فيقول :

(١) نقله الشيبى عن قصص العلماء للتكاينى ص / ١٥٢

(٢) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص / ٦٠ - ٦١

(٣) المرجع السابق ص / ٦٣

(جملة الأمر أنه ليس كل حديث عُزي إلى الصادقين - ع - حقاً عنهم ، وقد أضيف إليهم ما ليس بحق عنهم ، ومن لا معرفة له لا يفرق بين الحق والباطل ، وقد جاء عنهم عليهم السلام ألفاظ مختلفة في معان مخصوصه ، فمنها ما يتلازم معانيه وإن اختلفت ألفاظه لدخول الخصوص فيه والعموم والندب والایجاب ، ولكون بعضه على أسباب لا يتعداها الحكم إلى غيرها ، والتعريض في بعضها بمجاز الكلام لموضع التقية والمداراة وكل من ذلك مقترن بدليله غير خال من برهانه .

ثم يقول : وما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر رواية المعمول به . . . ولم تجمع العصاة على شيء كان الحكم فيه تقية ، ولا شيء دلّس فيه . . . فإذا وجدنا أحد الحديثين متفقاً على العمل به دون الآخر علمنا أن الذي اتفق على العمل به هو الحق في ظاهره وباطنه ، وأن الآخر غير معمول به ، إما للقول فيه على وجه التقية ، أو لوقوع الكذب فيه .

وإذا وجدنا حديثاً يرويه عشرة من أصحاب الأئمة - ع - يخالف حديث آخر في لفظه ومعناه ولا يصح الجمع بينهما على حال . . . قضينا بما رواه العشرة ونحوهم . . . وحملنا ما رواه القليل على وجه التقية أو توهم ناقله .

وإذا وجدنا حديثاً قد تكرر العمل به من خاصة أصحاب الأئمة - ع - في زمان بعد زمان ، وعصر إمام بعد إمام قضينا به على ما رواه غيرهم من خلفه . (١)
وهكذا نجد من النص السابق الإشارة بأن من بين أسباب اختلاف الروايات عن الأئمة أن بعضها قيل للتقية والمداراة ، وأن نسبتها إلى الأئمة صحيحة غير أنها غير مقبولة من ناحية العمل بها .

ونلاحظ أن الشيخ المفيد حاول أن يضع بعض المقاييس للتمييز بين الروايات التي توجب العمل والروايات التي قيلت للتقية ، والجامع لهذه المقاييس أن الروايات الموجبة للعمل هي التي توافق ما عليه الشيعة من اعتقادات وآراء وما شاع عندهم من روايات توافق أصولهم .

وكل ما خالف ذلك فهو للتقية.

والشيخ المفيد لم يصرح هنا بأنه يقصد بهذه المقاييس أن ما كان موافقا لأهل السنة

من روايات فهو مردود وما خالفهم ووافق الشيعة فهو مقبول .

لكن كلامه واضح الدلالة في الإشارة الى هذا المعنى ، كما أن هذا ما تؤكد الروايات

التي سبق الحديث عنها في بداية هذه الفقرة ، والتي تأمر بأخذ ما فيه خلاف العامة

(أى أهل السنة)

— والشيخ الطوسي يعترف أن اختلاف الروايات المنسوبة للأئمة وتضاربها كان من أهم

وأعظم أسباب الطعن في الشيعة فيقول :

(نذكرني بعض الأصدقاء . . . بأحاديث أصحابنا ، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين

والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يوجد خبر إلا بإثرائه ما يضاذه ، ولا يسلم حديث إلا وفي

مقابلته ما ينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا ، وتطرقوا بذلك

إلى إبطال معتقدنا) (١)

ثم لم يجد الطوسي وسيلة لحل هذا التناقض إلا القول بأن كل ما يوافق العامة ويخالف

الشيعة ورد على سبيل التقية ، وأن كل رواية في سندها رجال من أهل السنة أو الزيدية

فهي محمولة على التقية (٢)

أخطار استخدامهم للتقية في مجال الرواية :

هكذا تصبح التقية في الرواية وسيلة لتشويه الصورة الصحيحة للروايات المنقولة عن هؤلاء

الأئمة رحمهم الله ، ولم تعد تلك الروايات تعطينا صورة واضحة عما يعتقد أولئك الأئمة

أو يُفتون به ، لأن الكثير من أقوالهم قد رُدَّ وأُبطل حتى ولو ورد بطرق الشيعة وجي بأقوال

تطفح بالغلو والانحراف فنسبت إليهم وجعلت هي الأصل في أقوالهم ، والذي يجعلنا نجزم

بهذا ، أن علماء أهل البيت النبوي لم يكونوا بمعزل عن علماء الأئمة بل كانوا جميعاً كالييد

الواحدة في حمل أمانة هذا الدين وتبليغه ونشره والدعوة إليه ، وقد أخذ بعضهم العلم عن

بعض ، ونقل الكثير من علماء السلف الروايات والفتاوى عن علماء أهل البيت ، (٣)

(١) (٢) التهذيب للطوسي ٣ / ١ - نقلاً عن : فكرة التقريب بين السنة والشيعة لناصر

القاري ص / ٤٦٥

(٣) راجع : الامام الصادق للشيخ محمد أبو زهرة ص / ٣٧

ولكن الشيعة وجدوا أنفسهم أمام روايات كثيرة اشتهرت عن الائمة ونقلها رواتهم ، وهى توافق أهل السنة فى الأصول وكثير من الفروع ، ولم يكن بوسعهم الطعن فى صحة نسبتها لأنها وردت عن طريق رجالهم الذين يوثقونهم ، فاستطاعوا بدعى التقية أن يردوها بحجة أن الائمة لم ينطقوا بها عن اعتقاد وقناعة بل عن خوف وخشية من أهل السنة .

وهذا الأمر خطير جداً للأسباب التالية :-

١ - أنهم بذلك يتهمون أئمتهم بأنهم أدخلوا فى الدين ما ليس منه خوفاً وتقية ، ونقل ذلك عنهم حتى وصل الى القاصي والداني وتناقلته الرواة وسُجِّلَ فى الكتب .

والائمة - عندهم - ليسوا فى مكانة القدوة فحسب ، بل هم فى مقام يقارب مقام النبوة ، لأن الشيعة يعتقدون - كما يقول مغنية - (أن أقوال الامام فى الشريعة هي عين أقوال جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أسندها اليه أم أرسلها بدون اسناد ، وأن الكذب والخطأ محال فى حقه) (١) .

فما أشنع أن يقول مَنْ هذه صفته قولاً فى الشريعة لا يعتقد صحته ولكن يجاري به المخالفين له تقية !!

وهكذا نجد أن الشيعة جعلوا الافتراء فى الدين مجالاً من مجالات التقية وما هو الا كذب على الله ورسوله ، بل هو أخطر أنواع الكذب لأنه يضل الناس ويجرؤهم على التلاعب بالدين بحسب أهوائهم .

وتسمية هذا الكذب بغير اسمه لا يغير من حقيقته لأن تغيير الأسماء لا يغير المسميات .

ونحن نربأ بأئمة وعلماء البيت النبوي عن هذا الاتهام الذى يلصقه الشيعة بهم ، وما هو الا تحقير لهم وافتراء عليهم ، كما أنه تشويه للسنّة النبوية التسي هي المصدر الثانى بعد القرآن الكريم .

بل هو أكثر من ذلك لأنه يؤدى مع مرور الزمن الى تضييع أحكام الدين والقضاء عليه .

ثم ان حمل رواية الامام وأقواله على التقية طعن فى عصمته - التى يصفونه بها - بل طعن فى دينه وإيمانه وغش فى الدين وتدليس على الناس وهو طعن فى عدالة الرواة الذين تناقلوا هذه الروايات ونشروها .

ومهما حاول الشيعة أن يحددوا من مقاييس للتمييز بين الروايات التي يحتج بها
عندهم والروايات التي وردت للتقية فإنه سيشتبه في كل قول أو فعل نسب إلى الأئمة أن
يكون صدر عنهم على سبيل التقية ، ويلزم من ذلك أن لا يكون أي أمر من أوامره يجب
العمل بمقتضاه فتسقط نتيجة لذلك جميع الأقوال والأفعال الصادرة منهم بسبب
احتمال التقية (١)

يقول الامام ابن تيمية : (إن شعار الرافضة الذل ، وشارهم النفاق والتقية ، ورأس
مالهم الكذب والايمان الفاجرة . . . وقد نزه الله أهل البيت عن ذلك ولم يحوجهم إليه
فكانوا من أصدق الناس وأعظمهم إيماناً ، فدينهم التقوى لا التقية) (٢)

٢- انهم استخدموا التقية وسيلة لتثبيت الروايات المنسوبة كذباً للأئمة والتي تطفح
بالفلو والانحراف في أصول الدين وفروعه ، ولا يشك مسلم عاقل في تبرئة أئمة أهل
البيت منها .

وحيلتهم في ذلك كما رأينا أنهم ردوا ما هو ثابت عن أئمتهم لموافقته لأهل السنة
وجاءوا بهذه الروايات بدليلاً لما ردوه بعد أن أبعدوا الروايات الثابتة لكلاً يظهر
تناقضها مع ما وضعوه ومع كل هذا بقي التناقض في تلك الروايات - التي ألصقوها بالأئمة -
قائماً فاضطروا إلى التقية ثانية وسيلة للتخفيف من هذا التناقض وتبريره ومحاولة رفعه
بدعى أنه تناقض ظاهري سببه التقية .

ولكن لن يزول هذا التناقض مهما بذلوا لأن سببه هذه العقائد ^{التي} لا تمت إلى الدين
بصلة بل هي من وضع البشر ، وما كان كذلك لا بد فيه من التناقض ، أما الدين الحق
فهو محكم مترابط تام لا يزداد عليه ولا ينقص منه .

(٣) قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)

(١) بطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسي ص / ٧٩ بتصرف

(٢) منهاج السنة النبوية ٣١/٢ الطبعة المحققة ، والمنقح للنصبي ص / ٦٨

(٣) سورة النساء آية / ٨٢

٣- أن التقية بهذا المفهوم أصبحت وسيلة لتقطيع أى خط من خطوط التقارب مع باقي المسلمين والزجّ بالشيعة بعيداً عن دائرة الحق الذي عليه الأمة والنأي بهم بعيداً عن جماعة المسلمين^(١). وهذه من أعظم مفاسد التقية وأخطارها ومع ذلك يدّعون أن التقية مصلحة للشيعة !!

دعاوى أحد علمائهم المعاصرين :

نذكر هنا نصين لأبرز علمائهم المعاصرين وهو محسن الأمين يدافع فيهما عن الشيعة ويررلهم انحرافهم :

١- قال محسن الأمين^(٢) مدافعاً عن جواز التقية في مجال النقل والرواية ما نصه :
(ومنع التقية في النقل ما هو الا جهل ، فلا يجب على الانسان أن يسلم نفسه للقتل أو ما دونه تجنباً عن نقل كاذب ، وليس بأعظم من إظهار الكفر .
وشيوع الشبهة ودخولها في الأدلة ممنوع فللشبهة ما يرفعها من أدلة العقل والنقل ، ولو سلم فليس بأعظم من شيوع الكفر)^(٣)
ولنقف عند هذا النص قليلاً :

فالدفاع الذي يقوم به محسن الأمين عن جواز التقية في مجال الرواية يستند الى قياسه على جواز التقية في مجال الكفر والتقية في مجال الرواية أخف ضرراً - على حسب قوله - من التقية في مجال الكفر التي تجوز بالاتفاق. وهذه مغالطة كبيرة لا بد من كشفها

(١) سوف نتحدث عن فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، والمحاولات التي بذلت

في ذلك . راجع ص / ٥٦٦ من هذا البحث .

(٢) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث ، وقد بلغ من شهرته أن قال علي الميلاني في

ترجمته حيث أثنى عليه قائلاً : (هو من أشهر علماء الامامية ، ومن أبهر مفاخر

الشيعة ، فقيها جامعاً ، مجتهداً فذاً . . . بلغ الرتبة السامية والمرتبة الرفيعة)

راجع : كشف الأستار للنوري الطبرسي ، بتعليق علي الميلاني (ص / ٢٦٩ - ٢٧٠)

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٩٥

فالفرق كبير بين التظاهر بالكفر الذي يُقدم عليه المضطر وقلبه مطمئن بالإيمان، وبين استخدام التقية في افتراء روايات لا تمتُّ إلى الدين بصلة فيها شيء من العقائد والأحكام يسمعها الناس ممن يُقتدى بفعله ولا يُشك في صدقه فيعدونها من الدين أو تلقى الحيرة في نفوسهم !

فالتقية في التظاهر بالكفر عمل خاص لا يتعدى ضرره إلى الآخرين ولا تحصل به شبهة أما التقية في الرواية فهي إفساد في الدين وتغيير للأحكام، فالضرر فيها متعدد، بل إن أخطر ما يمكن أن يحل بالأمة هو فساد الدين أو شيوع الشبهة فيه .
وانا كان الشيعة قد نصوا على تحريم التقية في القتل ^(١) لأن ضرره متعدد فلماذا لم يحرموا التقية في الرواية مع أن الضرر فيها يتعدى إلى المجتمع بأسره لا إلى الافراد فقط؟ وهكذا نجد أن التلبيس في عبارة محسن الأمين هو قوله عن الكذب في الرواية :
(ليس هو بأعظم من إظهار الكفر) ولكننا نقول بل هو أعظم وأخطر

لأن الكذب المتعمد في الرواية والذي يؤدي إلى تحريف العقيدة وتغيير الأحكام يُعدُّ كفرًا حقيقياً وخروجاً عن الاسلام ، فهو أعظم بكثير من التظاهر بالكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان .

٢- وقال أيضاً في محاولة للتنصل مما يفعله الشيعة من رد الروايات التي تُردُّ عن طريقهم وهي موافقة لأهل السنة ومخالفة لما يعتقدونه من غلو وانحراف :
فقال :

(ما ردت الشيعة حديثاً ولا عملاً لأنه يوافق ما عليه الأمة ، ولا هذا رأيها ولا اعتقادها وجُلُّ الأحاديث والأعمال التي تأخذ بها الشيعة وتقتدي بالأئمة فيها موافق لعمل من يسميهم الأمة ^(٢)) وانا ترجّح أحد الحديثين المتعارضين عند فقد جميع المرجحات في السند والدلالة بموافقة لفتوى أئمة أهل البيت ^(٣) .

(١) راجع ص ٣١٦ من هذا البحث

(٢) يقصد بذلك موسى جارا الله ، لأنه في معرض الرد عليه فيما أورده عن الشيعة في

كتابه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة)

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٩٥

ومع أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان بما استعرضناه من نصوص وروايات تؤكد على مخالفة أهل السنة وعدم الأخذ بما وافقهم من روايات عند التعارض.
الا أننا سنردّ عليه من نصوص علماء الشيعة المعاصرين الذين يناقضون ما يدعيه محسن الأمين .

فقد أورد الهاشمي في كتابه (تعارض الأدلة الشرعية)^(١) ما يؤكد استخدامهم التقية في مجال الرواية فقال : (والتقية أيضاً كان لها دور مهم في نشوء التعارض بين الروايات ، فلقد عاش أكثر الأئمة المعصومين - ع - ظروفاً عصيبة فرضت عليهم التقية في القول أو السلوك) .

ثم قال : (إن التقية التي كان يعطيها الأئمة لم تكن تقية من حكام بني أمية وبني العباس فحسب ، بل كانوا يواجهون ظروفاً اضطرتهم إلى أن يتقوا أيضاً من المسلمين والرأى العام عندهم) .

وقال : (وقد بلغ الأمر بالأئمة - ع - في التقية لا من الحكام فحسب بل من الأئمة بصورة أكد أن جعلوا مخالفة العامة مقياساً لترجيح إحدى الروايتين على الأخرى)^(٢) .

ثم أورد الهاشمي بعض الروايات التي تؤكد على استخدام التقية لرد الروايات الموافقة لأهل السنة ، والتي سبق ذكرها قبل صفحات .

وهكذا يتأكد بطلان دعوى محسن الأمين ، ويظهر للقارئ أن الشيعة لا يزالون على موقف أسلافهم في ردّ كل ما يوافق أهل السنة عند التعارض ، بحجة أن ما خالف العامة فهو الحق !!

(١) وقد ذكر مؤلفه أن هذا الكتاب يُعدّ (تقريراً لأبحاث سيدنا سماحة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر) كما صدره بتقرير لمحمد باقر الصدر قال فيه : (لاحظت ما كتبه من بحوثنا في الأصول ولدنا العزيز العلامة . . محمود الهاشمي . . فوجدته وافياً بما استوعبته بحوثنا من أفكار وآراء ، دقيقاً في عرض ما اشتملت عليه من نظريات ومناقشات . .) . وهذا يُبرز أهمية الكتاب ومكانته عندهم .

(٢) تعارض الأدلة الشرعية - محمود الهاشمي - ص ٣٤ - ٣٨ ، دار الكتاب =

وسنعرض للقارىء أمثلة كثيرة في هذا المجال عند الحديث عن التقية في الفقه والفتوى لنرى كيف يردُّ الشيعة الروايات المنسوبة لأئمتهم وما فيها من فتاوى وأحكام بحجة موافقتها للعامة ، كما سنعرض أمثلة أخرى عند الحديث عن بعض المواقف المشهورة التي فسرّها الشيعة بالتقية لأنها تخالف ما هم عليه من عقائد وتوافق عقيدة أهل السنة .

وهكذا تصبح التقية منفذاً للغلو ، ويصبح استخدامهم لها في مجال الرواية طريقاً لتعطيل كل إمكانية لاستفادتهم مما في كتبهم من روايات ونصوص توافق ما عند المسلمين وتخالف انحرافاتهم .

ولننتقل إلى نوع آخر من أنواع استخدامهم التقية في مجال الرواية .

٢- كتمان الروايات تقية :

وهذا نوع آخر من أنواع التقية في مجال الرواية عندهم ، ان يجب على السامع ان يكتف ما يسمعه من الأئمة أو من الرواة الذين ينقلون عنهم الروايات التي يخشون بانتشارها أن تظهر آراء أولئك واعتقاداتهم .

روى الكليني في الروضة عن جابر بن يزيد قال :

(حدثني الباقر سبعين حديثاً لم أحدث بها ، فشئت في عنقي ، فأخبرت جعفر بن محمد عنها وقلت له : ضاق بها صدري فماذا تأمرني به ؟
فقال : إذا ضاق صدرك بشيء فأخرج إلى الجبانة ^{أي المقبرة -} واحفر حفرة ثم دلّ رأسك فيها
وقل : حدثني محمد بن علي بكذا وكذا ، ثم طمه فإن الأرض تستر عليك .
ففعلت ذلك فخف عني ما كنت أجده (١)

ولا يملك المرء حيال هذه الرواية الا أن يتساءل :

ما الداعي إلى ^{أن} يروي الامام الباقر سبعين رواية لجابر ما دام لن يخبر بها أحداً من الناس ؟

وما دام كتمان هذه الروايات من الخير فلماذا لم يكتفها الامام الباقر نفسه ويكفون الأسوة في ذلك ؟

ثم كيف يأمر الامام الصادق بدفن هذه الروايات في حفرة ضيقه بما فيها من علم ودين ؟
أليس هذا كتماناً للعلم بل تضييعاً له ؟!

ويبدو أنه لم يعد هناك من يوثق به من الشيعة ليروي جابر له هذه الروايات حتى وجد في هذه الحفرة خير كاتم وساتر لها !!

ولذلك نجد تكرار التحذيرات التي ينسبونها لأئمتهم من أن يتساهل أحد أتباعهم في رواية ما يختص بهم من روايات إلى من لا يوثق به
ومن خالف ذلك وأذاع شيئاً من الروايات حتى أدت إلى قتل قائلها فهو شريك في القتل لأنه تسبب فيه .

روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال :

(سمعت أبا جعفر - ع - يقول : يحشر العبد يوم القيامة ، وما ندي دماً (١) فیدفع الیه

شبه المحجمة أو فوق ذلك ، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان

فيقول : يارب انك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً

فيقول : بل سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت حتى صارت الى فلان

الجبار فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه (٢)

وما أوسع الفرق بين اهتمام أهل السنة بتبليغ الدين ونشره والتضحية من أجله

وبين حرص الشيعة على كتمان ما عندهم محافظة على حياتهم .

لقد جعل أهل السنة المحافظة على الدين وتبليغ أحكامه المقصد الأول الذي

يهون في سبيله كل شيء ، ولذلك لا تجوز التقية عندهم أبداً إذا كانت ستؤدي الى

افساد عقائد الناس وضياع الدين بصدورها ممن يُقتدى به .

أما الشيعة فاننا نلاحظ بوضوح انهم باسم التقية يجعلون المقصد الأول لديهم

كتمان مذهبهم و اخفاء أحكامه ورواياته وعدم تبليغه ، ويرزون حرص الأئمة على حياتهم .

فمن كان سبباً في تهديد حياة هؤلاء الأئمة بنشره لشيء من رواياتهم فهو شريك في قتلهم .

بل إن اتباع الأنبياء السابقين الذين حملهم الله واجب نشر الدين والدعوة اليه ،

ونصرة أنبيائهم هم عند الشيعة قتلة مجرمون لأنهم أذاعوا أحاديثهم حتى وصلت

الى أعدائهم وأدت الى قتل أولئك الأنبياء .

(١) قال الشيخ عبد الحسين المظفر في كتابه (الشافي في شرح أصول الكافي)

: ٤٨٩ / ٥

(ما ندي دماً بكسر الدال مخففاً - أي ما ابتلي بدم ، وهو مجاز شائع . . وكأنه

لم تنله نداوة الدم وبلله)

(٢) الأصول من الكافي ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ .

روى الكليني بسنده (عن اسحق بن عمار عن أبي عبد الله - ع - وتلا هذه الآية :
 (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون) (١)

قال : والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيا فهم ، ولكنهم سمعوا أحاديثهم
 فأنذعوها فأخذوا عليها فقتلوا ، فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً (٢) .

وبهذا التأويل الباطل للآية الكريمة ينسبون قتل الأنبياء إلى أتباعهم الذين كانوا
 يبلغون دعوتهم وينفون القتل عن الكافرين بهم والمكذبين لهم .

(١) سورة البقرة / آية ٦١

(٢) الشافعي شرح أصول الكافي ٥ / ٤٨٩

٣ - تعديل الرواية وتجريحهم على سبيل التقية :

هذا أسلوب آخر من أساليب التلاعب بالروايات عندهم ، إذ إن معرفة حال الرواية الذين تناقلوا هذه الروايات ودراية عد التهم عنصر رئيس في رد الرواية أو قبولها .
والشيعة لم يكتفوا بتجريح رواية الحديث عند أهل السنة ليردوا رواياتهم وإنما قاموا أيضاً بتجريح الرواية من شيعتهم والطعن فيهم مع توثيقهم لهم ، ويقصدون بهذا التجريح التقية حتى لا يعرف أن هذا الراوى موالٍ لهم .

ولا عجب بعد هذا أن نجد الكثير من روايتهم زادوا في الشناء عليهم الى درجة كبيرة ثم طعنوا بهم الى درجة تكاد تصل الى الاتهام بالكفر . وكل ذلك في وقت واحد ، وخير مثال لذلك محدثهم الشهير (زرار بن أعين)^(١) صاحب الأئمة الثلاثة : موسى الكاظم وجعفر الصادق ومحمد الباقر .

ولو رجعنا الى أقدم كتب الرجال عندهم وهو رجال الكشي فإننا نجده يذكر عن زرار ثمانية وعشرين صفحة تحوي اثنين وستين رواية بعضها في الشناء عليه وتبشيره بالجنة من قبل الأئمة وبعضها الآخر في الطعن فيه ولعنه والدعاء عليه ونفي الايمان عنه .

ولنذكر بعض هذه الروايات بإيجاز كما يرويها الكشي بسنده عن أئمة أهل البيت :
فقد روى عن جعفر الصادق قوله : (يا زرار ان اسمك في أسامي أهل الجنة)^(٢)
وقوله : (لولا زرار لظننت أن أحاديث أبي - ع - ستذهب)^(٣)

(١) زرار بن أعين الشيباني ، يكنى أبا الحسن ، توفي سنة (١٥٠ هـ)
قال عنه الأردبيلي في جامع الرواة : (شيخ من أصحابنا في زمانه ، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً ، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، صادقاً فيما يرويه ، ثقة اجتمعت العصاة على تصديقه والانقياد له) جامع الرواة / ١

وقال أبو عبد الله الصادق وهو يثني على زرارة ومن معه من رواة الحديث :

(هم أحب الناس إليّ أحياء وأمواتاً) (١)

وقال عنهم: (هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي - ع - على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة) (٢)

وبعد كل هذا الشناء على زرارة وبيان منزلته في نقل أحاديث الأئمة ، يذكر الكشي رواية عن جعفر الصادق يُقسم فيها بكذب زرارة ويلعنه لأنه نقل عنه رواية في بعض مسائل الحج وهو لم يقلها فلما راجعوه تبرأ منها وقال :

(كذب عليّ والله ، كذب عليّ والله ، لعن الله زرارة ، لعن الله زرارة) (٣)

وينسب الكشي للإمام الصادق قوله: (لا يموت زرارة الا تائهاً) (٤)

وقوله : (ما أحدث أحد في الاسلام ما أحدث زرارة من البدع ، عليه لعنة الله) (٥)

ويروى الكشي بسنده عن عمار الساباطي أنه قال : (... بينا أنا عند أبي عبد الله -

- ع - جالساً إذ دخل رجل فلما نظر أبو عبد الله إلى الرجل قال : ما أقبح الرجل

ان يأتيه رجل من اخوانه على حرمة من حرمة فيخونه فيها . قال : فولى الرجل .

فقال لي أبو عبد الله - ع - يا عمار أتعرف هذا الرجل ؟

قلت لا والله إلا أنني نزلت ذات ليلة في بعض المنازل فرأيتَه يصلي صلاة ما رأيتُ أحداً

صلى مثلها ، ودعا بدعاء ما رأيتُ أحداً دعا بمثله .

فقال لي : هذا زرارة بن أعين ، هذا من الذين وصفهم الله عز وجل في كتابه فقال :

« وقد منا إلى ما علموا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » (٦)

(١) رجال الكشي ص / ١٣٥

(٢) المرجع السابق ص / ١٣٧

(٣) المرجع السابق ص / ١٤٧

(٤) (٥) المرجع السابق ص / ١٤٩

(٦) المرجع السابق ص / ١٥١ والآية في سورة الفرقان / آية ٢٣

ويروي الكشي أيضاً عن الامام الصادق قوله :

(إن قوما يعارون الايمان عارية ثم يسلبونه ، يقال لهم يوم القيامة المعارون ، أما ان زرارة بن أعين منهم) (١)

وقوله لبعض أصحابه : (متى عهدك بزيارة ؟ قال : قلت مارأيت منذ أيام .

قال : لا تبال وان مرض فلا تعده ، وان مات فلا تشهد جنازته

قال : قلت زرارة ؟ متعجباً مما قال .

قال : نعم زرارة ، زرارة شر من اليهود والنصارى ومن قال إن الله ثالث ثلاثة) (٢) !

ومما يزيد الطين بلة ما ينقله الكشي دون حياء ولا خجل من كلام ينسبه لزرارة يصور فيه استهتاره بالامام الصادق وسخريته به وبأحاديثه :

روى الكشي بسنده عن زرارة قال : (سألت أبا عبد الله - ع - عن التشهد . فقال : أشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قلت : التحيات والصلوات ؟

قال : التحيات والصلوات . ثم يذكر الكشي أن زرارة سأل الامام الصادق في اليوم

الثاني والثالث عن هذا السؤال وأجابه الصادق بنفس الجواب

وبعدها ينسب الكشي الى زرارة قوله ساخراً بالامام الصادق : (فلما خرجت

ضربت في لحيته وقلت لا يفلح أبداً) (٣) !!

هذه صورة موجزة لكتب الرجال والتراجم عندهم ! وهذه هي حقيقة أشهر رواياتهم

والذي يقول عنه الصادق إنه من أهل الجنة ، والأمين على حلال الله وحرامه ، ولولاه

لذ هبت أحاديث الأئمة واندرست أقوالهم !!

(١) المرجع السابق ص / ١٥٨

(٢) المرجع السابق ص / ١٦٠

(٣) المرجع السابق ص / ١٥٩

والكتاب الذى ننقل عنه هذه الروايات المتناقضة والذى يصف سخرية زرارة بالأئمة بكلام لا يتصور خروجه من السفهاء والسوقة، هو رجال الكشي^(١) الذى يعدونه أهم وأقدم كتب الرجال عندهم وقد قام بتهذيبه شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار .

ولكنه فى حاجة الى تهذيب جديد لتزول منه مثل هذه الألفاظ الدنيئة، والطبعة التى بين يدي من هذا الكتاب هي بتعليق (حسن المصطفوي) الذى التزم الصمت وهو يربط تلك الروايات التى تنتقل بزرارة من أعالي الجنان الى أسفل الجحيم .
لكن هناك طبعة أخرى بتعليق كاتب شيعي آخر وهو (السيد أحمد الحسيني) اعتمد عليها إحسان إلهي ظهير رحمه الله وقد نقل عنه قوله معلقاً على الروايات السابقة :
(الروايات التى يوردها مؤلف هذا الكتاب فى شأن زرارة تنقسم الى قسمين :
فبعض منها فى المدح والثناء له والاشارة بمكانته السامية ومنزلته العظيمة عند الامام الصادق عليه السلام وأبيه ، وتقدمه على أصحابه فى العلم والمعرفة وحفظ أحاديث أهل البيت عن الضياع والتلف ، وبعض منها يدل على عكس ذلك ، وأنه كان كذاباً وضاعاً مرائياً وداساً فى الأحاديث

(١) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، يكنى أبا عمرو ، يقولون عنه انه ثقة بصير بالأخبار وبالرجال مستقيم المذهب توفي سنة ٣٦٨ هـ ، وكتابه هذا يعد أقدم كتب الرجال ، وقد لخصه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي وأخرج منه العامة - رجال أهل السنة - وهذبه وسماه اختيار الرجال ، وهو الموجود المطبوع اليوم

قال البحراني فى لؤلؤة البحرين: (وكتاب الكشي المذكور لم يصل إلينا ، وإنما الموجود المتداول كتاب اختيار الكشي للشيخ أبى جعفر الطوسي) .

راجع ترجمته فى : لؤلؤة البحرين ص / ٤٠١ - ٤٠٤ ، الكنى والألقاب ٣ / ٩٤ -

- ٩٥ مقدمة حسن المصطفوي لكتاب الاختيار فى معرفة الرجال ص / ١٢ - ١٧ .

ثم قال (ان الذم والتكفير انصدرت للدفاع والمحافظة والتقية) (١) .

وحكم بأن هذه الأخبار صدرت تقية

فانظر الى هذه الصورة الغريبة للتقية التي تجعلهم ينسبون لأئمتهم هذه

المتناقضات المحيرة في الثناء على أشهر رواتهم تارة وتجريحهم تارة أخرى

وكيف يبشرون الرجل بالجنة ثم يسلبون عنه الايمان ويلعنونه ويصفونه بأقبح

الأوصاف؟ كيف يعتبرونه أميناً على أحاديثهم وعلى حلال الله وحرامه وأنه لولاه لاندست

أحاديثهم ثم يصفونه بالخيانة والكذب والكفر؟!

ما الذي كان يخيف الأئمة من زرارة ؟ هل كان ملكاً من الملوك أو جباراً من

الجبابة حتى يسلكوا معه كل هذا الخداع والتضليل؟!

وما هو موقف أتباعهم الذين ينقل لهم زرارة أحاديث الأئمة وهم يسمعون عنه هذه

الأوصاف التي لا يوصف بها مسلم فضلاً عن أن يكون من رواة الحديث ونقله أحكام

الدين ؟

وليست هذه الأوصاف والتناقضات خاصة بزرارة بل إن هذا دأبهم مع الكثير من

رواتهم المشهورين أمثال محمد بن مسلم وأبي بصير وغيرهما من كبار رجال الشيعة (٢) (٣)

(١) رجال الكشي ص / ١٤٣ - ١٤٤ نقلا عن : الشيعة والسنة ص / ١٧٧

(٢) هو محمد بن مسلم بن رباح الثقفي ، أبو جعفر الطحان الأعور ، توفي سنة ١٥٠ هـ

وله نحو من سبعين سنة ، قال الكشي : (إنه ممن أجمعت العصابة على تصديقهم

من أصحاب أبي جعفر وأبيه عبد الله عليهما السلام) ويقولون انه سمع من أبي

جعفر ثلاثين ألف حديث ، ومن ابنه جعفر ستة عشر ألف حديث .

ومع ذلك ينسب الكشي الى جعفر الصادق قوله : (لعن الله محمد بن مسلم ، كان

يقول إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون) راجع : رجال الكشي ص / ١٦١ - ١٦٩

جامع الرواة ٢ / ١٩٣ - ٢٠١

(٣) أبو بصير : هو ليث بن البختری المراري ، روى عن الباقر والصادق والكاظم ،

توفي سنة ١٥٠ هـ ، وقد روى الكشي عن أبي عبد الله أنه قال : (بشر المخبئين

بالجنة ، يريد به معاوية ، وأبو بصير ومحمد بن مسلم وزرارة ، أربعة نجباء أمناء الله

على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندست) ، كما قال فيهم :

(هم السابقون المقربون)

ثم ينقل الكشي ما يناقض ذلك فيقول : إنه كان مخطأ ، ويتهمه أنه كان يطعن في جعفر =

ورواتهم والذين هم الآن مدار أحاديث الشيعة الواردة في كتبهم. ونترك للقارئ أن يحكم بنفسه على صحة هذه الروايات التي يوثقونها ويحتجون بها ثم يصفون رواتها بالخيانة والكفر والضلال !!

ومع ذلك نجد الموسوي صاحب المراجعات يتبجح مباحياً برواة الشيعة فيقول :

(لا نظير لمن اعتمدوا عليه من رجالهم في الصدق والأمانة ، ولا قرين لمن احتجوا به من أبطالهم في الورع والاحتياط لا يبارون في الحفظ والضبط والانتان ، ولا يُجَارون في تمحيص الحقائق والبحث عنها بكل دقة واعتدال) (١)

لقد اطلع القارئ بنفسه على حقيقة هؤلاء الرواة الذين يعتزُّ بهم الموسوي، وكيف اجتمعت فيهم المتناقضات ، ووصفهم أئمتهم بأسوأ الصفات . وتبرز بذلك عظمة علم الحديث عند أهل السنة وما وضعوه من مقاييس وموازين للتمييز بين الصحيح والضعيف من الروايات بأسلوب دقيق يُعد مفخرة للمسلمين ومظهراً لمن مظاهر حفظ الله تعالى لهذا الدين .

= الصادق !! راجع الكشي ص ١٦٩، ١٧٤ - جامع الرواة ص ٣٤/٢ - ٣٥
الكنى والألقاب ١٧/١ - ١٨
(١) المراجعات لعبد الحسين شرف الدين الموسوي - ص ٦٨

المبحث الثاني التقية في الفقه والفتوى

أبواب الفقه كثيرة ومسائله متشعبة ، ومهما أحاط المجتهد بأدلة الفقه وبرع في استنباط الأحكام فإنه قد يعرض له من الأدلة ويترجح عنده ما يجعله يغير فتواه في مسألة من المسائل ويتراجع عن قوله السابق فيها .

وهذا لا يعيب المجتهد ، ولا يطعن في علم الفقيه ، ما دام قد اتخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أساساً في اجتهاده وفتواه ، واضعاً نصب عينيه تقوى الله والخشية منه .

ولقد كان جعفر الصادق رحمه الله وآباؤه وأخوانه من الأئمة أئمة هدى ورشاد وعلم وتقى . ولكن الشيعة نسبوا اليهم العصمة من الخطأ وأضافوا اليهم من صفات الفلوس والتقدیس ما هم براء منها ^(١) ، وما دام هؤلاء الأئمة معصومين — على حسب قولهم — فلا يمكن أن تختلف أقوالهم أو فتاواهم ، ولكنها في حقيقة الأمر كانت تختلف وكان الواحد منهم يجتهد بما يخالف غيره من الأئمة أو ربما اجتهد باجتهد وأفتى بفتوى تخالف ما أفتى به من قبل ، وهذا ما يعارض العصمة التي نسبوها اليهم .

ولذلك كان لا بد للشيعة من مخرج للتخلص من هذا التناقض ، وكان أسهل طريق يحل لهم هذا الاشكال هو التقية ، لأنها أول ما يخطر ببالهم في الأزمان والمآزق ، فقالوا إن اختلاف أقوال الأئمة وفتاواهم محمول على التقية ، والتقية رحمة للشيعة . روى الطبرسي في الاحتجاج عن ابن بابويه القمي أنه قال : (إن أهل البيت لا يختلفون ولكن يفتون الشيعة بمر الحق ، وربما أفتوهم بالتقية ، فما يخالف من قولهم فهو للتقية ، والتقية رحمة للشيعة) ^(٢)

وليس من الضروري أن يكون سبب التقية هنا الخوف من عدو، بل يمكن استعمال التقية في الفتوى لالقاء الخلاف بين الشيعة حتى لا يُعرفوا بقول واحد

(١) انظر ص ٤٤٤ من هذا البحث لتطلع على رواياتهم في تقدیس أئمتهم ونسبة العصمة اليهم وأنهم يعلمون علوم الأولين والآخرين وأنهم يموتون باختيارهم وغير ذلك .

(٢) الاحتجاج ج ٢ / ١٠٦

ولستمع الى مايقوله أحد كبار علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري وهو الحسن بن موسى النوبختي^(١) في كتابه (فرق الشيعة) حيث يقول :

(أما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها ، وحفظ عنهم شيعتهم جواب مأسأله ، وكتبوه ودونوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات ، لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة ، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة ، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفككة فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه وأنكروه عليهم ، فقالوا : من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك ؟ قالت لهم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا ، لأن ذلك إلينا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم ، وكفَّ عدوكم عنا وعنكم)^(٢)

ونحن نرى بالأمّة من أهل البيت أن يكون اختلاف جوابهم وفتواهم للتقية ، بل هو اجتihad ونظر - إذا صح وجود هذا الاختلاف - ولكن هذا كما قلت يتعارض مع ادعاء العصمة للأئمة ولذلك قالوا بأن أقوال الأئمة وفتاواهم لا تختلف ، وإذا اختلفت فذلك للتقية ونسبوا هذا القول للأئمة وهم منه براء .

(١) سبق ترجمته ص / ٢١٠

(٢) فرق الشيعة ص / ٦٥ - ٦٦ دار الأضواء - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٤ هـ
وقد ذكر ذلك أيضاً عالم شيعي آخر معاصر للنوبختي وهو سعد بن عبد الله القمي (ت ٣٠١ هـ) في كتابه المقالات والفرق ص / ٧٨ ، وهذا الكتاب طبع في إيران سنة ١٩٦٣ م بتحقيق الدكتور محمد جواد مشكور .

وانذا كان الأئمة يفعلون ذلك ، ويتعمدون إضلال من جاء مسترشداً سائلاً فكيف تكون الثقة بهم وبفتاواهم ؟ بل كيف يثق الناس بإمامتهم بعد أن رأوا منهم هذا الشغف في استعمال التقية لمجرد حب إلقاء الخلاف بين الناس ؟

ان هذا لا يمكن تسميته باسم التقية أبداً — ولو ادعى الشيعة انه من مجالات التقية — ولا يصح أن يسمى إلا بكتمان العلم وإفساد الشريعة وإضلال الناس .

ولذلك رجع البعض عن القول بإمامة الباقر — كما يقول النوبختي — لأنه كان يفتي بفتاوى متناقضة ما دعاهم الى الشك فيه وفي إمامته .

ذكر النوبختي (أن عمر بن رباح — وهو من أصحاب الإمام الباقر — زعم أنه سأل أبا جعفر الباقر — عن مسألة فأجاب فيها بجواب ، ثم عاد اليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول ، فقال لأبي جعفر : هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ، فقال له : إن جوابنا ربما خرج على وجه التقية ، فشك في أمره وإمامته ، فلقى رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد ابن قيس) فقال له : إني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول ، فقلت له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : فعلته للتقية ، وقد علم الله أني ما سألته عنها الا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتينني به وقبوله والعمل به ، فلا وجه لاتقائه إياي ، وهذه حالي .

فقال له محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه .

فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري ، لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت^(١) ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله .

فرجع عن إمامته ، وقال : لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ، ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله . (٢)

(١) هكذا وردت ، ولم أجد لها في المعاجم معنى مناسباً .

(٢) فرق الشيعة ص/ ٦٠ — ٦١

وذكر القصة نفسها الشيخ سعد القمي (ت ٣٠١ هـ) في كتابه (المقالات والفرق) =

.....

= ص/ ٧٥ وهو من أئمة وعلماء الشيعة ، وقد قدم هذا الكتاب وعلق عليه أحد معاصريهم وهو : محمد جواد مشكور .

ومع أن هذه القصة ذكرها اثنان من أكبر علماء الشيعة وهما النوبختي ، وسعد القي فإنا نجد أحد علماء الشيعة المعاصرين يتبجح في إنكار وجودها أصلاً وهو الشيخ (عبد الحسين الأميني النجفي) الذي ألّف كتابه (الفدير) كمحاولة منه لاسترداد بعض ماء الوجه بعد أن أطاح علماء أهل السنة قديماً وحديثاً بعقائد الشيعة وأظهروا تهافتها وتفاهتها .

يقول عبد الحسين وهو يرد على القصيمي صاحب كتاب (الصراع بين الاسلام والوثنية) الذي أورد القصة السابقة بمعناها دون أن يشير الى اسم السائل واسم الامام المسئول واسم المرجع الذي ذكرت فيه القصة .

يقول تحت عنوان : (فرية مكذوبة على إمام مجهول) (في كتابه الفدير ٣ / ٣٠١) : (مسألة فاضحة مجهولة لا نعرفها ، عن سائل هو أحد النكرات ، . . . وأسنَد ما يقول إلى كتب لم تؤلف بعد ، ثم طفق يشنُّ الفارة على ذلك الامام وشيعته على هذا الأساس الرصين . . . ولعمري لو كان المؤلف (القصيمي) يعرف الامام أو السائل أو المسألة أو شيئاً من تلك الكتب لذكرها بهوس وهياج ، لكنه لا يعرف ذلك كله ، كما أننا نعرف كذبه في ذلك كله) . ولا نريد أن نرد عليه بمثل هذا الأسلوب الساخر المتهمك الذي يدل على ضعف حجته غير أننا نقول له :

إذا كان القصيمي ذكر القصة بالمعنى دون الإشارة الى الأسماء والمراجع فاتخذت من ذلك وسيلة للطعن فيها ، فإن القصة الآن أمامك منقولة بنصها من أهم الكتب الشيعية في الفرق ، وعلى لسان اثنين من أكبر علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري ، وهما هو أمامك اسم السائل والامام المسئول ، فهل هي فرية مكذوبة على إمام مجهول ؟! أم حقيقة فاضحة ! وليس من المعقول لمن هو بمثل مستوى الشيخ الأميني الذي هو من أهم مراجعهم الدينية أن يكون على غير اطلاع على هذين الكتابين لإمامين من أكبر أئمة الشيعة وعلمائهم ، فكتابه الكبير (الفدير في الكتاب والسنة والأدب) وهو مكوّن من ١١ مجلداً / يدل على سعة اطلاعه وتخصصه في هذا المجال .

وللقارئ أن يعرف الآن من الكاذب أهو الأميني أم القصيمي !!

فالقصة أمام القارئ بنصها ومرجعها ، ونحن لم نذكرها بهوس وهياج كما توقع الأميني بل عرضناها بأمانة وصدق وتركنا للقارئ التأمل والتدبر ، مع أن الأميني يعرف القصة وليس بحاجة الى من يرشده الى مكان وجودها ، ولكنه لما عجز عن الرد كان الانكار أسهل طريق يسلكه .

ونلاحظ في هذه القصة أنهم ينسبون للامام الباقر استعمال التقية في مجال الفتوى بدون وجود خوف أو توقع للضرر ، فالسائل صحيح العزم على قبول ما يفتيه به الباقر وهو من أصحابه المقربين وليس هناك شخص ثالث في المجلسين .

فلماذا التقية إذن ؟

يجيب على ذلك المعلق على فرق الشيعة فيقول :

(لا يخفى على من راجع موارد التقية أنها لا تنحصر في الخوف من السائل أو ثالث حاضر إذ التقية كما تكون من السائل أو من ثالث ، فهكذا تكون ممن يحضر العامل بالحكم حين عمله ، فيخاف عليه السلام منه عليه — أى يخاف أن يؤذى السائل إذا عمل بهذا الحكم أمام الآخرين فانكشف تشيعه ولذا لك يفتيه تقية إشفاقاً عليه —

وقد تكون التقية لمجرد إلقاء الخلاف بين الشيعة كيلا يعرفوا فيصيبهم الضرر من أعدائهم . . . ولعل الخلاف في جواب الامام عليه السلام من أحد الوجهين الأخيرين فلا مورد حينئذ للكلام عمر بن رباح ومحمد بن قيس (١)

وهذا السبب الأخير من أسباب استعمالهم للتقية في الفتوى هو السبب الرئيسي في هذا المجال ، وهذا يظهر جلياً في الرواية التالية التي يرويها الكليني في أصول الكافي :

فقد روى بسنده عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر — الباقر — قال زرارة :
(سألت عن مسألة فأجابني ، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي
فلما خرج الرجلان قلت : يا بن رسول الله ، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت صاحبه ؟
قال : يا زرارة : إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدكم الناس عنا ، ولكان أقل لبقائنا وبقاءكم .

قال (أى زارة) : ثم قلت لأبي عبد الله (الصادق) : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنّة أو على النار لمضوا ، وهم يخرجون من عندكم مختلفين !
قال : فأجابني بمثل جواب أبيه (١) .

وهكذا يصبح فى المسألة الواحدة ثلاث اجابات مختلفة وفى اللحظة نفسها، ولا هدف من ذلك الا إلقاء الخلاف بين الشيعة لئلا يعرفوا بقول واحد !!

كيف يعرف الناس أحكام دينهم ويثقون بأئمتهم وهم يواجهون هذا الاضطراب ؟ لو كان هذا هو حقاً ما يفعله الباقر والصادق رحمهما الله وغيرهما من الأئمة لما التفت أحد اليهم فى ذلك العصر الذي كان يغصّ بالعلماء ولأعرض الناس عنهم ، ولكن ثناء العلماء عليهم (٢) واعترافهم بفضلهم يمنعنا من أن ننسب لهم شيئاً من هذه الأباطيل. وهذا الشك فى قلوب الأتباع يعترف الشيعة به ، بسبب هذا التضارب فى أقوال الأئمة وقد يصل الشك عند بعض الأتباع الى درجة كبيرة فيأتون له بالتقية كعلاج مسكّن ، يخفف من وطأة هذا الشك فى النفس .

روى الكليني بسنده عن موسى بن أشيم قال : (كنت عند أبي عبد الله فسأله رجل عن آية من آيات الله فأخبره بها ، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول ، فدخلني من ذلك ما شاء الله ، حتى كأن قلبى يشرح بالسكاكين ، فقلت فى نفسى : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ فى الواو وشبهه ، وجئت الى هذا يخطئ هذا الخطأ كله ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي ، فسكنت نفسى ، فعلمت أن ذلك منه تقية) (٣) !!

السؤال هنا ليس فى حكم فقهي فرعي وإنما هو فى تفسير آية من كتاب الله عز وجل يزعمون أن الامام جعفر الصادق يفسرها فى مجلس واحد بثلاث تفسيرات مختلفة وينسب ذلك لكتاب الله وهو يعتقد بطلان ما يقول فيضل الناس بقوله ويفهمون تلك الآية بخلاف معناها كل ذلك تقية !!

(١) أصول الكافي ١ / ٦٥

(٢) راجع مقدمة هذا الباب عند الحديث عن موقف أهل السنة من الأئمة الاثنى عشر

(٣) أصول الكافي ١ / ٢٦٥ - ٢٦٦

والنص يتضمن شهادة الراوي في وصفه لقلبه كأنه يشرح بالسكاكين ، وذلك لما لهذا الفعل من جرأة على كتاب الله تعالى وكان بإمكانه أن يسكت فلا يجيب من يخشى بأسه ولكن جاءت التقية لتسكن قلب الرجل وليطمئن الى أن الامام معذور بإضلاله للناس وجرأته على كتاب الله لأن هذا كان تقية !!

— ومن مظاهر استعماان أئمتهم للتقية في مجال الفتوى أن يصوّب أحد أئمتهم قول غيره ويقسم على ذلك وهو لا يعتقد صواب ذلك القول ولكن يقصد بذلك التقية :

روى الكليني عن محمد بن مسلم قال :

(دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة ، فقلت له : جعلت فداك ، رأيت رؤيا عجيبة ، فقال لي يا ابن مسلم هاتها إن العالم بها جالس ، وأوماً بيده الى أبي حنيفة فقلت : رأيت كأنني دخلت داري فاذا أهلي قد خرجت عليّ فكسرت جوزاً كثيراً ونشرته عليّ فتعجبت من هذه الرؤيا .

فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لثاماً في مواريث أهلِكَ ، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله .

فقال أبو عبد الله (ع) : أصبت والله يا أبا حنيفة .

ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له : جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب . فقال : يا ابن مسلم ، لا يسوؤك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا . . . وليس التعبير كما عبره . فقلت له : جعلت فداك ، فقولك أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ !

قال : نعم ، حلفت عليه أنه أصاب الخطأ) (١) !!

فالامام الصادق يكرم أبا حنيفة ويصفه بالعلم ويطلب من السائل أن يوجه سؤاله اليه ثم يثني على اجابته ويقسم على صحتها . . . وكل ذلك تقية على حسب زعمهم ، وما هذه التقية التي ينسبونها للامام الصادق الا لهدف إخفاء المودة التي كانت بينه وبين أبي حنيفة ، فلقد كانت المحبة والاحلال قائمة بين الامام الصادق وعلماء عصره (٢) ولكن الشيعة جعلوا تفسير هذه المحبة وسببها التقية .

(١) الروضة من الكافي — ص / ٢٩٢

(٢) تحدثنا في الفصل الأول من هذا الباب عن موقف علماء أهل السنة من أئمة أهل البيت وإجلالهم لهم . راجع ذلك ص / ٢٠٣ من هذا البحث .

وما الذي يخافه الامام الصادق من أبي حنيفة حتى يتظاهر بموافقة قوله ويقسم على تصويب رأيه ؟ إنهم بذلك يجعلون أئمتهم على درجة من النفاق ما وصلها ابن سلول ! ثم ان السائل لا يسأل عن عقيدة من العقائد أو مسألة من المسائل الهامة وانما يطلب تعبير رؤى خاصة به فما الحاجة الى التقية في ذلك ؟

ليس هناك هدف من هذه القصة المنسوبة كذباً الى الامام الصادق الا تشويه صورته النقية واظهار حقدهم على الامام أبي حنيفة وغيره من أئمة أهل السنة ، وهذا واضح في تسميتهم له بالناصب . وحاشاه رحمه الله أن يناصر أئمة أهل البيت العداء حتى يصفوه بذلك . انه يعادى أهل الباطل والضلال ولذلك ظهر حقدهم عليه . وهكذا تصبح التقية وسيلة لاضلال الناس وصدّهم عن الحق واجابتهم بما يوافق هوى علمائهم ، وهذه الطريقة في الاضلال جزء من الدين عندهم لأنه لا دين لمن لا تقية له .

روى ابن فروخ الصفار في (بصائر الدرجات) (أن رجلاً جاء الى أبي عبد الله (ع) فقال أبو عبد الله : والله لأضلنه ، والله لأوهمنه . فسأله الرجل عن مسألة فأفتاه ، فلما خرج من عنده قال أفتيته بالضلالة . ثم جاء الرجل الى أبي الحسن ، فلما رآه أبو الحسن قال : أما والله لأضلنه . فسأله عن تلك المسألة فأجاب عنها بجواب آخر . فقال الرجل : هيهات قد سألت أباك ، فأفتاني بغير هذا ، وما يجب عليّ أن أدع قوله لقولك ثم خرج) . (١)

لقد أصبح هذا السائل العوبة — بحسب هذه الرواية — في يد الأئمة الذين حملهم الله مسئولية نشر العلم ونصح الناس وارشادهم وادابهم — على حسب زعم الشيعة — وسيلة للاضلال والايهام .

إمامان من أئمتهم يقسمان على إضلال هذا المسكين الذي صار في حيرة من أمره وهو يرى الاضطراب في جوابيهما ولا يدري أن هذا فعل مقصود وأنه هو الضحية !!

إذا كانت هذه هي الصفات التي يفخرون بنسبتها لأئمتهم فلا تعجب بعد ذلك من

هذا الرصيد الضخم من عقائدهم وموروثاتهم التي ينسبونها لأولئك الأئمة !

أيجرؤ عاقل على وصف شخص يحبه ويقتدي به، بأنه يضل الناس ؟!

هل هذه هي محبتهم لأئمتهم التي يعتزون بها ؟

إن أهل السنة هم أحق من يوصف بمحبة أولئك الاطهار من آل بيت النبوة فهم —

يعرفون قدرهم ومكانتهم وفضلهم وأنهم أئمة هدى وارشاد وليسوا أئمة اضلال وايهام -

كما تزعم هذه الرواية —

إن الصفة التي تليق بهم وبأئمتهم من أئمة الهدى وعلماء الأمة هي كما قال تعالى :

(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله) (١)

ولكن علماء الشيعة ينسبون لأئمتهم أن الأخذ بالتقية في مجال الفتوى خير وأعظم

أجراً .

روى الكليني عن أبي عبيدة (عن أبي جعفر — ع — قال :

قال لي : يا زياد ما تقول لو أفتينا رجلاً ممن يتولانا بشئ من التقية ؟

قال : قلت له : أنت أعلم جعلت فداك

قال : إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً .

وفي رواية : إن أخذ به أجروا وتركه والله أثم (٢)

وروى أيضاً عن أبي عمرو الكناني قال :

(قال لي أبو عبد الله — ع — يا أبا عمرو أرايت لو حدثتك بحدث أو أفتيتك

بفتيا ثم جئتني بعد ذلك تسألني عنه ، فأخبرتكم بخلاف ما كنت أخبرتك ، أو أفتيتكم

بخلاف ذلك ، بأيهما كنت تأخذ ؟

قلت بأحدثهما وأدع الآخر .

فقال : قد أصبت يا أبا عمرو ، أبي الله الا أن يعبد سراً ، أما والله لكن فعلتم

ذلك إنه لخير لي ولكم ، أبي الله عز وجل لنا في دينه الا التقية (٣)

(١) سورة الأحزاب / آية ٣٩

(٢) وسائل الشيعة ١٨ / ٧٦

(٣) المرجع السابق ١٨ / ٧٩ — ٨٠

ومما يصف به الشيعة أئمتهم أنهم يدربون أتباعهم على اتقان العمل بالتقية في الفتوى بحيث يفتون كل سائل بحسب ما يرون من اعتقاده فإذا جهلوا حقيقته ذكروا له أقوالاً عديدة في الإجابة ولم يقتصروا على قولهم .

وقد أورد الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) تحت عنوان : (باب وجوب التقية في الفتوى مع الضرورة) ^(١) أورد روايتين عن جعفر الصادق في هذا الشأن هما :

١ - روى الكشي في (كتاب الرجال) بسنده عن ابان بن تغلب قال :

(قلت لأبي عبد الله - ع - : إني أقعد في المسجد فيجئ الناس فيسألوني فإن لم أجبه لم يقبلوا مني ، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم .
قال لي : أنظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك) ^(٢)

٢ - وروى أيضاً عن معاذ بن مسلم النحوي عن أبي عبد الله (ع) قال :
(بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس)

قلت نعم ، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج ، إني أقعد في المسجد فيجئ الرجل فيسألني عن الشيء فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجئ الرجل أعرفه بمودتك فأخبره بما جاء عنكم ، ويجئ الرجل لا أعرفه ولا أدرى من هو ، فأقول : جاء عن فلان كذا ، فأدخل قولكم فيما بين ذلك .

قال : فقال لي : اصنع كذا ، فاني كذا أصنع) ^(٣)

وبناءً على ما تقدم نجد أن الطريقة التي اتبعوها هي إجابة كل سائل على حسب مذهبه ، أو إجابته بما لا يكشف حقيقتهم . هذا إذا كان السائل ليس على مذهبهم أو كان يشك في ولائه لهم، أما إن كان السائل موثقاً عندهم ولا يشكون فيه أبداً فالتقية لها مجالها أيضاً للأسباب التالية :

١ - خوفاً من ثالث يحضر المجلس

٢ - خوفاً على السائل من انكشاف تشيعه إذا عمل بتلك الفتوى أمام الآخرين

٣ - لمجرد القاء الخلاف بين الشيعة حتى لا يعرفوا بقول واحد

(١) المرجع السابق ٦ / ٤٨٢

(٢) رجال الكشي ص / ٣٣٠ ترجمة ابان بن تغلب

(٣) المرجع السابق ص / ٢٥٢ - ٢٥٣ ترجمة معاذ بن مسلم - وراجع علل الشرائع

لابن بابويه ص / ٥٣١

وهكذا انتشرت التقية في معظم أبواب الفقه عندهم ، وصار كل قول أو حكم شرعى يوافق أهل السنة فلا تفسير لوجوده في كتبهم ونسبته الى أئمتهم وعلمائهم الا التقية ولذلك انبثق عندهم مبدأ ما خالف العامة فهو الحق ، ويدعون انحرافهم هذا بروايات ينسبون لها لأئمتهم أبرزها : ما رواه ابن بابويه القمي عن علي بن أسباط قال : (قلت للرضا - ع - حدث الأمر من أمري لا أجد بداً من معرفته ، وليس في البلد الذى أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك .

قال : فقال عليه السلام : ائت فقيه البلد - يعني من أهل السنة - فاذا كان ذلك فاستفته في أمرك فاذا أفتاك بشئ فخذْ بخلافه فإن الحق فيه) (١) .
وهكذا أصبحت التقية طريقاً لتغيير أحكام الدين وتحويل الحلال الى حرام ، وهذه بعض الأمثلة في ذلك :

(١) علل الشرائع لابن بابويه القمي ص / ٥٣١

بعض الأمثلة لاستخدامهم التقية في الفقه والفتوى :

أولا - نجاسة أهل الكتاب :

اليهود والنصارى وسائر الكفار - بل وأهل السنة أيضاً - هم عند الشيعة من النجاسات العينية، ونجاستهم كنجاسة الكلب والخنزير . وهذا ما اتفق عليه علماءهم القدماء

قال أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) - شيخ الطائفة عندهم - :

(من صافح زمياً أو ناصباً معلناً بعد إداة آل محمد ، وجب عليه غسل يده إن كان رطباً ، وإن كان يابساً مسحها بالتراب) (١)

وذكر الحلبي (ت ٦٧٦ هـ) في كتابه شرائع الاسلام أنواع النجاسات وعدّها منها :

(كل من خرج عن الاسلام ، أو من انتحلّه وجحد ما يعلم من الدين ضرورة كالخوارج والفلاة) (٢)

ورواياتهم في ذلك كثيرة، وكلها تؤكد نجاسة جسم الكافر وسؤره والنهي عن مخالطته . غير أنه وردت عندهم بعض الروايات التي تذكر عكس ذلك والتي تنص على فتاوى بعض أئمتهم بطهارة جسم الكافر مادام لا يحمل نجاسة أخرى على بدنه (٣)

وبما أن هذه الروايات توافق قول أهل السنة بأن نجاسة الكافر نجاسة معنوية وليست نجاسة حسية فهي محمولة على التقية عندهم .

وقد بين الجزائري في (قلائد الدرر) موقف الشيعة من الروايات الدالة على طهارة الكافر فقال :

(وحمل الأخبار الدالة على الطهارة على التقية أظهر، لأن القول بالطهارة مذهب الفقهاء الأربعة . . . وهم القائلون بتلك المقالات الفاسدة المزيدة لكفرهم كفرًا لعنهم الله تعالى) (٤)

(١) النهاية في مجرد الفقه والفتوى للطوسي ص/٥٢

(٢) شرائع الاسلام للحلي ٥٣/١

(٣) راجع مثلاً : الفروع من الكافي ١٠/٣ - من لا يحضره الفقيه ١٠/١ - الاستبصار

٨٩/١

وراجع وسائل الشيعة ١٦٥/١ باب : نجاسة أسنار أصناف الكفار

١٠١٨/١ باب : نجاسة الكافر ولو زمياً أو ناصبياً .

(٤) قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر لأحمد الجزائري (ت ١١٥١ هـ) - ٥٦/١

وقال مؤكداً على نجاستهم :

(ما ورد من الأخبار بخلاف ذلك يُجاب عنه بضعف السند أو بالحمل على التقية لما نقل الشيخ - أي الطوسي - في الاستبصار والتهديب أن جميع من خالفنا يذهب إلى الجواز) (١) .

بيد أن هذا الحكم أعيد النظر فيه في العصر الحديث وظهرت فتاوى لبعض علمائهم بطهارة أهل الكتاب وأن نجاستهم معنوية وليست حسية ، فوافقوا بذلك أهل السنة .
وسبب ذلك كما قال محمد جواد مغنیه (أن القول بنجاسة أهل الكتاب أحدث مشكلة اجتماعية للشيعة أوقعهم في ضيق وشدة ، بخاصة إذا سافروا إلى بلد مسيحي كالغرب ، أو كان فيه مسيحيون كلبنان) (٢) .

واعتبر مغنیه هذا السبب كافياً للتراجع عن القول بنجاسة أهل الكتاب الذي كان متفقاً عليه عندهم من قبل ، ولكي يستند هذا القول الجديد لدليل فقد تمسكوا بالروايات التي كانت مردودة عندهم لأنها قيلت تقية ، وإذا بها تعود للحياة من جديد وتصبح أدلة على هذا الحكم مع اعتراف مغنیه بأن الروايات الدالة على نجاسة أهل الكتاب صحيحة السند واضحة الدلالة (٣)

ولكن هذا الحكم بعدم النجاسة فيه طعن صريح بمراجعهم المعتمدة وعلمائهم الذين هم عدة مذهبيهم كالكليني والطوسي والصدوق والحلي وغيرهم وهذا يشير عليهم عامة الشيعة (٤)

فماذا يفعلون ؟ لقد لجأوا إلى التقية التي هي ملاذهم دائماً

(١) المرجع السابق ١١٩/٣

(٢) فقه الامام جعفر الصادق ٣٢/١ - وبعد صفحات من الكتاب نفسه يصرُّ مغنیه على نجاسة الناصبي ، ويقصد به أعداء الشيعة ، فما هو القول في انسان يحكم بطهارة اليهودي والنصراني ويصر على نجاسة أهل السنة ؟! (راجع فقه الامام جعفر ٣٥/١ - ٣٦)

(٣) المرجع السابق ٣٣/١

(٤) الغريب جداً أن نجد علماء الشيعة يخافون من أتباعهم مع أن المركز الديني لهؤلاء العلماء يفرض على الأتباع طاعتهم وقبول أقوالهم ، ولكن يبدو أن الذي يخافه علماءهم هو انقطاع ما يدفعه الاتباع لهم من أموال باسم الخمس - كما يقول ناصر ==

يقول مغنية : (وقد عاصرت ثلاثة مراجع كبار من أهل الفتيا والتقليد ، الأول كان في النجف الأشرف ، وهو الشيخ محمد رضا آل ياسين ، والثاني في قم ، وهو السيد صدر الدين الصدر ، والثالث في لبنان ، وهو السيد محسن الأمين ، وقد أفتوا جميعاً بالطهارة وأسروا بذلك إلى من يثقون به ، ولم يعلنوا خوفاً من المهوَّشين) !!

ثم يقول : (وأنا على يقين بأن كثيراً من فقهاء اليوم والأُس يقولون بالطهارة ، ولكنهم يخشون أهل الجهل ، والله أحق أن يخشوه) (١) !!

وهذا الاعتراف من مغنية خطيراً جداً !

فهو على يقين أن علماء الشيعة - حتى القدماء منهم - كانوا يقولون بما يوافق أهل السنة في ذلك ولكنهم لم يقدروا أن يفصحوا عن هذه الفتوى فأخفوها تقية وخوفاً من أتباعهم ثم زادوا على ذلك بأن اعتبروا الروايات التي توافق تلك الفتوى المخفية غير صحيحة بل وردت للتقية ، فانظر كيف استعملوا التقية في إخفاء الحكم الشرعي والفتوى بنقيضه ، ثم في ردّ الروايات الموافقة لما يخفونه ، وبذلك تصبح التقية عملة ذات وجهين يتلاعبون بواسطتها بالأحكام الشرعية كيف يشاؤون فهل هناك أكبر من هذا الفساد والتضليل باسم الدين ؟!

== القفاري - راجع : رسالة التقريب بين السنة والشيعة ص/ ٤٧٤

(١) فقه الامام جعفر ٣٣/١ - ٣٤

ثانياً - التقية في بعض أحكام الصلاة

والمقصود هنا إخفاء الأفعال التي يتميزون بأحكامها ، ويختلفون فيها عن أهل السنة ، والتي لو فعلها أحد هم يعرف أنه من الشيعة .
 فيجب عليهم عندئذ إسرار مثل هذه الأفعال عن أهل السنة ، حتى يبقى الشيعي متخفياً لا يعلم حقيقة تشيعة الا الثقات من أصحابه .
 وقد عقد الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) باباً في ذلك بعنوان : (باب جواز التقية في العبادات ، ووجوبها عند خوف الضرر) ذكر فيه رواية منسوبة لعلي بن الحسين المرتضى (عن علي عليه السلام قال : . . إن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً ، ثم منَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر أن يصوم بصيامه ، ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله . .) (١)

ومن هو الكافر الذي يصوم ويصلي إلا أن يكون قصد هم به من خالفهم من المسلمين !
 ولذا لك نجد هم يؤكدون على فضيلة صلاة الشيعي خلف السني تقية ، مع قولهم بعدم صحة صلاة أهل السنة وعدم جواز الاقتداء بهم الا للتقية .
 ولا بد لصحة الاقتداء بالإمام عندهم أن يكون ذلك الامام شيعياً يوالي علياً ويتبرأ من الصحابة الآخرين (الذين هم أعداؤه كما يزعمون) فإذا لم يتبرأ منهم فلا تصح الصلاة خلفه الا للتقية

روى شيخهم الصدوق ابن بابويه القمي عن اسماعيل الجعفي قال : (قلت لابي جعفر عليه السلام : رجل يحب أمير المؤمنين (ع) ولا يتبرأ من عدوه ، ويقول : وهو أحب اليّ ممن خالفه فقال : هذا مخلط وهو عدو ، فلا تصلّ خلفه ولا كرامة إلا أن تتقيه) (٢)

(١) وسائل الشيعة ٨١ / ١

(٢) من لا يحضره الفقيه للطوسي ٢٤٩ / ١ وهو أحد الكتب الأربعة في الحديث عندهم .
 وقد عقد الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً خاصاً بذلك تحت عنوان (باب اشتراط كون إمام الجماعة مؤمناً موالياً للأئمة ، وعدم جواز الاقتداء بالمخالف في الاعتقادات الصحيحة الأصولية إلا للتقية) (وسائل الشيعة ٣ / ٣٨٨)

وهم بذلك يعتبرون أن صلاة علي رضي الله عنه خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانت على سبيل التقية ، وسوف نناقش ذلك تفصيلاً في الفصل القادم . راجع

وهكذا يظهر أنهم يعتبرون التبرؤ من كبار الصحابة أصلاً من أصول الدين، أما هذا الرجل الذي اكتفى بتفضيل علي/غيره ولم يتبرأ من مخالفه فلا تصح الصلاة خلفه إلا للتقية وكأنهم يقصدون بذلك الزيدية

ومع أنهم يروون عن الامام الباقر قوله : (لا تصل الا خلف من تثق بدينه) (١)
فانهم يجعلون أجر من صلى تقية مع المخالفين كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الصدوق عن أبي عبد الله (ع) أنه قال :

(من صلى معهم فى الصف الاول كان كمن صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الصف الأول) (٢)

وروى أيضاً عنه أنه قال :

(ما منكم أحد يصلي صلاة فريضة فى وقتها ثم يصلي معهم صلاة تقية وهو متوضئ الا
كتب الله له بها خمساً وعشرين درجة فارغبوا فى ذلك) (٣)

وروى كذلك عنه أنه قال : (إذا صليت معهم غفر لك بعدد من خالفك) (٤)

وقال : (من صلى فى مسجده ثم أتى مسجداً من مساجدهم فصلى معهم ~~خرج~~
بحسناتهم) (٥)

ومن رواياتهم أيضاً :

(المصلي معهم فى الصف الاول كالشاهر سيفه فى سبيل الله) (٦)

ويتحدث الشيخ الصدوق عن كيفية اقتداء الشيعة بإمام من المخالفين فيقول :

(صلّ خلفه على سبيل التقية والمداراة ، وأذّن لنفسك ، وأقم ، وأقرأ لها ، غير مؤتم به
فإن فرغت من قراءة السورة قبله فبقّ آية ومجّد الله عز وجل ، فاذا ركع الامام فاقرأ الآيـة

(١) الفروع من الكافي للكليني .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢٥٠ / ١ - ٢٥١

(٣) المرجع السابق ٢٥١ / ١

(٤) (٥) المرجع السابق ٢٦٥ / ١

(٦) وسائل الشيعة ٣٨٢ / ٣

واركع بها ، فان لم تلحق القراءة وخشيت أن يركع فقل ما حذفه الامام من الأذان والاقامة واركع (١) . فكأن الصدوق بذلك يوجد للشيعة مخرجاً بحيث يقتدي أحدهم بالمخالف ظاهراً ولكنه منفرد عنه في النية

وهكذا تصبح هذه الصلاة — من أعظم العبادات عندهم فهي كالصلاة خلف رسول الله وكالجهاد في سبيل الله ، فيها الأجر العظيم ومغفرة الخطايا !!
ويجعلون العبادة بالتقية أحب الأعمال إلى الله عز وجل :

— روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال : (ما عُبِدَ الله بشيء أحب إليه من الخباء قلت : وما الخباء ؟ قال : التقية) . (٢)

بل ان العبادة سرّاً والتظاهر أمام المخالفين تقية بعبادات أخرى — تخالف ما يراه الشيعة — هي الطريق الذي لا يقبل الله غيره ولا يرضى سواه — كما يزعمون —

— روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله (ع) قال :
(أبى الله الا أن يُعبد سرّاً أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه الا التقية) (٣)
ولنقف عند هاتين الروایتين وقفة تأمل .

فكلاهما يفيد أن التقية في العبادة أصل وليس استثناء ، وأن هذه التقية أحسب الأعمال الى الله عز وجل ، وذلك في كل زمان ومكان .

وهذا واضح من عموم الروایتين ، وبارز أكثر في صيغة الحصر في الرواية الثانية :
(أبى الله الا أن يُعبد سرا) فالعبادة اذاً لا تكون الا اذا صاحبها التقية ، سواء وُجد الاكراه والخوف أو انتفى .

ولا ندرى ماذا يفعل الشيعة بهذين النصين وهم يقولون إن التقية تنتهى عند قيام القائم ، فهل تنتهى تقية العبادة أيضاً ؟

وكيف يأبى الله العبادة بدون تقية ثم يرضاها ؟

إن هذا التناقض بين عموم الروایتين وقولهم بانتهاء عهد التقية عند قيام القائم يشير إلى حقيقة ما لديهم من اضطراب في تقرير عقائدهم .

(١) من لا يحضره الفقيه ٢٤٩ / ١ وراجع الفروع من الكافي — باب الصلاة خلف من لا يُقتدى به — ٣ / ٣٧٣
(٢) وسائل الشيعة ١١ / ٤٦٢
(٣) الأصول من الكافي ٢ / ٢١٨

كما أن هذا يدل بوضوح على كذب هاتين الرايتين وعدم صحة نسبتها للإمام الصادق وأنها مع عشرات بل مئات الروايات انتحال وافتراء رجال الشيعة ، وخاصة الكليني الذي يلقبونه بثقة الاسلام ، والقبي الذي يلقبونه بالصدوق وغيرهما !!

❖ وليست التقية في العبادة قاصرة على مجال صلاة الشيعي خلف إمام من أهل السنة بل إن كثيراً من أعمال الصلاة الأخرى تجب فيها التقية خشية أن ينكشف أمر الشيعي إن قام بعمل يخالف ما عليه أهل السنة ، وإليك بعض الأمثلة :

١ - غسل الرجلين في الوضوء :

الواجب عندهم مسح ظاهر القدمين في الوضوء أما غسلهما فلا يصح أبداً ، وينسبون عشرات الروايات لأئمتهم وكلها تأكيد على وجوب المسح وتحريم الغسل وأن الله لا يقبل صلاة من غسل رجليه في الوضوء

روى الكليني بسنده (عن محمد بن مروان قال : قال أبو عبد الله (ع) :

إنه يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة ، قلت : كيف

(١)

ذاك ؟ قال لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه (!!)

فإننا خاف الشيعي من انكشاف أمره أمام الآخرين جازله أن يغسل رجليه في

الوضوء تقية لكن هذا الغسل لا يكفي فلا بد أن يمسحهما بعد ذلك ليحقق الغرض (٢)

ولا يجزي المسح إلا إذا كان لظاهر القدمين فقط ، وقد وردت عندهم روايات تأمر

(٣)

بمسح ظاهر القدمين وباطنهما لكنهم حملوها كذلك على التقية

وأغرب من ذلك أن بعض الروايات وردت عندهم تذكر أن علياً رضي الله عنه غسل رجليه

في الوضوء أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم أيضاً حملوها على التقية :

فقد روى الطوسي (عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال : جلست

أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء

(٤)

فقال لي : تمضمض واستنشق واستن .

(١) الفروع من الكافي ٣ / ٣١ ورواه أيضاً الطوسي في الاستبصار ١ / ٦٤ والصدوق

في الفقيه ١ / ٢٤ وراجع : النهاية في مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ص / ١٣

(٢) وسائل الشيعة ١ / ٢٩٦ وراجع فروع الكافي ٣ / ٣١

(٣) راجع وسائل الشيعة ١ / ٢٩٢ - ٢٩٣

(٤) الاستئذان : استعمال السواك

ثم غسلت ثلاثاً . فقال : قد يجزيك من ذلك المراتن
فغسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين فقال : قد يجزيك من ذلك المرة، وغسلت قدمي
فقال لي : يا علي خلل بين الأصابع لا تخل بالنار (١)
وهذه الرواية زعم الطوسي أنها وردت للتقية (١)
ونتساءل هنا : من الذي أوردها تقية ؟

هل هو علي رضي الله عنه يرويها كذباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم زيد بن
علي بن الحسن أم الرواة الآخرون ؟
وكيف ينقلون عن الامام علي رضي الله عنه صفة الوضوء هذه التي فعلها أمام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأقره عليها ثم يكذبون هذا النقل ويطعنون في هذا الوضوء لا
لشيء إلا لأنه يوافق أهل السنة ؟! (٢)

إن هذا الافتراء طعن في عبادة علي رضي الله عنه وكذب على دين الله .

٢ - مسح الرأس والأذنين :

الواجب عند الشيعة مسح مقدم الرأس ببقية البلل ، ويبطل المسح إذا كان بماء
جديد، فلو جف ماء الوضوء قبله أخذ من لحيته وحاجبيه وأشعار عينيه ومسح به ، فإن
لم يبق شيء من البلل أعاد الوضوء من جديد . (٣)

ولا يجوز غير ذلك إلا أن يكون للتقية موافقة لمذهب أهل السنة الذين يسمونهم العامة (٤)
أما الآن فلما لا يجوز مسحهما أبداً عندهم في أثناء الوضوء فإذا مسحهما فلا طهارة له . (٥)
وينسبون للامام الباقر قوله : (ليس عليهما غسل ولا مسح) (٦) إلا أن يكون المسح للتقية
فيجوز عندئذ موافقة للعامة . (٧)

(١) الاستبصار للطوسي ٦٥ / ١ - ٦٦

(٢) راجع مختصر التحفة الاثني عشرية ص / ٢٥ - ٢٨ لتجد فيه الرد الكافي على ادعاء
الشيعة أن الواجب في الوضوء مسح الرجلين وإبطال أدلتهم في ذلك .

(٣) راجع تفصيل ذلك في كتاب فقه الشيعة الامامية للدكتور علي السالوس ص / ٩٨
ولا مجال هنا لتفصيل الأدلة التي استدلت بها هؤلاء ، إذ المقصود من الحديث
إبراز دور التقية في العبادات عندهم .

(٤) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى للطوسي ص / ١٤

(٥) الاستبصار ٦٠ / ١

(٦) (٧) المرجع السابق ٦٣ - ٦٤

٣ - السجود على البساط :

روى الصدوق القمي عن أبي عبد الله الصادق قال :
(السجود لا يجوز الا على ما أنبتت الأرض إلا مأكل أو لبس) (١)

فإذا وجد الشيعي بين قوم من أهل السنة ، ولم يتمكن من السجود على الأرض أو
الحصير لخوفه منهم فإنه يسجد على البساط تقية ولا حرج عليه .

(روى القمي أن علي بن يقطين سأل أبا الحسن الأول " على الرضا " عن الرجل
يسجد على المسح (٢) والبساط فقال لا بأس إذا كان في حال التقية) (٣)

٤ - الجهر بصلاة الظهر يوم الجمعة في السفر :

أورد الحر العاملي عدة روايات في ذلك منها :

مارواه الكليني بسنده عن محمد بن مسلم (عن أبي عبد الله - ع - قال :

صلوا في السفر صلاة الجمعة جماعة بغير خطبة ، واجهروا بالقراءة

فقلت : إنه ينكر علينا الجهر بها في السفر ، فقال : اجهروا بها) (٤)

وروى أيضا عن محمد بن مسلم قال :

(سألت عن صلاة الجمعة في السفر ، قال : تصنعون كما تصنعون في الظهر ،

ولا يجهر الامام فيها بالقراءة ، وإنما يجهر إذا كانت خطبة) (٥)

وهذه الرواية الثانية موافقة لأهل السنة ولذا لك يسارعون إلى ردها

قال الحر العاملي : المراد بهذا الحديث حال التقية والخوف . (٦)

والملاحظ أن الروایتين ينقلهما جعفر الصادق راوٍ واحد هو محمد بن مسلم فأين
عنه

موضع التقية هنا ؟!

(١) من لا يحضره الفقيه ١/ ١٧٧

(٢) المسح : بكسر الميم وسكون السين ، هو اللباس يُقعد عليه .

(٣) من لا يحضره الفقيه ١/ ١٧٦

(٤ - ٦) وسائل الشيعة ٢/ ٨٢٠

٥ - حكم قول (أمين) بعد الفاتحة

روى الكليني بسنده عن جميل (عن أبي عبد الله - ع - قال :
إذا كنت خلف إمام ، فقرأ الحمد وفرغ من قراءتها ، فقل أنت : الحمد لله رب العالمين
ولا تقل آمين) (١)

وعن جميل قال : (سألت أبا عبد الله - ع - عن قول الناس في الصلاة جماعة ، حين
يقرأ فاتحة الكتاب : آمين . قال : ما أحسنها ، وأخفض الصوت بها) (٢)

قال الحر العاملي : هذا محمول على التقية لاجتماع الطائفة على ترك العمل به (٣)
وكذلك نجد هنا أن الراوى في الحالتين واحد فلماذا يتقي الصادق منه في فتواه
الثانية لماذا كانت الفتوى الثانية توافق أهل السنة فلماذا يخفض الصادق صوته بها ؟!

٦ - الشك في عدد ركعات الصلاة

(٤)
أورد الحر العاملي عدة روايات في ذلك أبرزها :
(عن عمار بن موسى قال : قال أبو عبد الله - ع - : كلما دخل عليك من الشك فـصلى
صلاتك فأعمل على الأكثر)

(وعن محمد بن سهل عن أبيه قال : سألت أبا الحسن عن رجل لا يدري أثلاثاً صلى
أم اثنين ، قال : يميني على النقصان ويأخذ بالجزم)

قال الحر العاملي : هذه الرواية محمولة على التقية
والغريب هنا أنهم يعملون بالرواية الأولى مع إقرارهم أن المصلي عندما يشك هل
صلى ثلاثاً أو أربعاً فيعدها ثلاثاً ويميني على النقصان فإنه يكون قد أخذ بالجزم ، لأن
الركعة الرابعة مشكوك فيها .

لكن هذا الحكم مردود عندهم ، وليس لذلك من سبب إلا أنه يوافق أهل السنة !!

٧ - عدد التكبيرات في صلاة الجنازة

أجمع الامامية على أن الواجب في صلاة الجنازة خمس تكبيرات ولا يجوز الاقتصار على أربع إلا
للتقية (٥)

(١) الفروع من الكافي ٣/٣١٣
(٢) (٣) وسائل الشيعة ٢/٧٥٢ - ٧٥٣
(٤) المرجع السابق ٣/٣١٨ - ٣١٩
(٥) قلائد الدرر لأحمد الجزائري ١/٢٣٣ وراجع الروضة البهية في شرح اللمعة ==

وقد عقد الحر العاملى باباً خاصاً فى ذلك بعنوان (باب وجوب تكبيرات الخمس فى صلاة الجنائز وإجزاء الأربع مع التقية أو كون الميت مخالفاً) (١)

وقد نسبوا للرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل ذلك :
روى الكلينى بسنده عن أبى عبد الله قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر على قوم خمساً وعلى قوم آخرين أربعاً فإذا كبر على رجل أربعاً اتهم ، يعنى بالنفاق) (٢) ، ويرون أنه ليس فى الصلوة على الميت تسليم إلا فى حال النقة (٣)
٨ - رد السلام وتشميت العاطس أثناء الصلاة

عقد الحر العاملى باباً بعنوان (باب جواز رد المصلي السلام بل وجوبه ، ويرد كما قيل له) (٤)

وباباً آخر بعنوان (باب جواز تشميت المصلي للعاطس) (٥)

ثم قال : ويجوز الرد خفية إذا كان تقية ، وحكم على الروايات التى نصت على عدم الجواز بأنها وردت للتقية . (٦)

✳ يضاف إلى ذلك أنهم يستخدمون التقية فى كثير من الأحكام مع أنها موافقة لبعض المذاهب الأربعة عند أهل السنة وليست مما يميز الشيعة ، ولكنهم جعلوا التقية شعارهم فى كل صغيرة وكبيرة

ومن ذلك أنهم يرون فى التيمم مسح الوجه والكفين ، وحملوا الروايات التى تنص على مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بأنها وردت للتقية (٧)

=== الدمشقية لزين الدين الجبى العاملى ١٣٨/١
(١) وسائل الشيعة ٧٧٢/١ (٢) الفروع من الكافى ١٨١/٣ (٣) مه لا يحضره الفقيه ١٠/١
(٤) وسائل الشيعة ١٢٦٦/٢
(٥) (٦) المرجع السابق ١٢٦٨/٢ وراجع: الفروع من الكافى ٣٦٦/٣ (باب التسلم على المصلى والعطاس فى الصلاة)
(٧) الاستبصار للطوسى ١٧٠/١ - ١٧١

فما الذي يدعوههم الى استخدام التقية في هذا المجال وإفتاء الناس بما يرونه باطلاً مع أن بعض المذاهب الفقهية عند أهل السنة يرون مثل هذا الرأي ؟ وما هي الضرورة التي تلجئهم لترك ما يرون صحته والتعبد بما يعتقدون خطأه ؟! من الواضح أنه لا حاجة الى هذه التقية أبداً ، لكنهم لشدة تمسكهم بها أصبحت أمراً لا يستغنون عنه ولا يفكرون في سواه !

ولذلك نجد أنه قلما يخلو باب من أبواب الفقه عندهم من الإشارة الى هذه التقية ، وتفسير كل ما يعارض رأيهم من روايات أو فتاوى وردت في كتبهم بأنها تقية .

ولو نظرنا الى كتاب الحر العاملي (وسائل الشيعة) على سبيل المثال، فإننا نجد في فهرس مجلداته مواضع كثيرة تشير الى استخدامهم التقية في ردّ الروايات والفتاوى وهذه نبذة منها :

- باب أقل ما يقطع فيه السارق . . ، وفيه معارض حمل على التقية (١)
 - باب السرقة لا تثبت الا بالاقرار . . ، وفيه معارض حمل على التقية (٢)
 - باب تحريم نكاح البهيمة . . ، وفيه حديث حمل على التقية (٣)
 - باب أقل الحمل وأكثره . . ، وفيه معارض للأكثر حمل على التقية (٤)
 - باب أنه يشترط في صحة الطلاق التلفظ بالصيغة فلا يقع بالكتابة . . ، وفيه معارض حمل على التقية (٥)
 - باب أن عدة الأمة من الوفاة مثل عدة الحرة . . وفيه معارضات حملت على التقية (٦)
- ونختم حديثنا بالتوقف قليلاً عند المثالين التاليين لنرى إلى أي مدى وصل هؤلاء في افتراءهم على أئمتهم :

١- روى الكليني بسنده عن ابان بن تغلب قال :

(١) (٢) وسائل الشيعة ٣١ / ١٨

(٣) المرجع السابق ٣٧ / ١٨

(٤) المرجع السابق ١١ / ٧

(٥) المرجع السابق ٢٣ / ٧

(٦) المرجع السابق ٣٥ / ٧

(سمعت أبا عبد الله - ع - يقول : كان أبي - أي الباقر - يفتي في زمن بني أمية أن

ماقتل البازي والصقر فهو حلال ، وكان يتقيهم ، وأنا لا أتقيهم ، وهو حرام ما قتل) (١)

فما كان يفتي به الباقر أنه حرام أصبح حلالاً في فتوى الصادق - كما يزعمون -

وليس الامر لاختلاف الاجتهاد بينهما بل بسبب التقية التي شوّهوا بها صورة أئمتهم !

٢ - وروى الطوسي روايات كثيرة في تحديد أيام النفاس عن أئمتهم منها ما رواه عن الامام

علي قال : النفساء تقعد أربعين يوماً ، وعن جعفر الصادق : سبع عشرة ، وثمانى عشرة

وتسع عشرة ، وثلاثين وأربعين الى الخمسين . . . وعن أبي جعفر ثمانى عشرة (٢)

ولكن كل هذه الروايات تخالف مذهبهم ، فهم يقولون إن أيام الحيض مثل أيام

النفاس

لذلك ذهب الطوسي يقول : (الوجه . . أن نحمل هذه الأخبار على ضرب من التقية

لأنها موافقة لمذهب العامة ، ولأجل ذلك اختلفت كاختلاف العامة في أكثر أيام النفاس

فكانهم - أي الائمة - أفتوا كلاً منهم بمذهب الذي يعتقده) (٣)

وحاشا للائمة أن يفعلوا ذلك ، وأن يكذبوا على الناس ويخفوا أحكام الدين عنهم وهم

حملة العلم وأئمة الهدى ، ولكن هذا من افتراءات الشيعة عليهم ، وقد ضيعوا بذلك

المذهب الفقهي الحقيقي لجعفر الصادق وغيره معالمة .

وإن المرء ليتساءل : إذا أراد هؤلاء تأليف كتاب في الفقه لطلاب العلم عندهم هل يكون

فيه تقية مخافة أن يطلع عليه غيرهم فيحرمون الحلال ويحلون الحرام ؟!

وأين يجد طالب الفتوى الحكم الحقيقي العاري عن التقية ليعمل به ؟

إن مايفعله الشيعة في هذا المجال ليس من مواضع التقية أبداً بل هو ترويح للباطل

وتضييع للحق وتشويه لأحكام الدين .

(١) الفروع من الكافي ٢٠٨/٦

(٢) الاستبصار ١٥١/١ - ١٥٣

(٣) المرجع السابق ١٥٣/١

الفصل الخامس

مواقف تاريخية فسرّها الشيعة الإمامية

على أسّاس التقية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف أبي طالب من الاسلام

المبحث الثاني : مواقف علي من الخلفاء الثلاثة

١ - بيعة علي للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة

٢ - ثناء علي على الخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم

٣ - تزويج علي ابنته ام كلثوم لعمر بن الخطاب

المبحث الثالث : تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية.

المبحث الرابع : ادعاءهم غيبة الامام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية

توطئة

هناك مواقف تاريخية كثيرة وقفت حجر عثرة في طريق غلو الشيعة وما نسبوه لائمتهم من انحرافات ، واذا بهم يسارعون الى تفسيرها وتبريرها بالتقية ليمعدوا عن طريق غلوهم هذه المواقف التي أثارت ضد هم ورأوها منافية لما ذهبوا اليه من غلو ، وأبرز هذه المواقف :

— موقف أبي طالب من الاسلام ، وهو والد علي رضي الله عنه الذي يقدر سونه ويغفلون فيه .

— مواقف علي رضي الله عنه من الخلفاء الثلاثة ، وهي المواقف التي لا يمكن لأحد أن ينكرها ولكنها تشهد على محبته رضي الله عنه لهم واعترافهم بفضلهم وخلافتهم .

— تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، مع أن الحسن في رأى الشيعة منصوص على امامته ولا يسعه التخلي عنها .

— الغيبة التي ادعوها لامام لم يولد ولا وجود له ، ما سببها ؟ ولماذا لا يبقى ظاهرا ينتفع به الناس ؟

كل هذه التساؤلات أجاب عنها الشيعة بأنها تقية ، وبذلك تدخل التقية مجالاً جديداً عند هم وهو مجال تفسير التاريخ .

والواقع أن التاريخ لا يفسر الا بأصول العقائد ، فالماديون أوجدوا التفسير المادي للتاريخ ، وكل أصحاب عقيدة يفسرون التاريخ بما يوافق عقائدهم .

ومن هنا نعلم أن الشيعة بتفسيرهم بعض أحداث التاريخ على أساس التقية ، يؤكدون على أن التقية عند هم من أصول الدين وأساسه ، وهذا دليل يضاف الى أدلتهم التي سبق ذكرها ، ونظرا لأهمية هذا الموضوع ، ولما له من صبغة شبه مستقلة ، ولأن الباحثين المعاصرين تحدثوا عن جانب تفسير التاريخ حديثاً مستقلاً ، رأيت أن أفرد له فصلاً خاصاً في موضوعي هذا .

البحث الأول

موقف أبي طالب من الإسلام

لقد كان أبو طالب^(١) عم النبي صلى الله عليه وسلم يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويرد عنه كل من يؤذيه، ويحوطه وينصره ، ويقف دونه في وجه قريش ، ويحتمل في سبيل ذلك مقاطعة قريش له ولبنى هاشم وحصارهم في الشعب ، ومع ذلك بقي على دين قومه ولم يسلم .

فلقد كان حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ودفاعه عنه بدافع الحمية والاباء والقراية وليس بدافع العقيدة^(٢) . روى البخاري بسنده عن ابن المسيب عن أبيه (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو جهل ، فقال : أي عم ، قل لا اله الا الله كلمة أحاج بها عند الله . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عنه .

فنزلت " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم"^(٣) ونزلت " إنك لا تهدي من أحببت"^(٤) (٥)

(١) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم الرسول صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه ، اشتهر بكنيته ، واسمه عبد مناف على المشهور ، ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب أوصى بالرسول صلى الله عليه وسلم الى أبي طالب فكفله ، مات أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، وكان له يوم ، مات بضع وثمانون سنة .

راجع الاصابة ١١٥/٤ - ١١٩ .

(٢) في ظلال القرآن ٢٧٠٢/٥ بتصرف .

(٣) سورة التوبة / آية ١١٣ .

(٤) سورة القصص / آية ٥٦ .

(٥) صحيح البخاري بحاشية السندی ٣٢٦/٢

وفى رواية :

(فقال أبو طالب : لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حملته عليه إلا جزع الصوت لأقررت بها عينك)^(١)

ومع أن أبا طالب مات مشركا إلا أن الله يخفف عنه العذاب يوم القيامة لما فعله من الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا مما يختص به لورود الأدلة المصروفة بذلك ومنها :

١ - ما رواه البخاري وسلم عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : هو في ضحضاح^(٢) من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)^(٣) .

٢ - وما رواه البخاري وسلم أيضا عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : (أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وذكر عنده عمه - فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه)^(٤)

= وأورد ابن كثير في تفسيره (١٢٢/٢) أن قوله تعالى : " وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون " (سورة الانعام آية / ٢٦) نزل كذلك في شأن أبي طالب على أحد القولين في تفسير الآية الكريمة . فالقول الأول : أن المراد بالآية المشركون الذين ينهون الناس عن اتباع الحق ويبعدونهم عنه ولا يدعون أحداً ينتفع به . والقول الثاني : أن الآية نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤمن به ، ونقل هذا القول عن ابن عباس رضى الله عنهما . ولكن ابن كثير وابن جرير قبله - رجحا القول الأول وهو أن الآية عامة في المشركين وليست في أبي طالب (تفسير الطبري ١٢٤/٥) .

(١) فتح الباري ١٩٥/٧

(٢) الضحضاح : ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير في النار ليدل على تخفيف العذاب .

(٣) (٤) البخاري ٣٢٦/٢ مسلم بشرح النووي ٨٤/٣ - ٨٥ واللفظ في الحديثين للبخاري .

٣ - وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه)^(١)

وكل هذه الأحاديث الصحيحة تؤكد عدم اسلام أبي طالب وأنه فارق الحياة دون أن ينطق بالشهادتين^(٢) ، وهذا هو الحق الذى عليه أهل السنة .

أما الشيعة :

فانهم يقولون إن أبا طالب مات مسلماً موحداً ويطعنون فى الروايات سالفـة الذكر لأنها وردت من طرق أهل السنة .

قال الشيخ المفيد :

(أجمعوا - أى الامامية - على أن عمه أبا طالب رحمه الله مات مومنًا)^(٣)

ونقل الزنجاني عن الشيخ المفيد قوله : (من الدليل على إيمان أبي طالب رضى الله عنه ما اشتهر عنه من الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمحبة والنصرة)^(٤)

(١) مسلم بشرح النووي ٨٥/٣ .

(٢) أما ما أخرجه ابن اسحاق (أن أبا طالب لما تقارب منه الموت بعد أن عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لا اله الا الله فأبى ، قال : فنظر العباس اليه وهو يحرك شفـتيه فأصغى اليه فقال : يا ابن أخى ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها) فهذا حديث لا يصح ، كما قال الحافظ ابن حجر فى الفتح لأن فى سنده من لم يسمَّ والعباس نفسه هو الذى سأل عن حال أبي طالب كما ورد فى الصحيحين .

راجع فتح الباري ١٩٤/٢ - ١٩٥ .

(٣) أوائل المقالات ص / ١٣ .

(٤) عقائد الامامية الاثني عشرية - لبراهيم الموسوي الزنجاني - ص/ ١٣٢ .

وقال الشيخ الطوسي :

(د ل الدليل على إيمان أبي طالب بما ثبت عنه من شعره المعروف وأقواله

(١)

المشهورة الداله على اعترافه بالنبي صلى الله عليه وسلم)

وما أن الشيعة لا يحتجون بروايات أهل السنة فإن من السهل عليهم عدم قبول

الروايات التي أوردوها في ذلك وخاصة ما ورد في سبب نزول الآية : (إنك لا تهدي

(٢)

من أحببت) بحجة أن الآية لم تنص على أبي طالب ولا غيره .

وهي حجة واهية لأن معظم آيات القرآن الكريم التي ورد بشأنها أسباب نزول

معينة لم تنص على أسماء من نزلت فيهم .

بل إن الآيات القرآنية التي يأتون بها للاستدلال على مذهبهم في النص على علي

رضي الله عنه بالخلافة لم يذكر فيها اسم علي رضي الله عنه صراحة فكيف يقبلون

الاستدلال بها ؟

ثم إن ما اشتهر عن أبي طالب من محبته للرسول صلى الله عليه وسلم والذّب عنه

وما نقل عنه من شعر في ذلك لا يدل على إيمانه لأن تلك المحبة والنصرة لم تكن

بدافع إيمانه بل بسبب رابطة الأبوة - لأنه كفل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة

أبيه وأمه - وبدافع الرابطة القبلية التي كان أهل الجاهلية يقاتلون بسببها كل عدو

وتسيل بسببها أنهار الدماء .

ومن أجل ذلك انحاز بنو هاشم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشعب

وضحوا بمصالحهم ليس من أجل الاسلام وانما للحفاظ على تلك الرابطة ، ولو أنهم

لم يفعلوا ذلك لغيروا بأنهم تخلوا عن أحد أبنائهم وأسلموه لعدوه جبنًا وخورًا .

وقد ذكر ابن كثير أبياتا لأبي طالب تدل بوضوح على مقدار ما كان عليه من

نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه بل تدل أيضا على اقناعته بأن الاسلام

دين الحق ولكن الذي منعه من اتباعه خوف العار من قريش :

(١) تفسير التبيان ١٠٦/٤ .

(٢) التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية ٢٦/٦ .

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
فأمضي لأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
لولا العلامة أو حذاري سببة
لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً^(١)

بل إن ابن كثير ينقل عن ابن هشام قصيدة طويلة أخرى بلغت حوالي مائة بيت
برز فيها دفاع أبي طالب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبه له .
ثم يقول ابن هشام : (هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم
بالشعر ينكر أكثرها) ولكن ابن كثير يعلق قائلا : (هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً
لا يستطيع يقولها الا من نسبت اليه)^(٢)

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤٢/٣ ، وراجع فتح الباري ١٩٤/٧

والاصابة ١١٦/٤ .

(٢) المرجع السابق ٥٣/٣ - ٥٧ وراجع سيرة ابن هشام .

ومن أبيات هذه القصيدة قوله في مطلعها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم
وقد صارحونا بالعداوة والأذى
صبرت لهم نفسى بسمراء سَمْحَةً
وأحضرت عند البيت رهطى وأخوتى
وقوله :

كذبتم وبيت الله نُبْزى محمداً
ونُسلمه حتى نصرَّعَ حولَه
الى أن يقول :

فوالله لولا أن أجيء بسبِّةٍ
لكننا تبعناه على كل حالفةٍ

وهذه الأبيات تؤكد عدم ايمانه وتبرز سبب دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

والشيعة يذكرون هذه القوائد ويجعلونها دليلاً على ايمان أبى طالب بعد أن يحدفوا منها ما يدل صراحة على عدم إيمانه ، كما أنهم يضيفون أبياتا وقوائد أخرى لدعم موقفهم هذا (١) .

دور التقية فى ذلك :

لعل الخلاف بين أهل السنة والشيعة فى ايمان أبى طالب يبقى الى هذا الحد مقبولا لولا أن الشيعة نهجوا منهجاً آخر فيما أوردوه من روايات على السنة أثمتهم تنص على أن أبى طالب كان يكتُم اسلامه تقية وأن عمله هذا ضاعف أجره مرتين وبذلك يفسرون موقف أبى طالب تفسيراً يبرز اهتمامهم بالتقية ولعلمهم بها . وهذه رواياتهم فى ذلك :

- روى الكليني بسنده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله قال :

(إن مثل أبى طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين) (٢)

- وروى ابن بابويه باسناده عن أبى عبد الله قال :

(١) أورد الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قوائد كثيرة فى ايمان أبى طالب ودافع عن موقف الشيعة فى ذلك فى أكثر من سبعين صفحة من كتابه (القدير فى الكتاب والسنة والأدب) وذلك فى أواخر المجلد السابع وأوائل المجلد الثامن .

بل إن عبد الله الشيخ علي الخنيزى يؤلف كتابا كبيرا فى ذلك بعنوان (أبو طالب مؤمن قريش) يدافع فيه عن موقفهم هذا . وقد ذكر الزنجانى فى كتابه عقائد الامامية (ص/ ١٣٢) أن للشيخ المفيد كتابا خاصا فى ايمان أبى طالب ، كما ذكر الحر العاملى فى وسائل الشيعة (١١ / ٤٨٠) اسم كتاب آخر فى هذا الموضوع وهو (الحجة على الذهاب الى تكفير أبى طالب) لفخار بن معد الموسوى . وهناك كتب كثيرة أخرى وكلها تدل على اهتمامهم الشديد بهذا الموضوع لأن القول بعدم إيمان أبى طالب يمس فى نظرهم شخصية ولده علي رضى الله عنه، وهذا من غلوهم وانحرافهم .

(٢) وسائل الشيعة ٤٧٦/٦ ، والاختصاص للمفيد ص/ ٢٤١ .

(ان أبا طالب أسر الايمان وأظهر الشرك فأناه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة)^(١)

- وعن الشعبي يرفعه (عن أمير المؤمنين - ع - قال :

(كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمنا مسلما يكتم ايمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش)^(٢)

- وروى ابن بابويه باسناده (عن العسكري - ع - قال :

(إن أبا طالب كمؤ من آل فرعون يكتم ايمانه)^(٣)

ولا يملك الباحث حيال هذه الروايات الا أن يتساءل :

من يخاف أبو طالب حتى يسلك هذا السلك وهو من سادات قريش ؟

وهؤلاء هم المستضعفون من أمثال عمار وصهيب وبلال قد جهروا بإسلامهم وأصابهم في سبيله الأذى والابتلاء ؟

يجيبنا على ذلك الشيخ الأميني وهو يحاول تأويل قول أبي طالب :

لولا العلامة أو حذاري سببة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

فيقول : (هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب - عليه السلام - فإن

أقصى ما فيه أن العار والسبة اللذين كان أبو طالب - عليه السلام - يحذرهما خيفة أن يسقط محله عند قريش فلا تتسنى له نصرته الرسول صلى الله عليه وسلم)^(٤)

ويقول الخنيزي في تأويل هذا البيت من شعر أبي طالب :

(لوسلما أن هذا البيت قد قاله أبو طالب - وهو لم يقله - . . . فمعناه أنه لولا

ما يخشاه من اللوم ، ويحذره من السبة ، لوجدته جاهراً بقبول الدعوة مبيناً ايمانه على الملأ من قريش ، غير كاتم)^(٥)

(١ - ٣) وسائل الشيعة ٦ / ٤٨٠ - ٤٨١ .

(٤) الغدير ٧ / ٣٣٥ .

(٥) أبو طالب مؤمن قريش ص / ١٦٤ .

فالذي كان يمنع أبا طالب من إظهار إيمانه هو خشية العار والمسبة من قريش وخشية سقوط محله عند هم ولذلك كان يكتُم إيمانه .

ولكن الشيعة بهذا التبرير يقعون في تناقض، إذ كيف استدلوا سابقا على إيمان أبي طالب بمواقفة المشهورة في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصائده في ذلك التي كان يتحدى بها قريشا ثم قالوا إنه كان يكتُم إيمانه عن قريش ؟
فالمواقف المعلنة التي جعلوها دليلا على إيمانه لا تتفق مع قولهم أنه كان يكتُم إيمانه ، ولنعد إلى كلام الخنيزي فقد نقل عن ابن الأثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما عرض الاسلام على عشيرته الأقربين قال له أبو طالب :
(فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب)^(١)
يقول الخنيزي معلقا على ذلك :

(ان أبا طالب بعد أن أظهر لعنة قريش أنه قد انصاع لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم رأى عيونا شزرا ، تلتهمه بنظرها فرأى أن يعمي على هؤلاء موقفه)^(٢) !
وهل كان يتوقع من أمثال أبي لهب الفرخ والاستبشار لسلامه ؟
وانا كان خوفه من هذه النظرات منعه من اظهار الاسلام فما أشد خوره وأضعف نفسه بالمقارنة مع الضعفاء من الصحابة الذين لم يتعرضوا لنظرات قاسية فقط بل تعرضوا للسياط والنار ومع ذلك أصروا على الجهر باسلامهم أمام أسيادهم .

وفي ختام حديثنا نجد رآن نشير إلى أحد علماء الامامية في القرن السادس وهو الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي^(٣) - صاحب تفسير مجمع البيان - ذكر في كتابه (إعلام الوري بأعلام الهدى) أن الرسول صلى الله عليه وسلم (دخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه فقال : يا عم ربيت صغيراً ونصرت كبيراً ، وكفلت يتيماً ،

(١) الكامل لابن كثير ٤١ / ٢

(٢) أبو طالب مؤ من قريش ص / ١٥٠

(٣) راجع ترجمته ص / ٣١٢ من هذا البحث

فجزاك الله عني خير الجزاء ، أعطنى كلمة أشفع بها لك عند ربى ، فقال : يا ابن أخى لولا أنى أكره أن يعيروا بعدي لأقررت عيذك . ثم مات (ثم يقول الطبرسي : (وقد روي أنه لم يخرج من الدنيا حتى أعطى رسول الله الرضا) (١) .

والمأمل لهذه القصة التى ذكرها الطبرسي وللقول الذى ذكره بعدها بصيغة التضعيف (روي) يستنتج أن الطبرسي يميل الى مخالفة الشيعة فى هذه المسألة ، ويرى أن أبا طالب مات ولم يسلم .

ولكن المعلق على كتاب (إعلام الورى) اعترض على كلام الطبرسي قائلا : (هذا الكلام مع فرض صحته لا يدل على عدم ايمان أبى طالب وإنما يدل على كتمانہ الايمان ، وقد جاء فى أخبار كثيرة أنه أظهر الكفر وأسرَّ الايمان) (٢) . فوا عجباً من هذا الاصرار على الباطل !

إن ما فائدة كتمان الايمان على فراش الموت ؟ وهلبقى شبح خوفه من قريش ونظرتهم القاسية يلاحقه الى تلك اللحظة التى ينقطع فيها أمل الانسان من الدنيا وما فيها ؟!

وإذا كان كتمانہ لتعزير موقفه فى مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلمـاذا استمر على الكتمان وهو يرى نفسه قاب قوسين أو أدنى من الموت ولم يعد بمقدوره أن يدفع عن ابن أخيه أذى المشركين ؟

إن استمرار كتمانہ للايمان فى موقف لا حاجة فيه الى الكتمان بل فى تلك اللحظات التى يودع الانسان فيها الدنيا وأهلها ومع كثرة اللاحاح عليه أن ينطق بكلمة التوحيد ليس له تفسير الا أن نقول إن هذا الايمان مفقود من أساسه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(٢٠١) اعلام الورى ص/ ٦٢ - ٦٣ تصحيح وتعليق : على أكبر الغفارى .

(أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحبون علو كلمته ، وليس
عندهم حسد له ، وكانوا يعلمون صدقه ، ولكن كانوا يعلمون أن في متابعتة فراق
دين آبائهم وذنم قريش لهم ، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا
الذم ، فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بصدق الايمان به ، بل لهوى النفس)^(١)

(١) مجموع الفتاوى ١٩٢/٧ - ١٩٣ .

الطبعة الثانية

مواقف علي رضي الله عنه من الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم

هناك مواقف كثيرة للإمام علي رضي الله عنه لم يستطع الشيعة انكارها ، وتعدّ من أكبر الأدلة على اعتراف علي رضي الله عنه بخلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم ومحبتهم، وتنفي كل ما ينسبه الشيعة له من بغض أولئك الخلفاء وعدائهم لهم والحكم عليهم بأنهم كفرة غاصبون معتدون على حقه .

فماذا يفعل الشيعة أمام تلك المواقف التي تنسف أهم عقائدهم نسفاً ، وتقيم الحجة عليهم من أفعال من يُعدّ عندهم الإمام الأول المعصوم ؟

لقد وجد هؤلاء في التقية بغيتهم ، محاولة للتخلص من هذا التناقض بين ما هم عليه من عقائد وبين ما كان يفعله علي رضي الله عنه مما لا يمكنهم انكاره .

وسنناقش ذلك من خلال أشهر مواقف الإمام علي رضي الله عنه وهي :

- ١ - بيعة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة .
- ٢ - ثناء علي رضي الله عنه على الخلفاء الثلاثة واعترافه بقضائهم وخلافتهم .
- ٣ - تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر رضي الله عنهم .

ولنبداً بالموضوع الأول :

أولاً : بيعة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة :

بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى اضطرب حال المسلمين وألمَّ بهم حزن شديد على فراقه صلى الله عليه وسلم، وما كان هذا ليشغلهم عمن اختيار خليفة بعده صلى الله عليه وسلم كراهة أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة^(١) . فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وتداولوا الأمر بينهم ثم اتفقوا على بيعة أبي بكر رضي الله عنه وبذلك تدارك الله الاسلام وأسرع الناس ببايعونه^(٢) .

أما علي رضي الله عنه فقد تأخر عن البيعة ستة أشهر - كما تذكر رواية البخاري - فلم يبايع حتى توفيت زوجته فاطمة رضي الله عنها فأرسل إلى أبي بكر أن ائتني ، فجاءه أبو بكر ، فتشهد علي فقال : (إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله اليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقربتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيباً . حتى فاضت عيننا أبي بكر . فلما تكلم أبو بكر قال :

والذي نفسي بيده ، لقربة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي ، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير ، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها الا صنعته . فقال علي لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة .

فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد ، وذكر شأن علي وتخلفه عمن البيعة وعذره بالذي اعتذربه ، ثم استغفر .

(١) (٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي - تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ص/ ٥٤ - ٦٣ فقد أجاد فيه مؤلفه رحمه الله وزاد من أهميته التحقيقات النفيسة للشيخ محب الدين الخطيب .

وتشهد علي فعظم حق أبي بكر ، وحدّث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسةً على
أبي بكر ، ولا انكاراً للذي فضله الله به ، ولكننا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبد
علينا ، فوجدنا في أنفسنا ، فسّر بذلك المسلمون ، وقالوا : أصبت (١)

قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الامام القرطبي :

(من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار ، وما تضمن ذلك من
الانصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر ، وأن قلوبهم كانت متفقة على
الاحترام والمحبة وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً لكن الديانة ترد ذلك) (٢)
ويظهر من الرواية السابقة أن علياً رضي الله عنه لم يكن يطلب الخلافة لنفسه ،
وهذا معنى قوله (لم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك) أي لم نحسدك على الخلافة .
لكن الذي أنكره أنه لم يستشر في عقد الخلافة ، والعذر لأبي بكر رضي الله عنه
أنه خشي من التأخر عن البيعة الاختلاف لما كان وقع من الأنصار في السقيفة فلم
ينتظروه . (٣)

كما أن علياً تأخر عن البيعة بسبب تأثر فاطمة رضي الله عنها التي وجدت في
نفسها على أبي بكر بعد أن طلبت ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لها أبو بكر : (إن رسول الله قال : لا نورث ، ما تركنا صدقة . . .) واني والله
لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

ويذكر الحافظ ابن حجر نقلاً عن بعض الروايات أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر ،
وأن هذه البيعة تعد بيعة ثانية مؤكدة للأولى لازالة ما كان وقع بسبب الميراث ،
وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة رضي الله عنها لازالة هذه

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى ٥٥/٣ - ٥٦ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٤٩٥ / ٧ .

(٣) المرجع السابق ٤٩٤/٧ - ٤٩٥ .

(٤) صحيح البخارى ٥٥/٣ .

(١) الشبهة .

وسواء كانت هذه البيعة للتأكيد على البيعة السابقة ، أو كانت بيعة أولى . فالمهم في الأمر أن علياً رضي الله عنه بايع الخليفة الصديق طائعاً مختاراً غير مكره ، وأنه لم يكن ينازعه في الخلافة ، ولو كان عنده نص سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي له بالخلافة لذكره لأبي بكر وجعله حجة قوية في تأخره عن البيعة ولكنه لم يذكر شيئاً من ذلك .

- واستخلف أبو بكر عمراً من بعده فلم يتخلف علي رضي الله عنه عن بيعته ونصحه ونصرته، ثم جعلها عمر شوري بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ ، (٢) وكان علي أحد هؤلاء الستة ، فاتفقوا بعد مشاورتهم ثلاثة أيام على بيعة عثمان رضي الله عنه ، وكان علي رضي الله عنه من أول المبايعين . (٣) ولم يكن علي رضي الله عنه في يوم من الأيام يحرص أن يتولى هذا الأمر ، لأنه يدرك عظيم ما فيه من مسؤلية .

ولذلك نجد أنه لم يسرع إلى تولي الخلافة بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه وإنما قال للصحابه رضي الله عنهم - كما تعترف بذلك الشيعة : -

(دعوني والتمسوا غيري . . . وان تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً) (٤)

هذه هي حقيقة موقف هذا الصحابي الجليل من الخلفاء الثلاثة ، ويظهر للقارئ أن هذا الموقف يتلاءم تماماً مع ما يتصف به رضي الله عنه من إيمان راسخ وزهد في الدنيا ومحبة لأخوانه الصحابة رضي الله عنهم .

(١) فتح الباري ٤٩٥/٧ وقد أكد ذلك أيضاً الامام أبو حامد المقدسي في

كتابه (رسالة في الرد على الرافضة) ص/ ٢٧٩ - تحقيق عبد الوهاب

خليل الرحمن .

(٢) وهم: عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن موف ، وسعد

ابن أبي وقاص ، وطلحة والزبير (راجع صحيح البخاري ٢/ ٢٩٩) .

(٣) راجع : العواصم من القواصم ص/ ٦٨ - ٦٩ .

(٤) نهج البلاغة ص/ ٢٣٣ .

— فماذا يقول الشيعة في ذلك ؟

من الغريب حقاً أن يفسر الشيعة بيعة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة ونصحه لهم بأنه كان تقية منه ، وأنه اضطر الى مبايعتهم لقلّة أعوانه ، ولو وجد فئة لقاتلهم وأن بيعته لأبي بكر كانت بسبب التهديد والاكراه . . .
وهذه بعض رواياتهم في ذلك :

— روى ابن بابويه القمي بسنده عن الهيثم بن عبد الله قال : (سألت علي بن موسى الرضا - ع - فقلت له : يا ابن رسول الله أخبرني عن علي بن أبي طالب لم لم يجاهد أعداءه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاهد في أيام ولايته ؟

فقال : لأنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهراً ، وذلك لقلّة أعوانه عليهم ، وكذلك علي - ع - ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم (١)

- وروى أيضاً عن ابن أبي عمر (عن بعض أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله (ع) : ما بال أمير المؤمنين - ع - لم يقاتلهم ؟ قال : الذي سبق في علم الله أن يكون ، وما كان له أن يقاتلهم وليس معه الا ثلاثة رهط من المؤمنين (٢)

- وروى رواية أخرى طويلة مختصرها أن علياً سئل في مسجد الكوفة : ما بال أمير المؤمنين - ع - لم ينازع الثلاثة ؟ فصعد المنبر واحتج على سكوته عن منازعة الثلاثة بأن له بسنة الانبياء أسوة . ومن بينهم موسى - ع - اذ قال : ففرت منكم لما خفتكم ، وقول هارون - ع - : يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني . (٣)

— وروى الكليني أن أبا جعفر قال : (إن الناس لما صنعوا ما صنعوا اذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين - ع - من أن يدعو الى نفسه إلا نظراً للناس . . . ولذلك كتب علي - ع - أمره ، وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً) (٤)

(١ - ٣) علل الشرائع لابن بابويه ص / ١٤٨ - ١٤٩

(٤) الروضة من الكافي ص / ٢٩٥ - ٢٩٦

— وهناك قصص مطولة في كتبهم تصف كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه بالاكراه والتهديد والوعيد ، وتصور الصحابة رضي الله عنهم وكأنهم وحوش في غابة همهم البطش والارهاب ، ومفاد هذه القصص الوهمية أن أبا بكر وعمر أرسلوا رجلاً فظاً غليظاً اسمه قنفذ ليقتحم بيت علي ويكرهه على البيعة . وأن هذا الرجل اقتحم مع بعض أصحابه البيت فبادر علي إلى سيفه ليأخذه فسبقوه اليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه وربطوه بحبل أسود في عنقه ، وحالت فاطمة بين زوجها وبينهم فضربها قنفذ بالسوط على عضدها وكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها ، ثم انطلقوا بعلي حتى انتهوا به إلى أبي بكر ، وعمر قائم بالسيف على رأسه وسائر الناس قعود حوله عليهم السلاح فقال له عمر : بايع . فقال : وان لم أفعل ؟ قال : اذاً نقتلك ذلاً وصغاراً .

وتذكر تلك القصص حواراً طويلاً دار بين علي والصحابة وأنهم هددوه وتوعده وحملوا الحطب ليحرقوا داره فنادى قبل أن يبايع : يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، ثم تناول يد أبي بكر فبايعه وأنهم فعلوا مثل ذلك مع الزبير وسلمان وأبي ذر والمقداد ، وينسبون إلى سلمان أنه قال : ما من الأمة أحد بايع مكرها غير علي وأربعتنا (١) .

— كما روى ابن بابويه بسنده (عن زيد بن وهب أن أناساً أتوا علياً فقالوا :

يا أمير المؤمنين ضيَّعتَ نفسك وتركت حقاً أنت أولى به . .

فقال : لقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلا السكوت لما تعلمون من غرر

صدر القوم . . وقد قهروني وغلبيوني على نفسي ولبيوني (٢) وقالوا لي : بايع

(١) وردت هذه القصة وقصص أخرى مماثلة في كتاب سليم بن قيس العامري ص/ ٨٢ -

٩٣ وكذلك ص/ ٢٥٣ ويسمى هذا الكتاب عندهم أبجد الشيعة . كما

وردت في كتاب الاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ١٠٨/١ - ١١٤ ،

وذكر قريباً من ذلك ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ١٨/٢ - ١٩

(٢) أي : أخذوا بتلابيبي وجروني .

والا قتلناك فلم أجد حيلة الا أن أدفع القوم عن نفسي . . . (١)

— وهذا شيخ المحققين عند هم الطقب بالشيخ المفيد يُسأل عن سبب سكوت علي رضي الله عنه عن قتال أعدائه الذين غضبوا الخلافة فيجيب بأنه قعد عن جهاد أعدائه لقلّة أعوانه وأنصاره ولأنه يعلم أن في المخالفين من يرجع عن الباطل إلى الحق وأن في ظهورهم مؤمنين لا يجوز قتلهم وتضييع ما في أصلابهم . (٢) وينسب للإمام الصادق قوله : (لما بايع الناس أبا بكر أتى بأمر المؤمنين طلباً لبياع) (٣)
ويزعم أكثر من ذلك فيقول : (كانت ائمة أمير المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه عليه وسلم ثلاثين سنة ، منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر كان ممنوعاً من التصرف في أحكامها مستعملاً للتقية والمداواة . ومنها خمس سنين وستة أشهر متحناً بجهاد المنافقين) (٤) .

— وليس القدر ما من علماء الشيعة هم القائلون بهذه الفرية فقط بل ان الكثيرين من المعاصرين ردوها في كتبهم وذكروا أن علياً بايع مكرهاً مقهوراً وأنهم أخرجوه كرها للبيعة . ومن أبرزهم عبد الحسين شرف الدين الذي قال : (إن علياً قعد في بيته ولم يبايع حتى أخرجوه كرها) (٥)

ومحمد رضا المظفر الذي قال : (إن علياً لم يبايع أبا بكر حتى ماتت فاطمة فبايع مقهوراً) (٦)

ومحمد حسين الزين الذي ذكر بعض الروايات في ذلك ، (٧) أما علي فضل الله الحسنى فانه يحاول أن يتخلص من هذه الفرية وينفي ذلك عن الشيعة مدعي أن علياً لم يسكت عن حقه خوفاً على نفسه . . . ولكنه يناقض نفسه فيقول :

(١) الخصال لابن بابويه ص / ٤٦١ - ٤٦٢ .

(٢) رسائل الشيخ المفيد ص / ١٥ - ١٦ والافصاح في ائمة علي بن أبي طالب

عليه السلام للشيخ المفيد ص / ١٧ .

(٣) الاختصاص للمفيد ص / ١١ .

(٤) الارشاد للمفيد ص / ١٢ .

(٥) المراجعات ص / ٢٦٢ .

(٦) السقيفة ص / ٦٢ .

(٧) الشيعة في التاريخ ص / ١٢٨ .

(فسكت عن حقه ، وهو مجبر على السكوت ، ولم ينيس ببنت شقة)^(١)

بل ان محمد حسين المظفرى يصرح بأكثر من ذلك فيقول :

(ما كانت تقية الشيعة مبتدأة من عصر الصادق - ع - بل كانت من عهد أمير المؤمنين - ع - حتى انه كان قد استعمل التقية بنفسه في اكثر أيامه ، إنك لتعلم أنه من بدء الخلافة كان يرى أن الخلافة له ، ويراهها ثلة من الناس فيه ، ولكنه لما لم يجد أنصاراً وادع وصمت هو وأصحابه)^(٢) .

— وهكذا يتبين أنبيعة علي رض الله عنه في نظر الشيعة لم تكن عن قناعة ورضى وانما كانت عن اكراه وقهر ، وأن بيعته لا تعنى عندهم تصحيحه وموافقته على خلافة من سبقه ، وانما تظاهر بها أمام الناس تقية لقلّة أعوانه وعدم تمكنه من جهاد مخالفه .

وتبطل بذلك دعاوى من حاول أن ينفي عن الشيعة هذه التهمة ، وزعم أن الشيعة يقولون بأن علياً بايع عن رضا وقناعة ولم تكن بيعته بالاكراه والقهر .^(٣) فهذه رواياتهم وأقوال علمائهم تؤكد ثبوت هذا الانحراف عندهم وأنهم يستخذمون التقية لتفسير هذه البيعة لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لتهدم أساس عقيدتهم .

مناقشة هذا الموقف من الشيعة :

سبق أن ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما أراد أن يبايع أبا بكر رضي الله عنه أرسل اليه أن ائتنا وأنه كلاً منهما ذكر فضل الآخر ومنزلته وأن المسلمين فرحوا ببيعة علي رضي الله عنه . ولكن الشيعة بموقفهم الشاذ ونسجهم للروايات الباطلة التي سبق ذكرها يحاولون ^{تسوية} صورة الصحابة الكرام بل وتشويه صورة علي رضي الله عنه

(١) في ظلال الوحي ص / ٥٨ .

(٢) الامام الصادق المظفرى ٩٢ / ١ .

(٣) ادعى ذلك محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة

وأصولها) ص / ١٠٨ ، وعلي فضل الله الحسيني في كتاب (في ظلال

الوحي) ص / ١٠٢ - ١٠٣ وكذلك ص / ١١١ .

حينما أبرزوه ملتباً بالحبال وهو يساق الى البيعة سوقا ويكره عليها حتى يتظاهروا بها دون رغبة أو رضى ، ويبائع تقية وخوفاً .

فيقال لهم : كيف يوصف علي بهذا وهو - كما تقولون - أعلم الصحابة وأشجعهم وأسبقهم الى الجهاد وأن الاسلام لم يقم الا بسيفه ^(١) ، وأنه فارس الاسلام وأسده ، وباني ركن الايمان ومشيده ، ومفرق جموع الكفار وحاصد خضرائهم ، الى غير ذلك من صفات الثبات والنجدة والشجاعة والحماسة ^(٢) ، حتى قال بعضهم : (إن كل شجاع فى الدنيا اليه ينتهى . . ولو تجسست الشجاعة وتمثلت فى شخص لكان ذلك الشخص هو أمير المؤمنين ، بل لو عرف قدماء اليونان لا تخذوه إلهاً للشجاعة فى جملة آلهتهم التى عبدوها) ^(٣) !

هذا الشجاع الموصوف بتلك الأوصاف فى كتب الشيعة هو نفسه الذى تصفه كتبهم وهو يساق الى البيعة ذليلاً ملتباً بالحبال فلا يمتنع وانما يتظاهر بالموافقة إيثاراً للسلامة .

قال الامام المطهري : (اذا قالوا ذلك - أي سكت عن المطالبة بالخلافة - تقية منه وخوفاً من القتل ، وهكذا يقولون . . يقال لهم : قد نقضتهم أصلكم ، إن الله تعالى أقام علياً رضى الله عنه ليظهر به الدين ، وكيف يكون ذلك كذلك ، وعلي كاتم دينه ، متقي على نفسه وعلى الأمة) ^(٤)

(١) راجع : الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين ص / ١١٠ - ١١٢ .

(٢) راجع : كشف الغمة فى معرفة الأئمة لأبى الحسن علي بن عيسى الأربلي

(ت ٦٩٣ هـ) - طبع تبريز ١٢٨/١ - ١٢٩ .

(٣) عقائد الامامية الاثنى عشرية للزنجاني ص / ١٣٥ .

(٤) التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع للامام أبى الحسين محمد بن أحمد

المطهري الشافعي (ت ٣٧٧ هـ) - ص / ٢٤ .

ويذكر الفخر الرازي السبب الذي جعل الشيعة ينسبون بيعة علي للتقية فيقول :

(ثم ان على هذا المذهب اعتراضاً وهو أن علياً رضي الله عنه وأولاده لو كانوا أئمة فلم لم يشتغلوا بالامامة وحاربوا الظلم لأجلها ؟ فعند هذا قررت الشيعة قاعداً أخرى وهو القول بجواز التقية ^(١))

ولكنهم بهذه الطريقة لم يتخلصوا من التناقض ان لو كان علي رضي الله عنه يعلم بأنه هو الخليفة المنصوص عليه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الخلفاء الثلاثة غاصبون كفر له أبدأ أن يبايعهم ويكتم الحق تقية وهو الأسد الشجاع. ان نسبة التقية لعلي رضي الله عنه يستلزم نسبة الذل والجبن له ، وحاشاه من ذلك ، بل يستلزم نسبة ذلك لجميع بني هاشم ، فان علياً رضي الله عنه كان في قوة بهم لو أراد الخلافة زمن الخلفاء الثلاثة قبله ، أو كان عنده نص ^(٢) ، ولوجد من يقوم معه وينصره في ذلك لو كان عنده عهد من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكيف يجوز اتفاق اكثر من عشرين ألف انسان متباذي الهمم والنيات والأنسـاب على طي عهد عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ؟ ^(٣)

إن من المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك ، وتسليم الأمر لرجل لا منعة له ولا حاجب ولا حرس على بابيه ولا سطوة له ^(٤) ، وإذا كان الشيعة يرون أن الشورى التي عقدتها عمر رضي الله عنه لاختيار الخليفة بعده هي شورى باطلة فكيف حلّ لعلي أن يشارك بنفسه فيها — ويغير الأمة هذا الغرور ؟ ^(٥)

ان هذا كله يرد مزاعم الشيعة وادعاءهم أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة

(١) محصل آراء المتقدمين والمتأخرين للرازي ص / ١٨١ .

(٢) رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة — للشيخ أحمد زيني دحلان ص / ٤٧ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٩٦ / ٤ .

(٤) المرجع السابق ٩٨ / ٤ .

(٥) المرجع السابق ٩٦ / ٤ .

المنصوص عليه وأنه سكت عن حقه تقية . ويثبت أن الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم على الحق وأن بيعتهم كانت باجماع الصحابة رضى الله عنهم وأن علياً رضى الله عنه لما تأخر عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه كان ذلك بسبب كبره عرضت له لكنه عاد الى الحق ، وشارك مع اخوانه الصحابة فى حمل أمانة هذا الدين وكان ينصح للخلفاء ويعاونهم ويواليهم حتى آلت الخلافة اليه وهو زاهد فيها معرض عنها .

ولنستعرض فى الفقرة التالية نماذج من تلك المحبة والنصرة وغير ذلك مما يدل على اعتراف علي رضى الله عنه بخلافة من سبقه . . ونرى موقف الشيعة منها :

ثانياً : ثناء علي رضى الله عنه على الخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم :

لقد صور الشيعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة الخلفاء الثلاثة بصورة سوداء قاتمة ووصفوههم بأنهم ماكرون مغتصبون للخلافة معتدون على حق علي متأمرين عليه ، كما وصفوههم بالنفاق والكفر والضلال والسعى لتهديم الاسلام . . الى غير ذلك من الأوصاف . وقد سبق أن تعرضنا لهذا الانحراف الخطير عند الشيعة ورأينا أنه ليس قاصراً على بعض أفرادهم وإنما هو عام منتشر بين صفوف علمائهم وعامتهم . (١)

ولكن هذا الانحراف الذى كان يزداد جيلاً بعد جيل كانت تعترضه مسألة مهمة وهي : اذا كان علي رضى الله عنه - وهو الامام المعصوم الذى يدعي الشيعة استمداد عقيدتهم منه - يرى أن الخلفاء الثلاثة كفرة غاصبون فلماذا كان يثني عليهم ويصلي خلفهم وينصحهم ويتشاور معهم ويعترف بفضلهم وخلافتهم ؟ وهذا مما نصت عليه كتب السنة والشيعة فقد أورد البخارى روايات كثيرة فى ذلك أبرزها :

— ما رواه بسنده عن محمد بن الحنفية قال : (قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من . قال : عمر . وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال : ما أنا الا رجل من المسلمين) (٢)

(١) راجع تفصيل ذلك ص / ٣٩٩ من هذا البحث .

(٢) صحيح البخارى باب فضل أبى بكر ٢ / ٢٩١ .

— وروى أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

(إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريرته - أي بعد موته - ، اذا رجل خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك لأنني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فاذا هو علي بن أبي طالب (١))

وفى رواية أخرى للبخاري أن عليا (ترحم على عمر وقال : ما خلفت أحدا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بعثله معك) (٢)

— ولما حاصر الناس عثمان رضي الله عنه ومنعوه الماء . قال : ألا أحد يبلغ عليا فيسقيناه الماء قبل ذلك عليا ، فبعث اليه بثلاث قُرْب مطوئة ماء ، فما وصلت اليه حتى جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية ، وبلغ عليا أن عثمان يُراد قتله فقال للحسن والحسين : ان هبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدع أحدا يصل اليه ، ثم بعث بالحسن ومولاه قنبرا فلما رمى الناس عثمان بالسهمام خضب الحسن بالدماء على بابه وشج قبر مولى علي ولم يتمكن الناس من الدخول على عثمان من ذلك الباب الذي كان عليه الحسن ، وتسوروا عليه الجدار من خلفه ودخلوا عليه ، وقتلوه وهو يتلو القرآن (٣)

— وتواتر عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة :
(خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) (٤) وقد روي هذا عنه من أكثر من

(١) البخاري ٢ / ٢٩٣ .

(٢) البخاري ٢ / ٢٩٤ ، ورواه الامام أحمد في المسند ١١٢ / ١ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص / ١٥٩ - ١٦٠

ولقد شرع كثير من الصحابة في الدفاع عن عثمان رضي الله عنه لكنه منعهم لئلا يراق بسببه محجم من دم - ، راجع تفصيل ذلك في : العواصم من القواصم لابن العربي ص / ١٣٨ - ١٤٣ ، وكتاب الامامة والرد على الرافضة لابن نعيم الأصبهاني ص / ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٤) مسند الامام أحمد ١ / ١١٠ ، وقد أورد الامام أحمد روايات كثيرة في ذلك (١١٠ / ١ - ١٢٦) .

ثمانين وجهاً^(١) . ولذلك كان اتباع علي رضي الله عنه الصادقين في محبته واتباعه يفضلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

كما ورد عن شريك بن عبد الله أنه كان يفضل أبا بكر وعمر ف قيل له :

(أنت من شيعة علي ، وأنت تفضل أبا بكر وعمر ؟ فقال : كل شيعة علي هذا وهو يقول على أعواد هذا الضبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، أفكنا نكذبه ؟ والله ما كان كذاً أباً^(٢))

هذه النماذج القليلة . تشهد بمحبة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة واعترافه بفضلهم وخلافتهم . وهناك روايات كثيرة أخرى وردت في كتب أهل السنة تؤكد ذلك^(٣) ، وتظهر المحبة العظيمة المتبادلة بين علي رضي الله عنه والخلفاء الثلاثة ومعاذته لهم في أعباء الخلافة . ولقد كانوا رضي الله عنهم لا يستغنون عن رأى علي رضي الله عنه ومشاورته .

لقد كان بإمكان الشيعة أن ينكروا كل ذلك لو كان ثبوته قاصراً على كتب أهل السنة ولكنهم وجدوا أن ذلك مدوّن أيضاً في كتبهم على كثرة ما فيها من أباطيل ، وأن ذلك منقول بالتواتر جيلاً عن جيل لا يمكن طمسه واخفاء حقيقته .

فماذا يفعلون : لقد وجدوا في التقية بغيتهم ، وهي عندهم المنفذ لكل غلو وانحراف فقالوا : إن علياً فعل كل ذلك تقية ، وإن ثناءه على الخلفاء الثلاثة وصلاته خلفهم لا يعني اعترافه بخلافتهم وإيمانهم وإنما هو تظاهر منه واستجلاب لقلوبهم . ولنستعرض أولاً بعض النصوص من كتب الشيعة - وخاصة نهج البلاغة الذي ينسبونه للإمام علي رضي الله عنه - لنرى منها ثناء علي على الخلفاء الثلاثة ومحبة لهم

(١) راجع رسالة : حملة الاسلام الأولون / لمحب الدين الخطيب - مطبعة

بمختصر التحفة ص / ٣١٠ .

(٢) كتاب النبوات لابن تيمية - ص / ١٣٢ ، وراجع : منهاج السنة ١ / ٨

الطبعة المحققة .

(٣) راجع : جامع الأصول ٨ / ٥٧٢ ، ٥٨٠ ، مجمع الزوائد ٥ / ١٧٨ - ١٨٩ .

وتشاوره معهم ثم نرى بعد ذلك تعليق الشيعة على هذه النصوص :

— فيها هو يقول في مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

(لله بلاء^(١) فلان فقد قوّم الأود^(٢) ودأوى العمد^(٣) ، خلف الفتنة وأقام السنة ، ذهب نقي الثوب قليل العيب ، أصاب خيرها وسبق شرها ، أدى الى الله طاعته واتقاه بحقه ، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي^(٤))

ويصرح ابن ميثم البحراني في شرحه على نهج البلاغة أن المراد بفلان عمر وقد

يكون المقصود به أبو بكر ، ثم يتساءل فيقول :

(إن هذه النماذج التي ذكرها عليه السلام في حق أحد الرجلين تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة ، فأما أن يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام ، أو يكون اجماعنا خطأ^(٥)) وأجاب عن ذلك : (بأن هذا المدح على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام ، أو أنه ذكره في معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنة في خلافته^(٦))

كما ذكر ابن أبي الحديد تفسير الامامية لهذا الموقف من علي رضى الله عنه

فقال : (أما الامامية فيقولون ان ذلك من التقية واستصلاح أصحابه^(٧))

ونتساءل فنقول : أى ضرورة تلجئ إليها رضى الله عنه أن يمدح الشيخين إذا كان

يعتقد بكفرهما وغضبهما لحقه ؟

(١) هكذا وردت في نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص / ٤٩٨ ، وقد أوردها

البحراني في شرحه (٩٧ / ٤) بلفظ : (لله بلاد فلان) بالدال ، وقال

إن هذا لفظ يقال في معرض المدح كقولهم لله دره . (وراجع شرح ابن أبي

الحديد ٩٢ / ٣) .

(٢) كناية عن تقويمه لا عوجاج الخلق عن طريق الاستقامة .

(٣) استعار لفظ العمد لأمراض القلوب ، ومدادواتها : ارشادها بالمواعظ والزواجر .

(٤) نهج البلاغة . بشرح محمد عبده ص / ٤٩٨ .

(٥) شرح نهج البلاغة لكامل الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٢٩ هـ)

طبع طهران - ١٣٢٨ هـ ، ٩٧ / ٤ - ٩٨ .

(٦) المرجع السابق ص / ٩٨ .

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٢ / ٣ .

وهل هناك أعظم من هذا الاعتراف منه بأن عمراً - أو أباً بكر - أقام السنة وذهب
نقى الثوب قليل العيب ، وأنه أدى الى الله طاعته ؟ . فهذا غاية ما يكون من المدح .
وكيف نسب الشيعة للإمام علي رضي الله عنه الكذب في المدح لاستجلاب قلوب
الناس من أجل غرض مظنون الحصول ؟

وأى ضرورة تلجئه الى كل هذه التأكيدات والمبالغات لو كان يعتقد كفرهما ؟
فقد كان يكفيهم أن يقول : لله بلاء فلان قد جاهد الكفار والمرتدين ووضع الجزية
وبنى المساجد . . الى غير ذلك من الأعمال ولكن علياً لم يكتف بوصف أعمالهما
وانما وصف ايمانهما وتقاهما واخلاصهما لله عز وجل .

والامام علي رضي الله عنه - وهو المعصوم عند الشيعة - كان ينبغي عليه
أن يذكر الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس لا أن يمدحه ويكون سبباً في تضليل الأمة
وترويج الباطل !

والاحتمال الثاني الذي ذكره الشيعة في أن المقصود بالمدح توبيخ عثمان . .
هذا الاحتمال أضعف من سابقه .

اذ أن التوبيخ يحصل بدون هذه الكذبات فما الحاجة اليها ؟
ثم إن سيرة الشيخين ان كانت محمودة فقد ثبت فضلها وامامتها ، وان كانت
غير ذلك فالتوبيخ على عثمان بتركها لا ينبغي . (١)

وهكذا يستبين الحق ويظهر أن علياً رضي الله عنه لم يقصد بثنائه على الشيخين
التظاهر والتقية وانما كان يعرب عما في نفسه من حب لهما واعتراف بفضلهما ومنزلتهما .
وليس النص السابق هو الوحيد الذي ورد عند الشيعة في هذا المقام

بل ان هناك نصوصاً كثيرة أخرى تؤكد محبة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة :
- منها جوابه لعمر رضي الله عنه الذي استشاره في الذهاب مع جيش المسلمين
لقتال الفرس بنفسه فأشار عليه بعدم الذهاب وقال له :

(١) راجع : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص / ١٣٣ ، وقد اقتبست معظم

هذه الردود منه .

(ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ^(١) ، فان انقطع النظام تفرق وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً والعرب اليوم وان كانوا قليلاً فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطباً واستدر الرضى بالغرب ^(٢) ، وأصلهم د ونك نار الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها . . . إن الأعاجم إن ينظروا اليك غداً يقولوا هذا أصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم ^(٣))

وهذا النص صريح في إبراز المحبة المتبادلة بين عمر وعلي رضى الله عنهما ، وحرص كل منهما على ما فيه مصلحة الاسلام ونصرة المسلمين .

فقد أشار علي على عمر بعدم الخروج بنفسه للقتال لأن المسلمين اذا انقهرُوا كان عمر مرجعاً لهم وسنداً يقوي ظهورهم ، ولو خرج بنفسه للقتال فان الأعاجم يطمعون في قتله لأنه الرجل الذي اقض مضجعهم وسيّر الجيوش إليهم .

نساءل هنا فنقول : هل يُعد هذا النص من علي رضى الله عنه تقية وتظاهراً ؟ إن علياً لا يكتفى بنصح عمر فقط وانما يصفه بأنه القيم بالأمر وهذا اعتراف بخلافته ويخشى لو ذهب أن ينفرط عقد المسلمين ، ويأمره أن يكون قطباً للناس يجتمعون حوله ، ويبرز مكانته عند المسلمين وسطوته في قلوب الأعداء .
فهل هناك أكبر من هذا المدح والثناء ؟

— وكما استشار عمر علياً في الخروج الى قتال الفرس فقد استشاره أيضاً في الخروج الى غزو الروم بنفسه فأشار عليه بعدم الخروج حماية لحوزة الدين من تغلب الأعداء ^(٤) .

(١) القيم بالأمر هو القائم به ، وهو الخليفة . والنظام : السلك ينظم فيه الخرز .

(٢) قطباً : أى مرجعاً للعرب تؤول اليه وتدور عليه .

(٣) نهج البلاغة بشرح محمد عبده ، ص / ٣١٦ ، وراجع : شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١٩٤ / ٤ - ١٩٧ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

٢ / ٤٠٥ - ٤٠٧ .

(٤) راجع : نهج البلاغة بشرح محمد عبده ، ص / ٣٠٤ .

ولو كان علي يرى أنه أحق بالخلافة وأن عمراً قد اغتصبها واستبد بها لكان ذلك فرصة سانحة له أن يستعيد حقه بعد أن يخرج عمر لقتال الفرس أو الروم ، ولكنه أشار عليه بالبقاء ، إذ رآه لمنزلة بين المسلمين وأهمية وجوده ^{باعتباره} خليفة لهم . . . وهذا كله ينفي مزاعم الشيعة .

— وعلي رض الله عنه كان يحضر الجماعات مقتدياً خلف أبي بكر وعمر وعثمان ، وخلف غيرهم ، وكان يقصد بها وجه الله فقط ، ولم يكن يصلي الا تقريباً وتقوى وأداء . ولم يكن لمثله أن يتقى بعبادته أحداً غير الله ، وحملها على التقية طعن في دين علي أمير المؤمنين وفضله ^(١) . ولو كان يعلم أنهم كفار منافقون لما صلى خلفهم ، وكان من الواجب عليه أن يظهر كفرهم للناس ليبرئ ذمته أمام الله .

— ومن شدة محبة علي لـ أخوانه الخلفاء الثلاثة رض الله عنهم فقد سمي أولاده بأسمائهم كما أقرت بذلك كتب الشيعة فلقد كان له سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى ومن بينهم الحسن والحسين ومحمد وأبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم ^(٢) .

فهل أكرهه أحد على تسمية أولاده بذلك ؟

أم أن هذا يدل على عظيم محبته لأخوانه الخلفاء ، والمرء يختار لولده اسم من يحبه ليتذكره به .

— وهناك عشرات القضايا التي استشار فيها الخلفاء الثلاثة علياً رض الله عنهم أجمعين في بعض الأحكام كالقتل والزنى والارث والزواج وغير ذلك ، وقد كان الخلفاء الثلاثة في كثير من الأحيان يسارعون الى علي لاستشارته في بعض القضايا

(١) الشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جبار الله ص / ٢٩ .

(٢) راجع كتاب : الارشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣) ص / ١٨٦ ، وكتاب :

إعلام الورى بأعلام الهدى لأبي علي الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ص / ٢٠٣ ،

وكشف الغمة في معرفة الائمة لأبي الحسن علي بن عيسى الاربلى (ت ٦٩٣ هـ)

مما يرفع اليهم من الخصومات ^(١) ولم يكن رضى الله عنه يبخل بما آتاه الله من علم بل كان يشاركهم فى بيان أحكام هذه القضايا ويدلى برأيه فيها . وهذا كله اعتراف بخلافتهم ومشاركة منه فى أعيائها .

— ثم إن علياً رضى الله عنه تسرى بأمر محمد بن الحنفية ^(٢) التى جاءت من الخليفة أبي بكر الصديق رضى الله عنه مع أنه كان يستطيع أن يبيعها ولا يجبر على التسري بها ، فاذا كان لا يقبل حكمهم وخلافتهم فالتسري بها زنى ، فكيف يفعل علي رضى الله عنه ؟

— ثم لما تولى علي رضى الله عنه الخلافة لم يغير حكماً من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولا أبطل عهداً من عهودهم ، ولو كان ذلك عنده باطلاً لما كان فى سعة من أن يعضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه ^(٣) .

— كل ما سبق جعل أحد علماء الشيعة المعاصرين ^(٤) يقول :

(إن علياً بايع أباً بكر بعد ستة أشهر من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصلى خلفه ، وصلى خلف عمر وسدده فى كثير من شبهه وأخطائه ، حتى قال : لولا علي لهلك عمر ، وصلى خلف عثمان . .)

ثم قال متسائلاً : (وإذا كانوا مستحقين للسب واللعن ، فكيف يبايعهم علي ويصلى خلفهم ويسددهم ؟ هذه هى الحيرة ، وهذه هى الرزية)

(١) ذكر المفيد فى كتابه الارشاد أمثلة كثيرة لذلك استغرقت عدة صفحات من

كتابه . راجع ص / ١٠٧ - ١١٣ .

(٢) اسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، كما ذكر ذلك الطبرسي فى إعلام

الورى ص / ٢٠٣ .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٩٧ / ٤ .

(٤) هو محمد مهدي الخالصي (ت ١٣٤٤ هـ) أحد علماء النجف ، وقد ذكر كلامه هذا فى رسالة أرسلها الى العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار يدافع فيها عن عقائد الشيعة ، فألف الشيخ محمد بهجة البيطار كتابه (الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة) ردّاً عليه .

ثم أجاب بأن (علماء الشيعة المتبعين لأهل البيت ، الواقفين على السنة من طرقهم ، اختاروا التوقف في هذه المسألة ، وأنا من المتوقفين لا أمدح أبا بكر وعمر والصحابة وأخرج عن مدلول كتاب الله ، ولا أن مهم هيبة لهم واحتراما ، بل أسكت جينا وفرقا) (١) والعجب من هذا التناقض ، إذ كيف يجعل هذا الراضي هيبة الصحابة أعظم من كتاب الله ؟ وأية هو هذا الذي يزعم أنه كتاب الله وفيه ذم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟ ! إن هذا العالم الشيعي اتضح له الحق ، وعلم في قرارة نفسه أن المواقف الصادقة التي وقفها علي رضي الله عنه من الخلفاء الثلاثة تدل على محبته لهم واعترافه بفضلهم وخلافتهم .

لكنه خاف جيناً وفرقاً - كما يقول - من أن يعلن ما استقر في نفسه فاختار التوقف ايثاراً للسلامة ، وما أعظم جرم من يكتم الحق وهو يعلمه !

ثالثا : تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر رضي الله عنهم :

من أبرز مظاهر محبة علي لعمر رضي الله عنه أنه زوجه ابنته أم كلثوم لتزداد أواصر الأخوة بينهما ، كما أن عمراً رضي الله عنه حرص على هذا الزواج للتقرب من علي رضي الله عنه وليكون صهرراً لآل النبي صلى الله عليه وسلم . لكن الشيعة قلبوا ذلك المفهوم وجأؤوا بالتقية التي هي منفذهم في كل غلو ليفسروا بها هذا الزواج الطيب المبارك .

وأول ما يلفت الانظار رواية الكليني في تفسير هذا الزواج

فقد أورد بسنده (عن زرارة عن أبي عبد الله - ع - في تزويج أم كلثوم فقال : (إن ذلك فرج غضبناه)

وأورد رواية أخرى (عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله - ع - قال :

لما خطب اليه قال له أمير المؤمنين : انها صبيّة ، قال : فلقني العباس فقال له : ما لي أبي بأس ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : خطبت الى ابن أخيك فردّني ، أما

(١) الاسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ص / ١٢ - ١٣ .

(٢) الفروع من الكافي ٥ / ٣٤٦ .

والله لأعورنَّ زمزم ، ولا أدع لكم مكرمة الا هدمتها ولا أقمين عليه شاهدين بأنه سرق ولا قطعن يمينه. فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر اليه فجعله اليه (١)

— وعقد الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً في هذا بعنوان : (باب جواز مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية) أورد فيه رواية الكافي السابقة. كما أورد تزويج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتيه لعثمان رضى الله عنه تحت عنوان : (باب حكم تزويج المنافقة على المؤمنة وبالعكس ، وتزويج المنافق)

وذكر فيه رواية عن محمد بن قيس الأسدي :

(قال أبو جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج منافقين أبا العاص بن الربيع ، وسكت عن الآخر) (٢)

ويقصد بالآخر عثمان بن عفان رضى الله عنه .

— وهذا شيخهم المفيد يجيب على سؤال حول تزويج أمير المؤمنين بنته من عمر

ابن الخطاب وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم بنتيه زينب ورقية من عثمان ،

فيحاول أولاً انكار زواج أم كلثوم متعللاً باختلاف الروايات ثم يقول :

(إنه لو صح لكان له وجهان لا ينافيان مذهب الشيعة في ضلال المتقدمين على

أمير المؤمنين - ع - أحدهما : أن النكاح انما هو على ظاهر الاسلام الذى هو

الشهادتان والصلاة الى الكعبة

وأن الضرورة متى قادت الى مناكحة الضال مع اظهاره كلمة الاسلام زالت الكراهة

من ذلك . . وأمير المؤمنين كان محتاجاً الى التأليف وحقق الدماء . .

والثانى : أن مناكحة هذا الضال كجحد الامامة وادعائها لمن لا يستحقها حرام ،

الا أن يخاف الانسان على دينه ودمه فيجوز له ذلك كما يجوز له اظهار كلمة الكفر

المضادة لكلمة الايمان . . . وأمير المؤمنين كان مضطراً الى مناكحة الرجل لأنه

(٣)

يهدده ويواعده)

(١) المرجع السابق ٣٤٦ / ٥

(٢) وسائل الشيعة ٧ / ٤٣٣ - ٤٣٤

(٣) رسائل الشيخ المفيد ص / ٦٠ - ٦٢

أما زواج عثمان رضى الله عنه بابنتى الرسول صلى الله عليه وسلم فيدعي هذا الشيعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم زوج عثمان على ظاهر الاسلام ثم انه تغير بعد ذلك ، أو أن الله أباح له مناكحة من باطنه النفاق وجعل ذلك خصوصية له كما خصه بأن يجمع بين أكثر من أربع حرائر فى النكاح (١) .

— بعد المفيد نجد الطبرسى يؤكد هذه الغربة فيقول :

(وأما أم كلثوم فهى التى تزوجها عمر بن الخطاب . وقال أصحابنا : انه عليه السلام انما زوجها منه بعد مدافعة كثيرة وامتناع شديد واعتلال عليه بشيء بعد شيء حتى الجأته الضرورة الى أن رد أمرها الى العباس بن عبد المطلب فزوجها اياه) (٢)

— ثم يأتى نعمة الله الجزائرى ليزيد فى صياغة الافتراءات حول هذا الموضوع وليظهر منه الحقد الشديد على الخليفة الراشد وأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

حيث يقول (الاشكال فى تزويج علي - ع - أم كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه لأنه قد ظهرت منه المناكير ، وارتد عن الدين ارتداداً أعظم من كل من ارتد) (٣) ويجيب عن ذلك بوجهين :

(أحدهما : أنه قد استفاض عن الصادق لما سئل عن هذه المناكحة فقال انه أول فرج غصناه وأن الخلافة كانت أعز على أمير المؤمنين من الأولاد والبنات . . فاذا قبلنا منه العذر فى تركها كان معذوراً فى ذلك أيضاً . والتقية باب فتحه الله سبحانه للعباد وأمرهم بارتكابه وألزمهم به كما أوجب عليهم الصلاة والصيام حتى أنه ورد عن الأئمة الطاهرين - ع - لا دين لمن لا تقية له .

الثانى : وهو الوجه الخاصي . . أن علياً لما رأى تهديد عمر وإلحاح العباس أرسل إلى جنية من أهل نجران يهودية يقال لها سحيقة بنت حريّة فأمرها فتمثلت فى مثال أم كلثوم وحجبت الأبصار عن أم كلثوم بها ، ومعت بها الى الرجل فلم تنزل عنده

(١) المرجع السابق ص / ٦٣

(٢) اعلام الورى بأعلام الهدى لأبى علي الطبرسى ص / ٢٠٤

(٣) الأنوار النعمانية ١ / ٨١

حتى انه استتراب بها يوماً . . ثم أراد أن يظهر للناس فُقتل ، فأخذت الميراث وانصرفت الى نجران ، وأظهر أمير المؤمنين - ع - أم كلثوم . أقول : وعلى هذا فحديث : أول فرج غضبناه ، محمول على التقية والاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفى (١)

— ونسأل الآن :

هل يظن الشيعة أنهم بكل هذه الافتراءات والأكاذيب يستطيعون أن يغيّروا من الحقائق شيئاً ؟

وهل هناك أكبر من هذا الطعن والافتراء والاهانة للامام علي رضي الله عنه حتى يصفوه وقد سلّم ابنته ذليلة لعدوه اتقاءً شره وخوفاً من بطشه ؟ وأين شجاعته وشكيمته وسيفه الذي لا يُغلب وقوله الذي نسبوه اليه بأنه الجبل الذي لا تحركه القواصف ولا تنزله العواصف . (٢)

ولنستمع الى المناقشة التي دارت بين الشيخ عبد الله السويدي (٣) وعلماء الشيعة في عهد السلطان نادر شاه في سنة / ١١٥٦ هـ ، في المؤتمر المسمى بمؤتمر النجف : فقد سأل الشيخ السويدي أحدهم : كيف حكم الصحابة عند الشيعة ؟ فقال : ارتدوا الا خمسة : علياً والمقداد وأبا ذر وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر . حيث لم يبايعوا علياً على الخلافة . فقال الشيخ : إن كان الأمر كذلك ، فكيف زوّج علي بنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ؟ فقال : إنه مكره .

فقال الشيخ : والله انكم اعتقدتم في علي منقصة لا يرضى بها أدنى العرب ، فضلاً

(١) المرجع السابق ٨٢ / ١ - ٨٤

(٢) ورد هذا الكلام منسوباً للامام علي في نهج البلاغة ص / ١٤٢ ، وقد سبق

ذكر بعض أوصاف الشجاعة التي يصف بها الشيعة علياً رضي الله عنه في بداية

هذا البحث . راجع ص / ٢٥٥

(٣) هو أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي السويدي .

ولد سنة ١٠٤١ هـ في كرخ بغداد ، وتوفي والده وهو طفل فكفله عمه لأمه (الشيخ

أحمد سويد) وتعلم واشتهر ، ورحل الى بلاد الشام والحجاز وعاد الى بغداد

فتوفي فيها سنة ١١٧٤ هـ . (راجع : المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني

عشر والثالث عشر للألوسي ص / ١٢٥ - ١٣١ الأعلام للزركلي ٨٠ / ٤)

عن بني هاشم الذين هم سادات العرب . . وأعظمها مروءة وحمية ، وان أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه ، ويقتل دون حرمه ، ولا تعز نفسه على حرمه وأهله ، فكيف تثبتون لعلي - وهو الشجاع الصنديد ، ليث بني غالب ، أسد الله في العشارق والمغارب - مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب ؟ بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل .

قال : يحتمل أن تكون زفت لعمر جنيةً تصورت بصورة أم كلثوم !

قال الشيخ : هذا أشنع من الأول ، فكيف يعقل مثل هذا ؟!

ولو فتحنا هذا الباب ، لانسدت جميع أبواب الشريعة حتى لو أن الرجل جاء الى زوجته لا حتمل أن تقول : أنت جنى تصورت بصورة زوجي ، فتمنعه من الاتيان اليها فان أتى بشاهدين عدلين على أنه فلان ، لا حتمل أن يقال فيهما انهما جنيان . . وهلم جرا . . بل ويحتمل أن يكون جعفر الصادق - الذي تزعمون أن عباد تكلم موافقة لمذهبه - جنيا تصورا بصورته ، وألقى اليكم هذه الأحكام (١) وهكذا يظهر بطلان افتراءات الرافضة ، وشناعة أقوالهم ، ولقد كان من المفروض أن يترك هؤلاء الحقائق تنطق بنفسها ، وتظهر محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لعثمان ذي النورين حتى زوجه ابنتيه ، ومحبة علي رضي الله عنه لعمر الفاروق حتى زوجه ابنته .

ولكنهم يأبون ذلك ، وقد امتلأت قلوبهم بالغل على هؤلاء الصحابة الكرام فحاولوا تلمس الميررات الوهمية لزواج عثمان وهم أول من يعلم بطلانها ان كيف يختار الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته زوجاً منافقاً ليكون شريك حياتها ومصدر سعادتها ثم يزوجه بعد موتها ابنته الأخرى ؟

وهل يعقل أن يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم يجعلون هذا

العمل السيء خصوصية له تميز بها عن غيره ! سبحانك يارب هذا بهتان عظيم !

(١) مؤثر النجف للسويدي ص / ٨٦ - ٨٧ ، ملحق بكتاب الخطوط العريضة

— أما زواج أم كلثوم فالتلفيق فيه أضعف ، ولعل أطرف شيء قصة الجنية التي

تعاون معها علي رضي الله عنه وهي يهودية كافرة لتتشبه بابنته الصالحة وتكون

زوجة لعمر بن الخطاب !! ومن الذي أخبرهم بذلك ؟

— ثم ان هذا الزواج ليس هو الوحيد في تاريخ أهل بيت النبوة ، بل ان

عشرات مثله حصلت ، وكلها شاهدة على إبطال مزاعم الشيعة ورد افتراءاتهم .

ولنذكر باختصار أبرز حالات الزواج لهذه الأسرة الكريمة لنرى منها عظيم محبتهم

للخلفاء الراشدين وحرصهم على التسمية بأسمائهم وعظيم تقديرهم لمن تدعى الشيعة

أنهم أعداؤهم ، فلقد ذكرنا أن عليا رضي الله عنه سمي بعض أبناءه بأسماء الخلفاء

أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ونضيف هنا أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

سمي أحد ابنيه باسم (أبي بكر) وسمى ابنا آخر له باسم (معاوية) ، ومعاوية

هذا سمي أحد بنيه باسم (يزيد) .

والحسن السبط بن علي رضي الله عنهما سمي أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم

(عمر) وثالثا باسم (طلحة) .

وزين العابدين علي بن الحسين سمي أحد أولاده باسم (عمر)

وسكينة بنت الحسين السبط كانت زوجاً لزيد بن عمر بن عثمان بن عفان

واختها فاطمة بنت الحسين كانت زوجاً لعبد الله الأكبر بن عمرو بن عثمان بن عفان ،

وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كانت زوجة لأمير المؤمنين عبد الملك

ابن مروان ، وأم كلثوم بنت جعفر كانت زوجة للحجاج بن يوسف ، وتزوجها بعد ذلك

أبان بن عثمان بن عفان .

والسيدة نفيسة بنت حسن بن زيد بن الحسن السبط كانت زوجة لأمير المؤمنين

(١)

الوليد بن عبد الملك ، الى غير ذلك مما يضيق المجال عن حصره .

(١) راجع رسالة : حملة رسالة الاسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة

والتعاون - لمحِب الدين الخطيب ملحقه بكتاب مختصر التحفة الاثنى عشرية

ص / ٣٠٩ - ٣١٠ ، وقد ذكر زين الدين العاطلي الذي يلقبه الشيعة =

فهل كانت حالات الزواج السابقة تقية ومدارة أم أنها كانت بنساء من الجان تشبهن بنساء من آل البيت كما ادعى الجزائري في أم كلثوم ؟
 أليست كل الأمثلة السابقة دليلاً وافياً على عظيم المحبة المتبادلة بين هؤلاء الأقارب المتلاحمين المتراحمين الذين يتخيرون مثل هذه الأمهات لأنسالهم ، ومثل هذه الأسماء لفلذات أكبادهم ؟ وهل يبقى بعد ذلك شك في بطلان افتراءات الشيعة ، وتهافت تقيتهم المزعومة التي هي منفذ كل غلو وانحراف عندهم .
 ورحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث يقول معلقاً على هذا الغلو عند الشيعة :

(بنوا على هذه التقية المشعومة كتم علي نص خلافته ومبايعة الخلفاء الثلاثة ، وعدم تخليصه حق فاطمة رضي الله عنها من ارشها على زعمهم ، وعدم التعرض لعمر حين اغتصب بنته من فاطمة وغير ذلك ، قالوا : فعل ذلك تقية ، قبحهم الله ، وقد وردت نصوص كثيرة عن علي وأهل بيته دالة على براءتهم عنها ، وانما افتراها عليهم
 (١)
 الرافضة لترويج مذهبهم الباطل)

= بالشهيد الثاني في كتابه (مسالك الأفهام) الجزء الأول - كتاب النكاح ، ذكر كثيراً من حالات الزواج التي ذكرها محب الدين وأشارنا إليها هنا
 راجع : الشيعة والسنة لظهير ص / ١٩٥ .
 (١) رسالة في الرد على الرافضة لابن عبد الوهاب ص / ٢١ .

المبحث الثالث

تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه

استشهد علي رضي الله عنه وتولى بعده الخلافة ابنه الحسن رضي الله عنه بجباية أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً^(١) ثم صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة وحقت بذلك دماء المسلمين. ويروي البخاري قصة هذا الصلح عن الامام الحسن البصري قال :

(استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو ابن العاص : إني لأرى كتائب لا تؤلى حتى تقتل أقرانها . فقال له معاوية : أي عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأموال الناس ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم . فبعث اليه رجلين من قريش . فقال : اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالاه فطلبنا اليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائنا .

قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب اليك ، ويسألك .

قال : فمن لي بهذا ؟

قالا : نحن لك به . فما سألهما شيئا الا قالا : نحن لك به . فصالحه .

فقال الحسن (البصري) : ولقد سمعت أبا بكر يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : ان ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٢)

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص / ٢٠٨

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصلح ، ١١٤ / ٢ ، وأورد البخاري في فضائل

الحسن ٣٠٦ / ٢ حديث (ان ابني هذا سيد . . .) .

وهكذا تحققت بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمع المسلمون بعد الفارقة
 وكان ذلك في ربيع الأول^{سنة} / احدى وأربعين، وسي ذلك العام (عام الجماعة)^(١)
 وكتب الحسن الى معاوية بكتاب الصلح ، ونصر له فيه بأنه سلم اليه ولاية المسلمين
 على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة
 الخلفاء الراشدين .^(٢)

كما خطب الناس ليعلمهم أنه قد بايع معاوية وسلم اليه الأمر حقناً لدماء المسلمين^(٣) .
 ولا شك أن هذا العمل الذي قام به الحسن رضى الله عنه يعد من أفضل الأعمال
 ولذلك استحق بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (ان ابني هذا سيد ، ولعل
 الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . قال الامام ابن تيمية رحمه الله :
 (هذا يبين أن الاصلاح بين الطائفتين كان مدوحاً يحبه الله ورسوله ، وأن ما
 فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي اثني بها عليه النبي صلى الله
 عليه وسلم ، ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يشن النبي صلى الله عليه وسلم بترك
 واجب أو مستحب)^(٤)

وهكذا نزل الحسن باختياره ورضاه عن الخلافة مع كثرة أتباعه وأعدائه^(٥) ، ومع
 غلبة الظن بأنه لو حارب معاوية لغلبه ، فلم يكن لنزوله سبب الا خشيته رضى الله عنه
 على دماء المسلمين فقد علم أن الفئتين متكافئتان فلا يقع ظفر واحدة الا بعد فناء
 معظم الأخرى ، والترك لأجل ذلك من أعظم مناقبه رضى الله عنه ، ولذلك أثنى
 عليه جده صلى الله عليه وسلم على المنبر على رؤوس الأشهاد إعلماً لهم بما سيقع

- (١) راجع : تعليق محب الدين الخطيب على العواصم لابن العربي ص / ٢٠٨
 وراجع : تفصيل حادث الصلح في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ٨ - ١٩
 (٢) (٣) راجع نص كتاب الصلح ونص خطبة الحق في : الصواعق المحرقة لابن حجر
 ص / ٢٠٩ .
 (٤) منهاج السنة ٢ / ٢٤٢ .
 (٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١٤ / ٨ أنه كان تحت يد الحسن أربعون
 ألف مقاتل قد بايعوا على الموت .

منه لئلا يظن الجاهل أن الحامل له على ذلك الصلح جبن أو نحوه. (١)

فماذا يقول الشيعة في ذلك ؟

لقد ثارت ثائرة بعض المستترين بالتشيع وموالاة أهل البيت في جيش الحسن -
رضي الله عنه ونقموا عليه (وقالوا له : مسؤد وجوه المؤمنين ، وفسقت جماعة من
الرافضة وكفرته طائفة لأجل ذلك) (٢)

(كما أن بعضهم قال له : يا عار المؤمنين . فكان يقول : العار خير من النار ،
وقال له رجل : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : لست بمذل المؤمنين ،
ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك) (٣)

ويذكر سعد بن عبد الله القمي (ت ٣٠١ هـ) - وهو من أبرز علماء الشيعة
في الفرق - (أنه لما وادع الحسن بن علي معاوية وأخذ منه المال الذي بعث به
إليه على الصلح أزروا أي بعض الشيعة على الحسن وطعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن
إمامته وشكوا فيها ، ودخلوا في مقالة الجمهور ، وبقي سائرهم على القول بامامته) (٤)
ويحدثنا عن بعض الأيادي الخفية التي أغاظها هذا الصلح وأقض مضجعها حتى
قام أحد هؤلاء بمحاولة قتل الحسن وإثارة الفتنة من جديد .

فيقول (لما انتهى - أي الحسن رضي الله عنه - إلى مظلم سابط ، وشب عليه
رجل من بني أسد ، يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ، ثم قال :

(١) راجع : تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية
ابن أبي سفيان - للإمام ابن حجر الهيتمي ص / ٢١ ، ملحق بكتاب
الصواعق المحرقة للمؤلف نفسه .

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ص / ٢٠٥ .

(٣) الصواعق المحرقة ص / ٢١٠ - ٢١١ .

(٤) المقالات والفرق للقمي ص / ٢٣ - ٢٤ - تحقيق د . محمد جواد مشكور -

طبع إيران ١٩٦٣م - وراجع : فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي
ص / ٢٤ - طبع لبنان - ١٤٠٤ هـ ، وذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل
الطالبيين أن الحسن رضي الله عنه مات سميماً ، وكان ذلك سنة ٥٠ هـ =

الله اكبر ، أشركت كما أشرك أبوك من قبل قطعنه بمغول في أصل فخذ ه فقطع الفخذ الى العظم ، واعتنقه الحسن فخراً جميعاً ، واجتمع الناس على الجراح فوطأوه حتى قتلوه ، ثم حملوا الحسن على سرير قد أثخنه الجراحة فاتوا به المدائن ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته سقيماً في جسمه كائناً لفيظ— متجرعاً لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي رحمه الله عليه (١)

— ولما قتل الحسين رضى الله عنه ثارت قضية صلح الحسن لمعاوية من جديد (كما يذكر القمي والنوختي) حيث قالت فرقة من أصحاب الحسين : (قد اختلف فعل الحسن وفعل الحسين ، لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من مواد عته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربتة مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم ، فما فعله الحسين من محاربتة يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم ، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب ، لأن الحسين كان أعذر فى القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربة معاوية ، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد ابن معاوية حتى قُتل وقُتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ، فشكوا لذلك إمامتهما ورجعوا فدخلوا فـ (٢)
مقالة العوام)

— وبما أن الاساس فى عقيدة الشيعة نسبة العصمة لأئمتهم وأن أفعالهم لا توصف بالخطأ أبداً ولا يحصل بينها اختلاف لذلك كان لا بد من تفسير يوجد ونه لهذا البون الشاسع فى المنهج بين الحسن والحسين مع أنهما إمامان معصومان عند هـم .

= وعمره ست وأربعون أو ثمان وأربعون سنة . (راجع ص / ٤٨ - ٥٠)

(١) المقالات والفرق ص / ٢٣ - ٢٤

(٢) المقالات والفرق للقمي ص / ٢٥ ، وفرق الشيعة للنوختي ص / ٢٥ - ٢٦ .

ولذلك سارع الشيعة الى تطبيق مبدأ التقية لتفسير هذا التناقض فقالوا ان الحسن صالح معاوية تقية وانه خالط مخالفيه وأخفى عداوته لهم خوفاً على نفسه وعلى شيعته . ويرى بعض الباحثين أن مبدأ التقية بدأ في الظهور إحدى العقائد الشيعية بعد تنازل الحسن عن الخلافة لانهم وجدوه أنسب حل للاشكال القائم عن عصمة الحسن من ناحية والنص الالهي على امامته من ناحية أخرى . (١)

وجاءوا بما يصبغ فعل الحسن بالصيغة الشرعية عندهم فزعموا أن أباه علياً رضي الله عنه أوصى بذلك فقال : (صن دينك وعلما الذي أود عناك ، ولا تُبد علونا لمن يقابلها بالعناد ، واستعمل التقية في دينك . . . وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف اليه ، وفي اظهار البراءة ان حطك الوجمل عليه . . . واياك ثم اياك ان تترك التقية التي أمرتك بها ، فانك شائط بدمك ودماء اخوانك ، معرض نعمتك ونعمتهم للزوال ، مذلٌ لهم في أيدي أعداء الله .

وقد أمرك الله باعزازهم ، فانك ان خالفت وصيتي كان ضررك على اخوانك ونفسك أشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا) (٢)

وهكذا أصبحت التقية بعد تنازل الحسن ضمن العقائد الشيعية وفسروا على أساسها عمل الحسن هذا .

ولنستعرض بعض نصوص علمائهم لتأكيد استخدا مهم لمبدأ التقية في تفسير تنازل الحسن عن الخلافة .

— فيها هو الطبرسي يذكر عند تفسير قوله تعالى : (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) (٣)

(الاستدلال على تحريم الاقدام على ما يُخاف منه على النفس . . . وعلى جواز الصلح

(١) راجع : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية للدكتور أحمد محمد صبحي

ص / ٣٢٦ .

(٢) مستدرک نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء * ص / ١٣١ .

(٣) سورة البقرة / آية ١٩٥ .

مع الكفار والبغاة اذا خاف الامام على نفسه أو على المسلمين ، كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، وفعله أمير المؤمنين بصفين ، وفعله الحسن مع معاوية من المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته (١) .

والتأمل لكلام الطبرسي يلاحظ أنه جعل السبب في صلح الحديبية ، وقبول علي بالتحكيم ، وصلاح الحسن لمعاوية . هو الخوف على النفس والأتباع .

فالرسول صلى الله عليه وسلم خاف على نفسه وأتباعه فسارع الى مصالحة المشركين ، وعلي فعل ذلك في صفين خوفاً على نفسه وشيعته وكذلك الحسن لما صالح معاوية ولا يخفى ما في هذا الا دعاء من مخالطة ظاهرة وخاصة في وصف صلح الحديبية بأنه تم بسبب الخوف ، وقد سماه الله فتحاً مبيناً (٢) .

والذي يهمنا هنا تفسير الطبرسي لصلح الحسن مع معاوية بأنه كان بسبب الخوف ولم يكن عن قناعة ورضى .

وحتى يقطع الطبرسي باب التساؤل بأن الحسين كان أولى بالخوف من أخيه فلماذا قاتل ؟ أجاب (بأن فعله يحتمل وجهين :
أحد هما : أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله .

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢ / ١٤٨ .

(٢) حيث نزل قوله تعالى : (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وقد رجح ابن كثير وغيره أنها نزلت في صلح الحديبية لما ترتب عليه من الآثار العظيمة من بيععة الرضوان ، ومن دخول كثير في الاسلام ، ونقل عن جابر أنه قال :
ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية (تفسير ابن كثير ٤ / ١٨٢) .
فكيف يدعى الطبرسي أن هذا الصلح كان بسبب خوف الرسول على نفسه وأتباعه مع أنه كان إعزازاً لهذا الدين وتمكيناً لجانبه ؟ ثم إن المشركين هم الذين أرسلوا يطلبون الصلح عند ما علموا بأن الرسول قد م اليهم يريد العمرة في جماعة من أصحابه . فكيف يكون الرسول صلى الله عليه وسلم خائفاً منهم وهو الذي قد م اليهم ؟

راجع تفصيل صلح الحديبية في سيرة ابن هشام ٢ / ٢٠٨ ، وتفسير ابن كثير

٤ / ١٨٢ - ١٨٩ وغيرهما .

والآخر : أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتلهم الطعون ابن زياد صبراً كما فعل بابن عمه مسلم ، فكان القتل مع فز النفس والجهاد أهون عليه ^(١) والتناقض واضح بين هذين الاحتمالين ان كيف يظن الحسين أنهم لن يقتلوه ويظن أيضاً أنه لو ترك قتالهم سيقتلوه ؟

وكل هذه المحاولات التي يبذلها الطبرسي سببها محاولة إزالة الاختلاف بين ما فعله الحسن وما فعله الحسين انطلاقاً من مبدأ أنهما معصومان لا يختلفان . ولو ترك الأمر على حقيقته لعلم أن كلا منهما قد اجتهد وبذل جهده في تحقيق ما يراه أنه أقرب لرضى الله وان كلا منهما له الأجر العظيم .

— ولنتنقل بعد الطبرسي الى ابن بابويه القمي لنجده يحاول إنكاربيعة الحسن لمعاوية وأن ما تم هو هذنة فقط ^(٢) وهذه الدعوى تردّها النصوص التاريخية التي تثبت وجود هذه البيعة وأن الحسن لم يهادن معاوية وإنما تنازل له عن الخلافة وكتب له كتاباً بذلك وضّمه شروطاً أبرزها أنه سلّم له ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء. وقد استعرضنا ذلك في بدايعة حد يثنا عن هذا الموضوع .

ومع هذا الانكار من القمي نجده ينقل لنا روايات تؤكد عكس ما يدّعي من بينها : ما رواه عن سدير قال : (قال أبو جعفر - ع - إن العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند علي - ع - من عرفه كان مؤمناً ومن جحدّه كان كافراً ، ثم كان من بعده الحسن - ع - قلت : كيف يكون بذلك المنزلة وقد كان منه ما كان دفعها الى معاوية ؟

فقال : اسكت فانه أعلم بما صنع ، لولا ما صنع لكان أمر عظيم ^(٣)

ويلاحظ على هذه الرواية أمران :

-
- (١) مجمع البيان للطبرسي ١٤٨ / ٢ .
 - (٢) علل الشرائع للصدوق القمي ص / ٢١٢ .
 - (٣) المرجع السابق ص / ٢١٠ - ٢١١ .

الأول : قوله (وقد دفعها الى معاوية)، يقصد بذلك الخلافة . فهذا تصريح بأن الذى فعله الحسن ليس هدنة وانما تنازل عن الخلافة لمعاوية وهكذا تُرد دعوى القى من خلال روايته التى ينقلها (١) .

الثانى : قوله (لولا ما صنع لكان أمر عظيم)، وهذا يعني أن الحسن تنازل عن الخلافة خوفاً وجزعاً من بطش معاوية به وأتباعه وأنه بايع تقيّة .

وهذا ما سبق لنا مناقشته وما ثبت تهافته من خلال الروايات التاريخية .
والواقع أن الشيعة لم يتمكنوا من التوفيق بين ما فعله الحسن وما فعله أخوه الحسين رضى الله عنهما رغم استخدامهم لمبدأ التقيّة فى حل هذا الاشكال .

وبقى التساؤل يطرح نفسه :

إذا كان كلاهما إماماً معصوماً فكيف اختلفت أفعالهما وتناقضت ؟
بل كيف أقدم الحسن على الصلح مع ما لديه من قوة ، ورفع الحسين السيف وقاتل وليس معه قوة تذكر ؟

ثم إن الحسن رضى الله عنه لو كان إماماً منصوباً عليه - كما يزعم الشيعة - لما كان فى سعة من أن يسلمها لمعاوية فيعيّنه على الضلال وعلى إبطال الحق وهدم الدين ، فيكون شريكه فى كل مظلمة ويبطل عهد الرسول (٢) صلى الله عليه وسلم .
وهكذا نعلم أن الحسن رضى الله عنه لما سلم الخلافة لمعاوية لم يكن خائفاً جزعاً وانما كان فى منعه وقوة ومعه أكثر من أربعين ألف ولكنه كان حريصاً على اجتماع كلمة المسلمين وعصمة دماءهم ، ولو كان الشيعة متبعين للحسن رضى الله عنه حق الاتباع لدخلوا فى تلك البيعة كما دخل إمامهم .

(١) وما يرد دعوى القى كذلك ، ما رواه الطبرسي فى كتابه الاحتجاج ٢ / ٢٨٤

نقلا عن توقيعات إمامهم الغائب أنه سئل عن علة غيبته فأجاب :

(إنه لم يكن أحد من أبائى الا وقد وقعت فى عنقه بيعة لطاغية زمانة ، وإنسى

أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت فى عنقي) فالطبرسي يعترف

وهو يذكر هذا الكلام أن جميع الاثمة بايعوا ، ومن جملتهم الحسن رضى الله عنه .

(٢) الفصل فى الطل والأهواء والنحل ٤ / ١٠٥ .

المبحث الرابع

ادعاءوهم غيبة الإمام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية

بالرغم من أن هذه الغيبة ليست حدثاً تاريخياً وإنما هو وهمٌ اعتقد به الشيعة إلا أننا نذكره باعتباره حدثاً تاريخياً عندهم فسروه بالتقية ، فقد توفي الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر عندهم - في سنة ٢٦٠ هـ وليس له ولد يخلفه فادعى بعض الغلاة أن للحسن العسكري ابناً ولد قبل وفاته بخمس سنين وأنه مختبئ في سرداب بيته في سامراء ، وانتشرت هذه الدعوى بين الشيعة حتى أصبحت عقيدة ثابتة عندهم وبدأ بعض هؤلاء الغلاة يزعمون أنهم وسطاء بين الإمام وشيعته . (١)

ولقد قسم الشيعة هذه الغيبة الى قسمين : (٢)

— غيبة صغرى : زعموا أن الإمام كان يظهر فيها لخواص أتباعه

وتتمت هذه الغيبة من وقت ولادته الى انقطاع السفارة بينه وبين الشيعة سنة

٣٢٩ هـ .

— غيبة كبرى : تبدأ بعد الأولى وتمتد الى وقت ظهوره

وقالوا إن هذا الإمام الغائب سيظهر ثانية ، وهو المهدي الذي ذكرته كتب

السنة وأنه سيملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ويطلقون عليه ألقاباً كثيرة منها

إمام الزمان والقائم والمهدي المنتظر والإمام الغائب، ويفسر الشيعة سبب هذه الغيبة

بالتقية ويقولون إن الإمام استتر خوفاً على نفسه من الظالمين . (٣) ولهم في ذلك

(١) راجع : تعليق الشيخ محب الدين الخطيب على كتاب العنتقي من منهاج

الاعتدال للذهبي ص/ ٩٧ . وقد ذكر علماء الشيعة أن هذا المهدي

الغائب ولد في شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سامراء بدار أبيه وبعضهم قال

أنه ولد في رمضان ٢٥٨ هـ

راجع: الارشاد للمفيد ص/ ٣٤٦ - كشف الغمة في معرفة الأئمة للأرنؤلى ٢/ ٤٣٧

(٢) الارشاد ص/ ٣٤٦ - عقائد الامامية للزنجاني ص/ ٢٤٢ .

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة لابن بابويه القمي - ص/ ١٠٩ -

تقديم محمد مهدي الموسوي الخرساني - طبع النجف - ١٣٨٩ هـ .

روايات كثيرة ينسبونها لأئمتهم . أبرزها :

ما رواه ابن بابويه بسنده عن زرارة قال : (قال أبو عبد الله - ع - :
يا زرارة لابد للقاء من غيبة . قلت : ولم ؟ قال : يخاف على نفسه ، وأوى بيده
على بطنه) وفي رواية قال : (قلت ولم ؟ قال : يخاف على نفسه الذبح)
- ويذكر أبو علي الطبرسي ذلك السبب بتفصيل فيقول :

(الوجه في غيبته هو خوفه على نفسه ، ومن خاف على نفسه احتاج الى الاستتار . .
وانما يجب عليه الظهور وإن أدى الى قتله كما ظهر كثير من الأنبياء وإن قتلوا ،
لأن هناك كان في المعلوم أن غير ذلك النبي يقوم مقامه في تحمل أعباء النبوة ،
أو أن المصالح التي كان يؤديها ذلك النبي قد تغيرت ، وليس كذلك حال إمام
الزمان فإن الله تعالى قد علم أنه ليس بعده من يقوم مقامه في باب الإمامة والشرعية
على ما كانت عليه . . فلا يجوز ظهوره إذا أدى الى قتله ، وانما كان آباءه ظاهرين
بين الناس يفتونهم ويعاشرهم ولم يظهر هو لأن خوفه أكثر ، فان الأئمة الماضين
من آباءه أخبروا بأن الامام صاحب السيف هو الثاني عشر منهم وأنه الذي يملأ
الارض عدلاً ، وشاع ذلك القول منهم حتى ظهر ذلك القول بين أعدائهم ، فكانت
السلطين الظلمة يتوقعون عن قتل آباءه لعلمهم بأنهم لا يخرجون بالسيف ويتشوقون
إلى حصول الثاني عشر ليقتلوه ويبيدوه) (٢)

ثم قال :

(فان قالوا : اذا كانت العلة في غيبة الامام خوفه من الظالمين من أعدائه والمخالفين
فهذه العلة منفية عن أوليائه فيجب أن يكون ظاهراً لهم . . .)
الجواب : قد أجاب أصحابنا عن هذا السؤال بأجوبة :
أحدهما : أن الامام ليس في تقية من أوليائه ، وان غاب عنهم كغيبته من أعدائه
لخوفه من ايقاعهم الضرر به ، وعلمه بأنه لو ظهر لهم لسفكوا دمه .

(١) المرجع السابق ص / ٤٤٩

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ص / ٤٣٧

وغيبته عن أوليائه لغير هذه العلة وهو أنه أشفق من إشاعتهم خبره والتحدث منهم كذلك على وجه التشريف بذكره والا احتجاج بوجوده فيؤدي ذلك إلى علم أعدائه بمكانه فيعقب عليهم بذلك ما ذكرناه من وقوع الضرر به .

وثانيها : أن غيبته عن أعدائه للتقية منهم ، وغيبته عن أوليائه للتقية عليهم ، والا شفاق من إيقاع الضرر بهم إذ لو ظهر للقائمين بامامته وشاهدته بعض أعدائه وأذاع خبره طولب أوليائه به ، فإذا فات الطلب بالاستتار أعقب ذلك عظيم المكروه والضرر بأوليائه (١) .

ونرد على هذه الدعوى من خلال النقاط التالية :

١ - تذكر روايات الشيعة أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون الا باختيار منهم (٢) وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء (٣) ، فمن كانت هذه صفته لماذا يخاف من الموت ؟ ولماذا يختفي حتى ينجو من القتل ؟

ان كل محاولة لقتله لن تفلح لأنه يكشف أمرها قبل أن تقع مادام لا يخفى عليه شيء وبماكانه أن يري بنفسه في المهالك ويبرز لمخالفيه مادام موته باختياره ! ولماذا يفر من تحمل المشاق في سبيل الله ومكابدة الأهوال وهو في هذه المنزلة العظيمة ؟

٢ - الامام الثاني عشر هذا مادام يعلم أنه سيعيش إلى نزول عيسى ولا يقدر أحد على قتله وأنه سيطك الأرض بحذافيرها ، فلماذا يخاف من القتل ويختفي في سرداب (٤) ؟

(١) المرجع السابق ص / ٤٣٩ - ٤٤٠

(٢) الأصول من الكافي ١ / ٢٥٨

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٠

(٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص / ١١٨ .

٣ - لو فرضنا أن هذا الغائب اختفى خوفاً من أعدائه فما ذنب شيعته حتى يُحرموا منه ؟

إن تحليل الطبرسي الذي سبق ذكره يزيد الأمر غموضاً
إن كيف يُعقل أن لا يثق هذا الغائب بأحد من خواص شيعته طيلة أكثر من
ألف عام فيظهر له ويتحدث إليه ؟

٤ - وإذا كان هذا الغائب قد اختفى خوفاً من الايقاع به في زمن ضعف الشيعة
فلماذا لم يظهر عند ما قامت للشيعة دول عديدة ^(١) وانتفى الظلم المزعوم عن
الشيعة وأئمتهم ؟ فكان بإمكانه أن يأوي الى إحدى هذه الدول الشيعية
ويعود الى الظهور بعد أن زال سبب الاختفاء .

٥ - وما الفائدة من بقاءه مختفياً لا يُنتفع به في دين ولا علم ولا دنيا ^(٢) ؟ ولو خرج
لكشف الغمة وأصلح حال الأمة ، فهو على تقدير وجوده كالمعدوم لا يستفاد منه .

(١) راجع العرض المختصر لتاريخ أبرز تلك الدول الشيعية ص / ٣١٧ من هذا
البحث .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص / ١٧٤ .

الفصل السادس

الآثار السيئة للتقية عند الشيعة وفيه مبحثان :

المبحث الاول : الآثار العامة للتقية عند الشيعة

- ١ - التقيه الشيعيه منفذ للغلو .
- ٢ - التقيه الشيعيه باب من أبواب الكذب .
- ٣ - التقيه الشيعيه طريق للخنوع .
- ٤ - التقيه الشيعيه دعوة للميكافيلية .

المبحث الثاني : أثر التقيه الشيعيه على دعوى التقارب بين أهل السنة والشيعة .

الحواجز في وجه التقريب

- ١ - العقائد المكفره
- ٢ - الادعاء بأن جميع مخالفينهم كفار
- ٣ - التقيه

أبرز محاولات التقريب

نماذج من استخدام التقيه عند دعاة التقريب من علماء الشيعة المعاصرين

المبحث الأول

الآثار العامة للتقية عند الشيعة

فى ختام حديثنا عن التقية عند الشيعة الامامية ، وبعد أن استعرضنا رواياتهم فى أهمية التقية ووجوبها ، ومجالات استخدامها لها ، وأحكامها عند علماءهم ، وبعد أن رأينا عدم تخلق علماءهم المعاصرين عنها بل زيادة تمسكهم بها . . . نلخص فى هذه الصفحات أبرز النتائج التى توصلنا اليها فى ابراز التقية الشيعية على حقيقتها خالية من التزييف وسعرة عن أثواب الخداع الذى يحرض علماء الشيعة أن يعرضوها بها .

١ - التقية الشيعية منفذ للفلو:

رأينا فى المباحث السابقة أن التقية عند الشيعة ليست هى التقية الشرعية المنوطة بالضرورة بل هى تقية الخداع والتحايل فى ترويج الباطل ، وتحليل الحرام وتحريم الحلال وتفسير شرع الله فالفلو فى التقية أصبح عند الشيعة مناخا ملائما لاجاد غلوه اكبر فى أهم أمور العقيدة ومسائل الفقه كما أصبح مرتعا خصبا للغلوه حيث استخدموها لكتمان معتقداتهم الباطلة التى لا يتقبلها مسلم لانها ضلال فاضح ، ولا يجروءون على التظاهر بها أمام العوام من أهل السنة ، ولكنهم اذا ما استمالوا اليهم سنيا تحت ستار محبة أهل البيت راحوا يلقنونه تلك الضلالات تدريجيا على مراحل ليسهل تقبلها . كما أن التقية لم تعد قاصرة عندهم على اخفاء المعتقدات الباطلة خوفا من اذى الآخرين وانما أصبحت وسيلة لاختفاء صوت الاعتدال بينهم ، وبطال كل ما من شأنه أن يدهض غلوههم ويبتل مزاعمهم .

ولذلك رأينا أنهم ردوا ما صدر عن الائمة من أفعال وأقوال توافق أهل السنة وتدل على براءة الائمة من الفلو.. ردوا ذلك للبقية .

وهي محاولة منهم لقطع الطريق على من يرفض غلوههم مستدلا بأقوال الائمة وأفعالهم .

ومع ذلك نجد بعض علماء الشيعة المعاصرين يدافعون عن التقية ويتلمسون
المبررات لتمسك الشيعة بها بسبب ما حل بهم من اضطهاد وتعذيب واذاً عبر
التاريخ .

يقول كاشف الغطاء :

(ان اللوم والتعير بالتقية - ان كانت تستحق اللوم والتعير - ليس على الشيعة
بل على من سلبهم موهبة الحرية ، وألجأهم الى العمل بالتقية)^(١)
ويقول محسن الامين :

(كان العلم أو الظن أو التهمة بأن الرجل من أتباع أهل البيت كافياً في ايصال
أنواع الأذى والضرر بالقتل فما دونه . . فالباقر والصادق عليهما السلام مصيان كل
الاصابة في تشديدهما الامر بالتقية في دولة الباطل . . وفي قولهما : التقية ديني
ودين آبائي ، ولا دين لمن لا تقية له)^(٢) .

ونقول : لو تخلى الشيعة عن غلوهم وانحرافاتهم الخطيرة لما كانوا في حاجة للتقية ،
ولا لتلمس المبررات لها .

وهل يتوقع هؤلاء أن يلقوا من حكام المسلمين وأمرائهم الرضا والقبول والتكريم وهم
يعتقدون بغرية تحريف القرآن ويطعنون في خيار الصحابة وفضلائهم ، ويشوهون صورة
التاريخ الاسلامي المجيد ؟

وهل يرضى مسلم عاقل أن يُترك من يعيش في الارض فساداً فيزعم اتفاق الامة على
الضلال . . ثم لا يؤخذ على يديه ؟

ان ماناله الشيعة من أذى واضطهاد لا يعود وزره على حكام المسلمين من أهل
السنة ، وانما يعود على هؤلاء الخارجين عن الجماعة ، والمنحرفين عن عقيدة الامة
والطاعين في كتابها وسنة نبيها .

ولولا ما كان يخافه هؤلاء من سطوة الحكام لجهروا بلا حياء بأباطيلهم ، ولا بُدَّ لي

(١) أصل الشيعة وأصولها ص / ١٩٣

(٢) الشيعة بين الحقائق والاهام ص / ١٩٩

المسلمون بهم أشد البلاء . وهذا ما رأيناه فعلا عند ما تكون القوة والسلطة لهم .
وينطبق على هؤلاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن القوم الذين أرادوا أن
يخرقوا في السفينة خرقا ليستقوا الماء ، وهم بعملهم هذا لا يؤمنون أنفسهم فحسب بل
يفرقون السفينة بمن فيها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاختذ على أيديهم
ومنعهم من عملهم الذي يتعدى ضرره إلى المجتمع بأسره .

فقال صلى الله عليه وسلم : (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا
على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)^(١)

٢ - التقية الشيعية باب من أبواب الكذب :

لم يكف الشيعة باستخدام التقية في حالات الضرورة وإنما صارت عادة في جميع
أحوالهم لأنها لا تعد في عقيدتهم استثناءً خاصاً في حالات معينة ، وإنما هي أصل
مبدأ يؤمنون به ولذلك وجدنا أنهم يقولون بإباحة التقية في حالات الأمن لتصبح عادة
عند الشيعة يسهل عليه استخدامها عند الخطر .^(٢)

والنتيجة التي ينالها الشيعة من هذا التعود الدائم على استخدام التقية هو
أن يعتادوا ما أوغلب أحيانه على التظاهر بخلاف ما يراه ، وإخبار بخلاف الواقع
وهذا هو الكذب بعينه ، والتالي نستنتج أن مذهبهم في التقية سوغ لهم الكذب
ورغبهم فيه .

ومن أجل ذلك اشتهرت فرقة الشيعة بالكذب منذ القدم .

- أخرج الحافظ ابن عساكر أن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ، ابن علي بن
أبي طالب قال لرجل من الرافضة : (والله لئن أمكننا الله منك لنقطعن أيديكم وأرجلكم
ثم لا تقبل منكم توبة) .

(١) رواه البخاري ٢/٧٥ في الشركة - باب هل يقرع في القسمة

(٢) راجع فقرة : حد الضرورة في استخدام التقية عندهم ص/٣١ من هذا البحث ، وقد

نقلنا هناك رواية نسبوها للإمام الصادق في الحض على التقية في حالة الأمن وهي
(عليكم بالتقية ، فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون -

سجيته مع من يحذره)

فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟

قال : نحن أعلم بهؤلاء لاء منكم ، ان هؤلاء ان شاؤوا صدقوك ، وان شاؤوا كذبوك ، وزعموا أن ذلك يستقيم لهم فى التقية .

وهلك : إن التقية هى باب رخصة للمسلم اذا اضطر اليها وخاف من ذى سلطان أعطاه غير ما فى نفسه يدرأ عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، انما الفضل فى القيام بأمر الله وقول الحق .

وايم الله ما بلغ من التقية أن يجعل الله بها لعبد من عباد الله أن يضل
(١) عباد الله ()

- ويقول الامام ابن تيمية :

(إن أساس النفاق الذى بنى عليه الكذب أن يقول الرجل بلسانه ما ليس فى قلبه ، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم والرافضة تجعل هذا من اصول دينها ، وتسميه التقية ، وتحكى هذا عن أئمة اهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك ، حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال التقية دينى ودين آبائى .

وقد نزه الله المؤمنين من اهل البيت وغيرهم عن ذلك ، بل كانوا من أعظم الناس صداقا وتحققاً للايمان ، وكان دينهم التقوى لا التقية .

وقول الله تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة " انما هو الامر بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب (٢)

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦٥/٤ نقلاً عن حاشية المنتقى من منهاج الاعتدال

للذهبي - تعليق محب الدين الخطيب ص/٢٣

(٢) منهاج السنة ١/١٥٩

- ولم يقتصر الكذب عند الرافضة على مجال التقية بل تعداه الى ما هو أخطر منه وهو مجال رواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته .
يقول الامام ابن تيمية : (وقد اتفق اهل العلم بالنقد والرواية والاسناد على ان الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمة الاسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب) (١)

ويقول الامام الذهبي في حديثه عن كذب الرافضة :
(ما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلا صادقا ولا مؤمنا ، بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم) (٢)

ويقول الامام أبو حامد المقدسي :
(هم أشد ضررا على الدين وأهله ، وأبعد عن شرائع الاسلام من الخوارج ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة ، فليس في الطوائف المنتسبة الى القبلة أكثر كذبا ولا أكثر تصديقا للكذب وتكذيبا للصدق منهم) (٣)

- ولذلك كان أئمة أهل البيت يتبرؤون منهم ، لكثرة ما تصفوا بالكذب وخاصة في ادعائهم محبة هؤلاء الأئمة مع أنهم أبعد الناس عن هديهم .
وهذا ما اعترف به الكليني شيخ الحديث عندهم - فقد روى بسنده عن أبي الحسن علي الرضا أنه قال :

(لو ميزت شيئا لم أجدهم الا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدت منهم الا مرتدين ولو تمحصتهم لما خلص من الالف واحد ، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم الا ما كان لي ، انهم طالما اتكوا على الارائك فقالوا :

نحن شيعة علي ، انما شيعة علي من صدق قوله فعله) (٤)

(١) منهاج السنة ١٦/١

(٢) ميزان الاعتدال ٦/١

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي ص/٤٢٢

(٤) الروضة من الكافي ص/٢٢٨

فإذا كان هذا هو حال الشيعة في أيام الامام الرضا (الذي توفي سنة ٢٠٣ هـ) فهل يظن أن يكون حالهم أفضل بعد ذلك بقرون طويلة ؟

ان الكذب والتلون والخداع لا بد انه زاد فيهم حتى عم السيل وطم .

والنصوص في ذلك كثيرة^(١) وكلها تدل على تاصل هذه الصفة عند الرافضة .

ولقد مر بنا شواهد كثيرة لهذا الكذب في ثنايا البحث ، بل ان بعضها من الكذب المفضوح الذي لا يخفى على الناس ، ولكنهم يصرون عليه دفاعا منهم عن عقائد الشيعة وسترا لمخازيها ، ويظهر هذا أكثر عند علمائهم المعاصرين .

فهذا مغنية يدعى أن الذي يقوله أهل السنة في التقية هو بعيثه ما تقوله الامامية^(٢)

وهذا كاشف الغطاء يدعى اجماع الامامية على القول بعدم وقوع التحريف في القرآن الكريم^(٣)

وهذا عبد الحسين الموسوي يدعى ذلك أيضا ويقول ان من نسب الى الامامية القول

بالتحريف فهو مفتر عليهم ظالم لهم^(٤) ، ويرى الامامية من جرم الطعن في الصحابة

ولكنه يطعن فيهم في مواضع كثيرة فيكشف كذبه بنفسه^(٥) .

وهناك عشرات الامثلة على تفنن هؤلاء في الكذب سبق تفصيلها والحديث عنها

في ثنايا هذا البحث .

- والشيعة بعد أن كثرت تظاهروا بالتقية بينهم واستخدموا الكذب وسيلة للدفاع

عن عقائدهم .

إذا بهم يستخدمون الكذب أيضا وسيلة للدعاية لفرقتهم وترويج مذهبهم .

ويسوز هذا في جانبين :

١ - تأليفهم كتباً ثم نسبتها كذبا لبعض أئمة وعلماء أهل السنة .

(١) راجع ما أورده الدكتور نهاد عبید من نصوص في رسالته للدكتوراه : الأحاديث المرفوعة

في فضل الامام علي رضي الله عنه ودراستها بين السنة والشيعة ٢٩/١ - ٣٨

(٢) الشيعة في الميزان ص/٥١ راجع ص/٣٢٨ من هذا البحث

(٣) اصل الشيعة وأصولها ص/١٠٦ ، راجع ص/٣٨٢ من هذا البحث

(٤) الفصول المهمة في تأليف الامة ص/١٦٥ ، راجع ص/٣٨٢ من هذا البحث

(٥) المرجع السابق ص/١٤٥ ، راجع ص/٤٣٠ - ٤٣٣ من هذا البحث

فقد ألفوا مختصراً في الفقه نسبوه للإمام مالك، وألفوا كتاباً سموه (سر العالميين)
نسبوه للإمام الفزالي يشتمل على مطاعن في الصحابة^(١) وألفوا كتاب (الامامة
والسياسة) ونسبوه لابن قتيبة، وزانوا في أبيات بعض شعراء أهل السنة لتوافق غلوهم^(٢)
بل ان من أكبر الكذب ما نسبوه للإمام علي رضي الله عنه من أقوال هو برئ من
أكثرها وقد جمعها الشريف الرضي في كتاب : (نهج البلاغة)^(٤)
ويطلع علينا احد معاصريهم الذي يسير على خطى أسلافه بكذبه جديدة في هذا
المجال حيث يؤلف كتاباً يسميه (المراجعات) يدعي كذباً أنه مناظرة تمت بينه وبين
شيخ الأزهر وأنها انتهت باعجاب شيخ الأزهر بعقيدة الشيعة واستسلامه لحجج هذا
الرافضي^(٥)

ب - دعواهم الكاذبة أن بعض علماء أهل السنة هم من الشيعة، وأنهم يخفون
تشييعهم تقية ويذكر الشيعة في هذا المجال علماء عدة أبرزهم :
الامام الشافعي : فقد قالوا عنه أنه كان شديداً في التشيع، ونسبوا له كثيراً من
الأشعار والأقوال الموافقة لغلو الشيعة^(٦)
الامام ابو نعيم الاصبهاني : فقد قالوا عنه إنه من خلص الشيعة في باطن أمره
وكان يتقي ظاهراً على وفق ما اقتضته الحال^(٧)

-
- (١) مختصر التحفة الانثى عشرية ص/ ٣٣ - ٣٤
(٢) المرجع السابق ص/ ٣٢، وراجع في إبطال نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة ما كتبه
عبد الله عسيلان في رسالته : (كتاب الامامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي)
(٣) مختصر التحفة ص/ ٣٤
(٤) المرجع السابق ص/ ٣٤ وراجع في إبطال نسبة هذا الكتاب للإمام علي، ما كتبه
الذهبي في ميزان الاعتدال ١٢٤/١ ولسان الميزان ٢٢٣/٤ وما كتبه احمد أمين
في فجر الاسلام ص/ ١٤٩
(٥) راجع في الرد على هذه الدعوى : كتاب (البيئات في الرد على كتاب المراجعات
وكتاب تبديد الظلام للجبهان ص/ ٣٦٤
(٦) الكنى واللقاب لعباس القتيبي ٣١٣/٢ - ٣١٦
(٧) روضات الجنات للخوانساري ٢٧٣/١

الامام أبو حامد الغزالي : ذكر بعضهم أنه شيعي يخفى تشيعه . (١)

وطالان هذه الدعاوى ظاهرة ، وخاصة أن الامام أبا نعيم له كتاب خاص في الرد على الرافضة هو (الامامة والرد على الرافضة) ، وكذلك الامام الغزالي له كتاب (فضائح الباطنية) ولكن هؤلاء الرافضة اعتادوا الكذب حتى تطبعوا عليه .

ألم يعلموا ان الله سبحانه قد حرم الكذب وحذر منه ؟

قال تعالى : (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) (٢)

وقد أورد شيخهم المفيد رواية في التحذير من الكذب ليتهم يتأملونها ويلتزمون بها :

(عن الحسن بن محبوب قال : قلت لأبي عبد الله - ع - يكون المؤمن بخيلاً ؟ قال :

نعم

قلت : فيكون جباناً ؟ قال : نعم

قلت : فيكون كذاباً ؟ قال : لا ولا جافياً ، ثم قال : يُجبل المؤمن على كل طبيعة

الا الخيانة والكذب (٣)

وروى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال : (ان الكذب هو خراب الايمان) (٤)

وروى أيضاً عن أبي عبد الله قال : (من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم

القيامة وله لسانان من نار) (٥)

وروى الكليني ان الله تعالى قال ليعيسى بن مريم : (يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية

لساناً واحداً وكذلك قلبك ، إني أحذرك نفسك وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد

ولاسيفان في غمد واحد) (٦) وأورد ابن شعبة عن الامام الكاظم قوله (بئس العبد عبس

يكون ذا وجهين ولسانين) (٧)

فما هو موقف محترفي الكذب من علماء الشيعة وهم يقرأون هذه الروايات ؟

(١) المرجع السابق ٤ / ٨

(٢) سورة النحل - آية / ١٠٥

(٣) الاختصاص للمفيد ص / ٢٣١

(٤) الاصول من الكافي ٢ / ٣٣٩

(٥ ، ٦) المرجع السابق ٢ / ٣٤٣

(٧) تحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني ص / ٢٩١

هل يمكن للدين أن ينتشر، وللدعوة الإسلامية أن تعم بنورها العالم لو أن الصحابة والتابعين والسلف الصالح كانوا يأخذون بالتقية بفهمها الشيعي الداعي إلى التخاضل والخنوع؟

انهم لو تمسكوا بالتقية كما تراه الشيعة لذهبت ريحهم وتسلط عليهم الأعداء ولم تقم للدين قائمة ولكانوا أول الأمم وأبعدها عن ركب الحضارة .
ولقد اعترف أحد علمائهم أن الشيعة جعلهم التقية أصلاً وعقيدةً أنزلوا أنفسهم حتى أصبحوا أنذل الطوائف والأمم .

يقول الدكتور موسى الموسوي :

(اننى اعتقد جازماً أنه لا توجد أمة فى العالم أدلت نفسها وأهانته بقدر ما أدلت الشيعة نفسها فى قبولها لفكرة التقية والعمل بها) (١)

ويقول :

(إننى لأشك من أن التقية كانت من أهم الأسباب التى أدت إلى التخلف الفكرى والاجتماعى والسياسى للمجتمعات الشيعية أينما وجدت ، فقد سرت نفسى دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذى كانوا عليه خوفاً أو خجلاً . . . وهكذا تميز الشعب الايرانى الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدياد اجية الشخصية) (٢)
والأصل فى صاحب المبدأ أن يعتز بمبدئه ويفخر به ، ولكن إصرار الشيعة على التقية دليل على عدم رسوخ عقائدهم فى قلوبهم ، وأنهم لا يتمسكون بها عن قناعة وإيمان وإنما عن تعصب وهوى ، وبالتالى يسهل على أحدهم التظاهر بخلاف ما يعتقد ولولم تدعه الضرورة لذلك .

(١) الشيعة والتصحيح ص/ ٥١ راجع ما ذكرناه ص/ ٤٥٨ من هذا البحث عن الدعوة التى نادى بها الدكتور الموسوي لتصحيح عقائد الشيعة ولا سيما تلك العقائد التى سببت الخلاف مع باقى المسلمين ، والتي تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم

(٢) المرجع السابق ص/ ٥٦ - ٥٧

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٩

أما أصحاب المبادئ الراسخة فانهم يضحون في سبيلها ولا يرضى أحد هم أن يتغوا بكلمة تخالف ما يعتقده الا في أشد حالات الضرورة .

يقول الدكتور موسى الموسوي وهو ^{بظاهر} بالدعوة إلى تصحيح موقف الشيعة من التقية :
(ينبغي على الشيعة في كل الارض أن تقف من التقية موقف الانسان الكريم الذي يحترم عقيدته وذاته . . . وأن يفكر مليا في الآثار النفسية التي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية والاضطراب بين القول والفعل ، والتي تتنافس مع الصدق وتتناقض مع صفات المسلم المخلص) (١)
٤ - التقية الشيعة دعوة للميكافيلية : (٢)

والأغرب من ذلك أن نجد أحد علماء الشيعة المعاصرين يعترف في معرض دفاعه عن التقية أنها لا تختلف عن مبدأ ميكافيلي (الفاية تبرر الوسطة) :
يقول مغنيــــــــــــــــة :

(هذه هي التقية في حقيقتها وواقعها عند الشيعة ، واهي بالشئ الجديد ولا من البدع التي يأبأها العقل والشرع .

فقد تكلم عنها الفلاسفة وعلماء الأخلاق قبل الاسلام ومعهده ، تكلموا عنها وأطالوا ، ولكن لا بعنوان التقية ، بل بعنوان " هل الفاية تبرر الوسطة ؟ " وما إلى ذلك ، وتكلم عنها الفقهاء وأهل التشريع في الشرق والغرب بعنوان " هل يجوز التوصل الى غاية مشروعه من طريق غير مشروع ؟ "

الى أن يقول : (وهذه العناوين وإليها تحكي التقية كما هي عند الامامية ولا تختلف عنها الا في الأسلوب والتعبير) (٣) !!

(١) المرجع السابق ص/٥٩

(٢) الميكافيلية : أسلوب في المعاملات يتسم بالخداع والمراوغة والفدر والانانية

مبني على مبدأ : الفاية تبرر الوسطة ، وهو ينسب الى المفكر

الاطالي (نيكولا ميكافيلي) (١٤٦٩-١٥٢٧ م) رائد هذا

المبدأ والذي سجله في كتابه الأمير وقدمه لأحد ملوك أوروبا في

القرن الوسطى . راجع : القاموس السياسي لاحمد عطية ص/١٠٥

(٣) الشيعة في الميزان ص/٤٩

هذه هي صورة التقية الشيعية باعتراف أحد علمائهم

انها لا تختلف عن مبدأ ميكيا فيلى الا فى الاسلوب والتعبير !!

وهذا المبدأ الضال يُضرب به المثل فى الخسة وفقدان القيم وهو من أخطر المبادئ

على الأخلاق والأُمم حيث يبيح التوصل الى الغاية ولو بأسوأ الوسائل وأشنعها .

وقد التزم الغرب الذى لا يعرف الأخلاق بهذا المبدأ الضال فكان ما كان من هضم

للحقوق وتضييع للكرامات ونقض للعهد والمواثيق وتفنن فى أساليب خداع الناس .

وإذا كانت التقية الشيعية لا تختلف عن هذا المبدأ فهذا يعنى انها لاتمت الى

الاسلام بصلة لان الاسلام يدعو الى الالتزام بالعهد والمواثيق ويحذر من الخيانة

والنفاق .

يَظَاهِرُ بِالْعَوَّةِ

يقول الدكتور موسى الموسوي وهو الى تصحيح عقيدة التقية عند الشيعة :

(إن على القواعد الشيعية ولا سيما المثقفين منهم أن يحاسبوا زعاماتهم المذهبية

حساباً عسيراً فى سوقهم إياهم على هذا الدرب الشائك لأغراض فى نفوسهم .

ان على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الاخلاقية التى فرضها الاسلام

على المسلمين وهى ان المسلم لا يخادع ولا يداهن ، ولا يعمل الا الحق ، ولا يـقـول

الا الحق ولو كان عليه ، وأن العمل الحسن حسن فى كل مكان ، والعمل القبيح قبيح

فى كل مكان .

وليعلموا أيضاً أن مانسبوا الى الامام الصادق من أنه قال " التقية دينى ودين

(١)

آبائى " إن هو إلا كذب وزور وهتان على ذلك الامام العظيم) .

المبحث الثاني

أثر التقية السيمية

على دعوى التقارب بين أهل السنة والشيعة

نسمع بين الحين والآخر من يدعو الى التقريب بين أهل السنة والشيعة ، وتتردد هذه الدعوة على ألسنة بعض علماء الفريقين .

ويقول هؤلاء : (إن الحالة المؤسفة التي وصل اليها المسلمون اليوم سببها تفرق كلمتهم وشتات شملهم ، نتيجة لتفرق مذاهبهم وعقائدهم ، حتى أصبح السني يخاصم الشيعي ، والشيعي يلعن السني ، وهي مذاهب مختلفة في ظل دين واحد ، ورسول واحد ، يستغلها ذوو النيات السيئة ، وأصحاب المقاصد الدنيئة في ضرب المسلمين بعضهم ببعض)^(١) ، (فالكل يدين بالاسلام ويتوجه بقلبه الى الله وبوجهه الى القبلة ، وهذه التي سموها فروقاً ترجع في الحقيقة الى عوامل سياسية قديمة تأثرت بها الأجيال أو آراء فقهية لا تستدعي هذا الخلاف والشقاق)^(٢) .

وقد بذلت محاولات عديدة في هذا المجال ، ورحب علماء أهل السنة بهذه البادرة من علماء الشيعة ، وطبعت من أجل ذلك الكتب ونظمت الندوات ، وصدرت المجلات ، وافتتح لهذه الدعوة دار أطلق عليها دار التقريب ، فهل تحقق شيء من ذلك ؟

إن كل هذه المحاولات باءت بالفشل . فما هو السبب ؟

السبب في ذلك أن التقريب بين الفريقين لا يتم^{الذي} برفع الحواجز والموانع أما أن يقوم

التقريب مع بقاء هذه الحواجز ، واستمرار هذه الموانع ، فإن هذا غير ممكن .

وعلماء الشيعة الذين نادوا بالتقريب لم يبذلوا أي جهد في رفع وإزالة شيء من هذه الحواجز ، وإنما أرادوا التظاهر بالدعوة للتقريب ليخرجوا أنفسهم من العزلة عن المجتمع الاسلامي ، ويكسبوا صبغة الشرعية لفرقتهم ، ويبعدوا عن أنفسهم المطاعن والانتقادات التي توجه إليهم من علماء أهل السنة .

(١) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص / ٣٢ - ٣٣

(٢) الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشر / لمحمد حسن الأعظمي -

ص / ١٩٣ - ١٩٥ وراجع : عقائد الامامية / لمحمد رضا المظفر ص / ٧-٩ ، وعقيدة

الشيعة في الامام الصادق / لحسين يوسف مكي - ص / ٢٠ - ٢٢ وكشف الارتباب

/ لمحسن الأمين - ص / ٦٦ - ٦٧

فما هي هذه الحواجز التي كانت حجرة عثرة في وجه التقريب ؟

يمكننا أن نجملها في النقاط التالية :

١ - العقائد المكفرة التي سطرها كثير من علماء الشيعة القدامى في كتبهم ، ورد لها بعض المعاصرين ، ولا تزال الكتب التي تنادى بهذه العقائد تطبع وتنتشر بأشراف علماء الشيعة المعاصرين وتعليقاتهم ، وكل هذا يؤكد اصرارهم على استمرار هذا الغلو عند الشيعة وعدم تخليهم عنه ، ولعل أبرز هذه العقائد : زعمهم وقوع التحريف في القرآن الكريم ، وطعنهم في معظم الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة ، وهذا الانحراف الخطير عندهم - والذي فصلنا الحديث فيه يؤدي الى الطعن بالمصدرين الرئيسيين عند المسلمين وهما الكتاب والسنة ، وهذا ما يسد باب التقارب نهائياً ، ويصيب الشيعة في صميم دينهم ، وفي أصول اعتقادهم ، ويؤكد أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليس في الفروع وإنما هو في الأصول والعقائد الرئيسية التي شذ فيها الشيعة عن الأمة الإسلامية .

ولا يتم إزالة هذا الحاجز إلا بأن يعلن علماء الشيعة براءتهم الصادقة من هذه العقائد الخطيرة ويمنعوا نشر الكتب الداعية والمروجة لها ، كما يعلنوا براءتهم من قائلها وعدم وثوقهم بهم ولو كانوا أمثال الكليني وابن بابويه والمفيد وغيرهم من أساطين التشيع .

دعاة التقريب من أهل السنة

إن كيف يتم التقارب مع وجود هذه الانحرافات التي لو اطلع عليها ↗ لما مدوا

يد التقارب الى الشيعة أبداً لأنها طعن في صميم الاسلام .

ولذلك نجد أن معظم دعاة التقريب من أهل السنة لم يكونوا على علم بهذه الانحرافات عننا للشيعة ، بل كان غالب ظنهم أنها مما نسب اليهم ظلماً ، أو أنه من عقائد الفلاة والباطنية .

ولكننا نرى - وقد أثبتنا تأصل هذه الانحرافات عند الشيعة الامامية - أنه ليس هناك طريق للتقريب حتى يهدم هذا الحاجز نهائياً ، ويتخلى الشيعة عن طعنهم في الصحابة الكرام الذين هم حملة الكتاب والسنة .

وهيئاته أن يضلوا ذلك بصره !!

يقول الدكتور موسى الموسوي :

(قد وصلت الى نتيجة حاسمة فى تتبعي للخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الأخرى ، وهو أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن الامام علياً أولى بالخلافة من غيره ، لأنني أرى الشيعة الزيدية ، وهى تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد بأحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ، ولكن الوثام والأخوة والمحبة يسود بينهما وبين أهل السنة والجماعة . فإذاً إن السبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الأخرى ليس هو موضوع الخلافة ، بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم ، الأمر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية) (١)

ويقول أيضاً :

(إن من أهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشيعة والسنة هو تجريح الشيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أزواجه واذ لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكماً بين الفريقين إلى أبد الآبدين ، فلا المؤتمرات الاسلامية تجدي ولا الكلمات الاصلاحية الرنانة تنفع) (٢)

٢ - الادعاء بأن جميع مخالفيهم كفار

من أخطر العقائد الشيعية التي نص عليها علماءهم القدامى وساقوا الروايات لتأكيد ما كما رددوها علماءهم المعاصرون . . . دعوى أن الشيعة هم وحدهم أهل الايمان وأن جميع مخالفيهم كفار مخلدون فى النار لانكارهم الأساسى الأول فى عقيدة الشيعة وهو الامامة .

ولا يمكننا هنا أن نفصل الحديث عن هذا الموضوع الخطير ، وانما نكتفى بإشارات موجزة :

فقد روى الكليني بسنده عن حنان (عن أبي عبد الله - ع - أنه قال :

(لا يبالي الناصب صلى أم زنا ، وهذه الآية نزلت فيهم " عاملة ناصبة ، تصلى ناراً

حامية ") (٣) (٤)

(١) الشيعة والتصحيح - ص ٦ /

(٣) سورة الفاشية / آية ٣ - ٤

(٢) المرجع السابق ص ٥٨

(٤) الزوضة من الكافي ص ١٦٠

أى أن المخالفين للشيعة لا يُقبل منهم صلاة بل إن صلاتهم محرمة كالزنا يعاقبون على فعلها، وقد فسر المعلق هذه الرواية بقوله : (ان هو معاقب بأعماله الباطلة لإخلاله بما هو من أعظم شروطها ، وهو الولاية ، فهو كمن صلى بغير وضوء) (١)

— وروى أيضاً عن أبي حمزة قال :

(سمعت أبا جعفر - ع - يقول : إن عليا صلوات الله عليه باب فتحة الله ، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً) (٢)

— وروى أيضاً عن جابر بن يزيد قال :

(دخلت على أبي جعفر - ع - . . فقال : يا جابر ، إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أيامه) (٣)
وصاحب الزمان هو الامام الغائب عندهم .

— وروى أيضاً عن أبى بصير أن جعفر الصادق قال له :

(من لم يأت الله عز وجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة) (٤)

وعلى ذلك فالشيعة وحدهم أهل الايمان والنجاة وجميع مخالفهم مخلصون فى النار لا تقبل حسناتهم .

— ويزداد هذا الفلو حتى يتجرأ الكليني أن ينسب لجعفر الصادق أن قال :

(ما من آية نزلت تقود الى الجنة وتذكر أهلها بخير الا وهى فينا وفى شيعتنا ، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشرٍ وتسوق الى النار الا وهى فى عدونا ومن خالفنا) (٥)

(١) الروضة من الكافى ص / ١٦٠

(٢) الأصول من الكافى ٣٨٨ / ٢

(٣) الروضة من الكافى ص / ١٨

(٤) المرجع السابق ص / ٣٤

(٥) المرجع السابق ص / ٣٦

— وقد نص على ذلك المفيد شيخ المحققين عندهم ، فقال :

(اتفقت الامامية على أن أصحاب البدع - أي المخالفين للشيعة - كلهم كفار ، وأن على الامام أن يستتيبهم عند التمكن . . . فان تابوا عن بدعهم وصاروا على الصواب ، والا قتلهم لردتهم عن الايمان) ^(١) ولذلك لا تحل عندهم ذبيحة المخالف لأنه كافر ولا يحل الزواج منهم ^(٢)

ومادام هؤلاء الروافض يكفرونه مخالفين فله السهل عليهم بعد ذلك احتقارهم وازدراءهم وقد فهم ولعنهم ، وروايتهم في ذلك كثيرة :

فقد روى الكليني (عن أبي حمزة عن أبي جعفر - ع - قال :

قلت له إن بعض أصحابنا يقذفون من مخالفهم . فقال : والله يا أبا حمزة ، ان الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا) ^(٣)

ولا يكتفي هؤلاء بالقذف المحرم الذي يوجب الحد ، ولكنهم يزيدون في الغلوفيدون أن جميع مخالفهم خائنون لله ورسوله ويصوبون عليهم اللعنات

(روى الكشي بسنده عن علي بن سويد السائي قال : كتب الى أبو الحسن الاول وهو في السجن : وأما ما ذكرت يا على ممن تأخذ معالم دينك : لا تأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فانك ان تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم ، انهم أوتمنوا على كتاب الله جل ولا فحرفوه وبدلوه ، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكة ولعنة آبائي الكرام البررة ولعننى ولعنة شيعة الى يوم القيامة) ^(٤)

ويزداد هذا الغلو عندهم يوما بعد يوم ، حتى يبلغ أوجه في عهد الدولة الصفوية واذ بنا نفاجا بشيخهم نعمة الله الجزائري ^(٥) ذي المكانة العاليه والمنزلة السامية

(١) أوائل المقالات ص / ١٥ - ١٦

(٢) ذكر الطوسي في الاستبصار روايات كثيرة في ذلك منها ما رواه عن أبي جعفر أنه ذكر النصاب فقال : (لا تناكحهم ولا تأكل ذبيحتهم ولا تسكن معهم) راجع : ٣ / ٨٣ - ١٨٥

٨٨ - ٨٧ / ٤٠

(٣) الروضة من الكافي ص / ٢٣٩

(٤) رجال الكشي ص / ٤ (٥) سبقت ترجمته ص / ٢٢٢ من هذا البحث

عندهم يطلع علينا بدعوى عجيبة ، يصاب القارئ لهولها بالذ هول ، حيث يقول :

(إنا لم نجتمع معهم — أى المخالفين للشيعة — على إله ولا على نبي ولا على إمام
وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذى كان محمداً صلى الله عليه وسلم نبيه وخليفته
أبو بكر ، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي ، ان الرب الذى خليفة نبيه أبو بكر
ليس ربنا ولا ذاك النبي نبينا)^(١)

فما رأى القارئ بهذا الاعتراف الخطير من هذا الرافضى الذى اتخذ لنفسه رباً
غير الله سبحانه وتعالى، ونبيّاً غير محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يبقى له أى صلة تربطه
بجمهور المسلمين ، ولا ندري من هو هذا الرب الذى يعبدوه وهو يسمى نفسه نعممة
الله ؟!

ولا يظن أحد أن هذا الرافضى أحد شواذ الشيعة ، وأنه غير موثوق عندهم
فقد صرح بتوثيقه كبار العلماء عندهم وأثنوا عليه كثيرا وعظموا من شأنه .^(٢)

وبعد هذا كله نجد من يقول إن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة فى الفروع فقط
ونجد من ينادي بالتقريب دون أن يطالب بإزالة هذا الغلو الخطير من كتب
الشيعة .

إن التقريب الحقيقى لا يتم إلا برفع هذا الحاجز الضخم الذى يفصل الشيعة عن جسم
الأمة ويجعل منهم طائفة ترى نفسها شعب الله المختار ، وتتنظر لمخالفاتها على أنهم
كفار خائنون .

— كيف يتم التقريب ، والشيعة يزعمون أن الامام الصادق قال :

(ما من آية نزلت تقود الى الجنة ، ولا تذكر أهلها بخير ، الا وهى فينا وفى
شيعتنا ، وما من آية نزلت تذكر أهلها بشر ، ولا تسوق الى النار الا وهى عدونا ومن
خالفنا)^(٣)!

(١) الأنوار النعمانية ٢٧٨ / ١ - ٢٧٩

(٢) أشرنا سابقا الى بعض النصوص فى توثيق علماء الشيعة له . فقد قال عنه
البحرانى فى لؤلؤة البحريه ص / ١١١ : (كان هذا السيد فاضلا محدثا مدققا
واسع الدائرة فى الاطلاع على اخبار الامامية)

وقال عنه الخوانسارى فى روضات الجنات ٨ / ١٥٠ : (كان من أعظم علمائنا المتأخرين
وأفخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره . . صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع
مستقيم ، ومؤلفات ما يحبه) !!
(٣) الروضة من الكافي ص / ٣٦

- كيف يتم التقريب ، والشيعية يزعمون أن رجلاً جاء إلى أبي جعفر الباقر فقال له :
(إن لنا جارا ينتهك المحارم كلها حتى إنه ليرك الصلاة فضلاً عن غيرها فقال
أبو جعفر : ألا أخبركم بمن ^{هو} أشر منه ؟ قلت بلى ، قال : الناصب لنا شر منه) (١)
- كيف يتم التقريب ، وهؤلاء يزعمون أن أئمتهم قد اقتطعوا للشيعية قطعاً من الجنة
وأخرجوا جميع المخالفين منها وأحلّوا عليهم غضب الله ؟!

ويزعمون أن الامام الصادق قال لهم : (قد ضمنا لكم الجنة فوالله لقد مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على أمته ساخط الا الشيعية ، ألا وان لكل شئ عزاً
وعز الاسلام الشيعية . . . كل ناصب وان تعبد واجتهد . . . فعمله هباء) (٢)

- وكل ما ذكرناه من نصوص في ذلك هو غيض من فيض ، فمن تصفح كتب الشيعية - وخاصة
ما ألف منها في عهد الدولة الصفوية - يجد الطامات الكبرى التي لا يبقى معها أي خط
للتقارب أو الالتقاء ، فما هو موقف دعاة التقريب من علمائهم المعاصرين ؟
هذا ما سنراه ونحن نتحدث عن الحاجز الثالث في وجه التقريب :

٣ - التقية :

يُعدّ تمسك الشيعة بالتقية أحد الموانع الرئيسية في وجه التقريب ، وقد جعلها
الشيخ محب الدين الخطيب أول الموانع ، فقال :
(أول موانع التجاوب الصادق باخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية ، فانها عقيدة
دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يظنون ، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له
به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ، ولا يرضون به ولا يعملون له
الا على أن يبقى من الطرف الواحد . . . ولو توصل مثلوا دور التقية منهم الى إقناعنا
بأنهم خطوا نحونا بعض الخطوات فان جمهور الشيعة كلهم من خاصة وعامة يبقون
منفصلاً عن مثل هذه المهزلة) (٣)

فالتقية - وقد رأينا حيلهم في استخدامها - حاجز كبير في وجه التقارب ، لأنها
تؤدي الى فقدان الثقة بأقوالهم ، وإيجاد الشك في صدق نواياهم نحو التقريب .

(١) المرجع السابق ص / ١٠١ والناصب : كلمة يقصدون بها المخالفين لهم وخاصة
أهل السنة .

(٢) المرجع السابق ص / ٢١٣

(٣) الخطوط العريضة ص / ٩ - ١٠

والأصل في المسلم أن يقبل من الآخرين ظواهرهم ويكبل سرائرهم لله عز وجل ، ولكن الشيعة - وهم يرون التقية ديناً - لا يمكن أن نقف منهم هذا الموقف وخاصة أن أقوالهم التي تنادي بالتقريب تعارضها أقوال كثيرة لهم تبرز استمرار الغلو عندهم ، وإن ما نادوا به كان تظاهراً فقط .

ولكى يبرز دور التقية في هذا المجال لا بد من استعراض سريع لأبرز محاولات التقريب بين الفريقين عبر التاريخ :

أبرز محاولات التقريب :

١- ذكر ابن كثير أنه في سنة ٤٤٢ هـ (اصطلاح الروافض والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين ، وترضوا - أي الروافض - في الكرخ على الصحابة كلهم وترحموا عليهم)

ثم علق على ذلك قائلاً : (وهذا عجيب جداً ، إلا أن يكون من باب التقية) (١)

وواضح أن سبب هذا الصلح ليس الرغبة الصادقة من الرافضة في التخلي عن غلوهم وإنما بسبب شعورهم بالهزيمة في الحرب والقتال بينهم/أهل السنة، ومصدر هذا القتال غالباً هو استفزازهم لأهل السنة بالطعن في الصحابة وسبهم والاساءة اليهم حتى إذا ما قويت شوكتهم ثانية تخلوا عن هذا التقارب الظاهري وعادوا الى غلوهم من جديد وهذا ما حصل فعلاً بعد سنة واحدة ، حيث قام الروافض سنة ٤٤٣ هـ بنصب أبراج كتبوا عليها بالذهب : (محمد وعلي خير البشر ، فمن رضي فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر) ، فأنكرت السنة ذلك لأن فيه تكفير لمن قدّم الخلفاء الثلاثة على علي ، فنشبت الحرب بينهم من جديد (٢)

٢- وفي عهد السلطان نادر شاه (٣) الذي تسلم السلطة عام ١١٤٨ هـ ، قامت أكبر محاولة

(١) البداية والنهاية ٦١/١٢ (٢) المرجع السابق ٦٢/١٢

(٣) ولد نادر شاه عام ١١٠٠ هـ وتسلم السلطة بعد زوال الدولة الصفوية عام ١١٤٨ هـ وقد خضعت له بلاد كثيرة بمدة وجيزة منها : ايران والهند والعراق والبحريين والافغان وبخارى ، وكان في أول عهده على مذهب الشيعة لما قدم ببغداد أراد أن يفرض فيها التشيع ولكنه لما رأى الخلاف الشديد بين السنة والشيعة دعا الى اقامة المناظرة والتفاهم بينهم وأن يقيم كل فريق الدلائل على صحة مذهبه فمن غلب يكون مذهبه ==

للتقريب بين السنة والشيعة حيث أمر باقامة مؤتمر للتفاهم بين علماء الفريقين نتيجة لما رأى من الصراع الذى يحدث بين السنة والشيعة فى مملكته ، وتكفير كل فريق للآخر .
وقد أقيم هذا المؤتمر فى شوال ١١٥٦ هـ فى النجف برئاسة علامة العراق الشيخ عبد الله السويدي ^(١) وبحضور مجتهدى الشيعة فى ايران والنجف ، وعلماء أهل السنة ، وقد استمع لهذا المؤتمر أعداد كبيرة من الفريقين يبلغ عددهم نحو ستين ألفاً . ^(٢)
ولما رأى علماء الشيعة قوة الشيخ السويدي فى الحجة والمناظرة سارعوا الى التخلي عن عقائدهم وأعلنوا توقفهم عن سب الشيخين والطعن فى الصحابة ، وقالوا : أفضل الخلق بعد النبی صلی الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر فعثمان فعلي ، وان المتعة حرام لا يقبلها الا السفهاء منا ^(٣)

= هو المقرر ، ولذ لك رأينا أن نادر شاه لما رأى نتيجة مؤتمر النجف تراجع عن تشيعه وصار سنياً بعد أن كان شيعياً ورفع عن أهل السنة المظالم ، توفى نادر شاه فى جمادى الأولى ١١٦٠ هـ .
(راجع ترجمته فى : المسك الأذفر فى نشر مزايا القرن الثانى عشر والثالث عشر للألوسى ص / ٢٨ ، مؤتمر النجف للسويدي ص / ٦٩ ، تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص / ٢٢٥)

(١) سبق ترجمته ص / ٥٣٨ وقد قال عنه العلامة محمود شكرى الألوسى : (له مناقب لا تعد ولا تحصى ، ولا يدرك أدناها ولا يستقصى ، منها تشييده للشيعة الأحمدية وتأيينه للسنة النبوية ، وذلك حين مجئ نادر شاه الى سواد العراق مع جم غفير من الأعاجم . . ومباحثتهم ، فأخذ الله تعالى على يده نسييران ضاللتهم وألبسهم ثوب الخزي بين عامتهم ، فلما علموا أنه بحر علم لا يمكن الوصول الى أصله صاروا له أطوع من شراك نعله . .) المسك الأذفر ص / ١٢٥

(٢) راجع مؤتمر النجف ص / ٩٥

(٣) المرجع السابق ص / ٩١ - ٩٢

ثم قام أحد علماء الرافضة وأعلن ذلك على منبر الكوفة في خطبة الجمعة بحضور نادر شاه وجميع علماء ايران (١)

ولا يعقل أن يتخلى الشيعة عن عقائدهم الأساسية بهذه السهولة إلا أن يكون ذلك تظاهراً منهم .

ولكى نتعرف على حقيقة موقف علماء الشيعة ، وأن موافقتهم على التقارب كانت تقيية ، نستخ إلى قول أحد علماءهم المعاصرين حيث يقول : (لما جاء - أي نادر شاه - إلى العراق جمع بين علماء الفريقين - الشيعة والسنة - وأمرهم بالمناظرة وتوحيد المذهب وتم له ما أراد من الاجتماع والمحااجة ، ولم يفلح في الثانية وإن أظهروا الوحدة زمنياً قصيراً - عذراً من بطشه) (٢)

٣ - محاولات التقريب في العصر الحديث :

أبرز هذه المحاولات ما قام به أحد علماء الشيعة بإيران وهو محمد تقي القمي في عام ١٣٦٤ هـ حيث دعا إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، واستجابت لدعوته ثلثة من علماء مصر ومن زيدية اليمن ، وتم إنشاء جماعة سُميت (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) مقرها القاهرة وأصدرت هذه الجماعة مجلة باسم (رسالة الاسلام)

وتتالت اللقاءات والاجتماعات في هذه الدار فماذا تم فيها ؟

يذكر الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء بمصر وعضو جماعة التقريب .
وصفاً لما كان يبحث خلال هذه الاجتماعات فيقول :

(ماذا أجدتُ جماعتنا وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟ ... تعاقبت الاجتماعات ، فمرة للتعارف واختيار الرئيس والوكيل والسكرتير الخ ، ومرة ثانية لاستقبال ضيف مسلم سيزور دارنا ، دار التقريب ، وثالثة لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية ، ومن بينها رسالة من النجف يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك في الذكر الموسمية للامام الحسين بن علي رضي الله عنهما ، ثم يقترح علينا في هذه الجلسة أن تطلب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه الشيعي إلى جانب مذاهب أهل السنة . . وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها رسالة الاسلام) .

(١) المرجع السابق ص / ١٠٢

(٢) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفر ص / ٢٢٥ - ٢٢٦

ثم يقول : (ورابنى ويجب أن يرتاب معنى كل عضو برئ أنها - أن دار التقريب — تنفق عن سخاء دون أن نعرف لها موردا من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات . . . وتنفق على مجلتها فتكافئ القائمين عليها ، وتكافئ الكاتبين فيها وتتأنق فـى طبع أعدادها ، وتغلف ما يطبع ، الى غير ذلك مما يحتاج الى مورد فـى . . . فمن أين ذلك وعلى حساب من يا ترى ؟!) (١)

وهكذا يظهر أن الشيعة كانوا من وراء ذلك .

ولذلك كان من أبرز أعمال دار التقريب الدعاية للتشيع عن طريق نشر الكتب الشيعية وترويجها بين أهل السنة ووضع مقدمات لها بأقلام أهل السنة البارزين ممن لم ينتبهوا الى خطر هذه الدعوة ، ومن أبرز الكتب الشيعية التى نشرتها دار التقريب : المختصر النافع فى فقه الامامية لنجم الدين الحلي — تذكرة الفقهاء لابن المطهر المحلى - وسائل الشيعة للحر العاملي — مستدرک الوسائل للنورى الطبرسي (صاحب كتاب فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب) — تفسير مجمع البيان للطبرسي . . . وغير ذلك . (٢)

وكانت مجلة دار التقريب تقيم الحفلات وتصدر النشرات فى المناسبات الشيعية . (٣) وأخيراً تمكن الشيعة فى ظل دعوة التقريب من خداع شيخ الأزهر محمد شلتوت وعلبوا منه أن يصدر فتوى بجواز التعبد بالمذهب الجعفرى ، فأصدر فتواه فى ذلك سنة / ١٣٦٨ هـ ، فطار الروافد بهذه الفتوى فرحاً ، واعتبروها الثمرة الكبرى لدعوة التقريب ، لأنها أعطتهم — فيما يظنون — الشرعية فى الدعوة الى التشيع بين أهل السنة .

وعند ذلك تتابع الأعضاء المخلصون فى الانسحاب من هذه الجماعة بعد أن رأوها وسيلة لخداع السذج من أهل السنة وترويج المذهب الشيعي فى بلادهم . (٤)

(١) مجلة الأزهر / المجلد ٢٤ — ص / ٢٨٥ — ٢٨٦

(٢) (٣) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة — رسالة ماجستير من إعداد :

ناصر عبد الله القفاري ص / ٥١٧ — ٥١٨

(٤) المرجع السابق ص / ٥٢٢

وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد البهي الذي يقول عن هذه الجماعة :

(بدلاً من أن تركز نشاطها على الدعوة إلى ما دعا اليه القرآن . . . ركزت نشاطها على إحياء ما للشيعة من فقه وأصول وتفسير ، ونشر المقالات التي تدعو دعوة عامة إلى عدم التفرقة بين المسلمين) (١)

واقصر بعد ذلك عمل الجماعة على إصدار مجلة التقريب (رسالة الاسلام) التي استمر صدورها حتى العدد / ٦٠ في رمضان ١٣٩٢ هـ ثم انقطعت . (٢)

أما علماء الشيعة المنتشرون آنذاك في إيران والعراق وسوريا ولبنان فقد رأوا من دعوة التقريب فرصة سانحة لهم فنشطوا في الدعوة إلى التشيع تحت ستار التقريب وأدوا دوراً متقناً في خداع الناس ، وهرعوا إلى التقية ليخفوا عن طريقها حقيقة غلو فرقة الشيعة حتى يتم خداع البسطاء بها .

وسنعرض لأبرز هؤلاء ، ونكشف النقاب عن الدور الخطير الذي كانوا يقومون به باسم التقريب وتحت ستار التقية .

(١) الفكر الاسلامي والمجتمعات المعاصرة للدكتور البهي ص / ٤٣٩

(٢) فكرة التقريب ص / ٥٢٣

نماذج من استخدام التقية عند دعاة التقريب من علماء الشيعة المعاصرين :

١ - محمد الحسين آل كاشف الغطاء : (١)

هو من أبرز الدعاة الى التقريب، وقد ألّف كتابه (أصل الشيعة وأصولها) لهذا الهدف. يقول فيه : (ما برحنا منذ خمسين عاماً نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الاسلامية وندعو إلى وحدة أهل التوحيد) (٢)

ويقول : (لم يبق ذو حس وشعور في شرق الأرض وغربها إلا وقد أحس وشعر بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف) (٣)

ويقول : (وأول شرط ذلك سد باب المجازلات المذهبية واغلاقها تماماً، فإن أراد أحد التنويه عن مذهبه فعلى شرط أن لا يمس مذهب غيره بسوء ولا غمضة) (٤)

ويقول : (ولو عرف المسلمون حقيقة مذهب الشيعة وأنصفوا أنفسهم وإخوانهم لأماتوا تلك النشرات الخبيثة التي تثير الحفيظة وتزرع الضغينة... وتجرح عاطفة أمة تُعد بالملايين) (٥) ثم يقول بعد أن يعرض شيئاً من عقائد الشيعة التي لا يختلفون فيها عن باقي المسلمين الا بشيء يسير. يقول :

(فيا علماء الدين، ويارجال المسلمين، هل رأيتم فيما ذكرناه عن هذه الطائفة ما يوجب هدم الاسلام... وهل في شيء من تلك المباحث شذون عن أصل قواعد الاسلام، وخروج عن منطقة الكتاب والسنة ؟) (٦)

ويكاد الباحث وهو يطلع على هذه الأقوال، ويقرأ ما كتبه كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) ، أن يجزم بصدقه وإخلاصه في الدعوة إلى التقريب، وأن يعتقد بأن الحاجز الذي يفصل بين السنة والشيعة أصبح حاجزاً وهمياً، وأن عقائد علماء الشيعة المعاصرين لم تعد تختلف كثيراً عما عليه أهل السنة.

(١) سبقت ترجمته ص/ ٣٢٦ من هذا البحث

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص/ ٥٨

(٣) المرجع السابق ص/ ٥٧

(٤) المرجع السابق ص/ ٦٩

(٥) المرجع السابق ص/ ٨١

(٦) المرجع السابق ص/ ٢٢٩

ولكن نظرة تأمل واحدة تجعل الباحث يصاب بخيبة أمل عظيمة، ويدرك أن كل مظاهره كاشف الغطاء من محبة لأهل السنة واحترام لعقائدهم وبراءة من الفلوس، كان تقية وخداعا

— فيها هو يطعن في السنة النبوية ويتهجم على الصحابة الكرام ويرفض كل ماورد عن طريق أهل السنة من الأحاديث النبوية، فيقول في حديثه عن عقائد الشيعة:

(إنهم لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ما صحَّ لهم من طريق أهل البيت عن جدِّهم . . . أما ما يرويه مثل أبي حمريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية — من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يُذكر) (١)

وهكذا يتبين للقارئ كذب كاشف الغطاء في دعوى التقارب مع أهل السنة ودعواه سد باب المجادلات المذهبية التي تثير الحفيظة وتزرع الضغينة

ويظهر جلياً أن الشيعة يشذون عن السنة النبوية التي عليها جمهور المسلمين ويرفضونها جملة وتفصيلاً وهذا خروج منهم عن أصل الاسلام وقواعده .

— والأشد من ذلك أن كاشف الغطاء الذي يزعم أنه مابرج منذ خمسين عاماً يسعى للتقريب والذي يحاول جاهداً أن يبرز عقائد الشيعة بصورة قريبة من عقائد أهل السنة وإذا به يغلو في أئمة أشد من غلو النصارى الذين جعلوا المسيح إلهاً من دون الله . فيقول في الشناء على أئمة الشيعة :

يا كعبة لك إن حجَّت الـ أملك منه فعرشه ميقاتها
أنتم مشيئته التي خلقت بها الـ أشياء بل ذُرَّتْ بها ذراتها
أنا في الورى قالٍ لكم إن لم أقل مالم تَقْلَهُ في المسيح غلاتها (٢)

فها هو يتعهد في البيت الأخير أنه سيقول في أئمة مالم تَقْلَهُ غلاة النصارى في

المسيح !!

وما ندري هل بعد غلو النصارى غلو؟!

(١) أصل الشيعة وأصولها ص/ ١٢١

(٢) ديوان شعراء الحسين لمحمد باقر النجفي - ص/ ١٢ نقلاً عن فكرة التقريب

هذه هي حقيقة كشف الغطاء وقد ظهرت عياناً بعد أن كُشف عنها الغطاء
وهكذا هو حال باقي دعاة التقريب الذين تظاهروا بالحسرات والزفريات على تفرق
كلمة المسلمين .

ولعل القارئ يتذكر ما أورده من ثناء كاشف الغطاء على شيخه النوري صاحب كتاب
(فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) ووصفه له بأنه (حائز علوم الأولين والآخرين
من عقت النساء أن تلد مثله . . . المعجب ملائكة السماء بتقواه ، من لو تجلى الله
(١)
لخلقه لقال هذا نوري . . .)!!

فإذا كان ثناء كاشف الغطاء - على من كرّس حياته لترويج فريه التحريف - يصل إلى
هذا الحد فاعلم بعد ذلك حقيقة خداع هذا الرافضي الذي لم يتخل عن غلو أسلافه ،
وانما أزداد بتظاهره بدعوى التقريب أن يخدع البسطاء ويذر الرماد في العيون .

٢- عبد الحسين شرف الدين الموسوي (٢)

وهو أيضاً من أبرز علماء الشيعة الذين تظاهروا بالدعوة للتقريب، وقد ألف كتاباً
في ذلك سماه: (الفصول المهمة في تأليف الأمة) وقال في مقدمته :
(لا تتسق أمور العمران ، ولا تستتب أسباب الارتقاء . . . إلا باتفاق الكلمة واجتماع
الأفئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم والاجتماع على النهضة . . . وبذلك تهتز الأرض
طرباً ، وتمطر السماء ذهباً . . . أما إذا كانت الأمة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة . . . لا
تأوي إلى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعه ، فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الألفة
واختلاف الكلمة وتنافر الأفئدة) (٣)

وهكذا نجد أن عبد الحسين يؤكد بإلحاح على الدعوة إلى التقارب ويحذر من
الفرقة والخلاف ولكنه بعد أن يسطر هذه الألفاظ المنمقة في الصفحات الأولى من كتابه
إذا به يطعن في الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة الكرام ، وذلك في الكتاب نفسه ،

(١) من تقرّظ كاشف الغطاء لكتاب النوري : (كشف الأستار عن وجه الغائب عن

الأبصار) ص/٢٤ وراجع ص/٣٨٣ من هذا البحث

(٢) سبقت ترجمته ص/٣٨٧ من هذا البحث

(٣) الفصول المهمة ص/٣

حيث يصور الحالة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأسوأ صورة ، ويدّعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتجهيز جيش أسامة وجعل فيه أبا بكر وعمر وهو في أيامه الأخيرة لأنه (أراد أن تخلو منهم العاصمة فيصفو الأمر من بعده لأمر المؤمنين علي . . لكنهم فطنوا إلى كل ما دبّر صلى الله عليه وسلم فطعنوا في تأمير أسامة وتناقلوا عن السير معه)^(١) فآين ذهبت صيحات التقريب التي استفتح بها هذا الرافضي كتابه ؟

— ويقول في تعليل عدم كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل موته بالوصاية لعلي رضي الله عنه :

(لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن في نبوته . . ومن تأمل أحوالهم زمن النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك إليه)^(٢)

ويقصد بالجملة الأخيرة - كما هو واضح - أن الخلفاء الثلاثة كانوا يطعنون في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويخالفون أمره !!

هذا هو حال هذا الرافضي الذي ينادي بالتقريب ويحذر من التفرقة .

إنه يعتقد أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم كفار وأصحاب مكائد وأهواء

وبذلك يسفر عبد الحسين عن وجهه الرافضي ، وتذهب صيحات التقريب التي استفتح بها كتابه أذراج الرياح ، حيث يظهر أنه لم يكن يقصد منها التقارب الحقيقي وإزالة الحواجز التي أوجدتها هذه العقائد الشيعية المنحرفة لاسيما تكفيرهم وبغضهم للصحاب الكرام ، وإنما كان يتصنع الدعوة للتقريب ليتخذ منها مطية لنشر غلوّه وضلاله .

— ولندع الدكتور مصطفى السباعي^(٣) رحمه الله - وهو من أبرز علماء السنة الذين عايشوا هذه الفترة وكشفوا خداع علماء الشيعة في دعوتهم للتقريب - يحدثنا عن زيارته لعبد الحسين وحديثه معه عن ضرورة التقريب ، فيقول :

(١) الفصول المهمة ص/ ٩٠ وراجع ص/ ٤٣٢ من هذا البحث

(٢) المرجع السابق ص/ ٩٥ - ٩٦

(٣) هو مصطفى بن حسين السباعي عالم إسلامي ، ولد بحمص في سورية سنة (١٩٠٥ م)

وتعلم بها وبالأزهر ، واعتقله الانكليز في مصر وفلسطين ستة أشهر ، وأسلموه إلى

الفرنسيين فسجنوه في لبنان ٣٠ شهراً ، وكان له شرف الاشتراك في كتاب الدفاع

عن بيت المقدس عام ١٩٤٨ م ، وقد حاز على درجة الدكتوراه من الأزهر ثم استقر ==

(في عام ١٩٥٣م زرت عبد الحسين شرف الدين في بيته بمدينة (صور) في جبل عامل ، وكان عنده بعض علماء الشيعة ، فتحدثنا عن ضرورة جمع الكلمة وإشاعة الوثام بين فريقَي الشيعة وأهل السنة . . وكان عبد الحسين رحمه الله متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر لعلماء السنة والشيعة لهذا الغرض ، وخرجتُ من عنده وأنا فرح بما حصلت عليه من نتيجة ، . . ثم ماهي الفترة من الزمن حتى فوجئت بأن عبد الحسين أصدر كتاباً في أبي هريرة مليئاً بالسبب والشتائم) (١)

ويقول الدكتور السباعي بعد اطلاعه على هذا الكتاب :-

(لقد انتهى مؤلفه إلى القول بأن أبا هريرة كان منافقاً كافراً ، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار) ! (٢)

ثم يقول تعليقاً على ذلك :

(لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً ، وذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي ، وأرى الآن نفس الموقف من فريق دعوة التقريب من علماء الشيعة ، إذ هم بينما يقيمون لهذه الدعوة الدور ، وينشئون المجالات في القاهرة ويستكتبون فريقاً من علماء الأزهر لهذه الغاية ، لم نر أثراً لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشيعة في العراق وإيران وغيرها ، فلا يزال القوم مصرّين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذب لما كان بين الصحابة من خلاف ، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة) (٣)

فالدكتور السباعي رحمه الله يُدعِج بكلام عبد الحسين ونظائره كذباً بالدعوة إلى التقريب لكنه بعد ذلك عرف حقيقة هؤلاء الرافضة الذين توجب عليهم تبييتهم أن يظهروا بوجهين وسائرين .

= في دمشق مدرساً وعالمياً ومجاهداً وعميداً لكلية الشريعة و كاتباً بارعاً حتى توفاه

الله سنة (١٩٦٤م) ، وله مؤلفات كثيرة طبع منها ٢١ كتاباً ورسالة ، كما أنه أنشأ مجلة حضارة الاسلام . رحمه الله تعالى . راجع ترجمته في العدد الخاص من

مجلة حضارة الاسلام ١٩٦٤م - والأعلام ٧ / ٢٣١ - ٢٣٢

(١) (٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص / ٩ - المكتب الاسلامي - الطبعة

الرابعة - ١٤٠٥ هـ .

(٣) المرجع السابق ص / ١٠

وليس الأمر في هذا المجال متوقفاً عند كاشف الغطاء وعبد الحسين ، بل هو عام في معظم علماء الشيعة الذين عاشوا في تلك الفترة وتظاهروا بالدعوة الى التقريب .

ولنستعرض بايجاز أبرز هؤلاء :

— فها هو محسن الأمين ^(١) يدعو الى التقريب وجمع الكلمة ، ويدعي أنه ليس بين الشيعة وأهل السنة نزاع الا في أمور يسيرة ^(٢) ، ثم نجده يطعن في الصحابة الكرام ويلمح الى أن علياً هو الذي جمع القرآن الصحيح وليس أبا بكر ^(٣) ، وبذلك يطعن في المصدر الأول عند المسلمين

— وها هو محمد جواد مغنية ^(٤) يدعو الى دفن الماضي وازالة الخلاف ^(٥) ثم هو بعد ذلك يطعن في عثمان رضي الله عنه ويزعم أنه انحرف عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف شريعة الاسلام ، ويطعن في الزبير وطلحة وعائشة وأبي هريرة وغيرهم من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم ويصر على القول بنجاسة الناصبي ^(٦) — ويقصد به أهل السنة — مع أنه يحكم بطهارة اليهود والنصارى ^(٨) . بل إنه يكفر أهل السنة زاعماً أن من أنكر عيد الفدير فقد أنكر الاسلام ^(٩)

— وها هو عبد الواحد الأنصار يدعو الى حل الخلافات المذهبية واقامة التقريب بين السنة والشيعة ، ويشنع على محب الدين الخطيب لأنه أظهر كذب علماء الشيعة في دعوتهم للتقريب ^(١٠) ، ثم نجده بعد ذلك يطعن في الصحابة الكرام بأشد الطعن ويزعم أن كثيراً منهم وضاعون ومزورون وكذابون ومتعطشون للدماء ^(١١)

(١) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث

(٢) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ٥ وكشف الارتياح ص / ٦٧

(٣) الشيعة بين الحقائق والأوهام ص / ١٤٧ وراجع ص / ٤٣٥ من هذا البحث

(٤) سبقت ترجمته ص / ٢٢٩ من هذا البحث

(٥) الشيعة في الميزان ص / ٦

(٦) راجع النصوص التي ذكرناها في ذلك ص / ٤٣٨ من هذا البحث

(٧) فقه الامام جعفر الصادق لمغنية ١ / ٣٥

(٨) راجع ص / ٤٩٢ من هذا البحث (٩) الشيعة في الميزان ص / ٢٥٨

(١٠) أضواء على خطوط محب الدين العريضة ص / ٥ — ١٠

(١١) راجع النصوص التي أوردناها من كلام الأنصارى ص / ٤٣٦ من هذا البحث.

— وها هو محمد رضا المظفر يؤكد أن فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحة وهدفاً رفيعاً لكل مسلم (١). ثم هو يصّر على الانحرافات الشيعية التي تسد طريق التقريب فيزعم أن المسلمين ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لم يستخلفوا علياً وأنهم انقلبوا على أعقابهم وخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من غير حياء ولا خجل وأن قلوبهم كانت مليئة بالتنافر والحسد (٢).

وهكذا يصّر علماء الشيعة على غلوهم وانحرافاتهم ، ويتظاهرون أمام أهل السنة بالدعوة إلى التقريب ليس حباً في التقريب وإنما يدفعهم إلى ذلك ما يرونه من انكشاف زيفهم وكساد بضاعتهم فأرادوا عن طريق الدعوة إلى التقريب أن يكسروا طوق العزلة الذي أحاط بالشيعة وأن يعطوا الصبغة الشرعية لعقائدهم وآرائهم وأن يكفوا الألسن عنهم .

ولذلك وجدنا أنهم كلما صدر بحث أو كتاب لا يتفق مع وجهة نظرهم ، ويكشف شيئاً من انحرافاتهم ، تقوم قياضهم ويفزعون إلى دعوة التقريب ويتهمون كاتبه بأنه يفرق الأمة وينبش دفائن الماضي (٣)

أما هم فأنهم مهما كتبوا من كتب ، ونشروا من مؤلفات أسلافهم المليئة بالطعن على الصحابة الكرام وغيرها من انحرافات الشيعة فإن ذلك في نظرهم لا يعرقل جهود التقريب . وهذا ما تم فعلاً ، إذ بينما كان علماءهم يتظاهرون بمودة أهل السنة والدعوة إلى التقارب معهم ونهذ الخلافات ، إذا بهم بنفس الوقت يقومون بحركة نشطة لطبع ونشر التراث الشيعي القديم وتعريف الناس به وترويجه بينهم ، وهذا التراث مليء باللمس والتكفير والتخليد بالنار لرجال الصدر الأول في الاسلام ، وغير ذلك من المفستريات والانحرافات التي سبق الحديث عنها ، وقد صدر هؤلاء كثيراً من هذه الكتب بمقدّمات وتقرّيزات وتعليقات ، ونشطت مطابع النجف وإيران ولبنان في طباعة هذه الكتب ونشرها .

كل هذا يتم والمسلمون ينظرون وبعضهم لا يزال يحسن الظن في أولئك ويهتف بالدعوة

إلى التقريب

(١) عقائد الامامية ص/ ٣١

(٢) راجع ما أورده من نصوص في ذلك ص/ ٤٤١ من هذا البحث

(٣) راجع الأمثلة التي ذكرناها من الكتب الشيعية التي ألفها علماء الشيعة للرد على

بعض علماء أهل السنة ، ص/ ٣٧٨ من هذا البحث

وتمت الخطوة ، ونجح علماء الشيعة في جعل التقية ستاراً في كل مراحلها ، ودخل بعض المغفلين والجهلة في التشيع أفواجاً .

ولكن اذا كانت دعوة التقريب التي تحدثنا عنها ، والتي اتخذها علماء الشيعة مطية لأغراضهم ، وقد ثبت فشلها ، وتأكد خبث نوايا الداعين اليها من علماء الشيعة ، فهل يعني هذا أن التقريب مستحيل وأن الخلاف أبدي ؟

لا بد لنا لكي نجيب على هذا السؤال من أن نذكر القارئ بما سبق ذكره في بداينة حديثنا هذا ، حيث بينّا أن هناك ثلاثة خواجز رئيسية لا بد من إزالتها نهائياً حتى يتم التقريب وهي : ١- العقائد المَكْفَرَة : وأخطرها فرية تحريف القرآن ، والطعن في الصحابة الكرام .

٢- الادعاء بأن مخالفيهم مخلصون في النار .

٣- التقية التي تبيح لهم التظاهر بخلاف ما يعتقدون وما يريدون .

فإذا تم ذلك ، وأُقلع الشيعة عن الطعن في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل خاص ، فإن التقريب الصادق أمل الجميع .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في حديثه عن التقريب :

(إنه إذا تم هذا العمل أحدث انقلاباً لا يوجد له نظير في تاريخ الانقلابات الفكرية ، والتجديد الاسلامي) (١)

ويقول وهو يحدّد أبرز شروط هذا التقريب :

(يجب أن يتغير نظر إخواننا الجعفرين إلى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين) (٢)

ثم يقول : (وكل محاولة لهذا التقريب من غير هذا التغيير النفسي محاولة غير ناجحة وغير طبيعية . . . إن التقريب ليس بشيء صناعي ميكانيكي ، إنه عمل القلب قبل أن يكون عمل اللسان . . . إنه لم يُكتشف إلى الآن مادة غرائية تُلصق بها القلوب كما تُلصق الأوراق ، فيجب أن ينبع هذا من القلب ويفيض حتى تشعر القلوب بقوته وحرارته) (٣)

(١) من نهر كابل إلى نهر اليرموك ص / ٩١ طبع أنقرة ١٣٩٤ هـ .

(٢) المرجع السابق ص / ٩٢

(٣) المرجع السابق ص / ٩٤ - ٩٥

وحتى ينبع التقريب من القلوب لا بد أن تصفو قلوب الشيعة من الغل والحقْد على صحابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد أن يتخلّى هؤلاء عن الخداع الذي اتقنوا فنّه وسموه
بغير اسمه وجعلوه ديناً وعقيدة ، ألا وهو التقية .

الفصل السابع

التقية عند الشيعة الباطنية وفيه مباحث :

المبحث الاول : التعريف بالباطنية وفرقهم ومجمل عقائدهم

١ - الاسماعلية

٢ - النصيرية

٣ - السدروز

- الاجماع على كفر الباطنية

المبحث الثاني : التقية عند الباطنية

- دور المستر عند الاسماعلية

- استخدام الاسماعلية للتقية لاستدراج الناس لدعوتهم

- حرس الباطنية على اخفاء عقائدهم

- التقية عند النصيرية

- الاختلاف في قبول تهمة الباطنية بسبب قولهم بالتقية

المبحث الاول

التعريف بالباطنية وفرقهم ومجمل عقائدهم

(الباطنية لقب عام تنطوى تحته طوائف عديدة تلتقى جميعها فى تأويل النصوص الظاهرة واثبات معان باطنة لها ، وتلجأ الى الرموز والاشارات فى تفسير النصوص الدينية واخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين بذلك هدم الدين وابطال شعائره وأحكامه العملية.)^(١)

يقول الامام الغزالى :

(وأما الباطنية فانما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر ، وأنها بصورتها توهم عند الجهال الاغبياء صورا جلية ، وهى عند العقلاء والاذكياء رموز اشارات الى حقائق معينة ، وان من تقاعد عقله عن الفروع على الخفايا والاسرار ، والبواطن والاغوار ، وقنع بظواهرها مسارعا الى الاغترار ، كان تحت الاواصر والاغلال معنى بالا وزار والاثقال .

وأرادوا بالاغلال التكاليف الشرعية ، فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه . . وغرضهم الاقصى ابطال الشرائع ، فانهم اذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين ، ان سقطت الثقة بموجب الالفاظ الصريحة ، فلا يبقى للشرع عصام يرجع اليه ويعمل عليه)^(٢).

والواقع ان الباطنية ليست فرقة واحدة وانما هى فرق عديدة تلتقى فى كثير من عقائدها وأصولها ، وتشترك جميعها فى القول بالظاهر والباطن ، والاعتقاد بالتناسخ والحلول والغلو فى الائمة وادعاء ألوهيتهم .

وقد كان ابن سبأ أول من أظهر هذه العقائد ، واتخذ من التشيع لعلى رضى الله عنه ستارا لترويج عقائده وحث سموه والتأمر على المسلمين ومحاولة اظهار كثير من العقائد

(١) دراسة عن الفرق للدكتور أحمد جلى س / ١٩٣

(٢) فضائح الباطنية ص / ١١ - ١٢

الثنية واليهودية بصيغة خادعة وثوب جديد .

واستمر هذا الغلو بعد ابن سبأ حتى ظهر ميمون القداح في الكوفة سنة ١٧٦ هـ فادعى الاسلام وتظاهر بأنه يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق ، واستغل ذلك لنشر انحرافات الباطنية في صفوف الشيعة ، وادعى أن لكل آية من كتاب الله تأويلاً باطنياً وأن جميع المغروضات رموز وإشارات ، وأن الضواهر كلها قشور ، وبواطنها هو اللب المقصود (١) ولا يتسع مجال البحث للتفصيل في نشأة الباطنية وفرقهم وما ذهب إليه كل فرقة منهم من آراء وعقائد ، وإنما سنقتصر في حديثنا على أشهر فرق الباطنية وهي : الاسماعيلية والنصيرية والدروز ، لأنها أبرز الفرق الباطنية ، وهي فرق قديمة ولكنها ممتدة حتى عصرنا هذا ، ولها أتباع منتشرون في بعض البلاد الاسلاميه .

١ - الاسماعيلية :

ينتسب الاسماعيلية إلى اسماعيل (٢) الابن الأكبر لجعفر الصادق ، وقد اختلف الشيعة في موته ، فمنهم من قال أنه مات في حياة أبيه فانتقلت الإمامة منه إلى أخيه موسى الكاظم ، وهوؤلاء هم الامامية

ومنهم من قال : انه لم يموت ، ولكن أباه أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ، وهو الامام بعد أبيه ، ومنهم من قال انه مات في حياة أبيه لكن النس على امامته يبقى في عقبه ، وهكذا نقلوا الإمامة عن طريق اسماعيل إلى ابنه محمد المكنوم ، وهو أول الائمة المكتومين أو المستورين عند الاسماعيلية الذين كانوا يسرون في البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهراً (٣)

(١) قواعد عقائد آل محمد للإمام محمد بن الحسن الديلمي اليماني (ت ٧١١ هـ) ص / ١٣

(٢) هو اسماعيل بن جعفر الصادق ، توفي في حياة والده سنة ١٤٣ هـ وقد أنكرت الاسماعيلية ذلك وادعوا امامته ثم امامة ولده محمد ثم ابنه جعفر (المصدق) ، ثم ابنه محمد ، وهكذا حتى عدوا سبعة سموهم الائمة المستورين . راجع الاعلام

- ٣١١ / ١

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٩١ - ١٩٢ ، تاريخ المذاهب الاسلاميه لابي زهرة

ص / ٥٩ - ٦٠

وتنقسم الاسماعيلية الى شعبتين رئيسيتين ، شعبة وقتت في موت محمد بن اسماعيل الملقب بالمكتوم ، وقالت برجعت وانتظرت مهديا يبعث ، وهوؤلاء هم القرامطة .

وشعبة ساقطت الامامة من بعده في ائمة مستورين مختفين الى أن وصلت الامامة الى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، الذي هو أول الائمة الظاهرين ، وهذه هي عقيدة الاسماعيلية الفاطمية (١) .

أما عقائد هم الاخرى فهي مزيج من أقوال الفلاسفة والعقائد اليهودية والمجوسية وغير ذلك .

- فهم يعتقدون أن الله لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم (٢) فينفون الاسماء والصفات عن الله تبارك وتعالى ويطلقونها على ما يسمونه (العقل الاول) (٣) الذي هو عند هم الخالق والبارئ والمصور . .

وأما الناطق والامام فلهما نفس الاسماء والاصناف والصلاحيات ، من الخلق والرزق والاحياء والامات الى غير ذلك ، ويدعون ان عليا هو الرب المتصف بصفاته ، وكذلك الائمة من ولده . . (٤)

- ويقولون بالحلول والتناسخ ، وأن الائمة يتشخصون للبشر كيف شاءوا (٥) ويدعون أن القيامة هي قيام القائم وأن عذاب الله يوم القيامة هو الانتقال في القوالب المسوخية ، وأن يوم الفصل هو يوم قيام المهدي وهو يوم التناد والتغابن والساعة وغيرها من اسماء يوم القيامة ، وأن الحساب يكون بيد القائم لانه هو الله الواحد القهار (٦) .

(١) دراسات في الفرق للدكتور عرفان ص / ٦٧ - ٦٨

(٢) الاسماعيلية - احسان الهى ظهير ص / ٢٧٣

(٣) المرجع السابق ص / ٢٨٥

(٤) المرجع السابق ص / ٢٩٩

(٥) المرجع السابق ص / ٤٢٢

(٦) المرجع السابق ص / ٤٤٠ - ٤٤٩

وقد صر الاسماعيلية فى كتبهم بانكار النعيم الحسى فى الجنة وانكار عذاب النار وتأويل ذلك بتأويلات باطنية .

(١) يقول ابو يعقوب السجستاني :

(الثواب فى دار البقاء هو العلم لا الحس ، ولا الاشياء الحسية) (٢)

ويقول فى تأويل معنى الجنة :

(هى العلوم والفوائد العقلية ، وهى بستان التمييز قد زين بالنطق والاسس والائمه والنواحيق) . (٣)

أما عذاب النار فهو عنده الشرائع الناموسية المعرأة عن العلوم ، وهى كالسموم القاتلة فإذا أدامها الانسان أفسدت حياته ، وقطعت عليه لذات هذا العالم الحسى (٤)

فالتكاليف الشرعية ، وما فيها من أوامر ومحرمات ، هى فى نظرهم كالسموم ، وهى المعنى الباطنى لعذاب النار ، لأنها تقطع اللذة الحسية والمتعة الجسدية عن الانسان كما يزعمون . .

- اما فرائض الاسلام فهى عندهم محمولة على معان باطنية ، فالصلاة هى الاتصال بالامام والدعوة اليه ، والزكاة هى الاقرار بالائمة وإعانة الناطق ، والصوم هو الستر والكتمان والصمت بين اهل الظاهر ، والحج هو قصد امام الزمان ، والغرض منه معرفة الائمة . . (٥)

غير ذلك من التأويلات الباطنية التى تهدف الى ابطال الشرائع والتحلل من التكاليف .

(١) هو اسحاق بن أحمد السجستاني ، من ابرز دعاة الاسماعيلية ، ولد سنة ٢٧١ هـ فى سجستان جنوب خراسان ، ونشأ فى اليمن ، وقتل فى تركستان سنة ٣٣١ هـ ، ويعتد كتابه (الينابيع) من أبرز كتب الاسماعيلية .

راجع : تقديم مصطفى غالب لكتاب (الينابيع) ص / ٤٦ - ٤٨ - الاعلام ٢٩٣ / ١

(٢) كتاب الينابيع - تحقيق : مصطفى غالب - ص / ١٣٦ - المكتب التجارى للطباعة - بيروت

- ط - ١٩٦٥ م

(٣) المرجع السابق ص / ١٣١

(٤) المرجع السابق ص / ١٣٨

(٥) الاسماعيلية - لظهير ص / ٤٩٩ - ٥٢٢

٢ - النصيرية :

تنسب هذه الفرقة الى مؤسسها محمد بن نصير النيمري^(١) الذي كان مولى للحسن العسكرى الامام الحادى عشر عند الشيعة الامامية ، ويقال إنه لما مات الحسن ادعى ابنه نصير أنه وكيل لابنه محمد بن الحسن ، او الباب له ثم ادعى أنه رسول الله ، ثم ادعى بعد ذلك الربوبية وقال باباحة المحارم^(٢) .

ويلخى لنا سعد القمى^(٣) عقائد النصيرية وما ذهبوا اليه من انحرافات فيقول :

(وقد شذت فرقة من القائلين بامامة على بن محمد - الهادى - فى حياته ، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النيمري ، وكان يدعى أنه نبي رسول وأن على بن محمد أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ويغلو فى أبى الحسن ، ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بالاباحة للمحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى اديارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل والإخبات فى المفعول به ، وأنه من الفاعل والمفعول به احدى الشهوات والطيّبات وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك)^(٤) .

وبالاضافة الى ذلك فان النصيرية يعتقدون بأن الله يحل فى الاشخاص وأن آخر حلول له كان فى على بن أبى طالب ، ومن ثم فهم يعتقدون أنه اله ، ويزعمون أنه كان موجودا قبل خلق السموات والارض ويؤلفون ثلوثا يتكون من على ومحمد وسلمان الفارسى ، ويرمزون لـه بالحروف الثلاثة (ع . م . س) ، فعلى هو المعنى أو الغيب المطلق ، ومحمد الاسم ، وسلمان هو الباب أو الطريق الذى يوصل الى المعنى .

ويذهبون الى أبعد من ذلك فيزعمون أن عليا هو الذى خلق محمدا ، ومحمد خلق سلمان الفارسى ، وسلمان الفارسى خلق من يسموهم الايتام الخمسة وهم : المقداد وأبوذر

(١) محمد بن نصير النيمري فارسى الاصل من موالى بنى نعيم ، سكن الكوفة والبصرة ، وتوفى

حوالى ٢٧٠ هـ ، وكنيته أبو شعيب . (الحركات الباطنية للخطيب ع / ٣٢٣)

(٢) دراسته عن الفرق - لجلّى س / ٢٤٤

(٣) وهو من أبرز كتاب الفرق من علماء الشيعة القدماء (ت ٣٠١ هـ) وقد سبقت ترجمته ص /

(٤) المقالات والفرق س / ١٠٠ وراجع : فرق الشيعة للنوختى ص / ٩٣ - ٩٤

وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحة وقنبر مولى على ، وكل واحد من هؤلاء موكل بتسيير جزء من الكون ، من الرعد والصواعق والزلازل وقبس الارواح ، ونفخ الارواح فى الاجسام .. الى غير ذلك .

ويقول النصيري بالتناسخ فيزعمون أن الارواح تنقل من جسد الى جسد ، فان كانت شريرة فانها تدخل فى جسم امرأة أو تحل فى الحيوانات النجسة كالخنازير ، أما ارواح المؤمنين فانها تتحول سبع مرات قبل أن تأخذ مكانها بين النجوم .

ويمجد النصيرية ابن ملجم قاتل علي لانه على زعمهم خلص اللاهوت من الناسوت . . (١)

٣ - الدروز :

الدروز فرقة انبثقت عن الطائفة الاسماعلية فى بداية القرن الخامس الهجرى فى مصر ابان الدولة الفاطمية ، وهم لا يرضون بهذا اللقب ، وانما يطلقون على أنفسهم اسم (الموحدين) (٢)

وقد ارتبعت اسم الدروز بشخصيتين هما :

- محمد بن اسماعيل نشتكين الدُرّزى (بفتح الدال والراء) ، وهو أحد الداعيين لتأليه الحاكم بأمر الله وقد نشر مذهبه فى وادى القيم فى بلاد الشام ، وكان هذا الرجل أحد أركان القوى الخفية اليهودية التى كانت تخطط للكيد للإسلام .
- منصور أنوشتكين الدُرّزى (بضم الدال وسكون الراء) وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله ، والدروز يجلبونه ايما اجال (٣)

ومهما يكن فإن المحور لعقيدة الدروز هو الحاكم بأمر الله (٤) أحد خلفاء الدولة الفاطمية ،

(١) دراسة عن الفرق لجلّى س / ٢٤٧ - ٢٥٢

(٢) أضواء على العقيدة الدرزية - لأحمد الفوزان ع / ٥

(٣) المرجع السابق س / ٦

(٤) هو منصور (الحاكم بأمر الله) ابن نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله)

العبيدى الفاضل من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر ، ولد فى القاهرة سنة ٣٧٥ هـ ، واستلم الخلافة وعمره احدى عشرة سنة ، وأعلنت الدعوة الى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ ، =

وقد أنشأ سنة ٣٩٥ هـ معهدا رسميا خاصا لبث الدعوة الفاطمية السرية ، وسماه دار الحكمة فاحتشد فيه طائفة من الدعاة الملاحدة ، والتفوا حول الحاكم بأمر الله ، وزينوا له فكرة (ألوهيته) ، ومن هؤلاء الدعاة الباطنيين : حمزة بن علي الزوزني ^(١) الذي وفد على مصر سنة ٤٠٥ هـ وانتظم في دار الحكمة حتى أصبح عضوا بارزا فيها ، وأصبحت له حظوة عند الحاكم ، واستطاع ان يجمع حوله كثيرا من الباطنيين الذين نادوا بالدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، وكان على رأس هؤلاء محمد بن اسماعيل الدرزي ^(٢) .

وقد تطور المذهب الدرزي بعد الحاكم وأصبح متميزا عن باقي الفرق الباطنية بعقائده عديدة وان كان يشترك معها في العقائد الرئيسية التي اتصفت بها كل الفرق الباطنية .

= وكان يأتي بأعمال متناقضة لا تصدر عن رجل عادي عنده شيء من العقل كما ذكر

المؤرخون ، ومنهم من كان يعبده ذكيا عبقريا ، توفي سنة ٤١١ هـ

راجع ترجمته في : الاعلام ٣٠٥ / ٧ - ٣٠٦

طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص / ٣١ - ٤٩

عقيدة الدروز للخطيب ص / ٣٩ - ٨٠

(١) هو حمزة بن علي بن أحمد الفارسي الدرزي ، من كبار الباطنية ، فارسي الأصل ،

انتقل الى القاهرة ، وأصبح من أركان الباطنية في عهد الحاكم بأمر الله ، ولما هلك

الحاكم رحل الى بلاد الشام واستقر في المقاطعة التي سميت بعد ذلك جبل الدروز ،

وأصبح له عند الدروز المكانة الكبرى حتى سموه : العقل وقائم الزمان والايه الكبرى

وآية التوحيد وآدم الكلى . . ، وله عدة رسائل في مذهبهم ، وقد توفي عام ٤٣٣ هـ .

راجع ترجمته في : عقيدة الدروز للخطيب ص / ١٠٣ ، أضواء على العقيدة الدرزية

للفوزان ص / ٢٨ ، الاعلام ٢٧٨ / ٢

(٢) عقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب ص / ٣١ - ٣٢

(١) ومن أبرز عقائد الدروز :

- ١ - ادعاء الوهية الحاكم بأمر الله ، وإن له حقيقة لا هوثية لا تدرك بالحواس
- ٢ - القول بالتناسخ وهو انتقال النفس من جسم بشري الى جسم بشري آخر ، أما المسح وهو الانتقال الى البهائم فانهم ينكرونه .
- ٣ - القول بالحدود الخمسة وهي : العقل والنفس والجسد والفتح والخيال ، وهي الحدود الروحانية التي لها مشولات في الحدود الجسمانية وهم : النطقاء والاوصياء والائمة والحجج والدعاة .
- ويطلقون كل واحد من هذه الحدود على شخص من دعائهم ومؤسسي مذهبهم ، ويقولون ان هؤلاء هم أبواب الحكمة ومفاتيح الرحمة ويصفونهم بكثير من صفات الالوهية .
- ٤ - الادعاء بأن المقصود بيوم القيامة ليس هو بيعت الارواح وانما هو نهايه مراحل الارواح حيث تنتقل من الاقصاه المادية لتتصل بالعقل الكلي وذلك حينما يظهر مذهب الدروز على كل المذاهب ، وكذلك يخرجون معنى الجنة والنار والشوَاب والعقاب عن حقيقته ويؤولونه بمعان باطنية ، وهذا ما يفعلونه ايضا في تأويل فرائض الاسلام بمعان باطنية وانكار معانيها الظاهره .
- ٥ - وهم ينكرون جميع الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل لانهم لم يعرفوا الوهية الحاكم . .

الاجماع على كفر الباطنية :

كما سبق نجد أن العقائد الباطنية المتمثلة في أشهر الفرق الباطنية وهي الاسماعيليه والنصيرية والدروز . . عقائد لا تمت الى الاسلام بصلة ، بل هي كفر بالله وانكار لكل الاديان السماوية ، ولذلك حكم علماء المسلمين بكفر هذه الفرق وأطلقوا عليها اسم : الفرق الخارجة

(١) راجع عقيدة الدروز للخطيب ص / ١٢١ - ١٦٩ ، اضواء على العقيدة الدرزية للفوزان

ص / ٤٦ - ٦٧ ، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص / ٨٣ - ١٢٤

عن الاسلام ، وهذا أمر بد هي لادعائهم الوهية البشر وانكارهم لاركان الايمان والاسلام
واسقاطهم للفرائض والتكاليف الشرعية ، ولذلك أجمع علماء المسلمين على القول بكفرهم
وردتهم عن الاسلام .

يقول الامام ابن تيمية :

(١) (كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم)

ويقول أيضا :

(هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين ، لا يحل أكل ذبائحهم ، ولا نكاح

نسائهم ، بل ولا يقرون بالجزية ، فانهم مرتدون عن دين الاسلام) (٢)

ويقول رحمه الله ردا على فتوى في حكم النصيرية :

(هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية الكفر من اليهود

والنصارى بل وكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم

من ضرر القار المحاربين . . فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع ،

وموالاه اهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهى ولا

ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم) (٣)

ومع انتساب الباطنية للتشيع فان علماء الشيعة الامامية قد اعلنوا براءتهم منهم وحكموا

بشد وذهم وكفرهم .

يقول ابن بابويه القمي : (اعتقادنا في الغلاة أنهم كفار بالله) (٤)

ويقول أيضا : (ليس بين الغلو والامامية نسبة) (٥)

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٦٢

(٢) المرجع السابق ٣٥ / ١٦١

(٣) المرجع السابق ٣٥ / ١٤٩

(٤) الشيعة بين الحقائق والاهام لمحسن الامين ص / ١٩

(٥) اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة لابن بابويه ص / ٩٩

- ويقول : (أما القرامطة فقد نقضت الاسلام حرفا حرفا لانها أبطلت اعمال الشريعة)^(١) .
ويقول محمد جواد مغنية (ان للفلاة دينهم الخاص وهو لا يمت الى الاسلام بصلة)^(٢) .

(١) المرجع السابق ص / ١٠٠

(٢) مع الشيعة الامامية ص / ٤١

المبحث الثالث

التقية عند الباطنية

مع أن الباطنية لا تمت الى الاسلام بصلة ، وجميع فرقها خارجة عن الاسلام كما أسلفنا ، ومع أن انتماءهم الى التشيع انتماء زائف . . الا أننا سنتحدث عن موقفهم من التقية ——— لا شراكمهم في هذه العقيدة مع الشيعة الامامية .

والواقع أن أبرز ما استخدم فيه الباطنية التقية هو كتمان عقائدهم واخفاء كفرهم عن الناس ، أما مجالات التقية الاخرى كالتقية في الرواية والفقه والتي هي عند الشيعة الامامية من أبرز مجالات التقية ، فان الباطنية لم يهتموا كثيرا بهذا المجال لان عقائدهم الباطنية ومنهجهم في تفسير النصوص بمعان باطنية واخراجها عن ظاهرها ، جعلهم في غنى عن كثير من استخدامات التقية التي أقدم عليها الامامية .

فالباطنية فتحو الباب لانفسهم لتحريف وتأويل أى نص شرعى ليس باسم التقية ، بل عن ضيق القول بالظاهر والباطن وسلخ الايات عن ظواهرها .

كما أن هذه العقائد الباطنية جعلتهم يختلفون عن الامامية في تفسير بعض المواقف التاريخية التي فسرها الشيعة الامامية على أساس التقية .

فزواج عمر رضى الله عنه من أم كلثوم ابنة على رضى الله عنه فسرره الامامية بالتقية ، ولكن الباطنية لهم تفسير آخر كما ذكر ذلك المفضل الجعفي ، وهو من رؤساء الباطنية .

فقد عقد لذلك بابا في كتابه (الهفت والاظلة) تحت عنوان (معرفة تزويج أم كلثوم في الباطن) ادعى فيه أن عمرا دخل عليها فوجدها في صورة أم كلثوم ولكنها كانت في الواقع ابنته جريرة ، فلما أصبح علم بذلك فصاح صيحة رجعت لها الدار ، ولكنه بعد ذلك كتم قصته خوف العار . . (١)

(١) الهفت والاظلة - للمفضل بن عمر الجعفي - تحقيق عارف تامر - ج ٦٢ - ٦٦

وهكذا يظهر حقد الباطنية على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما

يفترون من افتراءات لتشويه الصورة النقية لجيل الصحابة الكرام .

والمهم أنهم باستخدامهم لعقائد هم الباطنية فى التقمص والتناسخ استفنوا عن استخدام

التقية فى مجالات كثيرة من المجالات التى استخدم فيها الشيعة الامامية التقية .

ولكنهم بالمقابل كانوا أشد استخداما للتقية فى مجال كتمان عقائد هم واخفاء حقيقة

كفرهم عن الناس ، وهم يعلمون أن عقائد هم تتعارض مع العقول وتنفر منها النفوس لأنها أقرب

الى الخرافات والاساطير .

يقول الامام ابن تيمية :

(أما هؤلاء القرامطة فانهم فى الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل ، يخفون ذلك

ويكتمونه عن غير من يشقون به . . لأنهم لو أظهروه لنفر عنهم جماهير أهل الأرض من المسلمين

(١)

وغيرهم) .

- وللتأكيد على أهمية التقية عند الباطنية فى مجال كتمان عقائد هم فاننا سنستعرض بعض

ما يروونه من روايات فى ذلك ، وهى فى الواقع لا تختلف عما أورده الشيعة الامامية من روايات .

(٢)

ومنها الرواية المشهورة : (التقية دينى ودين أبائى) .

ورواية أخرى أوردها أحد الباطنية عن ائمتهم وهى : (اكنموا سرنا ، ومن أذاع سرنا فقد

(٣)

جحد حقنا)

كما يزعم الباطنية أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بث لعلى بن أبى طالب وبعض الصحابة

علوم وأسرا را خفية والفرض من ذلك - على حد زعمهم - " اخفاء أسرار الله تعالى عن غير

أهلها ، لأنها ما زالت كذلك مخفية عن غير أهلها مودعة عند أهلها " (٤)

(١) مجموع الفتاوى ٣٥ / ٤١

(٢) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمنى ٩٢ / ٩٢ نقلا عن : الاسماعيلية لاحسان الهيسى

ظهيرى ٤٦٩ / ٤٦٩

(٣) كتاب الكشف ٣ / ٣ نقلا عن : الاسماعيلية لظهيرى ٤٦٩ / ٤٦٩

(٤) جامع الاسرار ومنبع الأنوار / شيخ سيد حيدر آملى ٢٥ / ٢٥ - نقلا عن : الحركات الباطنية

فى العالم الاسلامى للخطيب ٥١ / ٥١

دور الستر عند الاسماعيلية :

لعبت التقية دوراً مهماً فيما أسماه الاسماعيلية دور الستر حيث عدوا محمد المكتوم أول
الائمة المستورين وهو ابن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وفقى الائمة عندهم في دور الستر
حتى أظهر أبوعبدالله المهدي الدعوة فكان أول الائمة الظاهرين (١)

ويقول الاسماعيليون ان محمد بن اسماعيل المكتوم كانت امامته بداية دور جديد ففى
تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، حيث قام بنسخ الشريعة التى سبقتة ورفع التكليف الظاهرة
للشريعة ونادى بالتأويل واهتم بالباطن ولذلك انتظم فى سلك مقامات دور الستر (٢)

كما جعل الاسماعيلية للائمة فى دور الستر والتقية مقامات ودرجات وهى :
الامام المقيم ، والامام الأساسى ، والامام المتمم ، والامام المستقر ، والامام المستودع ، الى
غير ذلك من المراتب (٣)

استخدام الاسماعيلية للتقية لاستدراج الناس لدعوتهم :

تحدث الامام محمد بن الحسن الديلمى (٤) عن حيل الباطنية فى الاستدراج لدعوتهم
وما يقومون به من تظاهر أمام الآخرين لاخفاء حقيقتهم فقال :

(ومنها : استدراجهم . . ويتكلمون مع الناس على قدر اعتقادهم وعقولهم ودرجاتهم ، والجاهل
المفرور صيدهم ، ويدخلون على كل فرقة من فرق الامة المسلمة وغيرها من جهتهم .

(١) تاريخ ابن خلدون ص / ٣٥٦

(٢) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص / ١٤٨

(٣) انظر : الامامة وقائم القيامة للدكتور مصطفى غالب ص / ١٤٧ - ١٤٨

الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص / ١٤٢ ، أصول الاسماعيلية للدكتور برنارد لويس ص / ١٦٠
وانظر ما ذكره احسان الهى ظهير عن دور الستر والدعاة فى هذا الدور ، فى كتابه
الاسماعيلية ص / ٨٥ - ١٠٠

(٤) هو الامام محمد بن الحسن الديلمى اليمانى ، فقيه زيدى ، أصله من الديلم ، انتقل الى
اليمن وسكن صنعاء وتوفى سنة (٧١١) وكتابه : (قواعد عقائد آل محمد) يعد من
أصول كتب الزيدية . - الاعلام ٦ / ٨٦ -

فمن وجدوه مسلماً شيعياً يظهرهم التشيع عنده دينهم ومذهبهم ، ويشتمون الامامة لظلمهم علياً وأولاده . . . ومن وجدوه مجوسياً يظهرهم عنده تعظيم النار والنور . . . ومن وجدوه يهودياً يظهرهم عنده تعظيم السبت وشم النصارى والمسلمين . . . ومن وجدوه نصرانياً يظهرهم عنده الطعن على اليهود والمسلمين جميعاً . . . ويدرجون العامى الأعجز الى مراتب كفرهم درجة درجة (١)

ولذلك كان دعاة الاسماعيلية يسلكون طريق التستر والكتمان لنشر دعوتهم ، حيث يندسون فى حلقات العلماء ليسألوهم ويخرجوهم ويشككوا طلابهم بهم ويعلموهم ، ويستترهـؤلاء الاسماعيليتهم ويظهرهم أمام كل فرقة على شاكلتها . (٢)

حرص الباطنية على اخفاء عقائدهم

مهما كان الشيعة الامامية يحرصون على اخفاء عقائدهم وكتمانها تقية ، فان الباطنية اكثر تسترا وكتمانا منهم ، وقد ساعدهم على هذا الكتمان أن عقائد الباطنية - وبخاصة الاسماعيلية - مجموعة من آراء مختلفة قد تطورت من بلد الى آخر ، ومن زمن الى زمن ، بحيث تصعب دراستها ومعرفتها ، وقد استفاد الاسماعيليون من هذا الاختلاف والتطور فاذا حاولت أن تسأل أحدهم فى مسألة من المسائل تراه ينكر نسبة هذه المسألة الى الاسماعيلية ، فاذا جابته بها فى كتاب من كتبهم ، فهو اما أن ينكر نسبة الكتاب الى الاسماعيلية ، أو يخرج لك كتابا آخر من كتبهم فيه ما يناقض ما فى الكتاب الاول . (٣)

وهناك كتب اسماعيلية سرية لا يطلعون عليها الا خواصهم لما فيها من عقائد خطيرة وأساطير منفرة وقد وقعت يدى على أحد هذه الكتب ضمن مجموعة أربعة كتب نشرها المستشرق (شتروتمان) واسم هذا الكتاب : (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والاسرار السامية التى لا يجوز الاطلاع عليها الا بإذن من له العقد والحل) لمؤلف مجهول ، بتاريخ

١٢٨١ هـ .

(١) قواعد عقائد آل محمد ص / ٢٧ - ٢٩

(٢) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص / ١٣٨

(٣) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص / ١٧٧

ويأخذ مؤلفه العهد على قارئ كتابه ألا يطلع عليه أحدا ، وأن يرده اليه بعد أن يحفظ
(١)
مافيه

ثم بعد ذلك يشرع في الحديث عن العالم الروحاني والهيكل النوراني ، وناسوت الامام ، والصور الابليسية ، وأهل المسوخات الى غير ذلك من الالغاز والاساطير (٢)
التقية عند النصيرية :

لا يختلف النصيرية عن غيرهم من الفرق الباطنية في حرصهم على كتمان عقائدهم واستخدام
التقية في اخفائها ، ويحتجون بما احتج به غيرهم من الاستدلال على وجوب التقية بنسبتها
لِلرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والادعاء بأنه كتم بعض عقائد الدين عن كثير من أصحابه
يقول الكاتب النصيري المعاصر محمد غالب الطويل :

(٤)
أيضاً . . .

ولا يخفى ما في هذا القول المتهاف من الاضطراب إذ كيف يكمل الاسلام بعضه ناقص
مكتوم ؟ وكيف يُعتبر هذا النقصان دليلاً على الكمال ؟!

إن هذه الدعوة الباطلة تعارض مانص عليه القرآن الكريم ، وقد سبقت مناقشتها في السرد على الشيعة الامامية الذين ادعوا أيضاً . (٥)

(١) مسائل مجموعة من الحقائق العالية ص / ٥ - ٦

(٢) المرجع السابق ص/ ٦ - ١٣

(٣) لقب يطلقه النصيرية على أنفسهم ليتخلصوا مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير ، وليظهروا أمام الآخرين بمظهر التشيع وموالاة أهل البيت .

(٤) تاريخ العلويين لمحمد غالب الطويل ص / ٧٥

(٥) راجع ص / ٢٧٢ من هذا البحث .

ويتحدث المنتجب العاني أحد رؤوس النصيرية عن السرية في كتمان عقائد هم ويباركها بقوله : (١)

وسرُّ يقلقل صمَّ الجبا	ل ويفجّر من صخرها أعينا
عجائبه كثرة لاتعدُّ	فطوى لطوف اليها رنا
ومسك من بعد هذا المقال	حذاراً ونقطعه من هنا
لكي لاتلوح معانسي الكلام	فيظهر ضدُّ على سرّنا

ولذلك يعتمدون الى الرمز في الدين والحديث بالالفاظ التي لا يفهمها الا الخواص، وهذا شاعرهم المكزون السنجاري يعلل ذلك بقوله (٢) :

قالوا تحدث بالصحي	مع من الحديث بغير رمز
فأجبتهم هل عاقل	يرمي الكنوز بغير حِرْز ؟

وينسبون الى الامام على زين العابدين قوله في التأكيد على إخفاء هذه العقائد الباطلة :

وربَّ جوهر علمٍ لو أبوح به	لقليل لي انت ممن يعبد الوثنا (٣)
----------------------------	------------------------------------

والامام على زين العابدين رحمه الله برى من ذلك وهو العالم الزاهد التقى، فكيف

يُدعى أن عنده علوماً خفية وجواهر لا يبوح بها، ولو أباح بها كانت شركاً وعبادة للوثن ؟!

ويدعون أن جعفر الصادق أوصى المفضل الجعفي بالتقية وكتمان سر الله، وقال له :

(يا مفضل : لقد أعطيت فضلاً كبيراً، وتعلمت علماً باطناً فعليك بكتمان سر الله، ولا تطلع

عليه الا مخلصاً، فان أفشيت به الى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك) (٤)

وقد جاء في كتابهم (تعاليم ديانة النصيرية) هذا السؤال (٥) :

س - هل يحق للمؤمن أن يبوح لانسان آخر بسر الاسرار ؟

(١) اسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص / ٣٤٥

(٢) معرفة الله والمكزون السنجاري ٢ / ٣٤٦ نقلا عن : اسلام بلا مذاهب ص / ٣٢٦

(٣) تاريخ العلويين ص / ١٩٦

(٤) الهفت والاطلة ص / ١٢٦

(٥) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ٢ / ٤٨٥

ج - لا ييوح به الا لآخوانه فى الدين ، وإلا باء بسخط الله . .

ولكى يطلع النصيرى على أسرار مذهبه لابد أن يمر بثلاث مراحل :

١ - مرحلة (الجبال) : وفيها يهيئون من يقع عليه الاختيار من أبناء الطائفة لقبول وحمل أسرار المذهب .

٢ - مرحلة التعليق : وفيها يلقنونه شيئا من الاسرار ويختبرون تكتته .

٣ - مرحلة (السماع) : وهذه المرحلة يصلها من وجدوه جديرا بحمل أسرار المذهب وعند ها ينقلونه الى درجة أعلى يطلقون عليها درجة الشيخ (أو صاحب العهد) بحضور كفيلىين أو شاهدين يشهدان باستعداد الرجل لقبول السر ومحافظة عليه ، ثم يلقنونه سر المذهب بعد حلف اليمين على عدم البوح بالسر ولو أريىق دمه ، وهذا الأسلوب المتبع لدى النصيرية يشبه الى حد بعيد الأسلوب المتبع فى الماسونية عند سقوط عضو جديد فى شراكها (١)

ولقد اغتر الدكتور مصطفى الشكعة بطالب نصيرى أقسم له على براءة النصيرية مما نسب اليهم من عقائد وذلك فى رسالة أرسلها اليه عقب صدور الطبعة الاولى من كتابه (اسلام بلا مذاهب) .

وقد أقسم الطالب فى رسالته بالآيمان المغلظة أن العلويين لا تختلف عقيدتهم عن عقيدة الشيعة . (٢)

وانا بالدكتور الشكعة يعيد النظر فى الطبعة الرابعة من كتابه فى الفصل الذى خصصه للحدث عن النصيرية ويطلع علينا بمزاعم غريبة حيث يقسم النصيرية الى قسمين :

- قسم من الغلاة وهم الذين قالوا بتألية علي وغير ذلك من العقائد الباطلة ، وهذا القسم لم يعد له وجود الان !

- وقسم يُعتبرون شيعة إمامية وهم كالمو الايمان صحيحوا الاسلام (!) وهوؤلاء بين القوم من الكثرة بمكان ، يؤدون الفرائض من غير شحطات (٣) !!

(١) طائفة النصيرية للدكتور سليمان الحلبي ص / ٤٦

(٢) اسلام بلا مذاهب ص / ٣٦٢

(٣) المرجع السابق ص / ٣٣١

ولاندرى هل انطلت حيلة التقية على الدكتور الشكعة حتى سارع الى تصديق كلام يصله من طالب مجهول لا يدري اسمه ، أم أنه تراجع عما كتبه رهبة وخوفاً ! .

- وكما أن النصيرية يقومون باستخدام التقية الى هذا الحد لكتمان عقائد هم فان الدروز أيضا لا يختلفون في استخدامهم للتقية عن النصيرية حيث يتظاهرون بأنهم فرقة من فـرق المسلمين وأنهم يؤدون الشعائر ويحرصون على العقيدة الاسلامية ، ولذلك يسمون أنفسهم (الموحد ين) (١) .

- وبسبب تمسك الباطنية بالتقية اختلف العلماء في قبول توبة من يتوب منهم ويدعي تخليه عنهم .

يقول الامام الغزالي :

(وأما توبة الباطنية وكل زنديق مستتر بالكفر يرى التقية ديناً ، ويمتد النفاق وإظهار خلاف المعتقد عند استشعار الخوف حقاً - ففي هذا خلاف بين العلماء : ذهب زاهبون الى قبولها . . وذهب زاهبون الى أنه لا تقبل توبته ، وزعموا أن هذا الباب لو فتح لم يمكن حسم مادتهم وقمع غوائلهم ، فإن من سرّ عقيدتهم الدين بالتقية والاستمرار بالكفر عند استشعار الخوف) (٢)

ويقول الامام ابن تيمية :

(وإذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء . . لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ، . . فالطريق في ذلك أن يُحتاط في أمرهم) (٣)

(١) أضواء على العقيدة الدرزية ص / ٥

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص / ١٦٠ - ١٦١

(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٣٥ / ١٥٧

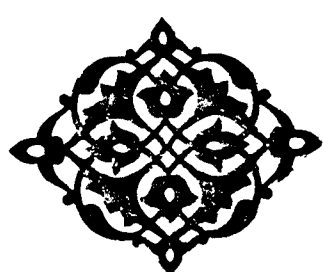
الباب الثالث

التقية عند الخوارج

وفيه فصول :

الفصل الأول : التعريف بالخوارج ومجمل عقائدهم

الفصل الثاني : موقف الخوارج من التقية



(٦٠٦)

الفصل الأول

التعريف بالخوارج

وفيه مجملات :

المبحث الأول : نشأة الخوارج

المبحث الثاني : فرقهم وعقائدهم

المبادئ العامة للخوارج

أبرز فرق الخوارج :

١ - الازارقة

٢ - النجدات

٣ - الصفرية

٤ - الاباضية

هل الاباضية من الخوارج ؟

أقوال العلماء في تكفير الخوارج

المبحث الاول

نشأة الخوارج

~~~~~

عرف الامام الشهرستاني الخوارج بقوله :

( كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الائمة الراشدين ، أو كان بعد هم على التابعين باحسان ، والائمة في كل زمان )<sup>(١)</sup>

وقد أطلق هذا اللقب على الذين خرجوا على الامام علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين ، واعتبروا قبوله للتحكيم خطيئة تؤدى الى الكفر ، ومن ثم طلبوا منه أن يتوب من هذا الذنب ويرجع عما أبرم مع معاوية من شروط ، فأبى علي ذلك ولم يرض بنقض العهد والميثاق .

وعندها ترك هؤلاء جيش الامام علي رضي الله عنه وخرجوا مستخفين واجتمعوا في حروراء احتجاجا على وقف القتال والركون الى الصلح ثم لما أعلنت نتائج التحكيم ترك جمع آخر منهم جيش الامام علي وخرجوا من الكوفة ، والتحقوا بالفتنة الاولى عند النهروان ، وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي .<sup>(٢)</sup>

والذى يدعوا الى العجب ويشير الريية في حقيقة هؤلاء ، أنهم هم الذين طلبوا من علي رضي الله عنه أن يقبل بالتحكيم وهددوا ان لم يقبل أن يفعلوا به مثل ما فعلوا بعثمان رضي الله عنه ، فلما تم التحكيم على خلاف ما يريدون خرجوا عليه وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لا حكم الا لله .<sup>(٣)</sup>

ولذلك يرجح بعض الباحثين أن زعماء الخوارج الاول أو بعضا منهم على الاقل كانوا ممن اشترك في قتل عثمان رضي الله عنه ، ولذلك كانوا يتخوفون من انقطاع الحرب وعقد

(١) الملل والنحل ١/١١٤

(٢) دراسات في الفرق والعقائد للدكتور عرفان عبد الحميد ص/٩٦

(٣) الملل والنحل ١/١١٤ - ١١٥

الصلح مخافة أن يعاقبوا على اشتراكهم في مقتل عثمان ، ولذلك أصرروا على استمرار الحرب ونقض الصلح ، وهذا ما يربط بين الخوارج والسبئية (١) .

وهكذا تعمل الايدي الخفية الحاكمة على الاسلام على إثارة الفتن في صفوف المسلمين واشغالهم عن الدعوة للاسلام ، ومحاولة ايقاف المد الاسلامي عن طريق اشغال جيش المسلمين بالشقاق والخلاف .

ومما يؤكد ذلك أن الخوارج لم يكتفوا بالخروج على علي رضي الله عنه وإنما اجتمعوا في النهروان وأخذوا يقتلون كل من لم يشاطرهم رأيهم ويعترف بخليفتهم ولعن عثمان وعلياً رضي الله عنهما (٢) .

وهكذا عاث الخوارج في الارض فسادا ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، وارتكبوا الجرائم الخطيرة ، ومن أبرز هذه الجرائم قتلهم لعبد الله بن خباب بن الارت ، الذي سأله عن رأيه في أبي بكر وعمر فذكرهما بكل خير ، وسأله عن عثمان في أول خلافته وأخبرها فجعله محقا في أولها وأخبرها ، وسأله عن علي قبل التحكيم ومعه فقال : ( إنه أعلم بالله منك ، وأشد توقيا على دينه ، وأنفذ بصيرة ) .

فقد موه الى شفير النهر فذبحوه وقروا بطن أم ولده عما في بطنها ، وكانت حبلى ، ثم قتلوا بعض النسوة وأخذوا يعترضون الناس ويقتلون الاطفال (٣) .

ولما اشتدت حركتهم خرج اليهم الامام علي رضي الله عنه لقتالهم ، وادبرهم بالمناقشة والرد على آرائهم واقناعهم ، فعاد قوم منهم الى جيش علي رضي الله عنه ، وانعزل آخرون عن القتال ، أما الباقيون وكانوا نحو أربعة آلاف فقد أصرروا على انحرافهم ، ولما طلب منهم تسليم قتلة عبد الله بن خباب منهم ، قالوا كلنا قتلناه ، فصمم على قتالهم بعد أن تبين له انهم الفئة الخارجة التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه (٤) ، وخطب

( ١ ) دراسات في الفرق ص / ٩٤

( ٢ ) تاريخ الاسلام السياسي والديني للدكتور حسن ابراهيم حسن - ١ / ٣٧٨

( ٣ ) تاريخ الطبري ٥ / ٨١ ، التبصير في الدين للاسفراييني ص / ٤٧ ، تلبيس ابليس

لابن الجوزي ص / ٩٣

( ٤ ) وردت في ذم الخوارج والامر بقتالهم أحاديث صحيحة كثيرة ، منها ما رواه البخاري =

علي بأصحابه ، وأخبرهم بما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن الخوارج ، وهكذا كانت موقعة ( النهروان ) التي أبيد فيها الخوارج ولم ينج منهم الا نفر قليل (١) .

ولكن هذه المعركة لم تضع نهاية للخوارج ، لان من بقى منهم كان له دور خطير في التخطيط لقتل الامام علي رضي الله عنه ، والخروج على الخلفاء من بعده ، واستمرار الخوارج قوة مناهضة للدولة الاموية تحاول تقويض أركانها ، كما استطاعوا في بعض الاحيان أن يسيطروا نفوذهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق من اليمن والجزيرة (٢) ، وانقسموا الى فرق عديدة متناحرة فيما بينها ، وأصبح لكل فرقة منهم عقائد خاصة تتميز بها ، مع اشتراكهم في كثير من المبادئ العامة .

وفبل أن نتحدث عن المبادئ العامة للخوارج وعقائد كل فرقة منهم ، نستعرض أبرز الالقاب التي أطلقت على الخوارج وسبب اطلاقها .

= عن علي رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة ) .

وروى أيضا عن أبي سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( يخرج في هذه الامة ، ولم يقل منها ، قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ) .

وعن أبي سعيد قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن زى الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك من يعدل اذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه . قال : دعه ، فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت النبي صلى الله عليه وسلم ) .

صحيح البخاري ٤ / ١٩٧ - ١٩٨ باب قتل الخوارج والمليحدين

فقد أطلق عليهم اسم المحكمة بسبب ما وضعوه من شعار انكار التحكيم في قولهم ( لا حكم  
 الا لله ) ، كما أطلق عليهم اسم المارقة لمروقهم عن الدين كما وصفهم الحديث ، وسموا  
 أنفسهم الشراة لقولهم شرينا أنفسنا في الله ، أى بعناها بثواب الله كما يزعمون ، تبعاً  
 لما ورد في قوله تعالى : ( ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف  
 بالعباد ) (١) .

وسموا أيضاً بالحرورية لانحيازهم في أول أمرهم الى قرية ( حروراء ) بالقرب من  
 الكوفة (١) .

---

( ١ ) سورة البقرة / آية ٢٠٧

( ٢ ) آراء الخوارج للدكتور عمار الطالبي - ٣١ / ١ ، دراسة عن الفرق للدكتور جليلى

## المبحث الثاني

## فرقهم وعقائدهم

~~~~~

قبل أن نتحدث عن فرق الخوارج وما تميزت به كل فرقة من عقائد وآراء ، نتحدث عن المبادئ العامة التي تجمع هذه الفرق ، أو قال بها معظمهم .

المبادئ العامة للخوارج :

١ - اكفار علي وعثمان والحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعري ، وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين .

٢ - تكفير مرتكب الكبيرة ، واعتباره مخلداً في النار

٣ - وجوب الخروج على الامام الجائر ، وأن الامامة تجوز في غير قریش ، بل ان بعضهم جوزاً ألا يكون للناس امام أصلاً^(١) .

وقد استشهد الخوارج على هذه المبادئ ببعض النصوص التي فهموها فهماً منحرفاً ، وتمسكوا بظواهرها دون اعتبار لغيرها من الأدلة التي تفسرها وتوضحها ، وهذا ناتج عن عدم معرفتهم في الفقه وعدم فهمهم للسنن الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام ابن حزم في وصفه لأسلاف الخوارج :

(كانوا أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ، لامن أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر . . ولهذا تجد هم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصفارها^(٢))

فرق الخوارج

يطلق كتاب الفرق على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر

(١) المبادئ راسات في الفرق للدكتور عرفان ص/ ٩٩

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٤/ ١٥٦

التحكيم ، اسم المحكمة الأولى ^(١) ، وهؤلاء هم الذين اجتمعوا بحروراء ، وكانوا اثني عشر ألف رجل ثم خرجوا الى النهروان ، وقد بقيت الخوارج على مذهب المحكمة الاولى التي أن ظهرت فتنة الازارقة فاختلفوا وأصبحوا فرقا عديدة .
وأبرز هذه الفرق :

١ - الازارقة :

وهم أتباع نافع بن الازرق ^(٢) الذين خرجوا معه من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وماوراءها من بلاد فارس في أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي . ومن أبرز عقائد هم :

١ - تكفير علي وعثمان وطلحه والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، وسائر المسلمين معهم ، وتخليد هم في النار جميعا .

٢ - اباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، والقول بأنهم مخلصون في النار مع آبائهم

٣ - إسقاط الرجم عن الزاني لعدم وروده في القرآن الكريم .

٤ - تكفير كل من ارتكب كبيرة من الكبائر كفرمة ، وأنه مخلص في النار مع سائر الكفار ^(٣).

أما قولهم في التقية والقعدة في دار المخالفين فهذا ما سنتحدث عنه تفصيلا في الفصل الثاني .

٢ - النجدات :

وهم أتباع نجدة بن عامر ^(٤) الذي خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحق بالازارقة ،

(١) راجع: الفرق بين الفرق للبغدادى ص/٥٦ - ٦٢ ، التبصير في الدين للأسفرايينى

ص/٤٥-٤٧ ، الملل والنحل للشهرستانى ١/١١٥-١١٨

(٢) هو نافع بن الازرق بن قيس الحنفى ، من أهل البصرة ، كان جبارا فتاكاً ، قتل سنة ٦٥ هـ

على مقربة من الاهواز (راجع ترجمته في الاعلام ٧/٣٥١ - ٣٥٢)

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١/١٢١ - ١٢٢

(٤) هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى ، من بنى حنيفة قتل سنة ٦٩ هـ على يد أصحابه

الذين خلعوه ، وقيل بل قتله أصحاب ابن الزبير (الاعلام ٨/١٠)

فاستقبله بعض الذين خالفوا نافع بن الازرق وأخبروه بما أحدثه من البدع والعقائد المنكرة ،
 وما يعوه ، ثم اختلفوا عليه في أمور نقموها منه وانقسموا الى ثلاث فرق .
 ومن ابرز ما تميز به النجدات أنهم عذروا بالجهالة في الحكم الاجتهادي وقالوا :
 الدين أمران : أحدهما : معرفة الله ، ومعرفة رسله عليهم السلام ، وتحريم ما هـ المسلمين
 يعنون موافقيهم - والاقرار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب على الجميع ، والجهل
 به لا يعذر فيه .

والثاني : ما سوى ذلك ، فالناس معذرون فيه الى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام
 ولذلك سمو النجدات العاذرية .
 ومن عقائد النجدات أن من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك ، ومن
 زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك (١)

٣ - الصفريّة :

أصحاب عبد الله بن صفار (٢) ، خالفوا الازارقة والنجدات في أمور منها :
 ١ - لم يكفروا مرتكب الكبيرة وانما قالوا : ما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره
 مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف ، فانه يكفر بذلك ، وقالوا : الشرك شركان : شرك
 هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان ، والكفر كفران : كفر بانكار النعمة ، وكفر
 بانكار الربوبية .

٢ - وكان فريق منهم : كل ذنب له حد معلوم في الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركا ولا كافرا
 بل يدعى باسمه المشتق من جريمته ، يقال سارق وقاتل وقاذف (٣)

(١) الملل والنحل ١/٢٢٢-١٢٤ وانظر : الفرق بين^{الفقه} ص/٦٦ ، التبصير في الدين ص/٥٢
 (٢) هو عبد الله بن صفار الصريمي التميمي ، اختلف كتاب الفرق في رئاسته لفرق الصفريّة
 فقد نسب بعضهم هذه الفرقة لزياد بن الاصغر ، توفي ابن صفار سنة ٦٠ هـ ر الاعلام
 ٩٣/٤ .

(٣) التبصير في الدين ص/٥٣ الملل والنحل ١/١٣٧

٤ - الاباضية :

أصحاب عبد الله بن اباض^(١) الذى كان مع نافع بن الازرق وانشق عنه وكان ذلك فى أيام معاوية رضى الله عنه ، لكن الشهرستانى يذهب الى أن عبد الله بن اباض هو الذى خرج على مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية^(٢) ، والاباضية يؤكدون القول الاول^(٣)

والاباضية اكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيراً^(٤) ولذلك استمر وجودهم الى الان بينما انقرضت فرق الخوارج الاخرى ولم يبق لها وجود ، ومع ذلك فان للاباضية انحرافات خطيرة ، ومن أبرز عقائد هم :

١ - يوالون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويرون أنهما على النهج الاسلامى ، أما عثمان فانه قد عمل بالحق خلال السنين الست الاولى من خلافته ثم أحدث بدعا ، ولذلك كانت الثورة عليه مشروعة ، وقتله واجب ، ويعتبر الاباضية أنفسهم أتباعا وأحفادا لاولئك الذين أقدموا على قتل عثمان رضى الله عنه^(٥) .

٢ - ويرون أن عليا رضى الله عنه أخطأ فى أمر التحكيم ولذا وجبت البراءة منه ومحاربه^(٦)

٣ - ويرون أن مخالفينهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ، ويسمونهم كـفـاراً ويقولون عنهم انهم كفار نعمة ، لا كفار فى الاعتقاد^(٧)

(١) هو عبد الله بن اباض المقاسي التميمي ، من بنى مرة ، كان معاصراً لمعاوية ، وعاش حتى أواخر أيام عبد الملك بن مروان وتوفى سنة ٨٦ هـ (الاعلام ٦٢/٤) .

(٢) الملل والنحل ١/١٣٤ وراجع : دراسة عن الفرق لجلى ص/٦٢

(٣) العقود الفضية فى الاصول الاباضية - سالم بن حمد الحارثى العماني - ص/١٢١

(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص/٨٥

(٥) نشأة الحركة الاباضية للدكتور عوض خليفات ص/٥٧ - ٥٨

(٦) المرجع السابق ص/٦٢

(٧) تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص/٨٦

٤ - ويقولون ان دماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيد واسلام الا معسكر السلطان
(١) وتجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث منهم

وقد تكونت نواة الاباضية في البصرة ثم انتشروا في الجزيرة وشمال افريقيا ، واستطاعوا
أن يكونوا لهم دولة في عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية (١٣٢ - ١٣٦ هـ) وامتد
نفوذها الى جزيرة زنجبار ولا تزال مبادئ الاباضية وافكارهم هي السائدة في هذه الاماكن
كما أقام الاباضية لهم دويلات في ليبيا والجزائر ولا تزال طوائف منهم تنتشر في بعض واحات
الصحراء الغربية الى الان (٢)

موقف الاباضية من الخوارج ؟

يعرف بعض الاباضية الخوارج بانهم (طوائف تخرج في الاسلام ضالة ، وهي فرق من
فرق الاسلام رأسهم نافع بن الازرق ونجدة بن عامر وعبد اللهب الصفار وأتباعهم ، خرجوا
على أهل الحق في زمن التابعين وتابعيهم ، وحكموا على مرتكب الكبيرة من الذنوب بالشرك) (٣)
ويرى الاباضية أنفسهم أنه لا تجمعهم بالخوارج جامعة ولا يمتنون اليهم بصلة ، وان من
الجرائم التي يقول بها مخالفوهم تسميتهم اياهم خوارج غمزا لهم وطعنا في الدين (٤) .
ولا يكتفون بذلك بل انهم يقولون ان الخوارج في نظر الاباضية مشركون .

والواقع أن المواقف العدائية التي اتخذها الاباضية من الازارقة والصفرية لا تمنع أن يكون
لهم صلة بالخوارج ، بل ان هناك ما يشير الى وجود صلة وثيقة بين الاباضية وبين اوائل الخوارج
وهم المحكمّة الأولى ، ويؤكد هذا ماورد في الرسالة التي يقال ان ابن اباض بعثها الى
عبد الملك وفيها يصف سلفه من الخوارج بأنهم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ماأحدث

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ص/ ٨٦

(٢) دراسة عن الفرق لجلى ص/ ٧١

(٤) أصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج للشيخ سالم السيابي اسماعلى ص/ ٢٢

(٥) المرجع السابق ص/ ٢٩

(٦) المرجع السابق ص/ ٣٢

وأنهم أنكروا على علي التحكيم وفارقوه .

وهذا النص يثبت صلة الاباضية بالخوارج وأن عبد الله بن اباض يفتبر نفسه امتداداً
للمحكمة الاولى (١)

أقوال العلماء فى تكفير الخوارج :

يرى جمهور علماء اهل السنة أن الخوارج غير كافرين ولا خارجين عن الملة ، وان كان بعضهم قد حكم بكفرهم أخذاً بظاهر الاحاديث التى تصفهم بأنهم يمرقون من الدين (٢) ويرجح الامام ابن تيمية قول الجمهور مستدلاً بفعل الصحابة رضى الله عنهم مع هؤلاء ، فيقول : (مما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج ، أنهم يصلُّون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحرورى - وكانوا يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم ، كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحرورى لما أرسل اليه يسأله عن مسائل . . .

وكما اجاب نافع بن الازرق عن مسائل مشهورة ، وكان نافع يناظره فى أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمان ، وما زالت سيرة المسلمين على هذا . . . فانهم كانوا مجتهدين فى قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم . . . ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم باحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين (٣)

(١) دراسة عن الفرق للدكتور جلى ص/٦٧ وراجع نص رسالة ابن اباض فى العقود الغضبية ص/ ١٣٥

(٢) راجع تفصيل اقوال العلماء فى ذلك فى كتاب (آراء الخوارج) للدكتور عمار الطالبي ص/ ١٧ - ٢٢

(٣) منهاج السنة ٦٢/٣

الفصل الثاني موقف الخوارج من التقية

المبحث الأول : اختلاف الخوارج في جواز التقية

- القائلون بتحريم التقية.
- القائلون بجواز التقية

المبحث الثاني : أحكام التقية عند الإباضية

- تعريف التقية عند هم
- مسالك الدين عند الإباضية
- ما يجوز من التقية وما لا يجوز
- دار العدل ودار التقية

المبحث الاول

اختلاف الخوارج فى جواز التقية

اشتهر الخوارج بالصراحة فى القول ، والجهر بما يعتقدونه من آراء دون مراعاة لاحد أو خوف منه ، مع استخدام القوة فى الدفاع عن آرائهم وقتال من يرونه مخالفا لهم ، وخروجهم المستمر على السلطة والصرامة فى مواقفهم .

ومع ذلك فقد اختلفت آراؤهم فى جواز التقية ، بل ان الافتراق الذى حصل بين صفوفهم كان من أحد أسبابه الرئيسة اختلافهم فى جواز التقية .

ويمكننا أن نميز بين قولين رئيسين لهم فى حكم التقية حيث ذهب الازارقة الى منع التقية وتحريمها وذهب الآخرون الى جوازها مع اختلاف بينهم فى أحكامها .

القاتلون بتحريم التقية :

من أبرز عقائد الازارقة أنهم يقولون ان التقية غير جائزة فى قول ولا عمل (١) .

وهم يرون أن التقية والسرية سمة المنافق ، ومن ليس على ثقة من نفسه ومن ايمانه (٢)

وقد استدل نافع بن الازرق على عدم جواز التقية بالادلة التالية : (٣)

١ - ان التقية تتنافى مع وجوب الجهاد ، ولذلك قال : (التقية لا تحل ، والقبول عن

(٤)
القتال كفر)

واحتج بقوله تعالى : (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية

الله أو أشد خشية) (٥)

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٢٢/١

(٢) آراء الخوارج للطالبى ١٣٣/١

(٣) (٤) الملل والنحل ١٢٥/١

(٥) سورة النساء / آية ٧٧

٢ - كما اعتبر أن التقية تتنافى مع قول الله تعالى في وصف المؤمنين :

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)^(١)

وهذا ذم للذين يخافون الناس أو تكون خشيتهم من الناس كخشيتهم من الله ، وهذا في رؤية من صفات أهل التقية

٣ - كما استدل بما ورد من آيات القرآن الكريم في الأمر بجهاد المشركين ، ومنها قوله

تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة)^(٢) وقوله سبحانه : (انفروا خفافا وثقالا)^(٣)

وهذا أمر عام دون استثناء لحال من الاحوال يجوز فيه القعود عن قتالهم على سبيل التقية^(٤)

٤ - كما استدل على تحريم التقية بما وصف الله به القعدة في قوله تعالى :

(وقعدا الذين كذبوا الله ورسوله)^(٥) ، فالقعود من صفات المكذبين لله ورسوله وهم غير المؤمنين^(٦)

٥ - أما ما ورد من الأدلة على جواز التقية ، ومنها قوله تعالى (الا ان تتقوا منهم تقاة)^(٧)

فقد أجاب عنها نافع بان هذا كان في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام حين كانوا مقهورين ، وأما في غيرهم مع الامكان فالقعود كفر^(٨)

ولذلك نجد ان نافع حكم بكفر القعدة ولو كانوا موافقين له ، وحكم بكفر من لم يهاجر اليه .^(٩)

(١) سورة المائدة / آية ٤٥

(٢) سورة التوبة / آية ٣٦

(٣) سورة التوبة / آية ٤١

(٤) الكامل للإمام محمد بن يزيد الجبري (ت ٢٨٦ هـ) - ١٧٧ / ٢

(٥) سورة التوبة / آية ٩٠

(٦) آراء الخوارج ص / ١٣٣

(٧) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٨) الملل والنحل ١ / ١٢٥

(٩) المرجع السابق ١ / ١٢١

وقد جاء في كتاب نافع الى اهل البصرة ما يدل على تشديده على القاعد ين وتحذيرهم من القعود حيث قال لهم :

(والله انكم لتعلمون ان الشريعة واحدة ، والدين واحد ، فقيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله الى الجهاد ، فقال : " وقاتلوا المشركين كافة " ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الاحوال ، فقال : " انفروا خفاقا وثقالا " وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ، ومن كانت اقامته لعله ، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدون فقال : " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله " (١) (٢)

مناقشة هذه الادلة :

منشأ هذا القول عند نافع هو اعتقاده ان الاخذ بالتقية يتنافى مع وجوب الجهاد ، ولذلك احتج بالآيات القرآنية التي تؤكد على فرضية الجهاد ، وتحذر من القعود والتخلف عنه . والواقع ان الاخذ بالتقية لا يتنافى مع وجوب الجهاد ، لان الجهاد اصل من أصول هذا الدين ، بل هو ذروة سنام الدين ، أما التقية فهي رخصة مستثناة من الاصل في حالة خاصة وهي حالة الاكراه والخوف ، فالمؤمن ان كان في عز ومنعة لا يجوز له ان يأخذ بالتقية ، أما اذا كان مستضعفا غير قادر على دفع الظلم عن نفسه فانه يجوز له أن يتظاهر بموافقة أعدائه تقيية وهذا من الرخص التي أباحها الاسلام تيسيرا على العباد .

وانا كان نافع قد ذكر في كتابه الى اهل البصرة أن الله عذر الضعفاء والمرضى ، ومن كانت اقامته لعله ، فان هذا القول يعد دليلا يناقض قوله بتحريم التقية ، لان المستضعف أو المكروه معذور أيضا بنص الآية الكريمة (الا من اكراه وقلبه مطمئن بالايمان) (٣)

وهذا حكم عام لا يختص بزمن دون زمن ، لان ما تعرض له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايذاء والقهر ، قد يتعرض له اي مسلم يقع في الاسر او يجبر على المقام في دار الكفر .

(١) سورة النساء / ٩٥

(٢) الكامل للمبرد ١٧٩/٢

(٣) سورة النحل / آية ١٠٦

- أما احتجاجة بقوله تعالى (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) وقوليه :
 (ولا يخافون لومة لائم) فان هذا ايضا لا يصلح دليلا على تحريم التقية فى حالة الضرورة .
 لان الذى يضطر الى استخدام التقية لابد أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان والخشية
 من الله سبحانه ، وهو لا يستخدّمها لدفع اللوم عن نفسه ، وانما يأخذ بها مضطرا لما يتعرض
 له من اكراه وخوف قد يؤدى به الى الموت .

والمسلم حال استخدامه للتقية لا يمكن ان تزول خشية الله من قلبه ، ولا يمكن أن تكون
 خشيته من الناس اكثر من خشيته لربه ، لانه يراقب الله فى أعماله ، ويعلم انه يقدم على أمر
 رخص له الله فيه ، ولا بد له أن يكون قلبه مطمئنا بالايمان والا تحولت التقية الى كفر وردة .
 ومع ان قول الازارقة بتحريم التقية يعد انحرافا عن الاسلام ، الا أن هذا الانحراف أقل
 بكثير مما وقع فيه الشيعة من الانحراف المقابل حيث توسعوا فى استخدام التقية وجعلوها أصلا
 من أصول الدين حتى صاروا اكثر الطوائف اشتهارا بالكذب .

يقول الامام ابن تيمية :

(الخوارج مع أنهم مارقون . . . ليسوا ^{يتمد} من الكذب ، بل هم معروفون بالصدق ، حتى
 يقال ان حدّثهم من أصح الحديث . . . أما الرافضة فأصل بدعتهم عن زندقة والحاد ، وتعتمد
 الكذب فيهم كثير ، وهم يقرّون بذلك حيث يقولون : ديننا التقية)^(١)

القائلون بجواز التقية :

وهم النجدات والصفرية والاباضية ، وقد ذكر الشهرستاني^(٢) ان نجدة بن عامر ، ونافع بن
 الازرق اختلفا بعد أن كانا على قول واحد ، وكان سبب اختلافهما أن نافعا قال : التقية
 لا تحل ، وخالفه نجدة فقال : التقية جائزة ، واحتج بقوله تعالى : (الا ان تتقوا منهم تقاة)^(٣)
 وقوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه)^(٤)

(١) منهاج السنة ٤٣ / ١ الطبعة المحققة

(٢) الملل والنحل ١ / ٢٥٥

(٣) سورة آل عمران / آية ٢٨

(٤) سورة غافر / آية ٢٨

وقال بالقعود جائز والجهاد اذا أمكنه أفضل ، قال الله تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)^(١)

وهكذا كان الاختلاف بين نافع ونجدة في حكم التقية سببا في انشقاق نجدة عن نافع وقيام فرقة النجدات التي ظهرت لأول مرة بين الخوارج بهذا القول .
يقول الشيخ محمد أبوزهرة :

(والنجدات قد أتوا بمبدأ عند الخوارج لم يسبقهم اليه أحد من الخوارج ، وهو مبدأ التقية بان يظهر الخارج أنه جماعى حقنا لدمه ، ومنعا للاعتداء عليه ، ويخفى عقيدته حتى يحين الوقت المناسب لظهارها)^(٢)

وقد توسع النجدات في التقية حتى قالوا انها جائزة في القول والعمل كله ، وان كان في قتل النفوس^(٣) وهذا شذوذ واضح لم يقل به أحد ، لان قتل النفس التي حرم^{الله} قتلها لا يجوز فيها كانت الضرورة ، والشيعة مع توسعهم في التقية حرموا التقية في قتل النفس كما سبق بيانه^(٤)

ومن وافق النجدات في القول بجواز التقية : الصفرية ، لكنهم قالوا : انها جائزة في القول دون العمل ، كما جوزوا تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية^(٥)
وقد اشتهر القول بجواز التقية عن أبي بلال مرداس^(٦) وهو الشخصية المحبوبة لـدى جميع فرق الخوارج وتبين هذا من موقفه مع البلجاء المرأة الخارجية التي كان لها مواقف عنيد فمن ابن زياد فقد قال لها ابو بلال مشفقا عليها من بطش ابن زياد :

(ان الله قد وسع على المؤمنين التقية ، فاستترى ، فان هذا المسرف على نفسه الجبار

(١) سورة النساء / آية ٩٥

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ٨٢ / ١

(٣) الملل والنحل ١٢٤ / ١

(٤) راجع ص / ٣١٦ من هذا البحث

(٥) الملل والنحل ١٣٧ / ١

(٦) هو مرداس بن حدير ، أحد بنى ربيعة ، شهد صفين ، وكان ممن أنكر التحكيم على الامام على رضى الله عنه وفارقه مع أهل النهروان .

(راجع ترجمته في العقود الفضية في اصول الاباضية ص / ١٠٧)

العنيد قد ذكرك^(١)

كما أن الاباضية قالوا بجواز التقية ، ولهم في ذلك أحكام كثيرة نتعرض لها تفصيلا في البحث

الثاني

البحث الثانى

أحكام التقية عند الاباضية

معظم فرق الخوارج التى نجد عقائد ها فى كتب التاريخ والفرق ، قد بادت ولم يبق لها أثر ، الافرقه الاباضية فانها لاتزال حتى الان ، ولها كتب فى التفسير والحديث والفقه موجودة ، ولذلك كان لابد من الحديث عن موقفهم من التقية وأحكام التقية عند هم بالرجوع الى مصادرهم مباشرة .

وقد عرف أحد علمائهم التقية بقوله :

(١) هى نظام سرى لحماية دعوة معينة ، يقوم صاحبها على التموه أمام السلطات لحماية نفسه (٢) كما عقد محدثهم المشهور الربيع بن حبيب فى كتابه الذى يسمونه (الجامع الصحيح) بابا بعنوان : (باب ما جاء فى التقية) أورد فيه الروايتين التاليتين : (٣)

١ - قال جابر سئل ابن عباس عن التقية فقال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :
(رفع الله عن أمتى الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا وما أكرهوا عليه) . (٤)

٢ - وقال ابن مسعود : (ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين الا تكلمت بها ، وليس الرجل على نفسه بأمين اذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد) . (٥)

وقد كان للتقية دورهم فى استمرار فرقة الاباضية وانتشارها ، وذلك لانهم التزموا الكتمان

(١) دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - بكير بن سعيد أعوش - ص / ١٤٦

(٢) هو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدى الازدى ، من أهل البصرة ، أصله من عمان من أعيان المائة الثانية للهجرة ، توفى فى عمان سنة ١٧٠ هـ .

راجع ترجمته فى : دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - بكير أعوش - ص / ١٣٠

تاريخ الادب العربى - كارل بروكلمان - ١٦١ / ٣ ، الاعلام ١٤ / ٣

(٣) مسند الربيع بن حبيب (الجامع الصحيح) - ١٢ / ٣

(٤) ورد قريب من لفظ هذا الحديث من طريق أهل السنة - راجع ص / ٦٩ من هذا البحث .

(٥) ورد قريب من هذا الاثر عند أهل السنة - راجع ص / ٩٣

والسرية خلال كثير من الفترات التاريخية ، حتى استطاعوا تأسيس دولة لهم في أوائل القرن الثاني في كل من حضرموت واليمن وعمان ، ولكنها لم تدم طويلا ، حيث قضى الامويون على دولتهم في اليمن وحضرموت ، وقضى العباسيون على دولتهم في عمان ، ولكن أباضية عمان استمروا في تنظيم أنفسهم حتى أعادوا دولتهم من جديد سنة ١٧٧ هـ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تاريخ عمان مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمذهب الاباضى (١) .

مسالك الدين عند الاباضية :

قسم الاباضية مسالك الدين الى اربعة أقسام وهى : الظهور ، والدفاع ، والشراء ، والكتان (٢) وقد حصروا تنفيذ واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال المسالك الاربعة . أما الظهور : فهو عندهم بروز الدولة بالمعنى السياسى المعبر عن السلطة الحاكمة والدفاع : هو اجماع المسلمين على امام يعينونه عند محاربتهم العدو الذى وهمهم واحتل ديارهم وانما زال القتال زالت امامته . والشراء : أن يبيع أربعون مسلما فما فوق انفسهم لله عزوجل ، ويعلنون الجهاد أمام السلطة الجائرة ، ويسمون أنفسهم بالشرأة ، ولا يجوز لهم الرجوع الى ديارهم حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال .

أما الكتان : فهو عندهم أدنى درجة فى الجهاد ، ويتمثل فى عدم مساعدة الظالمين ، والابتعاد عن وظائفهم وانشاء جمعيات سرية لنشر عقائدهم (٣) .

وهذا المسلك هو الذى يسمونه التقية ، لانهم عرفوا التقية بأنها نظام سرى لحمايه دعوة معينه (٤) ، كما أوردنا سابقا .

مايجوز من التقية وما لا يجوز :

نص الاباضية على جواز المعارض عند التقية ، وأورد علماءهم ماورد من أمثلة للمعارض

(١) نشأة الحركة الاباضية - للدكتور عوض خليفات - ص / ١٧٠ - ١٧١

(٢) دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - ص / ١٠٧

(٣) المرجع السابق ص / ١١١ - ١١٣

(٤) المرجع السابق ص / ١٤٦

الجائزة كما أوردها قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لكم فى معاريف الكلام مندوحة عن الكذب .

وقول ابن عباس : ما أحب بمعاريف الكلام حمرا النعم ، أى أفضل ما يكون منها . واستدلوا على جواز المعاريف بقول ابراهيم عليه السلام : انى سقيم ، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله عن امرأته حين خاف عليها : هى أختى (١) .

وقالوا : يجوز للانسان ارضاء الذى يخشاه بالقول الذى يرضيه فى الظاهر ، وهو فى الباطن بخلافه ، لنفع يستجره أو لدفع ما يضره (٢)

أما الشهادة فلا تجوز له أن يأتى بها الا على وجهها ، ولا يزيد على ذلك حرفا واحدا وقيل ان كان من أحال الكلام - أى غيره - عن وجهه - يريد بذلك اثبات حق أو ازالة شئ من الباطل أو اصلاحا بين اثنين لا يكون آثما ولا كاذبا ، ويجوز له ذلك (٣) .

وقالوا ان التصنع للذى والسلطان الجائر جائز اذا كان يدعوالى دفع ضرره أو قضاء حاجة يستعين بها على أمر الدنيا (٤) ، ولا يخفى أن هذا الاطلاق فى جواز التقية للاستعانة على أمور الدنيا يعد خروجا عن الضوابط الشرعية ، لان التقية لا تجوز الا فى حالة الاكراه والخوف ، ولا تجوز لتحقيق مصلحة دنيوية أو الاستعانة على أمر دنيوى .

ويفرق الاباضية تغريفا دقيقا بين المدارة والمداينة حيث ينقلون عن أحد علمائهم قوله :
(كل شئ ينقص من آخرتك فتحمله فهو مداينة) (٥)

دار العدل ودار التقية :

يقولون انه مادام أهل العدل يقدررون أن يظهرروا دینهم فى الدار ولو كان الغالب

(١) منهج الطالبین و ملاغ الراغبین - خمیس بن سعید الشقصی الرستاقی - تحقیق : سالم

ابن حمد الحارش - ص / ٤٩١ - ٤٩٥

(٢) المرجع السابق ص / ٤٩٢

(٣) المرجع السابق ص / ٤٩٣

(٤) المرجع السابق ص / ٤٩٦

(٥) المرجع السابق ص / ٤٩٧

على أهلها أهل الضلال ، فالدار دار عدل ، اذا كانت نحلته أهل العدل .
وان لم يقدروا ان يظهروا دينهم وتوسعوا بالتقية ، فقد زالت الدار من أيديهم الى
أيدي المالك لها من أهل الضلال .

وقال بعضهم ان حكم أهل الدار حكم أهل النحلة والتدين ، ولا ينظر الى مالكها
وسلطانها ، ولا يهدم حكم أهل العدل غلبة أهل الجور عليها ، فاذا كانت النحلة من
أهل الدار صحيحة جارية على مذاهب أهل الاستقامة ، فلا يضر أهلها في دينهم من
ولاية وموافقة ما غلب عليه أهل الجور من الملك .

أما دار الكفر فهي الدار التي لا يسع المسلم أن يقعد فيها حتى يظهر دين الضلال
والسمع والطاعة لأهل الضلال وموافقتهم على ضلالهم .

واذا صحت الدار أنها دار كفر على هذا الوجه ، كانت البراءة من جملة أهل الدار
المشتمل عليها اسم الكفر جائزة ، ولا يجوز ان يبرأ من أحد منهم بعينه حتى يعرف موقعه .^(١)
وهذا الاستعراض لأحكام التقية عند الاباضية نجد التقارب الواضح بين ما ذهبوا اليه
في هذا المجال وبين موقف أهل السنة من التقية ، ولذلك عدت فرقة الاباضية من أقرب
الفرق الاسلامية الى أهل السنة .

وقبل ان نأتى الى ختام هذا البحث الذي تحدثنا فيه عن التقية وما نال مفهومها
ومجالاتها من انحرافات ، نلخص أبرز ما توصلنا اليه من نتائج لتكون ملخصاً مفيداً يساعد
القارئ على استيعاب هذا الموضوع وفهمه بتركيز أكثر .

الختام

وبعد جولتنا مع القارئ بين فصول هذا البحث نلخص أبرز ما توصلنا اليه من نتائج ونشير الى بعض ما نراه من اقتراحات ، مرتبة بحسب أهميتها .

- ١ - الاسلام الحق هو الوسط في تشريعاته وأحكامه ، والفرق التي انحرفت عنه غالت في أحد الجانبين ، فالشيعة توسعوا في التقية وفتحوا بابها على مصراعيه وبعض الخوارج أغلقوا بابها كلياً ، وكلاهما يخالف الفطرة وينافي روح التشريع الاسلامي ، وموقف الخوارج مضطرب بين تحريم كامل للتقية وبين إباحة لها كرخصة عارضة
- ٢ - التقية رخصة من رخص الاسلام التي شرعها الله سبحانه رفعاً للحرَج عن الناس ولها ضوابط وأحكام لا بد من معرفتها قبل الاخذ بها ، ولكن الشيعة استغلوا هذه الرخصة ، وجعلوا منها منفذاً لفلوهم ، وستاراً لاخفاء عقائد هم المنحرفة وابتدعوا لها مجالات جديدة ليتوصلوا عن طريقها الى رد روايات أهل السنة وتأويل كل ما يعارض انحرافاتهم من وقائع تاريخية ثابتة ، وهذا خرجت التقية عندهم عن مفهومها الشرعي الصحيح وأصبحت نوعاً من أنواع الكذب وطريقاً للخداع ومنفذاً للفلو .

ولهذا نقول ان التقية الشرعية شيء ، والتقية الشيعية شيء آخر .

- ٣ - إن علماء الشيعية المعاصرين لا زالوا يعتقدون بما كان يعتقد أسلافهم من عقائد باطلة كالقول بتحريف القرآن الكريم ، والطعن في الصحابة ، والفلو في الأئمة . . . ، وأن ما يتظاهرون به اولئك من نفى هذه العقائد هو تقية وخداع .

- ٤ - ان الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليس في الفروع كما ظن كثير من الناس وإنما هو في الأصول الثابتة ، ولهذا لا يتم التقريب بين الفريقين حتى يتأكد تراجع الشيعة عن عقائد هم المنحرفة ، أما ما قام به الشيعة من الدعوة الى التقريب بينهم وبين أهل السنة فهي خدعة كان الهدف منها تقريب مذهب السنة

الى الشيعة واكتساب الصبغة الشرعية لهم لتكون مساعدا لما يقومون به من اغراء الناس بالتشيع .

٥ - التقية مزلق خطر ، صاب قد يؤدي الى النفاق اذا فتح بدون ضوابط ولا قيود ولهذا كان الصبر والثبات وعدم استخدام التقية نوعاً من أنواع الجهاد لما فيه من إظهار عزة المسلم وارغام الأعداء واغاثتهم .

والحديث عن التقية بمفهومها الصحيح لا يعني إبرازها للناس ليأخذوا بها ، فهم لا يجهلون وجودها ، بل إن كثيراً منهم يتدعون بها للتهرب من الاوامر الشرعية ويأخذون بها بلا ضوابط ولا قيود ، ولهذا كان لابد من تصحيح مفاهيم الناس الخاطئة عن أحكام التقية ، وفي هذا إرشاد للناس وتنبيه لهم وترشيد للصحة الإسلامية المباركة .

٦ - من أخطر مزالق التقية أنها قد تؤدي الى تحول الذرية الى الكفر اذا طُال استخدامها وهذا ما حصل لمسلمي الاندلس وكثير من مسلمي الاتحاد السوفيتي حيث نشأ جيل لا صلة له بالاسلام ولا يعرف شيئاً عن تقية الآباء . ولهذا كان الواجب على المسلم الذي يضطر الى مثل هذا العمل أن يسلك كل ما يمكنه من سبل للتخلص من دار الكفر والنجاة بأولاده من براثنهم وتسلطهم ، وأن يبذل جهده لتلقين أولاده الاسلام مع الحذر والحيطه ، وليعلم أن أعز ما يملك هو هذا الدين .

٧ - وأوصي في الختام بضرورة الاهتمام بأحوال الاقليات الإسلامية المستضعفة في شتى بقاع الارض ، والدفاع عنها ومدّها بالعون ، واتخاذ الاسباب لانقاذها مما هي فيه وتخفيف الوطأة عنها وتعليمها أحكام الدين .
وأسأل الله العليّ القدير أن يعز المسلمين ويعلي راية الاسلام انه سميع مجيب
والحمد لله رب العالمين ..



(٦٣٠) المصادر والمراجع

أولاً : مصادر ومراجع أهل السنة (١)

- ١ - أحكام الرخص في الشريعة الإسلامية ، للدكتور حسين خلف الجبوري .
مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ .
- ٢ - أحكام القرآن - للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠) .
دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى
سنة ١٣٣٥ هـ .
- ٣ - أحكام القرآن - للإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراس ،
(ت ٥٠٤ هـ) .
تحقيق : موسى محمد علي ، الدكتور عزت علي عيد عطية ، دار الكتب
الحديثة (بدون تاريخ) .
- ٤ - أحكام القرآن - للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ،
(ت ٥٤٣ هـ) .
تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت ، (بدون تاريخ) .
- ٥ - أدب المفتي والمستفتي - للإمام أبي عمرو ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) .
تحقيق : الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ،
مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ٦ - الأدب النبوي - للشيخ محمد عبد العزيز الخولي .
دار المعرفة ، بيروت ١٤١٠٢ هـ .
- ٧ - أسباب النزول - للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحد النيسابوري .
عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) .

(١) ذكرت هنا أبرز المصادر والمراجع التي رجعت إليها ، وهناك مراجع أخرى اكتفيت بذكرها في الهوامش إما لأن رجوعي إليها كان نادراً أو لأنني أحلت إليها لمن أراد التوسع ولكنني لم أنقل عنها .

- ٨ - الاستقامة ، للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة (ت ٧٢٨هـ)
تحقیق : الدكتور محمد رشاد سالم ، جامعة الأمام محمد بن سعود
الاسلامیة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
- ٩ - الاسماعیلیة ، تاریخ وعقائد ، احسان الهی ظهیر .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ١٠ - اسلام بلا مذاهب ، للدكتور مصطفى الشکعة .
دار النهضة العربیة ، بیروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .
- ١١ - الاسلام فی وجه الزحف الأحمر ، للشیخ محمد الغزالی .
المختار الاسلامی ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٣٩٦ هـ .
- ١٢ - الاسلام والصحابة الکرام بین السنة والشیعة ، للشیخ محمد بهجة البیطار .
رد على رسالة أرسلها الیه أحد الرافضة بتاريخ ٢٦/٣/١٣٨٢ هـ .
- ١٣ - الأشباه والنظائر علی مذهب أبی حنیفة النعمان .
للإمام زین العابدین بن ابراهیم بن نجیم (ت ٩٧٠ هـ) .
- تحقیق : عبد العزیز محمد الوکیل ، مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧ هـ .
- ١٤ - الأشباه والنظائر فی قواعد وفروع فقه الشافعیة .
للإمام جلال الدین عبد الرحمن السیوطی (ت ٩١١ هـ) .
- دار احیاء الکتب العربیة ، بالقاهرة ، (بدون تاریخ) .
- ١٥ - الاصابة فی تمييز الصحابة .
للإمام أحمد بن علی بن محمد بن محمد بن علی الكنانی العسقلانی
المعروف بابن حجر العسقلانی (ت ٨٥٢ هـ) .
- دار الکتب العربی ، بیروت .
- ١٦ - أصول الفقه ، للشیخ محمد أبوزهرة .
دار الفكر العربی ، ١٣٧٧ هـ .
- ١٧ - أضواء علی العقيدة الدرزیة ، أحمد الفوزان .
الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

- ١٨ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين ، للإمام فخر الدين الرازي .
 مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨ م .
- ١٩ - الأعلام ، خير الدين الرزكلي .
 دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .
- ٢٠ - أعلام الموقعين عن رب العالمين ،
 للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) .
 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة
 الثانية ١٣٩٧ هـ .
- ٢١ - الأكره في الشريعة الإسلامية ، للدكتور فخرى أبو صفية .
 مطابع الرشيد ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .
- ٢٢ - الأكره وأثره في الأحكام الشرعية ، للدكتور عبد الفتاح الشيخ .
 دار الكتاب الجامعي ، مصر ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .
- ٢٣ - الأكره وأثره في التصرفات ، للدكتور عيسى زكي عيسى محمد شقرة .
 مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- ٢٤ - الإمامة والرد على الرافضة ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .
 تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .
- مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .
- ٢٥ - الإمام زيد ، حياته وعصره وآراؤه الفقهية .
 للشيخ محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي .
- ٢٦ - الإمام الصادق ، للشيخ محمد أبوزهرة .
 دار الفكر العربي .
- ٢٧ - أوثق عرى الإيمان ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب
 ضمن كتاب مجموعة التوحيد ، ابتداءً من صفحة ٣٦٦ / ، مكتبة
 الرياض الحديثة ، (بدون تاريخ) .

- ٢٨ - الايمان ، للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة (ت ٧٢٨ هـ)
المكتب الاسلامی ، بیروت ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ هـ .
- ٢٩ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للامام أبي بكر بن سعود الكسائي الحنفی
(ت ٥٨٧ هـ)
دار الكتاب العربی ، بیروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ .
- ٣٠ - بداية المجتهد ونهاية المقتصر ، للامام محمد بن أحمد بن رشد القرطبي
المعروف بابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) .
دار الفكر ، بیروت ، (بدون تاريخ)
- ٣١ - البداية والنهاية ، للامام اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
دار الفكر ، بیروت ١٩٧٨ م .
- ٣٢ - بذل المجهود في حل أبي داود ، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦ هـ)
دار اللواء ، الرياض ، (بدون تاريخ)
- ٣٣ - بطلان عقائد الشيعة ، للشيخ محمد عبد الستار التونسي .
دار النشر الاسلامية العالمية ، باكستان ، (بدون تاريخ)
- ٣٤ - تاج العروس في جواهر القاموس ، للامام محمد ابن محمد ، مرتضى الزبيدي
(ت ١٢٠٥ هـ)
دار مكتبة الحياة ، بیروت (بدون تاريخ)
- ٣٥ - تاريخ ابن خلدون ، المسمى (كتاب العبر وديوان العبتدأ والخبر)
للإمام عبد الرحمن بن خلدون المغربي
دار الكتاب اللبناني ، بیروت ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م .
- ٣٦ - التاريخ الأندلسي في الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ،
للدكتور عبد الرحمن علي الحجی .
دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

- ٣٧ - تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى)
 للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)
 تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة
 الثانية ١٩٧١ م .
- ٣٨ - تاريخ الصفويين وحضارتهم ، للدكتور بديع جمعة ، والدكتور أحمد الخولى .
 دار الكتاب العربى ، مصر ، الطبعة الاولى ١٩٧٦ م .
- ٣٩ - تاريخ المذاهب الاسلامية ، للشيخ محمد أبوزهرة .
 دار الفكر العربى (بدون تاريخ)
- ٤٠ - تبديد الظلام وتنبيه النيام ، للشيخ ابراهيم سليمان الجبهان .
 مكتبة الحرمين ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .
- ٤١ - التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين ،
 للإمام أبى المظفر الأسفراينى (ت ٤٧١ هـ)
 تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ
- ٤٢ - تحفة الفقهاء ، للإمام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩ هـ)
 تحقيق الدكتور محمد زكى عبد البر .
 ادارة احياء التراث الاسلامى ، دولة قطر ، الطبعة الثانية .
- ٤٣ - تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، للإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي
 الحنفى .
 دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٤ - التسهيل فى علوم التنزيل ، للإمام محمد بن أحمد بن جزى الكلبى الفرناطى
 (ت ٧٤١ هـ)
 تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى ، ابراهيم عطوه عوض ، مطبعة حسان ،
 القاهرة .
- ٤٥ - التعريفات ، الشريف على بن محمد الجرجاني .
 دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

٤٦ - تفسير البحر المحيط ، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

(ت ٧٥٤ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٤٧ - تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد طاهر بن عاشور .

الدار التونسية للنشر ١٩٦٩ م .

٤٨ - تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) للشيخ محمد رشيد رضا .

دار المنار ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .

٤٩ - تفسير القرآن العظيم ، للإمام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٨ هـ .

٥٠ - التفسير الكبير ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين (ت ٦٠٤ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .

٥١ - التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي .

دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، (بدون تاريخ)

٥٢ - تلبيس ابليس ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

ادارة الطباعة المنيرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ .

٥٣ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، للإمام محمد بن أحمد بن عبد الرحمن

المطى الشافعى (ت ٣٧٧ هـ)

تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسين الكوثري ،

مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٦٨ هـ .

٥٤ - الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

(ت ٦٧١ هـ)

الطبعة الثانية (بدون تاريخ)

٥٥ - جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد

ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ)

تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٥٦ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(ت ٣١٠ هـ)

دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .

٥٧ - جامع العلوم والحكم ، للإمام ابن رجب الحنبلي .

دار الفكر ، بيروت .

٥٨ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، للإمام شمس الدين الشيخ محمد عرفة

الدسوقي ، على الشرح الكبير لأبي البركات أحمد الدردير .

طبع دار احياء الكتب العربية ، بالقاهرة ، عيسى البابي الحلبي .

٥٩ - حاشية رد المحتار ، للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ .

٦٠ - حاضر العالم الاسلامي ^(١) ، للأثير شكيب أرسلان .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤ هـ .

٦١ - الحركات الباطنية في العالم الاسلامي عقائد ها وحكم الاسلام فيها ،

للدكتور محمد أحمد الخطيب .

مكتبة الأقصى ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .

٦٢ - الحسبة في الاسلام ، للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية

(ت ٧٢٨ هـ) .

تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

٦٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني

(ت ٤٣٠ هـ)

دار الباز ، مكة المكرمة ، (بدون تاريخ)

(١) أصل الكتاب من تأليف الكاتب الأمريكي : لو شروب ستودارد ، وترجمة الاستاذ

عجاج نويهض ، وقد أضاف اليه الأمير شكيب أرسلان فصولا مهمة ، وهي

الفصول التي اعتمدت عليها في هذا البحث ، ولذلك عزوت الكتاب اليه .

- ٦٤ - حملة رسالة الاسلام الأولون وما كانوا عليه في المحبة والتعاون ،
للشيخ محب الدين الخطيب .
- ملحق بكتاب مختصر التحفة الاثني عشرية .
- ٦٥ - حياة الصحابة ، للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى .
- تحقيق نايف العباس ، محمد علي دولة .
- دار القلم ، بيروت ، دمشق ١٣٨٨ هـ .
- ٦٦ - الخرشي على مختصر سيدى خليل ، للامام محمد الخرشي المالكي .
- ومهامه حاشية الشيخ علي العدوى ، دار صادر ، بيروت .
- ٦٧ - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الاثني عشرية ،
للشيخ محب الدين الخطيب ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، الطبعة
التاسعة .
- ٦٨ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للامام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين
السيوطي (ت ٩١١ هـ)
- دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
- ٦٩ - دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، للدكتور عرفان عبد الحميد .
- مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .
- ٧٠ - دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، للدكتور أحمد محمد أحمد جلي .
- طباعة مركز الطك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ
- ٧١ - الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابة بين الشيعة
وأهل السنة - لإحسان إلهي ظهير .
- ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .
- ٧٢ - رسالة في الرد على الرافضة ، للامام أبو حامد محمد المقدسي (ت ٨٨٨ هـ)
- تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ، دار السلفية ، بومباي ، الهند ،
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .

- ٧٣ — رسالة في الرد على الرافضة ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب .
تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، دار طيبة ، الرياض (بدون تاريخ)
- ٧٤ — رسالة في كيفية المناظرة مع الشيعة ، للشيخ أحمد زيني دحلان .
(بدون تاريخ)
- ٧٥ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للإمام محمود الألويسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)
دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ٧٦ — روضة الناظر وجنة المناظر ، للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)
المطبعة السلفية ، القاهرة ، طبعة ١٣٩٧ هـ .
- ٧٧ — زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٦ هـ)
المكتب الاسلامي ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ .
- ٧٨ — السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ، للدكتور مصطفى السباعي .
المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .
- ٧٩ — سنن ابن ماجه ، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه —
(ت ٢٧٥ هـ)
تحقيق محمد قزاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، (بدون تاريخ)
- ٨٠ — سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي
(ت ٢٧٥ هـ)
تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص ، سورية ،
الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ .
- ٨١ — سنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة .
تحقيق : ابراهيم عطوة عوض ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٨٢ — سنن النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندی .
دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ٨٣ - السيرة النبوية ، للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى (ت ٢١٨ هـ)
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ الشلبى .
مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)
- ٨٤ - السيف الباتر لأرقاب الشيعة الرافضة الكوافر .
للامام علي بن أحمد الهيتى (ت ١٠٢٩ هـ)
تحقيق محمد موسى حجازى السويطى ، رسالة ماجستير من الجامعة
الاسلامية باشراف الدكتور عبد المنعم محمد حسنين ، شعبة العقيدة ،
١٤٠٥ هـ .
- ٨٥ - شرح منتهى الارادات ، للامام منصور بن يونس بن ادريس البهوتى (ت ١٠٥١ هـ)
عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ)
- ٨٦ - الشيعة في التصور الاسلامى ، عمر علي فريج .
دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .
- ٨٧ - الشيعة وأهل البيت ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، ١٤٠٢ هـ .
- ٨٨ - الشيعة وتحريف القرآن ، محمد مال الله .
المكتبة الاسلامية ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- ٨٩ - الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، احسان الهى ظهير ،
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ .
- ٩٠ - الشيعة والسنة ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة العاشرة ١٤٠١ هـ .
- ٩١ - الشيعة والقرآن ، احسان الهى ظهير .
ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ .
- ٩٢ - الشيوعية والاسلام ، أحمد عبد الغفور عطار .
دار الاندلس ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

- ٩٣ - طائفة الاسماعيلية ، تاريخها ونظمها وعقائدها ، محمد كامل حسين .
الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ م .
- ٩٤ - طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها ، محمد كامل حسين .
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .
- ٩٥ - الصارم السلول على شاتم الرسول ، للامام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ،
ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ١٤٠٣ هـ .
- ٩٦ - الصحاح ، للامام اسماعيل بن حماد الجوهري .
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
- ٩٧ - صحيح البخاري بحاشية السندی ، للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري
دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٩٨ - صحيح الجامع الصغير ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الاسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .
- ٩٩ - صحيح مسلم بشرح النووي ، للامام محي الدين أبو زكريا ، ابن شرف النووي ،
(ت ٦٧٦ هـ)
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .
- ١٠٠ - الصراع بين الاسلام والوثنية ، عبد الله علي القصبي .
الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، القاهرة .
- ١٠١ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقه ، للامام أحمد بن حجر ،
الهييتي (ت ٩٧٤ هـ)
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- ١٠٢ - صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الجيل
المثالي عند أهل السنة والشيعة الامامية للشيخ أبي الحسن الندوي ،
نشر ادارة احياء التراث الاسلامي بدولة قطر ، (بدون تاريخ)

- ١٠٣ - العقائد الباطنية وحكم الاسلام فيها ، للدكتور صابر طعمية .
المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .
- ١٠٤ - عقائد الدرر (عرض ونقض) ، محمد أحمد الخطيب .
مكتبة الاقصى ، عمان ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ .
- ١٠٥ - عقائد الشيعة في الميزان ، للدكتور محمد كامل سلامة الهاشمي .
(لم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه)
- ١٠٦ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، للامام أبي الفرج عبد الرحمن ،
ابن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)
تحقيق ارشاد الحق الأثرى ، ادارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ،
(بدون تاريخ)
- ١٠٧ - عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى ، للامام بدر الدين أبي محمد محمود ،
ابن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)
دار احياء التراث العربى ، بيروت ، (بدون تاريخ) .
- ١٠٨ - عوارض الأهلية عند الأصوليين ، للدكتور حسين خلف الجبورى .
نشر معهد البحوث العلمية و احياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى ،
مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ .
- ١٠٩ - العواصم من القواصم ، للامام أبي بكر بن العربى المالكي (ت ٥٤٣ هـ)
تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ،
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ .
- ١١٠ - فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، للامام أحمد بن على بن حجر
العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)
صححه محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، (بدون تاريخ)
- ١١١ - فجر الاسلام ، أحمد أمين
دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٩ م .

١١٢ - الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)

دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ .

١١٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم

الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)

مكتبة الخانجي ، مصر ، (بدون تاريخ)

١١٤ - فضائح الباطنية ، للإمام أبي حامد الغزالي .

تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، حولى ، الكويت .

١١٥ - فقه الشيعة الإمامية ومواقع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة ،

للدكتور علي أحمد السالوسي .

مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

١١٦ - فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، رسالة ماجستير من اعداد ، ناصر

عبد الله القفاري بإشراف الدكتور صالح الفوزان ، جامعة الإمام محمد

ابن سعود بالرياض ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، ١٤٠١ هـ .

١١٧ - فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، للإمام عبد الرؤوف المناوي .

دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

١١٨ - في ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب .

دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ .

١١٩ - القاموس المحيط ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أباى (ت ٨١٧ هـ)

دار الجيل ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٢٠ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

السلي (ت ٦٦٠ هـ) - راجعه وعلق عليه : طه عبد الرؤوف سعد ، طبع القاهرة ١٣٨٨ هـ .

١٢١ - القواعد في الفقه الاسلامي ، للإمام ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)

راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ،

القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ .

- ١٢٢ - القوانين الفقهية ، للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبى الفرناطى (ت ٧٤١ هـ)
 دار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، ١٩٨٢ م .
- ١٢٣ - الكامل في التاريخ ، للإمام عز الدين أبي الحسن محمد بن محمد بن الاثير
 دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ .
- ١٢٤ - الكامل في اللغة والأدب .
 للإمام أبي العباس محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥ هـ)
 مكتبة المعارف ، بيروت .
- ١٢٥ - كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوى .
 للإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخارى (ت ٧٣٠ هـ)
 دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٤ هـ .
- ١٢٦ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس .
 للإمام اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى (ت ١١٦٢ هـ)
 بتعليق أحمد قلاش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .
- ١٢٧ - لسان العرب ، للإمام محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى .
 دار صادر ، بيروت .
- ١٢٨ - لسان العيزان ، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)
 دار الفكر ، بيروت ، (بدون تاريخ)
- ١٢٩ - المبدع ، شرح المقنع ، للإمام ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ،
 ابن مفلح (ت ٨٨٤ هـ)
 المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ .
- ١٣٠ - المبسوط ، للإمام أبي بكر شمس الدين السرخسى (ت ٥٧١ هـ)
 دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ)
- ١٣١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للإمام الحافظ نور الدين الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ)
 مؤسسة المعارف ، بيروت ، طبعة ١٤٠٦ هـ .

١٣٢ - المجموع ، شرح المذهب .

للامام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)

وحاشية فتح العزيز ، شرح الوجيز للرافعي ، والتلخيص الحبير

لابن حجر العسقلاني ، مطبعة التضامن الأخوي بمصر ، ١٣٤٤ هـ .

١٣٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية .

جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وولده محمد .

طبع القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين

الشريفين في المملكة العربية السعودية .

١٣٤ - محاكم التفتيش في الأندلس ، محمد علي قطب .

مكتبة القرآن ، بولاق ، القاهرة .

١٣٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

للامام أبي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي (ت ٥٤١ هـ)

تحقيق عبد الله بن أبي ابراهيم الأنصاري * عبد العال السيد ابراهيم

* محمد الشافعي صادق العناني .

قطر ، الدوحة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

١٣٦ - المحلى ، للامام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ)

طبعة مصححه قولت على النسخة التي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر ،

المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، (بدون تاريخ)

١٣٧ - مختصر التحفة الاثني عشرية .

ألفه بالفارسية الشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي .

ترجمه الى العربية سنة (١٢٢٧ هـ) الشيخ غلام محمد الأسلمي ،

اختصره سنة (١٣٠١ هـ) الشيخ محمود شكرى الالوسي ،

حققه الشيخ محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .

- ١٣٨ - المدخل الفقهي العام ، للشيخ مصطفى أحمد الزرقا .
 مطابع ألفباء ، الأديب ، دمشق ، الطبعة التاسعة ١٩٦٨ م .
- ١٣٩ - مذاهب الاسلاميين ، للدكتور عبد الرحمن البدوي .
 دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ م .
- ١٤٠ - مسألة الامامة والوضع في الحديث عند الفرق الاسلامية ، محسن عبد الناظر .
 الدار العربية للكتاب ، المغرب ، ١٩٨٣ .
- ١٤١ - المستدرك على الصحيحين .
 للامام أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)
 دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٤٢ - المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر .
 للشيخ محمود شكرى الألوسى .
 تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى ، نشر دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٤٣ - المسلمون في الاتحاد السوفيتى ، للدكتور محمد علي البار .
 دار الشروق ، جدة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .
- ١٤٤ - المسند ، للامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل .
 وبهاشده منتخب كنز العمال - المكتب الاسلامى - بيروت .
- ١٤٥ - المصنف في الأحاديث والآثار .
 للامام أبي بكر ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ)
 تحقيق مختار أحمد الندوى ، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى ،
 ١٤٠١ هـ .
- ١٤٦ - معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوى)
 للامام ابى محمد الحسين بن سعود الفراء البغوى (ت ٥١٦ هـ)
 مطبوع بهامش تفسير الخازن ، مكتبة مصطفى البابى الحلبي ، بمصر ،
 الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ .

- ١٤٧ - معالم في الطريق ، للشهيد سيد قطب .
- نشر: الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ١٣٩٨ هـ .
- ١٤٨ - المعجم الوسيط ، قام باخراجه مجمع اللغة العربية في القاهرة .
- باشراف : ابراهيم أنيس * عبد الحليم منتصر * عطية الصوالحي ،
* محمد خلف الله أحمد - ضيعة إدارية إحياء التراث الاسلامي بدولة قطر
- ١٤٩ - المغرب في ترتيب المعرب .
- للامام أبي الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠ هـ)
- تحقيق : محمود فاخوري * وعبد الحميد مختار ، طبع حلب ، (بدون تاريخ)
- ١٥٠ - المغني (مع الشرح الكبير) للامام موفق الدين ابن قدامة (ت ٦٣٠ هـ)
- دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٥١ - المغني في أصول الفقه .
- للامام جلال الدين أبي محمد عمر بن محمد الخيازي (ت ٦٩١ هـ)
- تحقيق الدكتور محمد مظهر بقا ، نشر مركز البحث العلمي واهيائه
- التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ .
- ١٥٢ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
- للامام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ)
- قام بتصحيحه (هلموت ريتز) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .
- ١٥٣ - الطل والنحل .
- للامام محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)
- دار المعرفة ، بيروت ، طبعة عام ١٤٠٠ هـ .
- ١٥٤ - مناقب الامام أحمد بن حنبل .
- للامام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)
- تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة
- الثالثة ١٤٠٢ هـ .

١٥٥ - المنتقى في منهاج الاعتدال .

للامام أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)

تحقيق محب الدين الخطيب ، مكتبة دار البيان ، دمشق .

١٥٦ - من نهر كابل الى نهر اليرموك ، للشيخ أبي الحسن الندوى .

دار الهلال ، أنقرة ، تركيا ، ١٣٩٤ هـ .

١٥٧ - منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية .

للامام تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٢ هـ .

وطبعة اخرى محققة بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، مكتبة الخياط ، بيروت .

١٥٨ - الموافقات في أصول الأحكام .

للامام ابراهيم بن موسى اللخمي المعروف بالشاطبي (٧٩٠ هـ)

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ،

القاهرة ، (بدون تاريخ)

١٥٩ - مؤتمر النجف ، للشيخ عبد الله بن الحسين السويدي العباسي .

مطبوع مع كتاب الخطوط العريضة للشيخ محب الدين الخطيب ،

دار طيبة ، الرياض .

١٦٠ - الموسوعة الفقهية .

اصدار وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في دولة الكويت ، الطبعة

الاولى ١٤٠٥ هـ .

١٦١ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال .

للامام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)

تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار احياء التراث العربية ، (بدون تاريخ)

١٦٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، للدكتور علي سامي النشار .

دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٩٧٧ م .

- ١٦٣ - نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية، للدكتور أحمد محمود صبحي .
دار المعارف ، مصر ، (بدون تاريخ)
- ١٦٤ - نظرية الضرورة الشرعية ، للدكتور وهبة الزحيلي .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ .
- ١٦٥ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج .
للامام شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي (ت ١٠٠٤)
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (بدون تاريخ)
- ١٦٦ - نيل الاوطار ، شرح منتقى الأخبار .
للامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ)
دار القلم ، بيروت ، (بدون تاريخ)
- ١٦٧ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، للشيخ موسى جار الله .
الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ، باكستان .
- ١٦٨ - الولا والبراء في الاسلام ، للدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني .
دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ .

ثانيا : مصادر ومراجع الشيعة

- ١ - أبوطالب مؤمن قريش - عبدالله الشيخ على الخنيزي
المكتب العالي للتأليف والترجمة - بيروت - الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ
- ٢ - الاحتجاج - لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي (من القرن السادس)
تعليق : محمد باقر الخراسان - دار النعمان - النجف - ١٣٨٥ هـ
- ٣ - أحسن الوديعه في تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة (أو: تنعة كتاب روضات الجنات
تأليف : محمد مهدي الموسوي الاصفهاني الكاظمي - مطبعة النجاح - بغداد - ١٣٤٧ هـ
- ٤ - الاختصاص - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
تعليق : علي أكبر الغفاري - مكتبة الزهراء - قم ١٤٠٢ هـ
- ٥ - اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي) - لأبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
تعليق : حسن المصطفوي - طبع مشهد - بدون تاريخ
- ٦ - الارشاد - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
منشورات مؤسسة الأعلى للطبوعات - الطبعة الثالثة - بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ٧ - الاستبصار فيما اختلف من الاخبار - لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
تحقيق : حسن الموسوي الخراسان - دار الكتب الاسلامية - طهران - الطبعة الثالثة
١٣٩٠ هـ ق .
- ٨ - أصل الشيعة وأصولها - محمد الحسين آل كاشف الغطاء .
الطبعة العاشرة - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٩ - الأصول من الكافي - لابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ)
تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري - دار الكتب الاسلامية - طهران
الطبعة الثالثة - ١٣٨٨
- ١٠ - أضواء على خطوط محب الدين العريضة - عبدالواحد الانصاري
بدون تاريخ

١١ - إعلام الوري بأعلام الهدى - لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)

تعليق : علي أكبر الغفاري - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩ هـ

١٢ - الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ) - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف

١٣٦٩ هـ

١٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة

لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) - تقديم : محمد مهدي الموسوي الخراساني

طبع النجف - ١٣٨٩ هـ

١٤ - إلى مشيخة الأزهر - عبدالله السبتي

مطبعة دار الحديث - بغداد ١٣٧٥ هـ

١٥ - أمالي الشيخ الصدوق - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

ترجمة آية الله كمره اي - طهران ١٣٦٢ هـ

١٦ - أمالي الشيخ المفيد - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)

تعليق : علي أكبر الغفاري - منشورات جماعة المدرسين في قم - المطبعة الإسلامية

١٤٠٣ هـ

١٧ - الإمام الصادق - محمد الحسين المظفر

المطبعة الحيدرية - النجف - الطبعة الثانية - ١٣٦٩ هـ

١٨ - الإمامة في الإسلام - عارف تامر

دار الكاتب العربي - بيروت ، مكتبة النهضة - بغداد

١٩ - الإمامة وقائم القيامة - الدكتور مصطفى غالب

دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨١ م

٢٠ - أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل

لمحمد بن الحسن العاملي (ت ١٠٤١ هـ) - تحقيق : السيد أحمد الحسيني

مكتبة الأندلس - بغداد - مطبعة الأدباء في النجف - الطبعة المحققة الأولى ١٣٨٥ هـ

- ٢١ - الانوار النعمانية - نعمة الله الموسوي الجزائري (ت ١١١٢ هـ)
 باشراف الحاج محمد باقر كتابجي حقيقت - تبريز - ، والحاج سيد هادي بني هاشم -
 طهران
 مطبعة شركت چاپ
- ٢٢ - أوائل المقالات في المذهب والمختارات
 لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ) - تقديم وتعليق : فضل الله الزنجاني
 طبع تبريز - ايران - ١٣٧١ هـ ق
- ٢٣ - بمائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد
 لابن فروخ الصفار (ت ٢٩٠ هـ) - تعليق الحاج ميرزا محسن (كوجه باغي)
 طبع مطبعة الاحمدى - طهران
- ٢٤ - تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة - للدكتور عبد الله فياض
 مؤسسة الأعلمى - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ
- ٢٥ - تاريخ الدعوة الاسماعيلية - مصطفى غالب - دار الاندلس - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٥ م
- ٢٦ - تاريخ الشيعة - محمد حسين المظفرى - منشورات مكتبة بصيرتى - قم
- ٢٧ - تاريخ العلويين - محمد أمين غالب الطويل
 دار الاندلس - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٦٦ م
- ٢٨ - تحف العقول عن آل الرسول - للحسن بن علي بن شعبة الحراني (القرن الرابع)
 تقديم : محمد الحسين الأعلمى - مؤسسة الاعلمى للطبوعات - بيروت - الطبعة
 الخامسة ١٣٩٤ هـ
- ٢٩ - تعارض الادلة الشرعية - تقريراً لباحث السيد محمد باقر الصدر
 تأليف : محمود الهاشمي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٥ م
- ٣٠ - تفسير التبيان - لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
 تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي - مكتبة الأمين - النجف - ١٣٨٨ هـ

- ٣١- تفسير الصافي - للفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)
 تعليق : ميرزا حسن الحسيني - تصحيح : أبو الحسن الشعراني - طهران -
 بد من تاريخ
- ٣٢- التفسير الكاشف - محمد جواد مغنیه
 دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٨١ م
- ٣٣- التوحيد - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)
 بتعليق هاشم الحسيني الطهراني - دار المعرفة - بيروت
- ٣٤- جامع الرواه وازاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد
 لمحمد بن علي الاردبيلي الفروي الحائري (القرن الحادي عشر) - منشورات مكتبة
 آية الله المرعشي النجفي - قم - ايران - ١٤٠٣ هـ ق
- ٣٥- الجبهان سليل الشيطان - أحمد مغنية
 الطبعة الاولى - ١٩٦٥ م
- ٣٦- الحصون المنيعه في رد ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة - محسن الامين العاملي
 مطبعة الاصلاح بدمشق - ١٣٢٧ هـ
- ٣٧- الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية - محمد حسن الأعظمي .
 الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٧٠ م
- ٣٨- الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه) - روح الله الخميني
 محاضرات أُلقيت على طلاب علوم الدين في النجف - ذوالحجة ١٣٨٩ هـ
- ٣٩- الخصال - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)
 تصحيح وتعليق : علي اكبر الففاري - نشر مكتبة الصدوق - طهران ١٣٨٩ هـ
- ٤٠- رجال الطوسي - لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)
 تحقيق : محمد صادق آل بحر العلوم - المكتبة الحيدرية - النجف - الطبعة الاولى -
 ١٣٨١ هـ

- ٤١ - رسائل الشيخ المفيد - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
 نشر مكتبة دار الكتب التجارية في النجف - بدون تاريخ
- ٤٢ - رضات الجنات في أحوال العلماء والسادات
 لمحمد باقر المجلسي - تحقيق : أسد الله اسماعيليان - طبع قم - ١٣٩١ هـ ق
- ٤٣ - الروضة من الكافي - لابي جعفر الكليني (ت ٣٢٩ هـ)
 تصحيح وتعليق : علي اكبر الففاري - دار الكتب الاسلامية - طهران - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ
- ٤٤ - السقيفة - محمد رضا المظفر
 مطبعة الزهراء - النجف - ١٣٦٨ هـ
- ٤٥ - الشافي في شرح أصول الكافي - عبد الحسين بن عبد الله المظفر
 مطبعة الغري الحديثة - النجف - الطبعة الثانية - ١٣٨٩ هـ
- ٤٦ - شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام
 لابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ)
 تحقيق : عبد الحسين محمد علي - مطبعة الاداب في النجف - الطبعة المحققة الاولى ١٣٨٩ هـ
- ٤٧ - شرح عقائد الصدوق - أو تصحيح الاعتقاد - لمحمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)
 تقديم وتعليق - هبة الله الشهرستاني - الطبعة الثانية - تبريز - ١٣٧١ هـ
- ٤٨ - شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني) (ت ٦٥٦ هـ) - دار التراث العربي - بيروت
- ٤٩ - شرح نهج البلاغة - لكامل الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩ هـ)
 المطبعة الحيدرية - طهران - ١٣٧٨ هـ
- ٥٠ - شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي - حياته ومؤلفاته
 تأليف : محمد اقبال الانصاري - طبع عليكرة - الهند

- ٥١ - الشيعة بين الحقائق والاهام - محسن الامين
الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ - المطبعة العالمية - شقراء
- ٥٢ - الشيعة في التاريخ - محمد حسن الزين
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - دار الاثار - بيروت
- ٥٣ - الشيعة في الميزان - محمد جواد مغنية
دار التعارف للطبوعات - بيروت - الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ
- ٥٤ - الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع
للدكتور موسى الموسوي - طبع عام ١٤٠٨ هـ
- ٥٥ - الشيعة - تأليف : محمد صادق محمد حسين الصدر
ضبع بغداد - ١٣٥٢ هـ
- ٥٦ - عقائد الامامية - محمد رضا المظفر
المطبعة العالمية بالقاهرة - الطبعة الثامنة - ١٣٩٣ هـ
- ٥٧ - عقائد الامامية الاثنى عشرية - ابراهيم الموسوي الزنجاني
مؤسسة الاعلي للطبوعات - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٣ هـ
- ٥٨ - عقيدة الشيعة في الإمام الصادق وسائر الائمة .
تأليف : حسين يوسف مكي العامل - دار الاندلس - بيروت - الطبعة الاولى - ١٣٨٢ هـ
- ٥٩ - علل الشرائع - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)
تقديم : محمد صادق بحر العلوم - منشورات المكتبة الحيدرية - النجف ١٣٨٥ هـ
- ٦٠ - عيون أخبار الرضا - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)
تصحيح وتعليق : مهدي الحسيني اللاجودي - انتشارات جهان - طهران
- ٦١ - القدير في الكتاب والسنة والأدب - عبدالحسين الأميني النجفي
دار الكتاب العربي - الطبعة الرابعة - ١٩٧٧ م
- ٦٢ - فرق الشيعة - للحسن بن موسى النهختي (ت ٣١٠ هـ)
تقديم : هبه الدين الشهرستاني - دار الأضواء - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ

- ٦٣ - الفروع من الكافي - لابي جعفر الكليني (ت ٣٢٩ هـ)
- تعليق : على اكر الففارى - نشر دار الكتب الاسلاميه - طهران - ١٣٩١ هـ
- ٦٤ - فصل الخطاب فى لإثبات تحريف كتاب رب الأرباب
- تأليف : حسين محمد تقى النورى الطبرسى (ت ١٣٢٠ هـ) -
- طبع طهران
- ٦٥ - الفصول المهمة فى تأليف الأمة - عبد الحسين شرف الدين الموسوى
- دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الطبعة الرابعة
- ٦٦ - فقه الإمام جعفر الصادق - عرض واستدلال
- تأليف محمد جواد مغنية - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٦٥ م
- ٦٧ - الفهرست - لابن النديم (محمد بن اسحاق - ت ٣٨٥ هـ -)
- دار المعرفة - بيروت
- ٦٨ - فى ظلال الوحي - علي فضل الله الحسيني
- دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٨٦ هـ
- ٦٩ - قلائد الدرر فى بيان آيات الاحكام بالآثر
- لاحمد الجزائري (ت ١١٥١ هـ) - مكتبة النجاح - النجف - ١٣٨٢ هـ
- ٧٠ - القواعد والفوائد " فى الفقه والأصول والعربية "
- تأليف : أبوعبد الله محمد بن مكي العاملي ، المعروف بالشهيد الاول - تحقيق
- الدكتور السيد عبد الهادى الحكيم - نشر جمعية منتدى النشر - النجف - ١٩٨٠ م
- ٧١ - كتاب سليم بن قيس - المعروف باسم أبجد الشيعة
- منشورات : دار الفنون بيروت ١٤٠٠ هـ
- ٧٢ - كتاب الينابيع - لأبي يعقوب السجستاني (ت ٣٣١ هـ)
- تقديم وتحقيق : مصطفى غالب - المكتب التجارى - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٦٥ م

(٦٥٦)

٧٣ - كشف الارتياح عن أتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف محسن الأمين العاملي - مطبعة ابن زيد ون - دمشق ١٣٤٦ هـ

٧٤ - كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار

تأليف : حسين محمد تقى النورى الطبرسى (ت ١٣٢٠ هـ) - تعليق : على الميلانى

مكتبة نينوى - طهران - الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ

٧٥ - كشف الأسرار - روح الله الخمينى

ترجمه عن الفارسية : الدكتور محمد البندارى ، علق عليه : سليم الهلالى .

تقديم الدكتور محمد أحمد الخطيب - دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الاولى -

١٤٠٨ هـ

٧٦ - كشف الفهم فى معرفة الائمة

لابي الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الاربلى (ت ٦٩٣ هـ)

تعليق : هاشم الرسولى - طبع قم - ١٣٨١ هـ ق

٧٧ - كشف المراد فى شرح تحديد الاعتقاد - لابن مطهر الحلى (ت ٧٢٦ هـ)

والمتن : لنصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ)

تعليق : ابراهيم الموسوى الزنجانى - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - الطبعة

الاولى - ١٣٩٩ هـ

٧٨ - الكنى والألقاب - عباس القمى

طبع صيدا - ١٣٥٨ هـ

٧٩ - اللمعة الدمشقية - لمحمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت ٧٨٦ هـ)

وشرحها : الروضة البهية - لزين الدين الجبى العاملي (ت ٩٦٥ هـ)

تصحيح وتعليق : السيد محمد كلانتر - منشورات جامعة النجف الدينية - الطبعة

الأولى - ١٣٨٨ هـ

- ٨٠ - لؤلؤة البحرين في الإجازات (التراجم لرجال الحديث والأثر)
 ليوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) تحقيق : محمد صادق بحر العلوم
 مطابع النعمان - النجف - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م
- ٨١ - مجمع البيان في تفسير القرآن - لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)
 دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٣٨٠ هـ
- ٨٢ - المختصر النافع في فقه الإمامية
 لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي (ت ٦٢٦ هـ)
 مطبعة النعمان - النجف - ١٣٨٦ هـ
- ٨٣ - المراجعات - عبد الحسين شرف الدين الموسوي
 مطبعة النعمان - النجف - الطبعة الخامسة - ١٣٨٨ هـ
- ٨٤ - مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية التي لا يجوز الاطلاع
 عليها إلا بأذن من له العقد والحل - لمؤلف مجهول .
 ضمن كتاب : (أربعة كتب اسماعيلية) . عني بتصحيحها : (ر . شتروطمان) - المجمع
 العلمي غوتنبرغ - أعادت طباعته بالاهلست مكتبة المثنى - بغداد
- ٨٥ - مستدرک نهج البلاغة - الهادي كاشف الغطاء
 دار الاندلس - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٨٠ م
- ٨٦ - مع أحمد أمين في حديث المهدي والمهديه - لمحمد أمين زين الدين
 طبع النجف - ١٣٧١ هـ
- ٨٧ - معجم رجال الحديث - لأبي القاسم الموسوي الخوئي
 الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - النجف
- ٨٨ - مقاتل الطالبين - لأبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)
 تقديم : كاظم المظفر - المكتبة الحيدرية - النجف - الطبعة الثانية - ١٣٨٥ هـ
- ٨٩ - المقالات والفرق - سعد بن عبدالله أبي خلف الاشعري القمي (ت ٣٠١ هـ)

تصحیح وتعلیق : د . محمد جواد مشكور - طبع طهران - ١٩٦٣ م

٩٠ - من لا يحضره الفقيه - لابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)

تحقيق وتعلیق : حسن الموسوي الخراساني - نشر دار الكتب الاسلاميه - طهران -

الطبعة الخامسة . ١٣٩٠ هـ

٩١ - الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - طبع بيروت

٩٢ - النهاية في مجرد الفقه والفتاوى - لابي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)

٩٣ - نهج البلاغة - بشرح الشيخ محمد عبده - دار البلاغة - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ

٩٤ - الهفت والاظله - المفضل بن عمر الجعفي

تحقيق وتقديم : عارف تامر - دار مكتبة الهلال - بيروت - ١٤٠١ هـ

٩٥ - وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة

لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) - تصحيح : عبدالرحيم الريانسي

الشيرازي

الطبعة الثانية - دار احياء التراث العربي - بيروت .

ثالثا - المصادر الزيدية

- ١ - العلم الشامخ في تفضيل الحق على الالباء والمشايخ .
للشيخ صالح بن مهدي المقلبي (ت ١١٠٨ هـ) - الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ
- ٢ - قواعد عقائد آل محمد (الباطنية) .
للامام محمد بن الحسن الديلمي اليماني (ت ٧١١ هـ)
تقديم : محمد زاهد الكوثري - نشر مكتب الثقافة الاسلامية ١٣٦٩ هـ
- ٣ - نصره مذاهب الزيدية - للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)
تحقيق الدكتور ناجي حسن .

رابعا - المصادر والمراجع المتعلقة بالخوارج

- ١ - آراء الخوارج - للدكتور عمار الطالبي
الكتب المصرية الحديث للطباعة والنشر - الاسكندرية
- ٢ - أصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج
للشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائللي
تحقيق الدكتورة : سيدة اسماعيل كاشف - نشر وزارة التراث القومي بسلطنة عمان
طبع القاهرة ١٩٧٩
- ٣ - دراسات اسلامية في الاصول الاباضية
تأليف : بكير بن سعيد أعوش -
الطبعة الثانية - بدون تاريخ
- ٤ - العقود الفضية في الاصول الاباضية
تأليف - سالم بن حمد بن سليمان الحارثي العماني
دار اليقظة العربية - لبنان
- ٥ - مسند الربيع بن حبيب بن عمر الازدي (الجامع الصحيح) . (ت ١٧٠ هـ)
مكتبة الثقافة الدينية بمصر - بدون تاريخ

٦ - منهج الطالبين وسلاخ الراغبين .

للشيخ : خميس بن عني الشقصي الرستاقسي

تحقيق : سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - طبع وزارة التراث القومي - والثقافة
بسلطنة عمان

٧ - نشأة الحركة الاباضية - للدكتور عوض خليفات

طبع ١٩٧٨

خامسا - مراجع أخرى

١ - أصول الاسماعلية - للدكتور برنارد لويس

نقله الى العربية : خليل احمد جلو ، جاسم محمد الريح

قدم له : د . عبد العزيز الدوي - طبع دار الكتاب العربي بمصر

٢ - تاريخ الادب العربي - كارل بروكلمان

نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة

٣ - التقيّة أصولها وتطورها - للدكتور كامل مصطفى الشبيبي (١)

مقالة نشرت في مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد / ١٦ ، سنة ١٩٦٢

١٩٦٣ .

٤ - دائرة المعارف الاسلامية

اصدار بعض المشتركين تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية

أعد الطبعة العربية : ابراهيم زكي خورشيد ، احمد الشنتناوي ، د . عبد الحميد يونس

طبع دار الشعب بالقاهرة - بتعليق الشيخ احمد محمد شاكر

٥ - الصلح بين التصوف والتشيع - للدكتور كامل مصطفى الشبيبي .

دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية

(١) لم اذكر مؤلفات الدكتور الشبيبي في قائمة مراجع اهل السنة لما لاحظته من ميوله الشيعية

الواضحة وخاصة في حديثه عن التقيّة ، راجع ص / ٢٦٠ من هذا البحث

٦ - الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري
للدكتور كامل مصطفى الشبيبي - مكتب النهضة - بغداد - الطبعة الاولى ١٩٦٦ م

فهرس الأحاديث النبوية^(٦٦٢)

رقم الصفحة	الحديث
٢٨٢ ، ١٤٧	- ائذنوا له فبئس أخو العشيرة
١٥٨	- احملك على ابن الناقصة
٦٦	- أخذك الكفار ففطوك في الماء
٢٥٧ ، ٣٥	- اصبروا آل ياسر
١٠٥	- آلا انبئكم بأكبر الكبائر
٢٨١	- آلا هل بلغت اللهم فاشهد
٢٧٣	- أمرني ربي بمدارة الناس
٣٠	- أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين
٥٤٢	- ان ابني هذا سيد
١٢٢	- ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل
١٩	- الانبياء ثم الامثل فالامثل
١٥٨	- ان الجنة لا يدخلها عجز
٤٠٠	- الانصار لا يحبهم الا مؤمن
١٥٢	- ان الله أمرني بمدارة الناس
٦٩	- ان الله تجاوز لي عن أمتي
٤٠١	- ان الله جعل الحق على لسان عمر
٣٣	- ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي
١٢٨ ، ١٢	- انما الاعمال في النيات
٥٤	- ان هذا الدين يسر
٥٠٩	- أهون أهل النار عذابا
٨	- أوثق عرى الايمان

رقم الصفحةالحديث

- إيهآ يا ابن الخطاب ٤٠١
- تركت فيكم أمرين لن تضلوا ان تمسكتم بهما ٣٥٢
- تركتكم على البيضاء ٣٤٩
- ثلاث من كن فيه ٧
- الحرب خدعه ١٦١
- رأس الامر الاسلام ٢٧٤
- رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس ١٥٢
- فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ٥٥٧
- فان عادوا فعد ٢٥٨ ، ٦٦
- قد كان من قبلكم يوءخذ الرجل فيحفر له ١١٤ ، ٣٦
- كبرت خيانة أن تحدث ١٥٣
- لا تسبوا أصحابي ٤٠٠
- لا تضحكوا فهما ثقيلان في الميزان ٩٣
- لا هجرة بعد الفتح ٣١
- لا يحل لامرئ مسلم ٨٦
- لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ٤٢٣
- لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ٥٠٨
- لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ١٥٦
- لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ٤٠١
- اللهم خلص الوليد ٦٤
- ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم ٤٠١
- ما يصيب المسلم من نصب ولا وعب ١٩

رقم الصفحةالحديث

- ١٥٢ - مداراة الناس صدقه
- ١٢٣ - من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
- ١٢١ - من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله
- ١٠٧ - من قال علي ما لم أقل فليتبوأ
- ٤٦ - من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار
- ٢٦٢ - من لكعب ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله
- ٩٤ - من يصبر يصبره الله
- ١ - وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة
- ٩٩ - وهل يكب الناس على وجوههم
- ٢٨٦ - يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما
- ٦٠٩ - يخرج قوم في آخر الزمان
- ١٨٢ - يوشك الامم أن تداعى عليكم

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ
الباب الاول : موقف أهل السنة من التقية	(٨٣ -)
الفصل الاول : الاصول العامة لحكم الاسلام فى التقية	٤
المبحث الاول : الولاء والبراء فى الاسلام	٥
صور ومظاهر الولاء والبراء :	
١ - المفاصلة فى أمر الألوهية	٦
٢ - الذللة للمؤمنين والعزة على الكافرين	٧
٣ - الحب فى الله والبغض فى الله	٨
٤ - التحاكم الى شرع الله ورفض التحاكم الى الطاغوت	٩
٥ - عدم الركون الى الكافرين أو مداھنتهم	١٠
صور لا تدخل فى معنى الولاء :	
١ - البر والعدل	١٣
٢ - البيع والشراء	١٤
٣ - الانتفاع بعلومهم وما عندهم	١٥
المبحث الثانى : حقيقة الابتلاء	١٦
الحكمة فى الابتلاء :	
١ - تطهير الصف المؤمن من أدياء الايمان	١٨
٢ - تربية المؤمنين وتمحيص ما فى قلوبهم	١٨
٣ - زيادة حسناتهم ومقامهم عند الله	١٩

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثالث : الصراع بين الحق والباطل	٢٠
موقف المؤمن من هذا الصراع :	
أولا - الجهاد	٢٤
حكم الجهاد	٢٥
ثانيا - الهجرة	٢٦
حكم الهجرة	٢٦
ثالثا - الصبر وتحمل الأذى	٣٣
صبر الصحابة رضي الله عنهم :	
- بلال بن رباح	٣٤
- آل ياسر	٣٤
- خباب بن الارت	٣٥
- عثمان بن مظعون	٣٥
- يوم الرجوع ، وصبر زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي	٣٦
- موقف عبد الله بن حذافة مع ملك الروم	٣٩
الفصل الثاني : تعريف التقية والأدلة على جوازها	٤٢

المبحث الأول : تعريف التقية :

تعريف التقية لغة	٤٣
تعريف التقية اصطلاحاً	٤٥

المبحث الثاني : الأدلة على جواز الترخيص بالتقية

تمهيد عن العزيمة والرخصة وتعريفهما عند الأصوليين	٥١
الأدلة على جواز التقية	٥٥
أولا - الأدلة من القرآن الكريم	٥٥
ثانيا - الأدلة من السنة	٦٦
ثالثا - دلالة الإجماع	٧٠

الموضوع	رقم الصفحة
التقية والثبات	٧٤
الفصل الثالث : التقية والاكراه	٧٦
المبحث الاول : تعريف الاكراه وشروطه وأقسامه	٧٧
تعريف الاكراه لغة واصطلاحاً	٧٧
شروط الاكراه	٧٨
أقسام الاكراه	٨٠
المكره اذا صار كالالة في يد المكره	٨٢
علاقة الاكراه بالاضطرار	٨٣
التخويف وتحقق الاكراه	٨٤
المبحث الثاني : حد الاكراه الذى يبيح التقية	٨٦
أولاً : التقية فى التظاهر بالكفر	٨٧
ثانياً : التقية فى التظاهر بشئ من المعاصى	٩٠
- دراسة قول مروى عن ابن مسعود رضى الله عنه	٩٣
- حصول المشقة وإبامة الاخذ بالتقية ؟	٩٤
- القواعد الشرعية فى تحديد الضرورة	٩٥
الفصل الرابع : أحكام التقية	٩٨
المبحث الاول : التقية فى الاقوال	٩٩
١ - كلمة الكفر وما يتصل بها	٩٩
٢ - الكذب واليمين الكاذبة	١٠٣
٣ - شهادة الزور	١٠٥
٤ - القذف والسب	١٠٦

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني : التقية فى الفتوى	١٠٧
حكم التقية فى الفتوى ؟	١٠٩
موقف علماء السلف من الاكراه على الفتوى	١١٠
محنة القول بخلق القرآن	١١٢
موقف الامام أحمد ممن أجاب بالموافقة	١١٦
المبحث الثالث : الكتمان	١١٩
أهمية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطر التهاون فيه	١٢١
حكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٢٢
الترخيص فى السكوت عن المنكر	١٢٣
المبحث الرابع : التقية فى الافعال	١٢٦
الاختلاف فى جواز التقية فى الافعال	١٢٦
أدلة المنانعين	١٢٧
أدلة الجمهور	١٢٨
أحكام التقية فى الافعال	١٣٠
أولا : الافعال التى تسقط حرمتها بالاكراه	
(شرب الخمر وأكل الميتة وأكل لحم الخنزير)	١٣٠
ثانيا : أفعال لا تسقط حرمتها ولكنها تحتل الرخصة	١٣٤
١ - الاكراه على أفعال الكفر	١٣٥
٢ - الاكراه على ترك شئ من الفرائض أو افسادها	١٣٦
ثالثا : أفعال لا تسقط حرمتها بالاكراه ولا رخصة فيها	١٣٨
١ - القتل أو قطع العضو أو اتلافه	١٣٩
٢ - الزنى	١٤٠

الموضوع	رقم الصفحة
<u>الفصل الخامس : التفريق بين التقية وغيرها</u>	١٤٤
المبحث الأول : الفرق بين المداراة والمداهنة وصلتهما بالتقية	١٤٥
تعريف المداراة والمداهنة	١٤٥
المداراة خلق نبوى	١٤٧
الرد على الشيخ محمد الخولى	١٤٩
أحاديث ضعيفة وردت فى المداراة	١٥١
المبحث الثانى : المعارض وصلتها بالتقية	١٥٣
- تعريف المعارض	١٥٣
- حكم المعارض شرعا	١٥٣
- صلة المعارض بالتقية	١٥٤
- أمثلة للمعارض المباحة	١٥٥
المبحث الثالث : الخدعة فى الحرب وصلتها بالتقية	١٦١
- الخدعة فى قتل كعب بن الاشرف	١٦٢
<u>الفصل السادس : أثر التقية فى المجتمع الاسلامى</u>	١٦٥
المبحث الأول : إكراه مسلمى الأندلس على الكفر واستخدامهم التقية	١٦٨
- إجبارهم على التنصر والتخلي عن الاسلام	١٦٩
- صمود المسلمين وسالتهم	١٧٠
- استخدامهم التقية	١٧١
المبحث الثانى : إكراه مسلمى الاتحاد السوفيتى على الكفر واستخدامهم التقية	١٧٥
- إكراههم على الكفر	١٧٥
- استخدامهم التقية	١٧٧
- لماذا انعدم الوجود الاسلامى فى الاندلس ولم ينعدم فى	
الاتحاد السوفيتى	١٧٨

الموضوع	رقم الصفحة
١- تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم للاستدلال على	
مذهبهم في التقية	٢٣٣
٢- رواياتهم في أهمية التقية ومنزلتها	٢٤٤
٣- مناقشة هذه الروايات	٢٥٣
٤- مقالات الدكتور الشيبى في حديثه عن التقية	٢٦٠
المبحث الثالث: نسبتهم التقية للرسول والأئمة وبعض الصالحين	٢٦٦
أولا : نسبة التقية للرسول عليهم السلام	٢٦٦
١- نسبة التقية لإبراهيم عليه السلام	٢٦٦
٢- نسبة التقية ليوسف عليه السلام	٢٦٩
٣- نسبة التقية للرسول صلى الله عليه وسلم	٢٧٢
ثانيا : نسبة التقية للأئمة المعصومين عندهم	٢٩١
ثالثا : نسبة التقية لبعض الصالحين	٢٩٤
١- نسبة التقية لأصحاب الكهف	٢٩٤
٢- نسبة التقية لمؤمن آل فرعون	٢٩٩
المبحث الرابع: أحكام التقية عند الشيعة	٣٠٧
أولا : أحكام التقية عند علمائهم القدماء	
- الاتجاه الأول : القول بفرضية التقية وخروج تاركها	
عن دين الله	٣٠٧
- الاتجاه الثانى : القول بوجوب التقية	٣٠٩
- الاتجاه الثالث : القول بأن للتقية أحكامها الثلاثة	٣٠٩
- الاتجاه الرابع : القول بأن التقية رخصة والأفضل تركها	٣١٢
ثانيا : أحكام التقية عند علمائهم المتأخرين	٣١٨
١- الحر العاملى	٣١٨
٢- أحمد الجزائرى	٣٢٠

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثا : أحكام التقية عند علمائهم المعاصرين	٣٢٤
- المسلك الأول : القول بوجوب التقية عند الخوف	٣٢٤
- المسلك الثاني : تقييد وجوب التقية	٣٢٥
- المسلك الثالث : التفاضل الكامل عن روايات أسلافهم	
وفتواهم	٣٢٨
رابعا : حد الضرورة في استخدام التقية عندهم	٣٣١
خامسا : دأر التقية وأحكامها	٣٣٥
سادسا : الفرق بين المداينة والتقية عندهم	٣٤٠
الفصل الثالث : تمسك ^{الشيعة} بالتقية في إخفاء عقائد هم المنحرفة :	٣٤١
المبحث الأول : حرص الشيعة على كتمان عقائد هم	٣٤٥
المبحث الثاني : تمسك الشيعة بالتقية لا خفاء قولهم بتحريف القرآن الكريم	٣٥٢
* أقوال علمائهم في تأكيد هذه الفرية	٣٥٤
* القائلون من علمائهم القدماء بعدم التحريف	٣٧٣
* موقف علماء الشيعة المعاصرين من طعن أسلافهم في القرآن الكريم	٣٧٧
- محمد الحسين آل كاشف الغطاء	٣٨٢
- محسن الأمين	٣٨٤
- محمد رضا مظفر	٣٨٦
- عبد الحسين شرف الدين الموسوي	٣٨٧
- ابراهيم الموسوي الزنجاني	٣٨٩
- حسين يوسف مكي العاملي	٣٩٠
- محمد جواد مغنية	٣٩٣
المبحث الثالث : تمسك ^{الشيعة} بالتقية لا خفاء طعنهم في الصحابة الكرام	
رضى الله عنهم	٣٩٩

الموضوع	رقم الصفحة
- فضائل الصحابة في الكتاب والسنة	٣٩٩
- طعن الشيعة في الصحابة	٤٠١
- حكم الاسلام في الطعن في الصحابة	٤٢٢
- دور التقية في اخفاء طعنهم في الصحابة	٤٢٥
- تظاهر علماء الشيعة المعاصرين بانكار هذه المطاعن	٤٢٩
١- عبد الحسين شرف الدين الموسوي	٤٣٠
٢- محسن الأمين	٤٣٤
٣- عبد الواحد الأنصاري	٤٣٥
٤- محمد جواد مفنية	٤٣٧
٥- أحمد مفنية	٤٣٨
٦- محمد رضا المظفر	٤٤١
٧- عباس الفقي	٤٤١
٨- الخميني	٤٤٢
المبحث الرابع: تمسك ^{الشيعة} بالتقية لا خفاء غلوهم في أئمتهم	٤٤٤
١- الأئمة يعلمون كثيراً من الغيب	٤٤٥
٢- الأئمة يتلقون العلم عن طريق الملائكة	٤٥٠
الفصل الرابع: تمسكهم بالتقية في مجال الرواية والفقه:	٤٥٩
المبحث الأول: التقية في الرواية	٤٦٠
١- رد الروايات الثابتة عندهم والموافقة لأهل السنة	٤٦١
* أخطار استخدامهم للتقية في مجال الرواية	٤٦٥
* دعاوى أحد علماءهم المعاصرين	٤٦٨
٢- كتمان الروايات تقية	٤٧٢
٣- تعديل الرواية وتجريحهم على سبيل التقية	٤٧٥
المبحث الثاني: التقية في الفقه والفتوى	٤٨١

- ٤٨١ * التأكيد على استخدام التقية في الفتوى
- ٤٩٢ * بعض الأمثلة لاستخدامهم التقية في الفقه والفتوى
- ٤٩٢ أولاً : نجاسة أهل الكتاب
- ٤٩٥ ثانياً : بعض أحكام الصلاة
- ٤٩٨ ١- غسل الرجلين في الوضوء
- ٤٩٩ ٢- مسح الرأس والأذنين
- ٥٠٠ ٣- السجود على البساط
- ٥٠٠ ٤- الجهر بصلاة الظهر يوم الجمعة في السفر
- ٥٠١ ٥- حكم قول (آمين) بعد الفاتحة
- ٥٠١ ٦- الشك في عدد ركعات الصلاة
- ٥٠١ ٧- عدد التكبيرات في صلاة الجنازة
- ٥٠٢ ٨- رد السلام وتشميت العاطس أثناء الصلاة
- ٥٠٥ الفصل الخامس: مواقف تاريخية فسرهما الشيعة الإمامية على أساس التقية
-
- ٥٠٧ المبحث الأول : موقف أبي طالب من الاسلام
- ٥١٧ المبحث الثاني : مواقف علي من الخلفاء الثلاثة
- ٥١٨ ١- بيعة علي للخلفاء الثلاثة وسكوته عن المطالبة بالخلافة
- ٥٢٧ ٢- ثناء علي على الخلفاء الثلاثة وإعترافه بفضلهم وخلافتهم
- ٥٣٥ ٣- تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب
- ٥٤٢ المبحث الثالث: تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية
- ٥٥٠ المبحث الرابع : ادعائهم غيبة الامام الثاني عشر وتفسير ذلك بالتقية
-
- الفصل السادس: الاثار السيئة للتقية عند الشيعة
-
- ٥٥٥ المبحث الأول : الاثار العامة للتقية عند الشيعة
- ٥٥٥ ١- التقية الشيعية منفذ للغلو

الموضوع	رقم الصفحة
٢- التقية الشيعية باب من أبواب الكذب	٥٥٧
٣- التقية الشيعية طريق للخنوع	٥٦٣
٤- التقية الشيعية دعوة للميكافيلية	٥٦٤
المبحث الثاني : أثر التقية الشيعية على دعوى التقارب بين	
أهل السنة والشيعة	٥٦٦
* الحواجز في وجه التقريب	٥٦٧
١- العقائد المكفرة	٥٦٧
٢- الادعاء بأن جميع مخالفيهم كفار	٥٦٨
٣- التقية	٥٧٢
* أبرز محاولات التقريب	٥٧٣
* نماذج من استخدام التقية عند دعاة التقريب من علماء	
الشيعة المعاصرين	٥٧٨
الفصل السابع: التقية عند الشيعة الباطنية	٥٨٧
المبحث الأول : التعريف بالباطنية وفرقهم ومجمل عقائدهم	٥٨٨
١- الاسماعيلية	٥٨٩
٢- النصيرية	٥٩٢
٣- الدروز	٥٩٣
* الاجماع على كفر الباطنية .	٥٩٥
المبحث الثاني : التقية عند الباطنية	٥٩٨
- دور الستر عند الاسماعيلية	٦٠٠
- استخدام الاسماعيلية للتقية لاستدراج الناس لدعوتهم	٦٠٠
- حرص الباطنية على اخفاء عقائدهم	٦٠١
- التقية عند النصيرية	٦٠٢
- الاختلاف في قبول توبة الباطنية بسبب قولهم بالتقية	٦٠٥

٦٠٦ - ٦٢٧

الباب الثالث: التقية عند الخوارجالفصل الأول: التعريف بالخوارج

٦٠٦

المبحث الأول: نشأة الخوارج

٦٠٧

المبحث الثاني: فرقهم وعقائدهم

٦١١

- المبادئ العامة للخوارج

٦١١

- أبرز فرق الخوارج

٦١١

- الازارقة

٦١٢

- النجدات

٦١٢

- الصفرية

٦١٣

- الاباضية

٦١٤

- موقف الاباضية من الخوارج ؟

٦١٥

- أقوال العلماء في تكفير الخوارج

٦١٦

الفصل الثاني: موقف الخوارج من التقية

٦١٧

المبحث الأول: اختلاف الخوارج في جواز التقية

٦١٨

- القائلون بتحريم التقية

٦١٨

- القائلون بجواز التقية

٦٢١

المبحث الثاني: أحكام التقية عند الاباضية

٦٢٤

- تعريف التقية عندهم

٦٢٤

- مسالك الدين عند الاباضية

٦٢٥

- ما يجوز من التقية وما لا يجوز

٦٢٥

- دار العدل ودار التقية

٦٢٦

* الخاتمة

٦٢٨

* المصادر والمراجع

٦٣٠

الموضوع	رقم الصفحة
أولا : مصادر ومراجع أهل السنة	٦٣٠
ثانيا : مصادر ومراجع الشيعة	٦٤٩
ثالثا : المصادر الزيدية	٦٥٩
رابعا : المصادر والمراجع المتعلقة بالخوارج	٦٥٩
خامسا : مراجع أخرى	٦٦٠
* فهرس الاحاديث النبوية	٦٦٢
* فهرس الموضوعات	٦٦٥

